كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
سبورتنج - الإسكندرية

تأملات
في
سفر إشعياء

(الأصحاحات من ١ إلى ٢٨)

القمص لوقا سيداروس

اســم الكتــاب: تأملات في سفر إشعياء

الأصحاحات من ١ إلى ٢٨

إعـــــــــداد: القمص لوقا سيداروس

الناشـــــــــر: كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس - سبورتنج

المطبعـــــــــة: مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط

موبايل: ٢١٥٢٨٥٦ ٠١٢ & تليفاكس: ٤٥٩٦٤٥٢ ٠٣

رقـــم الإيـــداع: ١١٣٠٣ /٢٠١٠

الترقيم الدولي: I.S.B.N.: 978 - 977 - 392 - 201- 6

□

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

تقديم

سفر إشعياء هو إنجيل الخلاص في العهد القديم تستطيع عند قراءته بإلهام الروح القدس أن تتقابل وجهًا لوجه مع الرب يسوع مخلِّص البشرية. تتقابل معه من أول ميلاده إلى صلبه وقيامته وحلول روحه القدوس. فليس في الكتاب المقدس إعلان عن ميلاد السيد المسيح وأسمائه العجيبة بقدر ما أعلن إشعياء. وليس في الكتاب المقدس مواجهة مع الصليب بصورة أروع مما سجل إشعياء. أما مياه الروح القدس، مياه الخلاص التي نادى المسيح عنها في يوم العيد العظيم قائلاً: "**إن عطش أحد فليقبل إليَّ**"، فهذه سجلها العظيم في الأنبياء إشعياء في أبهج صورة مفرحة في الأصحاح (٥٥).

وحديث إشعياء عن التوبة والصوم والاتضاع والصلاة والفرح هو أعمق ما سُجّل في الكتاب المقدس... فمفاهيم الصوم روحية عميقة (٥٨)، والاتضاع يكشف عن طبيعة الإنسان في عمق روحي، والتوبة هى طريق الالتقاء بالمُخلِّص وهى صوت إشعياء طول السِفر.

أية خسارة جسيمة تعود على المسيحي الذي يهمل قراءة هذا السفر؟ فاقرأه ككنز غني وكنهر تنهل من مائه الحي.

ولقد كانت المكتبة القبطية يعوزها جدًا دخول أبنائها إلى شرح هذا السفر والكشف عن كنوزه وأسراره ونشكر الله أن يخرج هذا الجزء كباكورة لبركة كبيرة يقدمها الأب لوقا سيداروس. الله قادر أن يتمجّد في الكتاب وفي حياة قرائه وكاتبه لحساب ملكوته آمين.

القمص بيشوى كامل

مقدمة

إشعياء النبي

++++++++++++++++++++

إشعياء معناه "خلاص الله" أو "الله خلاصي".

كان النبي في العهد القديم آلة في يد الله، طيعة على قدر ما سمحت الطبيعة البشرية الضعيفة أن تجود وهى تحت سلطان الخطية والموت... وقد كلَّم الرب الإله الآباء قديمًا والأنبياء بطرق متنوعة... تنوعت حسب الزمان وظروف الإنسان... ولم يترك الرب طريقًا يُكلِّم به الإنسان من أجل بلوغه معرفة الخلاص، ومن أجل إعلان حبه للإنسان... لم يترك الرب طريقًا إلا وتوسط بها لتتميم إرادته الصالحة المرضية الكاملة.

فصارت بذلك حياة النبي وسيلة إعلان أمام الشعب أو كما يعبِّر الكتاب نفسه "**جعلتك آية للشعوب**". فحياة النبي آية للشعب وكل ما يصنعه به الرب يكون مثلاً قدام الشعب.

وليس أدل على ذلك من قصة هوشع النبي الذي أمره الرب أن يحب امرأة زانية ويلتصق بها ويتزوجها... وكان الرب نفسه يعبِّر للشعب عن حقيقة ارتباط الرب القدوس بالبشرية الذاهبة وراء العالم ووراء شهواته في الزنى والبُعد عن الله. وهكذا أيضًا كانت حياة حزقيال النبي بكاملها وحياة بقية الأنبياء آية للشعوب.

على هذا النحو جاء اسم إشعياء قرينة مذهلة للرسالة التي حمَّله الرب الإله بها منذ أن أرسله إلى الشعب متنبئًا عن خلاص الله العتيد أن يُعلن أمام الأجيال.

وليس عجيبًا أن يحمل إشعياء النبي هذا الاسم وهو الأول بين جميع الأنبياء عن إعلاناته الخلاصية والمتفرد بنبوات إعجازية عن خلاص ربنا يسوع

العجيب.

شهادة يسوع المسيح هى روح النبوة

هكذا يوضح الروح القدس هدف كل نبوات الكتاب والقصد الإلهي في كل كلمة كتبت في الأسفار... لأنه لم يتكلم إنسان من ذاته ولا بإرادة إنسان جاءت نبوة في زمان ما. بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس لكي يشهدوا عن المسيح ولكي يعلنوا للدهور المقبلة أسرار حبه وعهد الفداء الذي أكمله على الصليب من أجلنا.

وشهادة إشعياء النبي – عن المسيح – من أجل وضوحها الشديد جاءت كأنها مكتوبة في أيام التجسد الإلهي... فقارئ سفر إشعياء يكون كمن يقرأ أحد أسفار العهد الجديد أو كمن يقف كشاهد عيان لحياة ربنا يسوع في الجسد في إعلانات نبوية ورؤى كمثل رؤى العين وتفاصيل دقيقة مبدعة عن ميلاده البتولي الطاهر إلى دقائق حياته وخدمته وآياته ومجد لاهوته وآلامه وموته الكفاري المحيي بأدق تفاصيل الإهانات والتعييرات التي لصقت بالرب لأجلنا... إلى قيامته ثم غنى مجد المسيح في كنيسته... ثم ختام نبوات إشعياء بحلول الروح المعزي على الكنيسة في يوم الخلق الجديد كختام القصد الإلهي الذي أُكمل فينا.

حياة إشعياء

++++++++++++++++++++++

لذلك لا نعجب ما دام الهدف هو الشهادة ليسوع المسيح – لا نعجب أن يخلو شعر إشعياء من الإشارة إلى حياة إشعياء الشخصية وإن كان قد شمل بعض النواحي في حياته... التي من خلالها تكلَّم الرب إلى بني إسرائيل... مثل زواجه من النبية، ومثل إنجابه ولديه الذين إلتزم إشعياء أن يسميهما بأسماء رمزية كأمر الرب وهما "شآر ياشوب" الذي معناه البقية ستخلُص و"مهير شلال حاش بز" ومعناه عجِّل بالغنيمة وأسرع للسلب.

على أننا من خلال السفر نعلم أن إشعياء استؤمن نبيًا للرب وخادمًا له مدة تزيد على الخمسين عامًا إذ خدم الرب خدمة النبوة في أيام الملوك عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا على التوالي وكان معاصرًا الأنبياء عاموس وهوشع وميخا النبي.

وقد سبق مجيء المسيح بحوالي ٧٦٠ سنة ويذكر التقليد الكنسي أنه كان ينتسب إلى عائلة الملك آنذاك كما يذكر التقليد أيضًا أن منسى الملك أمر بنشره فنشروه بمنشار خشب فمات ولم تمت كلمة الحق في قلبه ولا من فمه حتى فاضت روحه وهو شاهد للرب شهيد للحق كيوحنا بن زكريا السابق للرب.

فيبدو كم كان إشعياء متمسكًا بكلمة الحق في قوة وسلطان الروح ... بل إننا نتمثله في شجاعة الروح التي وقف بها أمام آحاز ملك يهوذا حين صرخ في وجهه "**أقليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهي أيضًا**"... وحينما يقف ليبكّت الشعب بكلمات الروح القدس ونخسه الشديد قائلاً: "الشعب الثقيل الإثم ... الأمة الخاطئة... أولاد مفسدين تركوا الرب... استهانوا بقدوس إسرائيل".

هكذا يبدو واضحًا أن الرب قد جمّل حياته بروح القوة وروح الشهادة فاستحق أن ينال إكليل الشهادة كختم لحياة النبوة وصدقها.

+ والكتاب الذي بين يديك هو محاولة بسيطة للتأمل في هذا السفر الغني

واستخلاص لبعض المعاني الروحية والغرض هو تشجيع القارئ للعهد القديم وفتح أبواب للتأمل أمامه والتعرف على ينابيع النعمة المذخرة في بقية أسفار النبوات.

+ وقد وردت آيات إشعياء النبي كثيرًا في العهد الجديد وقد جاءت أسفار العهد الجديد متضمنة أكثر من ٩٠ آية من إشعياء النبي.

+ وقد أعطت الكنيسة أهمية خاصة لسفر إشعياء، فرتبته ضمن القراءات النبوية الهامة في طقس باكر أيام الصوم الكبير، فيُقرأ فصل من إشعياء النبي بصفة أساسية في جميع أيام الصوم تقريبًا، كما تُقرأ فصول منه في معظم ساعات أسبوع الآلام... كما تقرأ فصول منه في صلوات اللقان في خميس العهد وعيد الرسل الأطهار وعيد الغطاس.

القس لوقا سيداروس

الأصحاح الأول

١. "رؤيا إشعياء بن آموص، التي رآها على يهوذا وأورشليم، في أيام عُزِّيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا".

إن معظم نبوات إشعياء النبي هى عبارة عن رؤى أعلنها له الرب الإله في مواقف مختلفة وأوقات كثيرة حسب التدبير الإلهي... وبعد هذه الرؤى معروف المكان والزمان كرؤيته في الهيكل في سنة وفاة عزيا الملك (ص ٦) والبعض الآخر لم يُعلن عن مكانها أو زمانها بالتحديد.

والرؤيا تكون غير الحلم الذي يراه النائم... إذ في حالة الرؤيا يكون النبي في يقظة كاملة وصحو ... غير أن الحواس الجسدية وقوى الفحص العقلي – التي تُعطِّل وضوح الرؤيا بسبب العجز والقصور – هذه القوى تكون في سكون.

أو كما يقول القديس بولس الرسول: "**أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم**".

وقد عبَّر عنها أيضًا القديس يوحنا الرائي قائلاً: "**وللوقت صرت في الروح**".

إذًا هى حالة روحية تعمل فيها النعمة على إزالة العوائق البشرية المُعطلة وتدخل النبي مجال التقديس بفعل إلهي فيرى رؤى الله.

أما موضوع هذه الرؤيا فهو إعلان فكر الله من جهة مملكة يهوذا وأورشليم في فترة الملوك الذين ذكرهم...

إن الله يعلن فكرهُ دائمًا لقديسيه ويُعرفهم مشيئته وقصده... وبالأكثر عندما يمتلئ كأس غضب الله من جهة شعب وتكمل أيام دينونتهم... فيكشف الله بمحبته الفائقة عن أعين قديسيه كما كلَّم نوح قائلاً: "إن نهاية كل بشر قد أتت أمامي" ولا يخفي عن أعينهم ما هو صانعه. كما قال قديمًا: "هل أُخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله" (تك ١٨: ١٧). وهكذا صنع الرب مع يونان ومع باقي الآباء والأنبياء القديسين، لعلهم بإنذارهم وكرازتهم ومناداتهم يكونون سبب توبة وسبب خلاص... وهنا يبدو هدف الرؤى واضحًا من جهة الله أنه لا يشاء موت الخاطئ... بل يُسرّ برجوعه إليه.

وهنا تبدو مشيئة الله من جهة خلاص الإنسان كم هى رحيمة حقًا!! فإن كان الحال هكذا مع الشعوب والمدن القديمة... وهكذا تجلّت مراحم إلهنا... فكم وكم يكون من جهة مملكة يهوذا ومملكة أورشليم مدينة الملك العظيم... ورمز أورشليم السمائية.

هكذا أعلن الرب رؤياه لإشعياء من جهة يهوذا وأورشليم لكي إن سمعوا ولم يقسّوا قلوبهم يكون لهم خلاص ونجاة من قبل الرب.

٢. "اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض، لأن الرب يتكلَّم: ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا عليَّ".

قد تكون هذه مناداة إشعياء على السماء والأرض عندما سمع صوت الرب الإله كما قال موسى النبي في القديم: "اِنصتي أيتها السموات فأتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمي".

وقد يكون هذا صوت سمعه إشعياء النبي من ملاك الرب ينادي على السموات والأرض بالسكون والإصغاء.

وقد يكون هو صوت الرب نفسه للسماء والأرض لأن السماء كرسيه والأرض موطئ قدميه.

وفي جميع الأحوال فإن المناداة على السموات والأرض يكون للشهادة على أعمال الناس نحو الله...

فالسماء شهدت فجور الناس وظلمهم وزيغانهم.

والأرض من اللحظة الأولى التي نزل إليها الإنسان تصرخ من الشوك ومن دم هابيل المُهرق عليها.

ومن العجيب حقًا أن الخليقة غير الناطقة ممتثلة لكلمة الرب وخاضعة لناموسه الإلهي فهو قال فكانت ومازالت ملتزمة بالكلمة أما الإنسان فخالف الناموس وعصى الوصية وخرج عن طاعة إلهه... لذلك يشهد الرب الخليقة غير الناطقة الخاضعة لله "السماء والأرض" يشهدها على الإنسان غير الخاضع لله.

الرب يتكلم: يبدو واضحًا من بداية النبوة أن الله هو المتكلم وليس إنسانًا... وعندما يتكلم الله فكلمته تكشف لنا عن طبيعته وحبه وفكره نحونا وسر مشيئته التي

قصدها في نفسه...

ربيت بنين ونشَّأتهم، أما هم فعصوا عليَّ.

أبوة الله: إن أول ما تكشف لنا كلمة الله من طبيعته الفائقة هى الأبوة ... فالله أب ومصدر كل أبوة في العالم والمسيح كلمة الله جاء لكي يعرفنا الآب في طبيعته العجيبة... وليس أحد يعرف الآب إلا الابن ولا الابن إلا الآب ومن أراد الابن أن يعلن له.

هذا اكتشاف خطير لو لم يعلنه لنا الله بروحه لصرنا غرباء عن الله، والله في بداية الحديث معنا يتحدث عن أبوته وتعب محبته، فالأبوة دائمًا باذلة ودائمًا غافرة "الابن يخطئ والأب يسامح" وها موسى يتكلم مع الشعب قديمًا قائلاً: "أليس هو أباك ومقتنيك، هو عَمِلك وأنشأك؟" (تث ٣٢: ٦).

أما عن تعب محبته معنا فاسمع القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يقول: "كراع صالح سعيت في طلب الضال، كأب حقيقي تعبت معي أنا الذي سقط، ربطتني بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة، أنت الذي أرسلت لي الأنبياء من أجلي أنا المريض، أعطيتني الناموس عونًا، أنت الذي خدمت لي الخلاص لمَّا خالفت ناموسك... الخ".

وتأمل أيضًا كلام الرب بفم موسى بذات المعنى:

"إن قسم الرب هو شعبه... وجده في أرض قفر، وفي خلاء مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه. كما يحرك النسر عشَّه وعلى فراخه يرفّ، ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه... أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء، وأرضعه عسلاً من حجر، وزيتًا من صوان الصخر..." (تث ٣٢: ٩-١٤).

وماذا أيضًا أنه يعوزنا الوقت لو تذكرنا أمثلة من احسانات ربنا واجتماعه بشعبه وتربيتهم بالناموس والأنبياء والتأديبات المختلفة والرؤى والأحلام والآيات والعجائب، ويكفي أن تقرأ قصة النفس البشرية في حزقيال ١٦ كيف اقتناها السيد الرب وكيف أنشأها ورباها وكانت عارية وعريانة وليس لها من يرق لها أو يشفق عليها.

أما هم فعصوا عليَّ: لقد قيل قديمًا "أفسد له الذين ليسوا أولاده عيبهم، جيل أعوج ملتو. ألرَّب تكافئون بهذا يا شعبًا غبيًا غير حكيم؟" (تث ٣٢: ٥ – ٦).

+ إن عصيان البنين غير عصيان العبيد... لأن جرح الأحباء هو أقسى ما تحتمله النفس... "لو كان العدو عيرني لاحتملت"، ولكن أن يكون العصيان من البنين... يُقال لهم: "فرأى الرب ورذَلَ من الغيظ بنيه وبناته. وقال: أحجب وجهي عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل مُتقلِّب، أولاد لا أمانة فيهم" (تث ٣٢: ١٩، ٢٠).

لقد كمل فيهم قول المزمور: "جازوني بدل الخير شرًا".

+ فإن كانت هذه الكلمات تبكيتًا لخطايا الشعب في أيام إشعياء فإنها تصير لنا بالأكثر سبب رجوع وتوبة. لأن السماء شهدت نزول الرب إلينا وصعوده بجسدنا، والأرض شاهدة بأعماله التي صنعها فينا من المذود إلى الصليب والقبر. وها نحن صرنا بالحقيقة أولاد الله، وهو ولدنا بالروح القدس في المعمودية، وربانا ونشأنا لا بالمثال ولكن بروحه المحيي، وبأكل جسده وشرب دمه ليس في خيمة مؤقتة ولكن في كنيسته الدائمة. أبعد هذا يقال **عصوا عليَّ؟**

٣. "الثور يَعرِف قانيَهُ والحمار مِعْلَف صاحِبه، أما إسرائيل فلا يَعْرف. شعبي لا يفهَمُ".

إن هذه الحيوانات غير الناطقة تعرف صاحبها الذي اقتناها والذي يعطيها طعام... هذه بالغريزة الحيوانية لها قدرة على التمييز... فهل صار الإنسان أقل منها في انجذابه نحو خالقه الذي اشتراه وأبوه السماوي الذي يعطيه طعامه في حينه وكأن الرب الإله يقول: إن كنتم لا تعرفوني كأب أو تقتربون مني كإله... فعلى الأقل بسبب الأعمال التي أعملها معكم "إن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال".

ليت إحسانات الرب معنا تقودنا إلى معرفته فندرك أننا ملكه ونحيا كذلك... ونعرف مكان شبعنا الذي هو المذود الحقيقي الذي نأكل منه خبز الحياة.

إسرائيل لا يعرف، شعبي لا يفهم: شعبي هلك لعدم المعرفة، بسبب الجهل وعدم

المعرفة تتغرب النفس عن الله ولا تعرف شمالها من يمينها. وأما الآن فنحن نشكر الله لأننا في يسوع المسيح صرنا خرافَهُ الخاصة نعرف الراعي الصالح ونعرف صوته ونفهم مشيئته ونتبعه حتى إلى الجلجثة.

٤. "ويل للأُمَّة الخاطئة، الشعب الثَّقيل الإثم، نَسل فاعِلي الشر، أولاد مفسِدين! تركوا الرب، استهانوا بقدُّوس إسرائيل، ارتدُّوا إلى وراء".

الأمة الخاطئة:

+ إن خطية إنسان واحد قد تُكدِّر الشعب كله وتنجِّس الجماعة مثل خطية عاخان بن كرمي، وانحراف يربعام بن نباط ونجاسة إيزابيل امرأة آخاب.

+ فإن صارت الأمة كلها خاطئة فماذا يكون حالها؟

ليت الشعب يتذكر أيام الطوفان والعالم القديم الذي كابد مصيره المحزن... وليته يتذكر انقلاب سدوم وعمورة وكيف حكم الرب عليهما بالخسف وجعلهما عبرة للعتيدين أن يَفجُروا.

+ إن مدينة نينوى التائبة تفتح أمامنا بابًا للرجاء لتوبة الأمة كلها.

الشعب الثقيل الإثم:

الله وحده هو الذي يعرف ثقل خطايانا لأنه كان عتيدًا أن يحملها عنا في المسيح يسوع... لأنه هو حَمل الله حامل خطية العالم كله.

نسل فاعلي الشر:

إن الخطية ضربت جذورها في أجيال الشعب... فكمل فيهم قول الكتاب أنهم حيات أولاد أفاعي، وقد خاطبهم الرب يسوع قائلاً أنتم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين وآباؤكم قتلوهم... أكملتم أنتم مكيال آبائكم.

حقًا شهد استفانوس أيضًا وقال: يا قساة القلوب أنتم دائمًا تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم أيضًا.

أولاد مفسدين:

صاروا خميرة شريرة... يفسدون الآخرين بسلوكهم النجس وحياتهم الباطلة ومعاشرتهم الردية... أفسدوا قلوب السلماء وأفسدوا بساطة البسطاء... فاستحقوا الويل الذي قاله الرب: "الويل لمن تأتي بسببه العثرة – خير لذلك الإنسان أن يعلق بعنقه حجر الرحى ويطرح في اللجة".

تركوا الرب: قال آخاب الملك قديمًا لإيليا النبي عندما التقى به بعد سنين الجفاف: أنت مُكدر إسرائيل؟ فأجابه إيليا النبي بقوة الروح: "بل أنت وبيت أبيك يترككم الرب".

والرب يتساءل قائلاً: "ماذا وجد فيَّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنِّي وساروا وراء الباطل" (إر ٢: ٥).

ليس شر أعظم من هذا أن يترك الإنسان الرب ويلتصق بالعالم ويبيع نفسه عبدًا للخطية. "شعبي عمل شرَّيْن: تركوني أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم أبآرًا، أبآرًا مشقَّقة لا تضبط ماء" (إر ٢: ١٣).

استهانوا بقدوس إسرائيل: إن الذي يدوم في الخطية تزداد رباطاته كل يوم ويتعمّق في الشر ويتقدم في الفساد "ضالين ومضلين" فالعدو الشيطان لا يترك فريسته في مرحلة واحدة ولكنه كل يوم يزيد عليها أعمال السخرة ورباطات العبودية.

هذا الشعب ترك الرب إلهه... هذه مرحلة خطيرة في الحياة الروحية ولكن هناك مراحل أخطر وأكثر شرًا "استهانوا بقدوس إسرائيل" انتهت مخافة الرب في قلوبهم وامتلأوا استهتارًا واستخفافًا بكل كلامه ووصياه.

ارتدوا إلى الوراء:

وهذه أيضًا مرحلة أخرى أكثر خطورة حولوا للرب القفا لا الوجه... قيل عن الرب يسوع من تلك الساعة رجع كثير من تلاميذه إلى وراء ولم يعودوا يمشون معه ولما قال لبقية التلاميذ أتريدون أنتم أيضًا أن تمضوا. أجاب بطرس قائلاً: يارب إلى

من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك.

ومكتوب أيضًا: "أمَّا البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتدّ لا تُسرُّ به نفسي. وأمَّا نحن فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس" (عب ١٠: ٣٨- ٣٩) إن الارتداد إلى الوراء هو إنكار الإيمان وهلاك النفس.

٥. "على مَ تُضربون بعد؟ تزدادون زَيَغانًا! كل الرأس مريض، وكل القلب سَقيمٌ".

يؤدب الرب أولاده دائمًا لأنه أي ابن لا يؤدبه أبوه؟ والتأديب يُرى دائمًا أنه للحزن فيأخذ شكل الضربات والآلام... ولكنه يعطي الذين يتدربون ثمر بر للسلام والرب يسوق هذه التأديبات ليحفظ أولاده من الدينونة وليردهم عن ضلال طريقهم.

فإن لم تكن التأديبات مجدية فلماذا يؤدب... وإن كان الشعب بلغ إلى حالته المؤسفة من تركهم للرب واستهانتهم بقدوس إسرائيل وارتدادهم إلى وراء، فلم يصبح للتأديب جدوى، ولا نفع للضربات. بل على العكس إذ وقع عليهم شيء من التأديب أو الضربات فإنهم يزدادون زيغانًا ويجدفوا كما هو مكتوب في سفر الرؤيا عن الذين ضُربوا بالضربات ولم يتوبوا (رؤ ١٦: ٩، ١١).

إن هناك فرقًا بين نفوس تؤدب من الله فتنمو في النعمة ونفوس لا تحتمل حتى كلام التوبيخ. قال الحكيم في سفر الأمثال: "لا توبِّخ مستهزئًا لئلا يُبغضك. وبِّخ حكيمًا فيُحبك ... أمَّا الجاهلون فيحتَقرون الحِكمَةَ والأدب" (أم٩: ٨ ، ١: ٧).

كل الرأس مريض وكل القلب سقيم:

قرأت أيضًا هذه الآية هكذا: كل رأس مريض وكل قلب سقيم فإن كان الشعب كجسم واحد صار رأسه مريضًا وقلبه سقيمًا، وإن نظرنا إليه كأفراد فإن كل واحد فيهم رأسه مريض وقلبه سقيم، وإن يكن هذا أو ذاك فهو تعبير عن مرض الخطية المُزمن وأسقام الروح القاتلة التي انطرح فيها الشعب المسكين.

الرأس مريض: معناها لا قوة على تدبير ولا إرادة في عمل وصايا الله.

القلب سقيم: معناها لا عاطفة ولا حرارة ولا حركة حب نحو الله.

هكذا صار موقفهم نحو الله... جمود وجحود... وعلة مرض أصابت صميم الجسد فشل تفكيره وتحجرت مشاعره وليس هذا فقط مرض في الرأس وسقم في القلب ولكن يعود الله فيقول: أن كل الجسد قد ضُرب بالمرض.

٦. "**من أسفل القَدَم إلى الرأس** (من أحقر إنسان إلى الرئيس في الشعب)، **ليس فيه صحَّة، بل جُرحٌ وأحبَاطٌ وضربةٌ طريَّةٌ لم تُعصَر ولم تُعصَب ولم تُلَيَّن بالزيت**".

وهنا يكشف الرب أمام أعين شعبه أنه رغم الجراحات القاتلة ونزف الدم وقيح جروح الخطية لم تبذل أدنى محاولة للإنقاذ ولم يتحرك أحد نحو خلاص نفسه.

إن نازفة الدم سعت نحو الرب في وسط الزحام تلمس ثوبه والمرأة الخاطئة طلبته باجتهاد في بيت الفريسي... وزكا العشار وهو مضروب بمرض محبة المال صعد على جميزة لكي يراه ... بل إن الملدوغين بسم الحية قديمًا سعوا لينظروا الحية النُحاسية... وجميع الذين نظروا نجوا...

من صار بليدًا مثل هذا الشعب؟... من يُجرح ولا يجري لنجاة ويطلب خلاصًا؟ من يصير مريضًا هكذا ولا يطلب طبيب الأرواح والأجساد. ألا يوجد في هذا الشعب كله نفس مثل الكنعانية ؟

إن منظر هذا الشعب المسكين كمثل الإنسان المسافر الذي وقع بين لصوص الشر فعروه من النعمة وجرحوه بسهام الخطية وشهوات الجسد فصار ينزف دم الحياة وتركوه بين حي وميت... ليس من يرق له أو من يفدي حياته إلا ذلك السامري الصالح رب الحياة الذي يشفي منكسري القلوب ويجبر جميع كسرهم ويصب من زيت وخمر شفائه على جراحاتهم ويحملهم على دابته ويرد لهم حياتهم في فندق كنيسته بسر دمه المسفوك ومحبته الإلهية.

٧. "بلادكم خربةٌ. مُدُنكم مُحرَقَةٌ بالنار. أرضُكُم تأكلها غرباء قُدَّامَكُم، وهي خربةٌ كانقلاب الغرباء".

بعين النبوة رأى إشعياء النبي ما سيحل بالبلاد من خراب ودمار وحرق بالنار ونهب محصولات الأرض وقد تم هذا زمنيًا في أيام السبي... ولكن أليست هذه النتيجة الحتمية لترك الرب والاستهانة بقدوس إسرائيل والارتداد إلى خلف؟

لقد سبق الرب فأنذر شعبه بفم موسى قائلاً: "إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه... تأتي عليك جميع هذه اللعنات.. ملعونًا تكون في المدينة وملعونًا تكون في الحقل... تبني بيتًا ولا تسكن فيه... ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه... الخ" (تث ٢٨: ١٥. الخ).

لقد أهلك الرب شعوبًا كثيرة وأمر بخراب بلادهم وحرق مدنهم وحرمها لأنها كانت مراكز لعبادة الأوثان وسلطان الشيطان فإن تشبَّه شعب الله بالشعوب الغريبة وتركوا الرب إلههم واستهانوا بقدوس إسرائيل، فإنهم يجلبون على أنفسهم هلاكًا سريعًا.

إن البلاد التي لم تقبل قدوس إسرائيل تصير خربة.

+ أورشليم التي لم تقبل أن يملك الرب عليها أن يجمع أولادها كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم يريدوا قال لهم: هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا.

+ إن منظر البلاد الخربة والمدن المحرقة بالنار منظر يدعو إلى الأسى ويجلب الدموع والنوح ويستوجب الحزن وكآبة القلب.

إنه منظر النفوس التي كانت مُدنًا لله وهياكل مُقدسة ولكنها وقعت في يد المُخرِّب، فهدم أسوارها وأحرق أبوابها بالنار.

من لنا اليوم بنحميا ويجلس ويبكي ويصوم أيامًا...

من لنا اليوم بإرميا لكي يبكي ليلاً ونهارًا قتلى الخطية وخراب المدن القديمة.

٨. "فبقيَت ابنة صهيون كمظلَّةٍ في كَرم، كخيمةٍ في مقثأةٍ، كمدينةٍ مُحاصرةٍ".

هكذا تصير المدينة التي قيل عنها أساساتها في الجبال المقدسة، وقيل أيضًا الجبال حولها.. وقيل أورشليم المبنية على جبل... من أجل الحفظ والعناية، وقيل عن أسوارها أن الرب أقام حُراسًا لا ينعسون نهارًا وليلاً، وقيل عن أبوابها أحب الرب

أبواب صهيون... وأن أعمالاً مجيدة قيلت من أجلك يا مدينة الله ولكن أورشليم الأرض.. وابنة صهيون في حالة التخلي من الله بسبب الخطية وجدت كأنها مظلة مكشوفة وكخيمة عارية ظاهرة ضعيفة في مقثأة (حقل قثاء) لا تستطيع أن تختبئ عن أعين طالبيها أو مطارديها...

هكذا النفس إن احتمت بالرب فهو برج حصين وصخر الدهور وترس ومجن وإن تركت قدوس إسرائيل تصير فريسة سهلة في أيدي أعدائها.

٩. "لَولا أن رب الجُنود أبقَى لنا بقيَّةً صغيرة، لصِرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة".

هنا الحديث عن البقية حديث شهي للنفس جدًا، فدينونة الخطية أكيدة والغضب مُنسكب لا محالة والرب مُنتقم من جميع فجور الناس، ولكن هناك بقية صغيرة وفي وسط كل هذه الأعاصير يسمع عن بقية للخلاص، على أننا نرى في هذا الوعد الإلهي أمورًا غاية في الأهمية.

(١) إن رب الجنود هو الذي أبقى لنا هذه البقية:

فهذه البقية موجودة بوعد إلهي ليس برًا بشريًا ولا لأجل خير صنعته ولا لأجل استحقاقات ولكن هو الذي أبقانا.

فلو كان حسب أعمال الإنسان لم يخلص أحد فقد تقرر أن جسم البشرية كلها ضارب في الفساد ليس من يعمل صلاحًا ولا من يستحق نجاة... لكن رب الجنود... صاحب القدرة والقوة واليد الشديدة والذراع الممدودة... مرسل النعمة صانع الخلاص هو الذي أبقى لنا بقية حسب مواعيده السابقة بالخلاص وحسب محبته الشديدة لجنسنا.

(٢) إن هذه البقية صغيرة ولكن لولاها لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة... وهذه البقية في حقيقتها الآن هم أولاد الله... القطيع الصغير التي لولاها لَدين العالم ووقع تحت حُكم الموت... هم ملح الأرض ونور العالم... إن العالم كله يتوقع استعلان أبناء الله.

وهذه البقية الصغيرة هى خميرة العالم... فيها قوة الله للعمل وقوة الله للخلاص قادرة بالنعمة أن تنجي العالم من فيضان الغضب.

(٣) إن هذه البقية قادرة أن تكشف لنا مراحم إلهنا وأبوته الصادقة فهو يُبقي لنفسه بقية ركب لم تجثُ لبعل ويقيم لنا في كل قرن خلاص. فربنا وإن بدى منتقم من الشر غاضب على الخطاة إلا أنه كثير الرحمة والإحسان... أُنظر ماذا يقول بلسان هوشع النبي فإنه بعد أن يُعلن غضبه قائلاً: "يثور السيف في مدنهم ويتلف عصيَّها، ويأكلهم من أجل آرائهم. وشعبي جانحون إلى الارتداد عني... أجعلك كأدمة"... يعود فيتكلم بفيض مراحم إلهية قائلاً: "قد انقلب عليَّ قلبي. اضطرمت مراحمي جميعًا" (هوشع ١١: ٦. ٨).

(٤) إن هذه البقية الصغيرة لم تكن ظاهرة أمام أعين الشعب وقد رآها النبي بعين الرؤيا النبوية، فالمختارون من أبناء الله مُتسربلين باتضاع سيدهم. وهم في علاقة سرية بإلههم، وهم مجهولون من العالم كما قال يوحنا الحبيب: "لا يعرفنا العالم" ولكنهم معرفون من الله.

من أجل هذه البقية قال الرب أنه يُقصر أيضًا أيام الضيق التي تكلَّم عنها عند مجيئه الثاني: "من أجل المختارين تُقصَّر تلك الأيام".

إن مجرد وجود هذه البقية بركة للأرض كلها.. وقد حفظ الرب لنفسه آلاف الرُكب التي لم تجث للبعل وهم أعضاء الكنيسة البقية الباقية من جيل إلى جيل... قيل عن الأنبا بولا أول السواح أن الرب من أجله كان يمطر على الأرض كلها.

١٠. "اِسمعوا كلام الرب يا قُضاة سَدُوم! أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة".

هذه مناداة من إشعياء النبي إلى رؤساء الشعب وقد دعاهم قُضاة سدوم من أجل ظُلمهم واستحقاقهم العقاب وإلى الشعب الضال المسبي بسبب الخطية كما كان شعب عمورة.

وهو ينادي بمناداة خلاص ودعوة توبة قائلاً: **اسمعوا كلام الرب وأصغوا إلى شريعة إلهنا**، فالكلمة صادقة تؤدب الجهال وتَحكُم العميان وتقيم الساقطين والشريعة مُقدَّسة وصالحة. وهم إن سمعوا وإن امتنعوا... فرغم أنهم صاروا كقضاة سدوم وشعب عمورة ولكن مراحم إلهنا لا تَعرف حدود وكلمته وشريعته تستطيع أن تُقيم من المزبلة وتُنجي وتَخلص إلى التمام إذا ما أعطوا أُذنًا صاغية.

١١. "لماذا لي كثرة ذبائحِكم، يقول الرب. اتَّخَمت من مُحرقات كباش وشَحم مُسمِّنات، وبدم عُجول وخرفان وتيوس ما أُسرُّ.

١٢. حينما تأتون لتظهروا أمامي، من طَلَب هذا من أيديكُم أن تدُوسوا دوري؟

١٣. لا تعودوا تأتون بتقدِمَةٍ باطلة. البخور هو مَكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفَل. لست أُطيق الإثم والاعتكاف.

١٤. رؤوس شهوركُم وأعيادُكم بغضَتها نفسي. صارت عليَّ ثقلاً. مَلِلْتُ حَمْلَها.

١٥. فحين تبسُطون أيديكُم أستُر عينيَّ عنكم، وإن كَثَّرتم الصلاة لا أسمَع. أيديكم ملآنةٌ دمًا".

دخل الشيطان إلى صميم العبادة وأفسدها ولم يدخل فقط في حياة الشعب ويحرف مساره في الحياة اليومية بل حتى العبادة أيضًا حولها عن حقيقتها كاتصال بالله وخلاص النفس إلى شكليات لا طائل من ورائها... بل على العكس صارت مكرهة أمام الرب.

الاكتفاء بشكليات العبادة أراح ضميرهم من جهة الله وافتكروا في أنفسهم مثل العشار الذي يؤدي أمورًا مفروضة عليه وأنهم بذلك ينالون رضى الله وافتكروا أنهم أغنياء ولا حاجة لهم إلى شيء وهم مساكين وعُمي وبائسون وقريبون من الهلاك واللعنة.

لماذا لي كثرة ذبائحكم؟ اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات،

إن كثرة الذبائح التي أمر بها الرب في الناموس كان من أجل كثرة الخطايا وأنواعها. وحقيقة أن عمل الخطية المُفسد في النفس البشرية متعدد النواحي وهذا ما استلزم تكرار الذبائح وكثرتها، وإن كانت في مجملها وفي تفصيلاتها تشير إلى ذبيحة المسيح المبارك الذي قدم نفسه ذبيحة عن خطايا العالم كله.

والهدف الأساسي من تقديم الذبائح هو التكفير عن الخطايا وتطهير الجسد والتوبة والرجوع إلى الله.

فإن اختفت تمامًا ملامح التوبة والطهارة من حياة الشعب فما بالهم يُقدمون ذبائح كثيرة للرب؟ ألعل الله تُرضيه كثرة الذبائح دون تغير الحياة؟ وما بالهم يُقدمون ذبائح بأيديهم للرب وقلوبهم قد تَركت الرب واستهانت بقدوس إسرائيل وارتدت إلى وراء.

إن لم يكن تقديم الذبيحة دليل التوبة وختم على صدق النية وعَزم القلب على الرجوع إلى الله – تصير الذبيحة مكرهة أمام الرب.

قال الرب لجماعة الفريسيين: الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تُعشِّرون النعناع والشبث والكمون، وتركتُم عنكم أثقل الوصايا: الحق والرحمة. حقًا قال الرب: "أريد رحمة لا ذبيحة" فإلهنا لا يُسرّ بالمحرقات، فالذبيحة لله روح منسحق والقلب المتواضع لا يرذله الله.

+ والملاحظ أنَّ الشعب كان يُقدم ذبائح ومُسمنات عجول وخرفان وتيوس ولم يذكر أنه قدم ذبيح بها عيب أو ليست حسب الطقس ولم يُذكر أنهم كانوا يقدمون ذبائح لوثن أو إله آخر وبتدقيق فريسي في المواعيد والأعياد والشهور والسبوت ولكن بلا حياة وبلا ثمر وبلا تغيير. وبالاختصار بلا إيمان حي بل شكليات وفروض ميتة لا تكمل الذين يخدمونها من جهة الضمير بل ولا تُقدس من جهة الجسد.

لذلك نسمع عبارات "اتخمت من محرقات" – "بدم عجول لا أُسرّ" لست أطيق الإثم والاعتكاف – أبغضتها نفسي – صارت عليَّ ثُقلاً – أستر عيني عنكم – لا أسمع.

وهذا يوضح لنا أنه ما من شيء مكروه ومرذول أمام إلهنا بقدر العبادة الشكلية والاكتفاء بمظهر التقوى والمواظبة وصورة القداسة وثوب الحملان بينما الحياة في واقعها أبعد ما تكون عن الله.

+ حينما تأتون لتطهروا أمامي من طلب من أيديكم هذا أن تدوسوا دوري.

لقد تراءوا أمام الرب وظهروا بشكل الفريسي الذي وقف يُصلي قائلاً: اللَّهم أني أشكرك أني لست مثل سائر الناس الخاطئين الظالمين الزناة ... فخرج من لدن الرب بلا بر وبلا بركة.

وقد كشف الرب علتهم في مثل هذا المثل – أنهم قوم واثقون بأنفسهم أنهم أبرار وهم يدينون الآخرين.

وقد أخرج الرب يسوع من الهيكل أولئك الذين كانوا يدوسون دوره ويدنسون مقادسه وقال لهم: بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. وهم كانوا بحجة تقديم الذبائح يسيئون إلى الرب ويجعلون بيته بيت تجارة.

+ أما عن الأعياد والمواسم والتذكارات فمعروف أنها وضعت من أجل تذكارات أعمال الله المجيدة مع شعبه ولأجل انتقال خبرة الإيمان الحي من جيل إلى جيل (لا ٢٣).

فإن لم تصر هذه من أجل الله بل صارت أشياء بشرية وشعارات قومية يفتخرون بها ولا يعيشون فيها... وقد نسبها الرب إليهم قائلاً: ذبائحكم – رؤوس شهوركم وأعيادكم... أي أنها لم تعد من أجل الله فبقيت الأعياد واختفى عن أعينهم قدوس إسرائيل.

فحين تبسُطون أيديكُم أستُر عينيَّ عنكم، وإن كَثَّرتم الصلاة لا أسمَع. أيديكم ملآنةٌ دمًا.

إن علة عدم استجابة الصلاة في كثير من الأحيان تكون في قلب الإنسان لأنه مكتوب يعطيك الرب حسب قلبك فإذا أردت أن تعلم هل استجيبت صلاتك أم لا – اسأل قلبك.

وهنا يقول الرب أنه يستر وجهه عن أيديهم المرفوعة نحوه وحينما يكثرون الصلاة لا يسمع لهم... والسبب يكشفه الرب أن هذه الأيدي المرفوعة مملوءة دمًا.

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "لأن من ملأ يديه زبلاً وطينًا وأراد أن يمسك بقدميك ليتوسل إليك فإنك تطرده طبعًا دون أن تسمع له فكيف تجرؤ وأنت بمثل هذه الحالة أن تقترب إلى الله" (حياة الصلاة).

فكم وكم وقد امتلأت أيديهم دمًا... كيف يقفون أمام الله وكيف يسمع لهم. امتلأت أيديهم بدماء الأبرياء، والأرامل "تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون الصلوات".

وافتكروا فكر الأمم أنه بكثرة صلواتهم يُستجاب لهم.

١٦. "اِغتسلوا. تنقَّوا. اعزلوا شر أفعَالِكُم من أمام عينيَّ. كُفُّوا عن فَعل الشر".

إن حياة الشعب وقد تلوثت بالشرور والشهوات وتلطَّخت قلوبهم وأيديهم بالدم وليس من سبيل للاقتراب إلى الله بعد أن تشوّهت العبادة بعمل الشيطان والشكليات الممقوتة... يأمر الرب هذا الشعب قائلاً:

١ـ اغتسلوا: الاغتسال هو شرط الوقوف في حضرة القدير ألم يأمر الرب الشعب في أيام موسى أن يغتسلوا ويتطهروا... "فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب، وقدّس الشعب وغسلوا ثيابهم" (خر ١٩: ١٤).

وعندما سقط داود في خطيئته صرخ قائلاً: اغسلني كثيرًا من إثمي. انضح عليَّ بزوفاك فأطهر .. فأبيض أكثر من الثلج.

فالاغتسال هو بداية العلاقة مع الله "حمَّمْتُك بالماء" (حز ١٦)... وهو بالاختصار كان إشارة ورمزًا للمعمودية التي فيها غسلنا الرب من خطايانا... لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح ... وإشارة أيضًا إلى ينبوع دم المسيح الذي غسل فيه الغالبون ثيابهم "غسلوا ثيابهم وبيضوها في دم الخروف".

وأيضًا إشارة إلى عمل الروح القدس في اغتسال التوبة "وأرش عليكم ماءً طاهرًا فتطهّرون. من كل نجاسَاتكم ... وأعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدةً في داخلكم" (حز ٣٦: ٢٥-٢٦).

٢. **تنقوا:** قال الرب طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله فإن كان الاغتسال هو شرط الوقوف أمام الله... فنقاوة القلب هى شرط رؤية الله والعشرة مع أرواح القديسين والملائكة، ويقول القديسون: أن القلب يتنقى ويقترب إلى الله بأعمال المحبة وعدم دينونة الآخرين. ومداومة الطلبة إلى الله "قلبًا نقيًا اخلق فيَّ يا الله".

وفي عبارة مختصرة قال مار إسحق السرياني: ما هى نقاوة النفس؟... هى قلب مملوء رحمة نحو الخليقة كلها.

٣. **اعزلوا سر أفعالكم من أمام عيني:** وهذه عندما يغتسل الإنسان في الضمير وفي الخارج أيضًا ويتنقى قلبه ويستضيء بنور معرفة الله... حينئذ يستطيع أن يميز ويفرز أعمال الشر ويعتزلها... لأنه مادام الإنسان في حالته من عدم القداسة ونقاوة النفس يشتهي خرنوب الخنازير ويخلط بين أعمال القداسة وبين الأعمال الجسدية ويتخبّط بين عبادة الله وعبادة البعل... وهنا يبدو واضحًا إنذار إيليا للشعب قديمًا – إلى متى تعرجون بين الفرقتين إن كان الرب هو الله فاعبدوه وإن كان البعل فاعبدوه.

+ هكذا طالما كانت النفس تخلط في حياتها بين شكل العبادة وسوء التصرفات الأثيمة تظل مرفوضة إلى أن تغتسل وتتنقى وتعزل شر أفعالها.

+ لقد قيل عن مدينة نينوى التائبة أنه رجع كل واحد عن طريقه الردية وعن الشر الذي في أيديهم.

٤. **كفوا عن الشر:** في عبارة مختصرة يشرح الرب طريق الحياة أمام الشعب فالاغتسال ثم النقاوة ثم عزل شر الأعمال من أمام عيني الرب ثم أخيرًا الكف عن عمل الشر.

ولو تأملنا هذه الوصايا لوجدناها لا تحتاج إلى جهاد بشري ولا تستند على إمكانيات الإنسان ولكن هذه دعوة للتمتع وليس على الإنسان إلا أن يقبلها.. فالنعمة هيأت ينبوعها وفاضت بمياهها بلا حدود وليس على الإنسان أكثر من الاغتسال.

وإمكانيات النقاوة ودم الذبيحة والزوفا المقدسة مستعدة للتطهير وليس على الإنسان إلا أن يحني رأسه... وهكذا أيضًا الكف عن الشر لا يتطلب من الإنسان إلا أن يهرب مثل يوسف، أو أن يرجع عن طريقه الردية وعن الشر الذي في يديه مثل

أهل نينوى، أو أن يرجع عن طريق الغضب والانتقام لنفسه وإتيان الدماء كما فعل داود النبي وأطاع نصيحة المرأة الحكيمة أبيجايل امرأة نابال.

وبعد أن تكلَّم الرب عن فيض النعمة وإيجابيات التحرك الإلهي نحو الإنسان يعود الرب فيُلزم الإنسان بوصايا يدخل فيها جهاد الإنسان وإرادته ويظهر الدور الذي يلعبه الجهاد الإنساني من أجل خلاص النفس.

١٧. "تعلَّموا فَعْل الخير. اطلبوا الحق. انصِفوا المَظلوم. اقضُوا لليتيم. حاموا عن الأرمَلَةِ".

وهنا يبدو واضحًا أن الحياة مع الله ليست امتناعًا عن الشر فحسب. ولكن أن يتعلَّم فعل الخير، وليس فقط أن يتقبل الإنسان عمل النعمة بل أن يجاهد لكي يثمر بالنعمة.

وفعل الخير يحتاج إلى صبر وجهاد وتعليم، وطلب الحق يحتاج إلى مُثابرة وسهر وأن يقف الإنسان ضد الباطل الذي في العالم وتيار الفساد – وإنصاف المظلوم، وقفة ضد الظلم وروح الظُّلمة أي إبليس، والقضاء لليتيم، وقفة بجانب الضعيف ضد قسوة العالم وجور الأحكام التعسفية ومحاباة الوجوه، والمحاماة عن الأرملة أي صوت صارخ للدفاع عن النفوس المحرومة من مدافع ومطالب وسند.

هذه كلها كم تُكلف النفس التي تشتهي أن تتمم وصايا إلهها، بالحق قال بولس الرسول إن جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون.

فإن كان طاعة هذه الوصايا جسديًا يحتاج إلى جهاد، ووقفة ضد العالم، فكم يكون طريق السالكين بالروح محفوف بالمخاطر والمجاهدة والصبر الكثير.

فالخير والحق وانصاف المظلوم والقضاء لليتيم والمحاماة عن الأرملة في المفهوم المسيحي وفي الوصايا المسيحية شيء يفوق العقل، فالخير والحق المسيحي لا نهائي والإنسان المسيحي مُجاهد سمائي يسعى نحو اللانهائيات.

١٨. "هلُمَّ نتحاجج، يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقِرمز تَبيَضُّ كالثلج. إن كانت حمراء كالدُّوديِّ تَصِير كالصُّوف".

إن دعوة ربنا للخطاة والمستهينين الذين صاروا جرحًا بلا شفاء وضربة بلا غاصب... دعوة ربنا لهؤلاء معناها أن الرب أبدل كلمات الحُكم والدينونة إلى كلمات دعوة للتوبة وأبدل كلمات الغضب بكلمة مصالحة إلهية... فهم وإن أخذوا من ربنا مكان المُعاند والمُقاوم وإن استحقوا الغضب واللعنة ولكن سخاء إلهنا وغنى نعمته تحول العقوبة خلاصًا وتفتح باب للرجاء أمام أشر الأشرار وأخطى الخطاة.

وقول الرب هلم نتحاجج. هو ذات الدعوة التي سمعناها من الرب يسوع للخطاة "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال"... والرب في دعوته: يدعو الخطاة للتفاهم وليقدم كل واحد حجته وكأن الرب صار في مستوانا أو أنه اقترب منا قريبًا يمكننا من الأخذ والعطاء، ولكن ما عسانا نستطيع أن نُقدم للرب وماذا يريد هو في محبته أن يُقدم لنا في هذه الدعوة للتفاهم؟

إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف.

يا لهذه المبادلة العجيبة والمحاجاة الإلهية التي تذهل العقل هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له.

يُريد أن يحمل عنا خطايانا ويعطينا من بره وقداسته.

يريد أن يغسل عنا دم الخطية (الحمراء كالقرمز والدودي) لنصير كالثلج بياضًا وكالصوف نقاوة.

وهذا ما فعله الرب الإله بصليب ابنه عندما حمل خطايانا على الخشبة وكسانا ببره وقداسته.

١٩. "إن شئتُم وسَمِعتُم تأكلون خير الأرض.

٢٠. وإن أبيتُم وتمرَّدتُم تؤكَلُون بالسيف. لأن فم الرب تكلَّم".

قال الرب قديمًا: ها قد جعلت أمامك طريق الحياة وطريق الموت... اختر الحياة فتحيا أو اختر الموت فتموت... وعندما أرسل الرب حزقيال أيضًا ليكلِّم الشعب بكلمة الرب قال له: "هم إن سمعوا وإن امتنعوا".

وهذه إحدى خصائص النعمة وطبيعتها... فالروح القدس وإن بَكَتَ على خطية وإن نخس القلب بشدة إلا أنه لا يضغط على إرادة ولا يُجبر نفسًا على تغيير

الطريق... هو ينبه بشدة ولكن يترك الحرية كل الحرية لإرادة الإنسان.

هكذا يبدو واضحًا أن أمر خلاص هذا الشعب صار مُعلقًا بإرادتهم وخضوعهم لروح الرب ولكلمة نعمته أو رفضهم وتمردهم فإمكانيات النعمة وغناها بلا حدود وتدابير الخلاص قد أكملها الرب بالصليب والقيامة – وباب الرجاء مفتوح أمام كل نفس ولكن ماذا تريد النفس؟ وماذا تختار؟

وهنا يكون مكافأة خضوع الإنسان للكلمة وقبوله دعوة المصالحة مع الله في المسيح يسوع – هى أن يأكل خير الأرض ويتمتع بالميراث وإن كان هذا الوعد يُفهم لدى الشعب بالتمتع الزمني إلا أنه يشير إلى الوجود مع الله في ميراث القديسين والتمتع بخيرات الروح التي لا تزول.

ويكون أيضًا عقاب النفوس المتمردة وغير الطائعة عدم التمتع بالميراث وسقوط بسيف العدو وهو ما يشير لسقوط النفس قتلى بالخطية وحرمانها من الوجود مع الله في ميراث القديسين.

٢١. "كيف صارت القريَة الأمينة زانيةً! ملآنةً حقًا. كان العدل يَبيتُ فيها، وأمَّا الآن فالقاتلون".

هنا الوحي الإلهي يسمي أورشليم "القرية الأمينة"... ومرة أخرى يدعوها "العذراء" ابنة صهيون (إش ٣٧) مشيرًا إلى إرتباطها بالرب وأمانتها له وطاعتها لكلمته والتصاقها به بالحب... وهنا تكمل الكلمة المكتوبة إن من التصق بالرب صار روحًا واحدًا.

ولكن ما بالها ذاهبة وراء آخر مستهينة بعريسها وقلبها مبتعد عنه بعيدًا... لقد نقضت العهد ودنَّست المحبة — لقد صارت ابنة صهيون المحبوبة زانية... يا للخزي – لأنه إن كان الزنى الجسدي هكذا قبيحًا فكم يكون زنى الروح؟

وهنا محبة إلهنا العجيبة تستكثر الخيانة وتستصعب الانحراف فتقول في عجب - كيف صارت القرية الأمينة زانية؟ كيف صارت هكذا رغم حبي ووصاياي وأنبيائي وعمل نعمتي... ماذا وجدت فيَّ من جور حتى تركتني... لماذا احتقرت محبتي.

+ إن القرية الأمينة التي ائتمنها الرب على نفسه وعلى جسده ودمه هى نفسي –

ومازال صوت الرب يخاطبها في كل مرة تنحرف آرائها تجاه العالم بنية الخيانة.

+ **ملآنـة حقًا**، كان العدل يبيت فيها... كانت مكانًا يرتاح فيه الله مثل قلب مستعد ومكان مهيأ لسكنى القدير وأما الآن فالقاتلون يجدون فيها مكانًا – لقد زينت ابنة صهيون نفسها للروح النجس فوجدها مكنوسة مزينة فأخذ سبعة أرواح أُخر أشر منه وأتى وسكن فيها.

ما هذا التحول العجيب في قلب أورشليم. بالحق قيل عنها ما أمرض قلبك.

٢٢. "صارت فِضّتُكِ زغلاً وخمْرُكِ مغشوشَةً بماءٍ".

الفضة تشير إلى الكنوز التي أودعها الرب في نفس الإنسان وإلى الوزنات التي أُئتمن عليها.

والخمر يشير إلى الحب والعاطفة ومعنويات الإنسان والواقع أن انحراف أورشليم لم يكن بصورة مكشوفة علنية ولكن كان ضربة داخلية غلفتها أغلفة رياء وزيف عبادة باطلة فصار لها مظهر التقوى وشكل العبادة دون قوتها أو فاعليتها وهنا يكمن الخطر كل الخطر، وصميم عمل الكلمة الإلهية أن تفضح رياء الإنسان وتكشف غشه لكي يستفيق من غفلته.

انتبهي يا ابنة صهيون فإن كنوز غناكِ مغشوشة، كنز الكلمة والتعليم وكنز الحكمة والتدبير دخل إليهما زغل العالم والحكمة البشرية.

أما خمر حبك وعبادتك وحرارة صلواتك وذبائحك فصارت كلها مغشوشة بماء... لها شكل الخمر ولكن بلا حرارة وبلا أثر كل من يذوقها يلفظها.

٢٣. "رؤساؤكِ متمرِّدون ولُغفاء اللصوص. كل واحدٍ منهم يُحبُّ الرَّشوَة ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصِلُ إليهم".

وهنا بأكثر توضيح يشير الرب إلى زغل الفضة وغش الخمر في وسط أورشليم إلى رياء رؤسائها وتمردهم وكطبيعة الكلمة الإلهية لابد أن تكشف رياء الإنسان وتفضح جراحاته لكي تشفيها.

فالرؤساء – لهم منظر الرئاسة والسلطان وصورة التقوى والدفاع عن الضعفاء وكراسي القضاء مع لطف ظاهري وكلمات شبه الحق، ولكن الرب يكشف رياءهم. فهم متمردون وإن التحفوا بثياب الطاعة وشكل الخضوع للوصايا الإلهية... وهم أصدقاء للصوص يتسترون على الخطية ويشجعون أصحابها رغم تظاهرهم بالبراءة والوقوف ضد الشر، وهم بالرشوة والعطايا يحكمون على الأبرياء ويظلمون البسطاء ولا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم.

بالحق قال الرب إنه ليس خفيًا إلا ويظهر... وليس شيء غير ظاهر أمام سلطان الكلمة بل كل شيء مكشوف وعريان.

٢٤. "لذلك يقول السيد ربُّ الجنود عزيز إسرائيل: آه! إني أستريحُ من خُصَمائي وأنتَقِم من أعدائي".

في كل المرات التي يتكلَّم فيها الرب الإله عن خطة الخلاص وتدبيرها الإلهي العجيب وعن عمل شدة قوته وتخليص الإنسان من ورطة الخطية والهلاك، يكون اسم الرب إلهنا مقترنًا بالقوة معتزًا بالمجد... فهو عندما يرسل موسى ليتكلم أمام فرعون عن الله المُخَلِّص والمنقذ والقوي يقول الرب إله العبرانيين... وترنيمة الخلاص تشير إلى تكريم اسم الرب العزيز وتمجيد عزته "الرب اسمه مُكرم... عينيك يا رب معتزة بالقدرة. يمينك يارب تحطّم العدو... من مثلك بين الآلهة يارب (خر ١٥).

على هذا المثال جاء اسم ربنا المتكلم بزفرات خلاص واقتدار فهو السيد رب الجنود عزيز إسرائيل... وهذا الاسم المبارك يُظهر غيرة الرب الشديدة للخلاص وعزة قوته نحو خلاص أولاده.

آه إني أستريح من خُصمائي وأنتقم من أعدائي:

من هو إلهنا — من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية... فمن المستحيل أن يرى الرب أولاده مُذلين بذل الخطية ومنحنين تحت نير السخرة ويقف موقف المتفرج — حاشا ولكن يقول رأيت عيانًا مذلة شعبي سمعت أنينهم — نزلت لأُخلصهم — وليس من

المعقـول أن يـرى الـرب أولاده فـي ضـيق أو شـدة إلا وتتحـرك أحشـاء المـراحم الإلهية نحونا.

وهنا يبدو واضحًا جدًا العداوة الكائنة بين روح الظلمة والنجاسة التي في العالم وبين روح إلهنا القدوس ونور الحق.

أيضًا كم يستريح إلهنا عندما يُخلِّصنا، وعندما ينتقم لنا من قوات الشر وسلطان الموت الذي هو العدو الأخير.

٢٥. "وأرُدُّ يدي عليكِ، وأُنقِّي زغَلَكِ كأنه بالبورق، وأنزع كل قصديرك.
٢٦. وأُعِيد قُضاتكِ كما في الأول، ومُشيريك كما في البداءة. بعد ذلك تُدعين مدينة العدل، القرية الأمينة".

أما كيف يُخلص الرب أورشليم وينقيها حسب التدبير الإلهي فهذا يتم.

أولاً: يرد يده عليها – يد الخلقة – فهو مُزمع أن يخلق أورشليم جديدة – سماء جديدة وأرض جديدة يسكن فيها البر... "يداك صنعتاني وجبلتاني"... أنت الذي جبلتني ووضعت يدك عليَّ، ويد الرب – أي كلمته – الذي به خلق كل شيء... وبه صنع العالمين... وقد استُعلنت ذراع الرب بالتجسد من العذراء القديسة... وقد قال إشعياء النبي في موضوع آخر: "يارب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب".

ثانيًا: بالنار (كأنه بالبورق)... فالخليقة الجديدة بالروح القدس الروح الناري الذي حرق أشواك الطبيعة البشرية ونقى زغلها ونزع قصديرها.

وأُعِيد قُضاتكِ كما في الأول، ومُشيريك كما في البداءة.

+ والواقع أن الرب كان مزمعًا أن يُعيد الإنسان إلى رتبته الأولى كذلك يقول "كما في الأول"، "كما في البداءة" عندما جبل الرب الإنسان على صورته في القداسة وبغير فساد.

+ إن قُضاة أورشليم الجديدة ومُشيريها هم الرسل الأطهار الذين امتلأوا من روح الحكمة والمشورة وصاروا قُضاة المسكونة.

+ أما الاسم الجديد فهو مدينة العدل - مدينة الله - عمود الحق وقاعدته الكنيسة

المقدسة.

٢٧. "صهيون تُفدى بالحق، وتائبوها بالبرِّ.
٢٨. وهلاك المُذنبين والخُطاة يكون سواءً، وتاركو الرب يفنون.
٢٩. لأنهم يخجَلون من أشجار البُطْم التي اشتهيتُموها، وتُخزَون من الجنات التي اخترتُموها".

يعود الرب فيتكلم عن الجماعة التي تقبل عمل نعمته وفداءه وخلاص أورشليم ونقاوتها ويدعوها الرب بالتائبين "تائبوها" وعن الذين لا يقبلون عمله ويرفضون خلاصه ويسميهم "تاركوا الرب".

+ وأما تائبوا أورشليم فميراثهم:

١. بركات الفداء... "صهيون تُفدى بالحق" تغمرهم ونور الحق الإلهي يشمل حياتهم ويقودهم إلى ينابيع الحياة.

٢. وبرِّ المسيح... "تائبوها بالبرِّ" يغطي حياتهم فلا تظهر عيوبهم ولا تحسب خطاياهم بل "أنتم الذين اعتمدتُم بالمسيح قد لبستم المسيح... متبررين مجانًا بنعمته.

+ وأما تاركوا الرب فنصيبهم المؤسف:

١. هلاك لأنهم تركوا الرب واستهانوا به ورفضوا خلاصه.

٢. الفناء... بسبب تخلي الله عنهم.

وهذا يشير إلى أن الكنيسة المقدسة هى جماعة مقدسين وتائبين، أما تاركوا الرب والمذنبين والخطاة فليس لهم نصيب ولا شركة.

٣. الخجل... من أشجار البطم والعبادة الغريبة ومن الشهوات الغبية التي اشتهوها.

٤. الخزي... من الجنات التي أخذوها والنعيم الأرضي الذي وثقوا فيه وطلبوه بكل قلوبهم.

٣٠. "لأنكم تصيرُون كبُطمَةٍ قد ذَبُل ورقها، وكجنَّةٍ ليس لها ماءٌ.

٣١. ويصيرُ القوي مَشاقةً وعمله شرارًا، فيحتَرقان كلاهما معًا وليس من يُطفئ".

قال داود النبي في تطويب الإنسان السالك في وصايا الرب: "أنه يكون كشجرة مغروسة على مجاري المياه... وورقها لا ينتثر وكل ما يصنع ينجح فيه". أما عن المنافقين فقال أنه ليس كذلك ولكنهم كالهباء الذي تذريه الرياح".

الذبول والجفاف... هما دليل الحياة الجسدية وعدم قبول عمل نعمة الروح القدس الذي هو الماء الحي الذي قال عنه ربنا يسوع "من آمن بي كما قال الكتاب: تجري من بطنه أنهار ماء حي... قال هذا عن الروح القدس.

الأصحاح الثاني

١. "الأمور التي رآها إشعياء بن آموص من جِهة يهوذا وأورشَليم".

+ إشعياء مشغول من جهة يهوذا وأورشليم.

+ الرب يعزي إشعياء بالرؤيا.

لابد أن قلب إشعياء كان مشغولاً من جهة يهوذا (شعب الله) ومن جهة أورشليم "مدينة الملك العظيم"، فالحالة التي وصل إليها الشعب إذ قد تركوا الرب واستهانوا بقدوس إسرائيل – والخطية التي طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء... ومذبح الرب المتهدم في كل قلب والهيكل الإلهي المهجور من كل عابد...

كانت هذه كلها حزنًا عظيمًا ووجعًا في قلب إشعياء لا ينقطع، وبينما هو ناظر إلى يهوذا منطرحة مثل غنم لا راعي لها – وبينما هو باكٍ على أورشليم بدموع حزينة... ومنتظر خلاصًا... وبينما هو متفكر بهذه الأمور كلها... إذ بروح الرب يرف فوق هذا القلب المجروح بالحب، والمتوجع بالغيرة الإلهية وإذ بالنعمة تعزي وتطيب قلبه بالرؤيا من جهة يهوذا وأورشليم.

فما من قلب يتحرك حركات الغيرة من جهة شعب الله وهيكله المقدس... وما من إنسان يحزن ويكتئب من جهة مدينة الله وخلاص الناس إلا وينسكب عليه عمل النعمة في سخائها وفي عزائها إما برؤيا أو بحلم أو بكلام عزاء.

هكذا عمل الرب، ويعمل مع المشغولين من جهة كنيسته وشعبه في كل زمان ومكان... وهكذا عزى الرب نحميا وإرميا وإيليا ودانيال وحزقيال وداود... بل وجميع المنتظرين فداء الرب ومتوقعين خلاصه.

٢. "ويكون في آخر الأيام أن جَبَل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التِّلال، وتجري إليه كل الأمم".

الكنيسة هى سر الفرح في حياة أولاد الله... متى رأوها في بهاء مجدها وكمال زينتها وعمانوئيل في وسطها سر قوتها... هذا ما قصدت النعمة أن تطيب قلب إشعياء برؤياه التي تفاضلت بها نعمة ربنا.

يكون في آخر الأيام:

إن ما يعزي أولاد الله وخدامه فعلاً نهاية سلطان الشر وزوال أيام الخطية والعصيان... هذا ما كشفه الرب لعبده إشعياء في هذا التعبير البسيط ... "يكون في آخر الأيام" أي أن الأيام التي أحزنت قلبك وأثقلت عليك بمناظر الخطية ونجاستها... سوف تأتي إلى نهاية.

ويأتي وقت يُقال فيه قد كمل الزمان... وتناهى الليل...

إن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبل:

هنا أعلن الرب لإشعياء سر الكنيسة... أورشليم الحقيقية... جبل الله المرتفع، لقد عاش إشعياء في حزن عندما رأى بيت الرب مهملاً ومنسيًا ومذبح الرب مهدمًا في كل قلب، والشعب ذاهب وراء آلهة غريبة وغارقًا في نجاسات، ولكن الرب في الرؤيا أعلن أمام البصيرة النبوية التي لإشعياء أن يأتي وقت في آخر أيام الخطية وسلطان الشيطان ويكون جبل بيت الرب ثابتًا في رأس الجبال ومرتفعًا فوق التلال وكأن الرب يقول لإشعياء: سأبني كنيستي على صخر الدهور وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.

جبل بيت الرب:

لقد صعد الرب يسوع على الجبل مرات كثيرة وهناك أسس كنيسته. عمود الحق وقاعدته. أساستها في الجبال المقدسة كما يقول المزمور.

ولو تأملنا لوجدنا كيف ارتفع جبل بيت الرب عاليًا أعلى من علو الإنسان.

أساسات جبل بيت الرب:

١. جبل التجربة:

بعد العماد سيدنا صام... وهناك على جبال الصوم الأربعيني اقتاده الروح ليُجرَّب من إبليس... وهناك حمل الرب عنا كل تجربة وأسس كنيسته التي هى جسده بعيدة عن الظلم فلا يدنو منها، وعن الارتعاب فلا يقترب إليها... مرتفعة فوق التجارب وفوق كل حيل إبليس وفوق كل علو يرتفع ضد الله.

لقد استعلنت الكنيسة على جبل التجربة كجسد المسيح المنتصرة على التجارب الغالبة الشيطان المرهبة كجيش بألوية.

ومن يومها والكنيسة بالصوم والصلاة تهدم حصون العدو وترتفع فوق كل تجارب وإضطهادات هذا الدهر ورئيس هذا العالم.

٢. جبل التعليم:

صعد الجبل فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلَّمهم قائلاً: طوباكم أيها المساكين بالروح لأن لكم ملكوت السموات... الخ.

وبنى الرب كنيسته على جبل الكلمة الإلهية والتعليم المرتفع فوق كل حكمة بشرية وفلسفات الناس وفوق رؤوس الجبال السابقة سمعتم أنه قيل للقدماء... أما أنا فأقول لكم.

وليس غريبًا أن يُقال أن التعاليم المسيحية أعلى من أي تعليم آخر تحت السماء لأن جبل بيت الرب ثابتًا دائمًا في رأس الجبال ومرتفع فوق التلال وستظل كل تعاليم الناس مثل تلال منخفضة منطرحة أمام شموخ جبل بيت الرب العالي.

٣. جبل التجلي:

جبل استعلان الكنيسة في مجدها الإلهي حينما يتجلى إله الآلهة وسطها وحينما يسمع فيها حديثًا سريًا عن خروج المسيح إلى الصليب الذي لا يمكن أن يدركه إلا الذين أعطى لهم... أن الرب بنى كنيسته على جبل أسرار مرتفع بما لا يقاس عن المجد البشري والفكر الدنيوي.

٤. جبل الجلجثة:

حيث ارتفع الرب أيضًا بالصليب وحيث جذب إليه كل واحد، ترى من يستطيع أن يصعد إلى ارتفاع الصليب إن لم يجتذبه الآب أو من يصعد إلى جبل الرب إلا التقي الطاهر اليدين.

رأى إشعياء بالرؤيا... ارتفاع الكنيسة وشموخها وعلوها فوق رؤوس التلال والجبال... تُرى ماذا يُفرّح القلب أكثر من سلام كنيسة الله وبنيانها.

وتجري إليه كل الأمم:

هكذا أعلن الرب لإشعياء في رؤيا أمرًا آخر يزيد الفرح ويصير سببًا للبركة والتسبيح وهو دخول الأمم إلى الإيمان وتمتعهم بصليب المسيح واتحادهم بجسده أي بالكنيسة.

والمدهش أن إشعياء رأى الأمم تجري إلى جبل بيت الرب دليل على أن دخولهم سيكون بقوة وبسرعة وبعمل إلهي مدهش... تأمل كيف لم ينقضي القرن الأول المسيحي والكلمة الإلهية قد طرقت أبواب العالم كله ... وكمل المكتوب "الذين لم تسمع أصواتهم خرج منطقهم إلى أقصاء المسكونة".

وانظر كيف كان الفرح في الكنيسة الأولى عند باكورة الأمم... كرنيليوس "كانوا يمجدون الله قائلين... إذا أعطى الله التوبة للأمم أيضًا".

٣. "وتسير شعوبٌ كثيرةٌ، ويقولون: هَلُمَّ نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيُعلِّمنا من طُرقِهِ ونسلك في سُبُلِهِ. لأنه من صهيون تَخرُج الشريعة، ومن أورشليم كلمةُ الربِّ".

لقد بدأت حركة الروح باندفاع ناري في حركة ركض نحو جبل بيت الرب ثم يقول تسير شعوب كثيرة ويشجعون بعضهم بعضًا في مسيرتهم الروحية وفي صعودهم وجهادهم إلى جبل الرب وارتفاعهم عن الأمور الأرضية وترك أباطيل العالم.

إلى بيت إله يعقوب، فيُعلِّمنا من طُرقِهِ ونسلك في سُبُلِهِ. لأنه من صهيون تَخرُج الشريعة، ومن أورشليم كلمةُ الربِّ.

الكنيسة هى جسد المسيح – مصدر كل نعمة – مسكن مجد الله هناك ذبيحة المسيح بكل كمالاتها الإلهية واستحقاقات جسده المكسور ودمه المسفوك على المذبح كل يوم... وهناك نعمة الروح القدس – روح يوم الخمسين الذي يعمل في أسرارها وهناك الكلمة الإلهية الثابتة فيها لأن الكنيسة مبنية على أسس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية - خارج الكنيسة لا يوجد شيء ولا يوجد خلاص.

وقد رأى إشعياء الأمم تجري إليها، الشعوب تسير نحوها يطلبون أن يتعلموا

الطريق (المسيح) ويسلكوا في سبيل الرب لأن من الكنيسة تخرج الشريعة وكلمة الرب.

٤. "فيقضي بين الأمم ويُنصِف لشعوبٍ كثيرين، فيَطبعون سيوفَهم سككًا ورماحهم مناجِلَ. لا ترفَع أُمَّةٌ على أُمَّةٍ سَيفًا، ولا يتعلَّمون الحرب في ما بعد".

هنا أعلن الرب كيف يكون حال الأمم بعد أن قبلوا الإيمان بالمسيح وصاروا له. يقضي الرب بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين... لقد ارتضى الروح القدس أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم وقد نطق الروح على فم معلمنا بولس الرسول قائلاً: أن ليس عند الله محاباة. لذلك فبر الله بالإيمان يسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.

وهكذا إذ قد طهر بالإيمان قلوبهم وأعطى الأمم موهبة الروح القدس بالسوية. وتغيروا عن شكلهم إذ رجعوا من الأصنام إلى الإله الحي، وقد أعلن الرب مظاهر هذا التغير الإيماني الذي يحدث للأمم.

١. يطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل:

فيتحولون من مضطهدين إلى مبشرين مثل شاول، وكثيرين من المضطهدين كانوا يطيعون الكلمة بل أن تاريخ الكنيسة مليء بقصص الشهداء ونساك كانوا قبلاً مُضطهدين ومُعذبين.

والسكك والمناجل أدوات زرع وحصاد في حقل الكنيسة في زرع الكلمة وفي الحصاد الكثير الذي ذكره الرب يسوع قائلاً: "اطلبوا إلى رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده".

٢. لا ترفَع أُمَّةٌ على أُمَّةٍ سَيفًا، ولا يتعلَّمون الحرب في ما بعد:

السلام هى علامة مميزة من علامات الكنيسة – ليس كما يعطي العالم... فالسلام هو علامة الكنيسة - سلام روحي ليس سلام السيف والحرب... والمسيح هو الذي يملك ويقضي لشعوب كثيرين ويخضع نفوس أولاده لناموس الحرية والحياة

الأبدية.

وهـذا السـلام الـذي رآه إشـعياء "بـين الأمـم لا ترفـع أمـة علـى أمـة سـيفًا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد" هو سلام روحاني بين النفوس التي صارت للرب... لأن الـرب قـد جـاء لكـي يقتـل العـداوة ويصـنع سـلامًا ويبنـي كنيسـته. لا ترفـع سـيفًا ولا تشهر رُمحًا.

على أن النبوة تشير إلى سلام كامل يخيم على المجتمع الإنساني كله، تصير أممًا وهذا لا يتحقق إلا إذا صارت الكلمة المكتوبة تكون الأرض كلها للرب ولمسيحه.

٥. "يا بيت يعقوب، هَلُمَّ فنسْلُك في نور الرب".

بعد ما أعلن الرب أمام أعين إشعياء دخول الأمم والشعوب الكثيرة "ملئ الأمم" إلـى بيـت الـرب وقبـولهم فـي بيـت العـرس الأبـدي وتمـتعهم بالأحضـان الأبويـة ونـور القيامة من بين الأموات.

بعد هذه الأمور سمع إشعياء فـي الرؤيـا من ينـادي قـائلاً: يا بيت يعقوب هلم نسلك في نور الرب - يا بيت يعقوب لماذا تتوانوا... قد بلغ إلى جبل بيت الرب ملء الأمم... هلم نسلك فـي نـور الـرب، ونـور الـرب هـو المسيح بهـاء مجـد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، وهو نـور العـالم وشمس البر، والسـاكن فـي النـور الـذي لا يـدنى منـه... إذًا يـا بيـت يعقـوب لمـاذا السلوك فـي الظُّلمـة... ولمـاذا الابتعاد عن النور الحقيقي... هلم نسلك في نور الرب.

ومن عجب أن الدعوة للحياة مع المسيح والسلوك في نور الرب لا تأتي إلى بيت يعقوب كمن يناديهم من خارج قائلاً: يا بيت يعقوب اسلكوا في نور الرب بل تأتي من داخـل لأنهـم اسـتؤمنوا علـى أقـوال اللَّه. وهـم إسـرائيليون ولهـم التبنـي والمجـد والعهـود والاِشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح الكائن على الكل إلهًا مباركًا.

الـدعوة إذًا هـى بمثابـة نـزع الغشـاوة... ورفـض القسـاوة... ورفـع البرقـع لأنـه إلـى الآن حينما يقرأون الناموس البرقع موضوع.

وعندما تنكشف هذه جميعًا وتستنير البصيرة بنور الإنجيل سيكتشف بيت يعقوب تيـار الـروح القـدس تحـت سـتار النـاموس والكنـز المُخبـأ فـي الرمـوز والظـلال وشـبه

السماويات.

٦. "فإنـك رفَضْـت شـعبَك بيـتَ يعقـوب لأنهـم امـتلأوا مـن المَشـرق، وهُـم عـائفون كالفلسطينيين، ويصافحُون أولاد الأجـانب".

عـاد إشـعياء النبـي ينظـر إلـى بيـت يعقـوب فـي رفضـهم للمسـيح المبـارك وهـم كأغصان منزوعة وشعب مرفوض من الله.

فقال معاتبًا ومحاجًا الله... فإنك رفضت شعبك – وهنا نجد إجابة الروح القدس وطلب الكنيسة من أجل العالم كله ومن أجل إسرائيل هى للخلاص. وهنا يتحدث الروح القدس بفم الرسول بولس: "الله رفَض شعبه؟ حاشا!... لم يرفُض الله شعبه الذي سبق فَعَرَفَهُ" (رو١١: ١ – ٢) ألعلهم عثروا لكي يسقطوا حاشا بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لاغارتهم. فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصاتهم غنى للأمم فكم بالحري ملؤهم. لأنه إن كان رفضهم مصالحة للعالم فماذا يكون اقتبالهم إلا قيامة من الأموات.

فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن العداوة حصلت جزئيًا لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم وهكذا ستخلص جميع إسرائيل.

هذا بخصوص رفض الله... وهو غاية في الوضوح أن الله لا يُسر بموت الخاطئ ولا يشاء أن يهلك أحدًا أو أن يرفض راجعًا.

أما حالة بيت يعقوب وهم في حالة رفض الله أو حالة الرفض من الله فرآهم إشعياء في رؤياه وقد صاروا شبه الأمم شكل العالم.

١. امتلأوا من المشرق:

عوض أن يمتلأوا من معرفة الله – ويمتلأوا من روح الله – ويمتلأوا من وصاياه وطرقه، امتلأوا من المشرق... شابهوا المجوس في أسحارهم وعباداتهم ورجاستهم.

٢. عائفون كالفلسطينيين:

وعوض أن يسألوا إلههم ويطلبوا وصاياه.. ويسمعوا لصوت الرب صاروا يعتمدون على القوى البشرية في التخمين والعرافة وعمل الشيطان كما سأل

آخاب بعل زبوب إله عقرون... وكما كانوا يسألون الموتى... وما إلى ذلك من طرق الفلسيطنيين ونجاساتهم.

٣. يصافحون أولاد الأجانب:

يسالمون العالم... وهذا أسوأ ما يمكن أن تصل إليه النفس البشرية... أن تمتد يد المصافحة للعالم... لأن العالم وضع في الشرير... وقد قال الرب عن الشيطان أنه رئيس هذا العالم.

٧. "وامتلأت أرضُهم فِضةً وذهبًا ولا نهاية لكنوزهم، وامتلأت أرضُهُم خيلاً ولا نهاية لمركباتهم".

انشغلوا بالماديات إلى درجات رهيبة وتفننوا في عبادة المال ومحبة العالم التي هى عداوة لله. أليس هذا ما نراه الآن من سيطرتهم على اقتصاد العالم كله؟!

وامتلأت أرضهم خيلاً ولا نهاية لمركباتهم.

من جهة القوة البشرية والاتكال على الذراع البشرية والإمكانيات "لا يؤثر قوة الفرس ولا يسر بساقي الرجل يُسر الرب بخائفيه وبالراجين رحمته".

إن الاتكال على القوة المادية يحجب من القلب مخافة الله ويطرح الإنسان بعيدًا عن الخلاص.

٨. "وامتلأت أرضهم أوثانًا. يسجدون لعمل أيديهم لِما صنعَتْهُ أصابعُهُم".

ليس معنى هذا عبادة الأصنام كما في القديم ولكنه قد يكون بشمول أكثر اتساعًا في الإدراك الروحي... ابتعاد القلب عن الله وانصرافه عن مشغولية العبادة والسجود والخضوع لإرادته وتحول القلب إلى عمل اليدين وصنعة الأصابع والثقة في الآلات البشرية.

أليس هذا ما نراه اليوم في انحصار قلب الإنسان في عمل يديه وهو يتعبد للمصنوعات أكثر من الوثن القديم.

٩. "وينخَفِضُ الإنسان، وينطَرح الرَّجُل، فلا تَغْفِر لهم".

هنا رأى إشعياء انحدار الإنسان وإنخفاضه إلى أسفل إلى تراب الأرض بسبب كل الأمور السابقة من امتلائهم من المشرق ومشاكلتهم الفلسطينيين ومصافحة أولاد الأجانب.

ماذا ننتظر من إنسان صارت فيه هذه الأمور وطرح نفسه فريسة للعالم... حقًا ينخفض الإنسان وينطرح... ولكن هذا غير الاتضاع.... عندما ينطرح الإنسان أمام الله يرفعه الله، لأن كل من يضع نفسه يرتفع... ولكن عندما يريد الإنسان أن يتعالى بذاته ومقتنياته وقدراته ينخفض وينطرح... ولا يغفر له الرب خطيته.

١٠. "اُدخُل إلى الصَّخرة واختبئ في التراب من أمام هيبَةِ الرب ومن بهاء عَظَمَتُهُ.

١١. تُوضَعُ عينا تشامخ الإنسان، وتُخفَضُ رفْعَةُ الناس، ويَسْمُو الرب وحدَهُ في ذلك اليوم".

وهنا يكشف الرب أمام إشعياء خطة الخلاص الإلهي والتدبير الذي في قصد الله من نحو بيت يعقوب ومن نحو رجال يهوذا الذين وصلوا إلى الرفض والهوان.

عظمة الرب وبهاؤه وسمو مجده وارتفاعه:

عندما تبتعد النفس البشرية عن نور الحق الإلهي وتنغلق في إطار الجسد الترابي... تتعظم الذات البشرية وتتضخم وتزيد ثقة الإنسان في ذاته وفي قدراته. ويكفي أن نتأمل الذات البشرية في أيام برج بابل وفي أيام نوح وفي نبوخذ نصر والغني الغبي... الخ.

وليس من طريق لاكتشاف خطر تضخم الذات وتعظمها إلا أن يعلن الرب مجده وبهاؤه أمام النفس البشرية... حينئذ يكتشف الإنسان حقارته وضعفه.

فإبراهيم وهو أب الآباء عندما وقف أمام الرب الإله شعر أنه تراب ورماد...

وموسى عندما رأى مجد الرب قال: إني مرتعب ومرتعد... والشعب العنيد قاسي القلب وصلب الرقبة عندما رأى مجد الرب والجبل يدخّن اعتقوا أن يكلمهم الرب وخضعوا قائلين: كل ما يقوله لك الرب نفعله، وهكذا حدث مع حزقيال ودانيال وإشعياء نفسه وجميع الذين رأوا مجد ربنا، انهارت بشريتهم وما استطاعوا أن يضبطوا قوة للوقوف أمام الرب ولا للكلام.

وهذا ما أعلنه الرب لإشعياء بالنسبة لهذا الشعب المرفوض من الله أو بالحري الرافض الله... وقد أوضح الروح القدس عن التدبير الإلهي في خلاص رجال يهوذا والذين انطرحوا في بعدهم عن الرب يسوع.

أُدخُل إلى الصَّخرة واختبئ في التراب من أمام هيبَة الرب ومن بهاء عَظَمَتُهُ.

إن الرب مزمع أن يظهر بهيبته الإلهية وبهائه وعظمته... بطريقة ما... في يوم استعلان إلهي ويوم رجوع وتوبة ووصول الإنسان إلى منتهى الاتضاع.

وعندما يُستعلن مجد الله... من يستطيع أن يقف أو أن يحتج... لقد قيل عن مجيء الرب الثاني في مجده وجميع الملائكة القديسين معه يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا... لأنه مخيف هو الوقوع بين يدي الله الحي.

وهنا أمام المجد الإلهي وأمام هيبة الرب وأمام بهاء عظمته أين يكون مركز الإنسان؟ وأين مجده ومتكله؟ وأين عينا الإنسان التي ارتفعت في عظمة كاذبة؟ وأين رفعة الإنسان التي ظن أنه ارتفع بها؟

إن الإجابة الوحيدة لكل هذه الأسئلة هي... في التراب. أليس هذا هو ما رآه القديسون عندما تواجهوا مع الله؟

إن ذات الإنسان المتعظمة هى الحجر الوحيد في طريق خلاصه. لأن الكبرياء هى علة سقوط الإنسان الأولى والخطيرة، لذلك فظهور مجد الله أمام عيني الإنسان يقوده إلى اتضاع وشعور حقيقي بواقع نفسه ومسكنته.

١٢. "فإن لرب الجنود يومًا على كل مُتَعَظِّم وعال، وعلى كل مُرتَفع فيوضع.

١٣. وعلى كل أرز لبنان العالي المُرتفع، وعلى كل بَلُّوط باشان.

١٤. وعلى كل الجبال العالية، وعلى كل التلال المُرتفعة.

١٥. وعلى كل برج عال، وعلى كل سُور مَنيع.

١٦. وعلى كل سُفُن ترشيش، وعلى كل الأعلام البهجة".

وهنا يورد الروح القدس نواحي كبرياء الإنسان بالتفصيل وبالذات بيت يعقوب ويهوذا بالتفصيل الدقيق – وما لابد أن يصير من جهة رجوعهم إلى الرب بعد أن يكسر كبريائهم ويطرحهم إلى التراب فيرجعون إلى الرب.

والذي يتأمل الأسفار الإلهية نجد أن علة الكبرياء هى التي جعلت شعب إسرائيل يعثرون في الرب يسوع وفي صليبه المحي وخلاصه.

ألم يقل بولس الرسول أننا نكرز بالمسيح مصلوبًا لليهود عثرة لم يقبل كبرياؤهم أن يأتي الرب وديعًا متواضعًا، ليس له أين يسند رأسه... ولم يرض كبرياؤهم أن يكون مشاركًا لنا في أحزاننا وأوجاعنا حاملاً عارنا.

لذلك صار طريق رجوعهم الوحيد هو طريق الاتضاع وقد شبه الرب هذه النفوس بأشياء مادية افتخر بها الإنسان واعتز باقتنائها وصارت سبب تعظمه وافتخاره.

١. أرز لبنان العالي وبلوط باشان.

٢. الجبال والتلال العالية.

٣. الأبراج والأسوار المنيعة.

٤. سفن ترشيش العابرة البحار.

٥. الزينات والأعلام البهجة.

وعن كل هذه النفوس قال الروح القدس أن لرب الجنود يومًا على كل مُتعظم وعلى كل مُرتفع فيوضع.

١٧. "فيُخفَضُ تشامخ الإنسان، وتوضع رفعَة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم.

١٨. وتزول الأوثان بتمَامِها.

١٩. ويدخُلون في مغاير الصُّخور، وفي حفائر التُّراب من أمام هيبة الرب، ومن بهاء عظمَته، عند قيامه ليرْعَب الأرض.

٢٠. في ذلك اليوم يطرَحُ الإنسان أوثانهُ الفضّية وأوثانه الذهبيّة، التي عَملوها له للسجُود، للجرذان والخفافيش.

٢١. ليدخل في نُقَر الصخور وفي شقوق المَعَاقِل، من أمام هيبَةِ الرب ومن بهاء عظَمَته عند قيامه ليَرعب الأرض".

يتكلّم إشعياء من خلال رؤياه عن يوم الرب يقوم ليرعب الأرض بهيبته وبهاء عظمته وعندئذ تزول عبادة الأوثان بتمامها ويتضع الإنسان له التراب والرماد وشقوق الأرض.

والمعروف أن مجيء الرب الثاني هو مجيء للدينونة ونهاية العالم... فماذا عن ذلك اليوم الذي يتحدث عنه إشعياء... هو يوم انتفاضة للبشرية ورجوع إلى الرب يسوع بعزم القلب... يوم لتجديد الإيمان وانكسار الذات البشرية وزوال الأوثان التي خضع لها الإنسان واستعبد نفسه لها.

وأما هيبة الرب وبهاء عظمته في ذلك اليوم فهو بهاء ومجد المسيح المصلوب الذي سيرجع إليه إسرائيل المرفوض ليكتشف في المسيح بهاء مجد الرب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.

في ذلك اليوم سيكتشف بيت يعقوب بهاء عظمة ومجد المسيح المُخَلِّص في التجسد الإلهي الذي أُظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة، فينخفض تشامخ الإنسان أمام بهاء اتضاع المسيح العجيب.

٢٢. "كُفُّوا عن الإنسان الذي في أنفه نسَمَةٌ، لأنه ماذا يُحسَب؟".

من هو الإنسان حتى تذكره... مولود المرأة قليل الأيام شبعان تعبًا... بره كخرقة الطامث... وأيامه كأشبار وكخيال يتمشى الإنسان على الأرض... وحياته كبخار يظهر قليلاً ثم يضمحل ومجده كزهر العشب وغناه للصدأ وفضته لغير شبع... أفخر أيامه تعب وبلية.

إذًا كفوا عن الإنسان... ليسكت صوت عظمة نبوخذ نصر الملك الذي تنتفخ به

الذات البشرية قائلة: "هذه بابل العظيمة التي بنيتها بقوتي واقتداري".

وليصمت صوت الغني الغبي الذي كثيرًا ما يزكى في داخل النفس الاتكال على الخيرات الزائلة قائلاً: "يا نفسي لك خيرات كثيرة لسنين عديدة".

ولتخرس إلى الأبد الأصوات التي تعظم الذات البشرية وتقول لهيرودس: "هذا صوت إله لا إنسان فللحال ضربه ملاك الرب فدوّد ومات".

ولكن العجيب في الأمر أن يشغل هذا الإنسان الزائل اهتمام إلهنا جدًا... وإن كان الإنسان لا يحسب، إلا أنه له حساب في فكر ربنا... وإن كان الإنسان مطروحًا إلى هاوية العدم فمراحم إلهنا في حسابها خلاص الإنسان وتستهين بتكاليفه حتى إلى الصليب.

الأصحاح الثالث

١. "فإنه هوذا السيد رب الجنود ينزعُ من أورشليم ومن يهوذا السَّند والرُّكن، كل سَند خُبز، وكل سَند ماءٍ".

يا للأسف!!

بدل أن يقال عن أورشليم أنها مستندة على حبيبها ومحمولة على الأذرع الأبدية ومتكلة على الإله الحيَّ.. قيل أنها مستندة على سند خبز وسند ماء ومتكلة على رجال حرب عندها.

وبدل أن يقال أنها تفتخر بالرب وتدعو باسمه... صارت تفتخر بغناها وتتكل على جمالها وعلى وفرة الخيرات الزائلة... وواقع الأمر أن هذه النعم التي تتمتع بها أورشليم من خبز وماء... قد وهبت لها جميعًا بعدما كانت منسحقة في واد الاتضاع في أرض مصر ومتغربة في البرية – ولكن عندما ذهب اتضاعها ونسيت أيام تذلّلها انتفخت ذاتها واتكلت على جمالها استحقت أن تنزع هذه عنها. لأن الرب يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة.. وكما قالت العذراء الطاهرة في تسبحتها الخالدة "أنزل الأعزاء عن الكراسي".

وقد يكون نزع السند والأشياء التي تتكل عليها النفس هى نوع من التجريد عن الباطل لكي تقف النفس عريانة وعارية فتكشف حقيقة نفسها وتعرف طريقها إلى الله.

على أنه من الأمور المُعزية جدًا أن الرب ما نزع شيئًا من أباطيل هذا العالم في حياة أولاده إلا واستبدله بنعمة لا تزول.

فلنتأمل كيف نزع الرب من الشعب سند الخبز من أرض مصر لكي يصير هو لهم خبزًا نازلاً من السماء. فاستبدل خبز مصر بالمن السماوي، وحرمهم من ماء الترع لكي يصير هو ينبوع الماء الحي من الصخرة الدهرية التي لا تنضب.

وأخيرًا قد يكون نزع السند الأرضي والمتكل الترابي نوع من التأديبات التي يستحقها هذا الشعب بتركهم الرب واكتفائهم بخيراته بالعطايا وشعورهم بأنهم أغنياء وقد استغنوا. فلذلك لابد أن يدخلوا في اختبار تخلي وحرمان وجفاف من كل عمل

النعمة وعطاياها.

٢. " الجبَّار ورجل الحرب. القاضي والنبي والعرَّاف والشيخ.
٣. رئيس الخَمسين والمُعتَبر والمُشيرَ، والمَاهر بين الصُّناع، والحَاذِق بالرُّقْيَةِ".

ماذا ينزع الرب من هذا الشعب؟

١. **سند الخبز**... فلا شبع ولا ثمر من الأرض، ولا حصاد وإن كانت هذه الأمور جسديًا تؤدي إلى المجاعة والموت فكم يكون الحال من جوع الروح وحرمانها من خبز الحياة!

٢. **سند الماء**... مثل أيام إيليا... فيصير رجالها يابسين من العطش منطرحين على حافة الهلاك أما روحيًا فالماء دائمًا يشير إلى الروح القدس... فإن انتزع الروح من الإنسان فماذا يكون حاله؟

٣. **رجال حرب**... قوة الدفاع ضد الهجمات الخارجة... ماذا لو انتزعها الرب؟ من لا ينهب ويسلب ويدخل ويحرق بالنار. أما روحيًا فقوة الدفاع عن أولاد الله هم ملائكة السلامة الذين جعلهم الله خدامًا وأرواح خادمة تحوط بكل خائفيه وتنجيهم وتدافع عنهم وهم صامتون... فماذا لو نزع الرب قوة الحفظ الملائكية التي تحارب عنا التي رآها تلميذ أليشع فقال: "الذين معنا أكثر من الذين علينا".

٤. **القاضي والنبي والعراف والشيخ**... هؤلاء يشيرون إلى مواهب الروح... العدل والرؤيا للأمور الإلهية والمعرفة والحكمة من طول الأيام – كل هذه أيضًا ينتزعها الرب فلا يصير قضاء ولا كلمة إلهية ولا رؤيا ولا معرفة ولا حكمة فماذا بقى للإنسان إذًا؟ وماذا يكون نصيبه إن ارتفعت عنه هذه الأشياء الموهوبة من الله؟

٥. **المعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاذق بالرقية**... هذه أيضًا المهارات والملكات الإنسانية التي يستودعها روح الله في الأعضاء المختلفة... مثل الذين اشتركوا في بناء الهيكل قديمًا وضع الله فيهم روح المعرفة ومهارة في العمل... فإذا نزعت هذه أيضًا لم يبقى في صفوف الشعب من يعمل عملاً ولا من هو حاصل على موهبة بل يصير الجميع في حال التخلي لأن يد الله لا تمتد إلى أعمالهم.

٤. "وأجعل صبيانًا رؤساء لهم، وأطفالاً تتسلّط عليهم.

٥. ويظِلمُ الشعب بعضهم بعضًا، والرَّجُل صاحبه. يتمَرَّد الصبي على الشيخ، والدّنيء على الشريف".

عندما تغرب اشراقات النعمة يدخل الإنسان في ظلام ويتخبط ولا يعرف أين يمضي لأن الظلمة تكون قد أعمت عينيه.

هكذا يكون مصير هذا الشعب في حال التأديب... اختفت الحكمة وخبى نورها.. فصار الصُبيان رؤساء وتسلم الأطفال مقاليد الأمور وتسلطوا على الشعب.

آه لو يدرك هذا الشعب المسكين مأساة ترؤس الصبيان وتسلط الأطفال!!... يكفي أن يتذكروا مثلاً واحدًا... مأساة رحبعام بن سليمان ومشورة الأحداث الذين نشأوا معه ووقفوا أمامه (١ مل١٢) في زمن رُفضت فيه حكمة الشيوخ ورُذلت مشورتهم بالحق كم قاسى الشعب المسكين في أيامها مرارة الانقسام لأول مرة والحروب الداخلية... لقد اختفى القلب الواحد... ذبلت المحبة... ترعرعت العداوة.

وقد كملت كلمات الرب هذه بفم إشعياء إذ بعد ما مات يوشيا الملك الصالح. تولى بعده الحكم ملوك غاية في الضعف، صبيان في أفكارهم فساءت أحوال الرعية بسبب ضعف الحكام وانحسار روح الحكمة والمشورة والقوة، وكان آخر هؤلاء الملوك صدقيا الذي سُبيَ هو وشعبه إلى بابل.

لقد ضُرب الراعي فتبددت الخراف في أودية الخطية والظلم كل واحد لصاحبه، وتمردت الخراف الصغيرة والدنيئة... وساد سلطان الشر وسط القطيع، لقد كتب بولس الرسول إلى أهل كورنثوس مبكتًا إياهم عندما سمع أن فيهم هذا العيب "فالآن فيكم عيبٌ مُطلقًا، لأن عندكم محاكمات بعضكم مع بعض. لماذا لا تُظلمون بالحري؟... أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟" (١ كو ٦: ٧ - ٩).

٦. "إذا أمسَكَ إنسانٌ بأخيه في بيت أبيه قائلاً: لك ثوبٌ فتكون لنا رئيسًا، وهذا الخَرابُ تحت يَدك.

٧. "يَرفعُ صوتَهُ في ذلك اليوم قائلاً: لا أكون عاصبًا وفي بيتي لا خُبز

ولا ثوب. لا تجعلوني رئيس الشعب".

إذا نزع السيد رب الجنود كل السند والركن والمعتبر والمشير من أورشليم ومن يهوذا... وقد أصبح الشعب يقاسي محنة التخلي وأيام تأديب الله... فهل هذه الضيقات تكون قد حولت قلب الشعب رجوعًا إلى الرب... وتكون رفعت أنظارهم إلى الجبال من حيث يأتي العون فيطلبون الرب من كل قلوبهم ويلتمسون وجهه بالبكاء والصوم والجلوس على الرماد والرجوع كل واحد عن طريقه الردية وعن الشر الذي في أيديهم فيقبلهم ويغفر لهم؟ هل في ضيقهم سيبحثون عن الرب الذي يخلصهم لعلهم يجدونه؟

من المؤسف جدًا أنهم رغم كل هذا يبحثون عن مخلص بشري ويتكلون على ذراع الإنسان، فيمسك الإنسان بأخيه في بيت أبيه قائلاً – لك ثوب – فتكون لنا رئيسًا وهذا الخراب تحت يديك.

وهنا يبدو واضحًا أنهم اسقطوا الرب الإله من حسابهم فلا ذكر له ولا اسم ولا إحساس به ولا طلب إليه ولا صلاة ولا تضرع نحوه بل في الضيقة يطلبون كل واحد أخيه في بيت أبيه قائلاً: تكون لنا رئيسًا... حقًا قال المرنم: "لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص".

لكن ماذا رأى الإنسان في أخيه من قدرة على الخلاص أو من بادرة أمل في وسط هذا الخراب؟ أليس هو أخيه ابن أبيه وشريكه في الضيقة وفي التأديب.

لك ثوب فتكون لنا رئيسًا: هنا خديعة الإنسان – وهنا كم وقع الإنسان فريسة للسطحية وزيف المظهر والثياب الخارجية إن خزي الإنسان وفقره وفضيحته ونجاسته مُغطاة دائمًا بثوب ولا يرى الإنسان إلا المنظر الخارجي.

حقًا قال الرب لصموئيل "أنت تنظر إلى العينين أما الرب فينظر إلى القلب" آه ما أتعس حال هذا الشعب لقد صار الإنسان الذي يملك ثوبًا مستحقًا أن يكون ملكًا ورئيسًا لهذا الشعب البائس وهذا الخراب، ومع كل هذا يعتذر الإنسان عن قبول مسئولية أخيه بسبب فقره قائلاً: في بيتي لا خبز ولا ثوب ولا تجعلوني رئيس الشعب.

وهنا يخيب رجاء المُتكلين على البشر ويبدو عجز الإنسان في خلاص نفسه

فكيف إذًا يقدر أن يُخلص غيره؟

٨. "لأن أورشليم عَثرت، ويهوذا سَقَطَتْ، لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاظة عيني مَجْدِهِ.

٩. نَظر وجوههم يشهَد عليهم، وهم يُخبِرون بخطيّتهم كسدُوم. لا يخفونها. ويلٌ لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرًا".

إن حالة أورشليم ويهوذا تتلخص في هذه الكلمات البسيطة فهى في حالة عثرات متكررة بدون محاولة للنهوض، ساقطة من النعمة مجردة من الفضيلة... والعثرة هى الفخ المختبئ في طريق السائر مع الله، أو العوائق التي يضعها عدو الخير لعرقلة الطريق، إن الذين يميلون إلى العثرات ينزعهم الرب مع جميع فعلة الإثم.

وقد قال الرب الويل لمن تأتي بسببه العثرات... ولكن لابد أن تأتي العثرات، ويبدو أن أورشليم في وقتها قد اصطيدت في فخاخ عثرات كثيرة ولا تريد النجاة ولا تبحث عن الخلاص فصارت عثرتها سقوطًا.

ولم تعد عثرة يهوذا وسقطة أورشليم مخفية عن النظر ولكن اتسمت أعمالهم وأقوالهم بالعثرة والسقوط من النعمة في كل شيء فلسانهم وأعمالهم أخذت صورة محزنة مخزية (ضد الرب) والتمادي في الشر بمعرفة أخذ صورة أكثر قباحة "لإغاظة عيني مجده" فمعلوم أن كل شر وكل نجاسة وكل خطية على وجه العموم هى ضد الرب. فمحبة العالم ضد محبة الله. ومحبة المال هى خدمة سيد آخر غير الرب الإله، فلسانهم في كلماته صار عثرة – وصار بالحق نار عالم الإثم مملوء سمًا مميتًا، واللسان دائمًا يكشف عن الكنز القلبي لأنه من فضلة القلب يتكلم، فأورشليم في عثرتها بعيدًا عن الرب ويهوذا في سقطتها في الخطية صار لسانهما لسان عثرة وكلامهما بلا نعمة وبلا ملوحة أو بدل أن يكون لسان بركة صار ضد الرب كشهادة عليهم.

أما أعمالهم فهى أعمال جسدية عالمية ... أعمال ليس فيها محبة ولا رحمة ولا حنو – فهى ضد الرب وفيها رائحة الذات البشرية فهى ضد الرب.

لإغاظة عيني مجده: هم يعرفون من هو الله – وعندهم وصاياه ولهم العهود والشريعة والأنبياء... فهم مثل ولد عاق يعرف مسرة أبيه وإرادته ولكنه يخالف عن عمد لإغاظة أبيه!

ولكن حقيقة الأمر أن الابن في هذه الحالة لا يضر بأبيه، ولكنه هو الذي سيفقد تمتعه بالآب ويدخر لنفسه غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.

نظر وجوههم يشهد عليهم... وليس فقط لسانهما وأفعالهما هى ضد الرب لإغاظة عيني مجده بل أكثر من هذا يكفي أن تنظر إلى وجوههم، تجد بصمات الشر واضحة وملامح الخطية...! نعم أن أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس.

لقد ارتسم سلام الله ولمعان النعمة على وجوه رجال الله القديسين فأضاءوا بالنور مثل موسى واستفانوس الذي رأوا وجهه كوجه ملاك وعلى العكس فإن الحياة بعيدًا عن الله وتحت سلطان روح الظلمة يترك على الوجه ملامح الشر وقسمات الخطية.

وهم يخبرون بخطيتهم كسدوم ولا يخفونها... هذا يبين درجات الوقاحة والجرأة في الشر والفجور في عمل الخطية بلا خجل ولا حياء. بل إذ عرفوا حُكم الله أن الذين يعملون الخطية يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضًا يسرون بالذين يعملون ويتباهون ويحدثون بخطيتهم مثل رجال سدوم الذين ادخروا لنفوسهم غضب الله... أما الخجل والحزن ومحاولات التوبة فاختفت من حياتهم فاستحقوا أن يجنوا ثمار زرع الشر.

واقتنوا لأنفسهم كلام دينونة الله العادلة القائل ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرًا.

١٠. "قولوا للصِّدِّيق خيرٌ! لأنهم يأكلون ثمَر أفعالهم".

لا ينسى الرب مختاريه ولا يهمل أتقياءه بل في أيام القحط يعولهم بخبز وماء ويعزيهم لأنهم له... هكذا أيضًا في وسط انسكاب غضب الرب الذي أعلنه بفم حزقيال النبي قيل للملاك أُعبر في وسط أورشليم وسم سمة على جباه الرجال الذين

يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات (حز ٩).

فالصديقون محفوظون في وسط الضيق، لأنه يعرف الرب الذين هم له، ويعرف أن يخلصهم، وينجيهم من الخطاة لأنهم توكلوا عليه.

والصديق ينجو من خبر السوء ومن شر يُسلَك في الظلمة ومن غضب الدينونة وذلك في وسط عواصف الدينونة المخيفة.

قيل لأولاد الله ارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب... هكذا قولوا للصديق خير... وهذا يعزي أولاد الله عندما يحوطهم الشر من كل جانب وكأنه لا خلاص وكأن أبواب سدوم قد أُغلقت إلى الأبد وكأن البار لوط سيظل يعذب نفسه كل يوم بالسمع والنظر مغلوبًا على أمره حسب الظاهر من سيرة الأشرار.

كلا، فللخلاص وقت معد من قبل الله والخير الإلهي وإن أتى أخيرًا ولكنه سيأتي ولا يبطئ في قدومه وخلاص الأبرار من عند الرب وهو ناصرهم في زمان الشدائد.

قولوا للصديق لوط خير، وليوسف العفيف خير، ولأيوب البار خير، وللسبعة آلاف ركبة التي لم تنحن للبعل خير... ولكل الذين يعيشون بالتقوى في المسيح يسوع ويحتملون أتعابًا في هذا العالم خير.

لأن الله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة بل سيأكلون ثمر أفعالهم ويجنون ثمر صبرهم وضيقهم وآلامهم ميراثًا لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظًا لهم في السموات.

١١. "ويلٌ للشرير. شرٌّ! لأن مُجازاة يديه تعمل به".

أما الأشرار فأيضًا ستأتي المجازاة... فلا يحسبون الرب متباطئ في تنفيذ وعوده وتحقيق كلامه... بل هو متمهل عليهم. قال معلمنا بولس الرسول: "أم تستهين بغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته غير عالم إنما لطف الله يقتادك إلى التوبة".

وإن كانت لا توجد هناك إشارة ولا إنذار ولا توجد كلمة (قولوا) كما قيل للصِّدِّيق، بل ويل للشرير لأن الهلاك والويل يفاجئه بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجو.

١٢. "شعبي ظالِمُوه أولادٌ، ونساءٌ يتسلَّطن عليه. يا شعبي، مُرشِدوكَ مُضِلُّون، ويبلَعُون طريق مسَالكِك".

هنا تظهر مسئولية الرؤساء والمرشدين في الشعب كم هى مخيفة وجسيمة ... فالشعب مثل الغنم والمسئولون كالرعاة فإن ضل خروف فالراعي يبحث عنه ولكن إن ضل الراعي نفسه هلكت الغنم جميعًا، وأخيرًا يطلب الرب دم الغنم من هؤلاء المسئولين.

إن الرؤساء في الشعب قد صاروا أولادًا في أذهانهم... أولاد في تصرفاتهم بلا حكمة وبلا مشورة إلهية... فجاءت أحكامهم مجحفة وظالمة للشعب... هذا بالنسبة للحياة الزمنية وأحكامها – عندما اختفت الشريعة الإلهية من قلب الرؤساء ومن أذهانهم ظلموا الشعب بالأحكام البشرية.

أما المرشدون فهم الأنبياء الذين يوضحون أمام الشعب طريق الحياة الأبدية ويفصلون كلمة الحق... لأن أحكام الوصايا الإلهية من فمهم تُطلب وهنا الرب يعلن لشعبه هذا الإعلان الخطير "يا شعبي مرشدوك مضلون"... لقد دخل روح الكذب في أفواه الأنبياء... فأضلوا الشعب وأبعدوه عن طريق الحياة ودفعوه للموت... كما حدث في أيام آخاب ملك إسرائيل الذي سأل الأنبياء (٤٠٠ نبي) قائلاً: أأذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع؟ فقالوا: اصعد فيدفعها السيد ليد الملك.

وكان هذا روح كذب في الأنبياء فصعد آخاب إلى الحرب وجرح ومات وتشتت الشعب وانكسر أمام العدو.

ما أخطر خطايا الرؤساء وما أبشع ضلال المرشدين أن الخطر يكمن في إنقياد الشعب وراء الضلال بلا معرفة إذ يقولون له سلام سلام ولا سلام.

ويل لشعب يضله مرشدوه... يبررون الفاجر ويستذنبون البريء ويتملقون الرؤساء ويعوجون الطرق المستقيمة... وهنا الرب ينادي الشعب مباشرة "يا شعبي مرشدوك مضلون... فلا تتبعوا خطواتهم" المرشدون الحقيقيون هم السائرون في دروب الحق... يحفظون الوصايا في حياتهم كما قال بولس الرسول: "تمثلوا بي كما أنا بالمسيح أيضًا"، فهم يكرزون بحياتهم أما إن زاغوا عن طريق الحق فقال ربنا يسوع المسيح: "على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون" (مت ٢٣: ٢-٣).

١٣. "قد انتصب الرب للمُخَاصَمة، وهو قائمٌ لدينونة الشعوب.

١٤. الرب يدخُل في المُحَاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم: وأنتم قد أكلتم الكرم. سَلَبُ البائس في بيوتكم.

١٥. ما لكم تسحَقُون شعبي، وتطحَنُون وجُوه البائسين؟ يقول السيد رب الجنود".

لقد نبه الرب شعبه وأنذرهم بكلمته قائلاً: يا شعبي مرشدوك مضلون ويبلعون طريق مسالكك وهم إن سمعوا وإن امتنعوا، ثم بعد ذلك تأتي دينونة الله العادلة.

فلطف الله وطول أناته أولاً ثم الدينونة، كما كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح... بالحق كم أطال الله أناته على شعوب وأمم وأفراد وأمهلهم وانتظر توبتهم وتمنى رجوعهم... وإذ لم يتوبوا وقعوا تحت دينونة رهيبة.

وتعبيرات الدينونة تشير إلى أن الوقوع في يدي الله هو مخيف جدًا... فهو قد انتصب للمخاصمة والمحاكمة وهو قائم للدينونة... وعندما يقال أن الله يقوم وينتصب للدينونة، من يا ترى يستطيع أن يقف أمامه أو من يقدر أن يتكلم – كل فم يستد وكل قلب يذوب يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا.

محاكمة الرؤساء: وتأتي دينونة الشيوخ والرؤساء أولاً لأن الذي يودعونه كثيرًا يطالب بالأكثر والعبيد الذين أعطاهم الرب الوزنات عاد وحاسبهم والذي أخذ الخمس وزنات حاسبه أولاً.

إن شيوخ الشعب والرؤساء هم الكرامون الذين قال الرب فيهم المثل – فلما قرب وقت الثمار أرسل الرب عبيده (الأنبياء) إلى الكرامين ليأخذ أثماره فأخذ الكرّامون عبيده وجلدوا بعضًا وقتلوا بعضًا ورجموا بعضًا ثم أرسل أيضًا عبيدًا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك. قال الرب لهم (أنتم أكلتم الكرم)... إن عمل الرؤساء في الشعب والمدبرين أن يجمعوا ثمرًا للحياة الأبدية كما قال الرب: أرسلتكم لتأتوا بثمر كثير لحساب ملكوت الله، أمَ شيوخ الشعب ورؤساؤه فجنوا الثمر

لأنفسهم وخدموا ذواتهم كما قال الرب بفم حزقيال النبي: رعى الرعاة أنفسهم... تأكلون السمين وتلبسون الصوف ولا ترعون الغنم (حز ٣٤).

سَلَبُ البائس في بيوتكم: حسنًا قال الرب للفريسيين تأكلون بيوت الأرامل. تصفون عن البعوضة وتبلعون الجمل.. إن ربنا يقول أريد رحمة لا ذبيحة – أما الرؤساء فسلموا البائسين. إن قصة داود النبي مع امرأة أوريا الحثي ستظل شاهدة على غيرة إلهنا المنتقم للمساكين والذي يطلب دم الأبرياء وحق البائسين مهما سُلب.

وهكذا أيضًا ستظل أرض نابوت اليزرعيلي التي اغتصبها آخاب الملك شاهدة على أن الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب المساكين والبائسين. إن إلهنا يدخل في المحاكمة مع الرؤساء ويقيم دعوى البائس ومن يد الرؤساء يطلب دم المجهولين والمحتقرين.

ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين: يقول السيد رب الجنود ليس فقط أكل الكرم وتحويل الثمر لحساب الذات البشرية وليس فقط سلب البؤساء وظلم المساكين.

ولكن الرب ينتقم ويحاكم من أجل مشاعر أولاده المساكين والبائسين يقول المرنم في المزمور: "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية".

إن أنات المظلومين محسوبة عند إلهنا بل أيضًا تنهدات البائسين لها عند ربنا اعتبار، من أجلها يقوم ويعمل الخلاص.

قال يعقوب الرسول "يا إخوتي، لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح، رب المجد، في المحاباة. فإنه إن دخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب في لباس بهي، ودخل أيضًا فقيرٌ بلباس وسخ، فنظرتم إلى اللابس اللباس البهي وقلتم له: اجلس أنت هنا حسنًا. وقُلتم للفقير: قِفْ أنت هناك أو اجلس هنا تحت موطئ قدمي... اسمعوا يا إخوتي الأحباء: أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان، وورثة الملكوت... وأما أنتم فأهنتُم الفقير".

إن رؤساء الشعب لا يعلمون أن ربنا قد دعى البائسين إخوته الأصاغر وأنه

يقول: ما فعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر فبي قد فعلتم، ألا يعلم رؤساء الشعب أن من يعطي الفقير يقرض الرب.

إن معاملتنا لإخوتنا المساكين محتاجة إلى مراجعة... أن السيد رب الجنود سيحاسب كل من يؤذي مشاعر أحد المساكين بكلمة أو يجرح شعوره بحركة حتى ولو أعطاه كل حاجات الجسد.

١٦. "وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامَخن، ويمشِينَ ممدُودات الأعناق، وغامِزات بعيونهنَّ، وخاطرات في مَشيهنَّ، ويُخَشْخِشنَ بأرجُلهنَّ.

١٧. يُصْلِع السيد هامَةَ بنات صِهيَون، ويُعرِّي الرب عورَتهنَّ".

بعد أن دخل الرب في محاكمة الرؤساء في الشعب ودينونة المرشدين يعود الرب ويفند خطايا الشعب ويقوم لدينونة الشعب ذاته...

وأمام هيبة ربنا ونور مجده تنكشف خطايا الشعب بتفاصيل وتظهر جذور الشر المتأصلة في حياتهم.

الكبرياء: مبدأ الخطايا ومنبعها هو الكبرياء... الحية القديمة، خطية الخطايا وأصل الداء المهلك. فبنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق.

ذات متعظمة ومتعالية ومنتفخة – قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح... هذه مقدمة النهاية أن تفرخ الكبرياء في الذات البشرية وتضخمها – هذه بداية انكسار نبوخذنصر الملك، هذا هو البرج الذي إذا ارتفع عليه الإنسان سقط من النعمة وتبلبل لسانه وعجز عن الكلام بالحق الإلهي.

ممدودات الأعناق: أين نير السخرة في أرض مصر أين النفس المنسحقة والقلب المنكسر أمام الرب، أليس مكتوبًا أن من يسلك بالكبرياء هو قادر على أن يذله (دا ٤).

منظر بنات الناس: هل هذا هو منظر بنات صهيون – أم هو شكل المؤابيات

والعمونيات والأمم الغريبة، أين وداعة رفقة؟ أين النساء المتوكلات على الله؟ أين أُمكم سارة وخضوعها؟

خير للإنسان أن يعلق بعنقه حجر الرحى ويلقى في اللجة من أن يكون سبب هلاك الآخرين.

الزينة الخارجية وعدم الاهتمام بالداخل: قال الروح القدس: لا تكن زينتكن هى الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب... بل زينة الروح الوديع الهادي الذي هو قدام الله كثير الثمن. أما بنات صهيون فانصرفن عن زينة الروح والتحلي بالفضائل ومعرفة الله إلى الزينة الخارجية والاهتمام بالمظهر.

قدموا أعضاءكم آلات بر لله: كل عضو له عمل له نفع من أجل مجد الله خُلق. فإن عشنا بالروح صارت أعضاؤنا أعضاء المسيح كآلات لبره وأداة لتنفيذ مشيئته الصالحة. فالعين واليد والرجل وسائر الأعضاء ليست للخطية ولا للزنى بل للرب.

ولكن إن وقعت أعضاؤنا فريسة في يد العدو استغلها لحساب الشر وصارت أعضاؤنا في حالة العثرة أو صارت هى نفسها عثرة وعار. هكذا بنات صهيون بعن أنفسهن للشر وصارت أعضاؤهن آلات إثم وآلات شر فهن **غامزات بعيونهن** كما قيل: لهم عيون مملوءة شرًا لا تكف عن الخطية، **ويخشخشن بأرجلهن.**

ما أبعد الفرق بين هذه الأرجل، والأرجل المحتذية باستعداد إنجيل السلام المُبشرة بالخيرات السائرة في طريق الرب بلا مانع.

الدينونة: لو أن هذه الأعضاء قد دينت من أصحابها ما وقعت تحت دينونة من الله قط، ولو أن روح التبكيت والرجوع إلى الله وجد آذانًا من هذا الشعب ما وقف الشعب مطلقًا إلى موقف الدينونة الرهيب هذا.

يصلع الرب هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهن: وأنت يا كفر ناحوم أترتفعين إلى السماء أنك ستنحطين إلى أسفل الجحيم. إن كان الشعر قد أُعطى للمرأة

عوض برقع (١ كو ١١) وأنه قبيح بالمرأة أن تحلق.. فكم يكون قبحها عندما يصلع السيد هامتها... وينزع تاج جمالها – حقًا قال الرب للنفس "خرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك، فإذا نزع الرب بهاءه رجعت النفس إلى قبحها الأول ورذالة نفسها وكراهتها. ربما أيضًا (يصلع رأسها) أي ينزع قوتها كما حدث لشمشون عندما ذهبت قوته وصار هزءًا للفلسطينيين – هكذا النفس إذا تركت في يد أعدائها وتخلت عنها النعمة يعري عورتها ينزع عنها ستره... ألم يجد الرب هذه النفس ملقاة على وجه الحقل عريانة فبسط عليها ذيله وستر عورتها فماذا لو لم تدم النفس في حضن الله وحجال الملك وستر حبه – تنكشف قباحتها وتنفضح خطاياها.

١٨. "يَنزعُ السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضَّفائر والأهِلّةِ.
١٩. والحَلَقِ والأساور والبَرَاقِع.
٢٠. والعصائب والسّلاسل والمناطِق وحناجر الشَّمَّامات والأحرَاز.
٢١. والخواتِم وخزَائم الأنف.
٢٢. والثياب المُزخرَفَةِ والعُطْف والأرديَةِ والأكياس.
٢٣. والمرائي والقُمْصَان والعَمَائم والأزُر".

هذه الزينة التي جعلها الله على النفس، ألبستك مطرزة "ثوب البر في المعمودية"، ونعلتك بالتخس "إنارة الإنجيل"، وأزرتك بالكتان "الطهارة"، وكسوتك بزًا "تبررات القديسين"، وحليتك بالحلي "الفضائل والكمال المسيحي"، فوضعت أسورة في يديك "مخطوبة للمسيح"، وطوقًا في عنقك "عربون الطاعة"، ووضعت خزامة في أنفك "نعمة الإفراز والتمييز"، وأقراطًا في أذنيك "نعمة السماع للكلمة والصوت الإلهي"، وتاج جمال على رأسك "إكليل المجد الذي لا يبلى".

بعد أن نزع الرب الأمور الخارجية المعبر عنها بسند الخبز وسند الماء والقوة الخارجية المعبر عنها بالجبار ورجل الحرب. ينزع الرب هذه المرة كل زينة النفس فتصير مكروهة في عين الذين ينظرون إليها ويبغضها مشتهوها.

+ الأرجل التي لم تستقيم في طريق السلام بل سعت إلى سفك الدم واغترت بقوة

ساقي الرجل وصارت تمشي تخشخش وتتباهى وتعتز في مشيتها متكلة على جمالها، تنزع عنها زينة الخلاخيل فتصير بلا زينة.

+ شعر الرأس الذي وهب بدل برقع الذي نبت فوق الرأس العارية فتحلى بضفائر ذهب وأهِلة ذهب للزينة والزنى، ينزع هذا البرقع وتصير الرأس صلعاء مكروهة بلا زينة وبلا منظر ولا جمال.

وهكذا الأشياء والأعضاء التي لم تستخدمها لمجد الله وتحولت للعمل البشري والبعد عن الله المُعبَّر عنه بالزنى الروحي. هذه الأعضاء تقع تحت دينونة مخيفة تنزع زينتها.. الأنف التي تلذذت بروائح العالم. الأذن التي مالت بعيدًا عن صوت الحبيب الأيدي والأرجل وبقية الأعضاء التي استخدمتها ابنة صهيون في اغاظة عيني مجد الرب... ستدان.

ما أجمل تعبير بولس الرسول الذي يسمي أعضاءنا أعضاء المسيح ويستنكر قائلاً: "أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية".

هنا غيرة الروح القدس الذي يغار على النفوس التي يزينها بزينة الروح ثم تعمل وتسلك جسديًا – هذه النفوس تحسب نفسها في عداوة مع الله لأن الروح الذي حل فينا يشتاق إلى الغيرة لأن محبة العالم عداوة لله.

فمن أراد أن يكون محبًا للعالم فقد صار عدوًا لله أما ثياب البر التي كست النعمة بها النفس البشرية فسترت عريها وغطت عارها – فهذه أيضًا تنزع منها فتتعرى من كل عمل للنعمة وكل فضيلة وكل عمل صالح.

الثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس والمرائي والقمصان والعمائم والأزر.

وهنا نلاحظ غنى إمكانيات النعمة وسخائها في تنوع أنواع الثياب التي تغطي بها النفس وتسترها.

فهناك الحُلة الأولى التي ذكرها الرب في مثل الابن الضال.

وهناك ثياب العرس التي ذُكرت في مثل العرس التي تؤهل النفس لحضور العرس الأبدي والوجود أمام الله بلا مانع.

وهناك ثوب الملكة الموشّى بالذهب، المتزينة بأشكال كثيرة وهنا يقول ثياب مزخرفة وأردية كثيرة وقمصان وعمائم وأزر فبعضها يلائم الجسم والآخر يؤازر الوسط لعمل الخدمة الروحية وآخر عمائم للرأس.

ما أكثر أسرار عمل النعمة في النفس وما أقسى أن ينزع الرب عن النفس ثيابها فتظهر أمام الملائكة في خجل في يوم الدينونة العظيم.

٢٤. "فيكون عِوَض الطِّيب عفونَةٌ، وعِوَض المِنطَقَةِ حَبْلٌ، وعِوَض الجدائل قَرْعَةٌ، وعِوَض الدِّيباج زُنَّار مِسْح، وعِوَض الجمال كيٌّ !".

فيكون عوض الطيب عفونة: الطيب أصلاً هو رائحة المسيح الزكية، والمسيح بوصفه رأس الكنيسة انسكب الطيب الكائن منه إلى اللحية حتى أسفل القدمين.. وانحدرت رائحة المسيح العطرة على طبيعتنا بتجسده الطاهر.. فصرنا رائحة المسيح الزكية لله في الذين يخلصون والذين يهلكون.

واسمه المبارك الذي دعيَ علينا صار لنا دهنًا مهراق لذلك انجذبت نحوه النفوس وأحبته العذارى.

أما بنات صهيون فقد رفضن عريسهن وذهبن وراء آخر – وراء العالم، فتخلّت عنهن النعمة المعزّية ورفضهن العريس ولم يعد يسكب أطيابه وأدهانه عليهن فاختفت منهن رائحة المسيح الزكية وللحال ظهرت رائحة الطبيعة البشرية المملوءة عفونة.

إن كل رائحة طيبة في حياتنا مصدرها النعمة الإلهية وكل رائحة عفونة أصلها طبيعتنا البشرية، فإن ظهرت رائحة الطيب صار هذا دليلاً على مؤازرة النعمة وإن بدت روائح النتن فهذا دليل على أننا نسلك بذواتنا ونخبئ ثمار كريهة من اللحم والدم القابل للعفونة.

وعِوَض المنطَقَة حَبْلٌ، وعِوَض الجدائل قَرْعَةٌ، وعِوَض الدِّيباج زُنَّار مِسْح، وعِوَض الجمال كيٌّ: وهكذا أيضًا كمثل الطيب والعفونة يكون أمر المنطقة "حزام الوسط" والحبل – إذ ينزع الرب المناطق التي تزينت بها بنات صهيون ويستبدلها بحبل، وجدائل الشعر تنزع وتصير بدلاً منها قرعة في الرأس، وديباج

الحرير الذي يوضع على الكتف أوقات الفرح والسرور يستبدل بزنار مسح وحزن، وجمال الوجه يستبدل بكيٍّ نار يشوه منظرها فتصير مكروهة بلا جاذبية ولا جمال.

لقد جرد الرب بنات صهيون من كل زينتها فظهر قبح منظرها واختفى مجدها وزال عنها عزها... ما أحوجها الآن إلى ينبوع دموع إرميا النبي ليبكي ليلاً ونهارًا قتلى بنت شعبي- وإن كان نزع هذه الأمور الجسدية يستوجب البكاء والنوح فكم يكون الحال مع النفوس التي تركت محبة ربنا واحتقرت صليبه وذهبت وراء العالم واستحقت أن تنزع منها هذه الأمور روحيًا فتصير خرابًا إلى أبد الآبدين.

فالمنطقة: هى حزام الوسط للقيام والسهر في الصلاة والتسبيح.

والجدائل: هى فخر النفس وزينتها بالفضائل.

والديباج: هو مؤازرة روح الفرح والتنعم الروحي.

والجمال: هو ارتسام نور وجه الله على النفس.

فماذا لو فقدت النفس هذه النعم ولو صارت مجردة منها؟

٢٥. "رجَالك يسقُطون بالسَّيف، وأبطالُك في الحرب.

٢٦. فتَئِنُّ وتنُوح أبوابها، وهى فارغَةً تجْلس على الأرض".

يعود إشعياء النبي فيجمل القول في عبارة بسيطة للمدينة التي تركت إلهها واستهانت بقدوسها – فتركها الرب وتخلت عنها نعمته، وينبئها بما سيكون لها ويحل بها. يسقط رجالها بالسيف ويقع أبطالها قتلى في الحرب فتنكسر وتنهزم فتئن وتنوح أبوابها المحبوبة وتصير فارغة ومذلولة جالسة في التراب – وهذا ما حدث فعلاً في أيام السبي بعد ذلك بزمن ليس بكثير فقتل رجالها وسبيَ شعبها.

وصارت فارغة خاوية أبوابها محروقة بالنار تئن وتنوح بلا صوت مسموع وصارت مجرد سيرتها سبب الدموع والحزن وكآبة القلب في حياة أولاد الله مثل نحميا.

وإن كان هذا أيضًا من جهة أخرى يشير إلى البشرية كلها التي انهزمت في حرب الخطية التي طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء وظلت البشرية تئن وتنوح

متوجعة من سلطان الشر وسطوة الشيطان وهى ساقطة تحت سلطانه كمدينة فارغة جالسة على التراب لا تقوى على مقاومة.

إلى أن افتقدها المُشرق من العلاء فبدّل حزنها فرحًا وضعفها قوة وفراغها إلى ملء الروح القدس.

الأصحاح الرابع

مقدمة:

على قدر ما تفوح رائحة الغضب الإلهي من الأصحاح السابق وعلى قدر ما نرى فيه أن كلمة الرب شديدة في إنذارها وتوبيخها ككلمة قضاء ودينونة عادلة ... على قدر ما تتغير هذه الصورة في هذا الأصحاح ... فنحن نواجه هنا تعطفات أبوية رحيمة. ورجاء الخلاص والنجاة يظهر واضحًا وصريحًا فالحديث هنا عن المسيح إلهنا "غصن الرب" وعن الفرح والزينة والنجاة من الدينونة للذين كتبوا للحياة في أورشليم.

وكأن كلمات الإنذار في الأصحاح السابق تعتبر أقوى دافع للتوبة وللحياة مثل صوت يوحنا المعمدان الذي صار مهيئًا طريق الرب أمامه.

١. "فَتُمْسِكُ سَبعُ نساء برَجُل واحد في ذلك اليوم قائلاتٍ: نأكُل خُبزنا ونلبَس ثيابنا. ليُدع فقط اسمُك علينا. انزع عارنا".

هنا أوضح الروح القدس كيف تكون الحاجة ماسة جدًا وملحة للخلاص وكيف تكون النفوس متلهفة على المُخلِّص الرب الذي ينزع عارها ويستر خطاياها.

ويضع الروح القدس أمام أعيننا هذا المنظر المذهل بعد نهاية انكسار يهوذا وبلوغ منتهى الضعف... منظر سبع نساء أحسسن بالفراغ والضياع وأحسسن بالعار "بلا إثم" وأحسسن بالموت والعقم وعدم ثمر للحياة.

فأمسكن السبعة برجل واحد... ولم يطلبن أن يعولهن أو أن يهتم بثيابهن... فالأمر أخطر من طلبات واحتياجات... فهن محتاجات إلى شخصه فقط... قائلات انزع عارنا.

وهنا يكشف الروح القدس من خلال هذه الظروف الجسدية عوز النفوس وحاجتها إلى الرب يسوع ... وطلبها المُلح لكي يدعى اسمه عليها وينزع عارها وكيف لا يكون للنفس شهوة في لبس ثياب أو أكل خبز أو أي من هذه الأمور الخارجية ... ولكن النفوس تريد أن ترتبط باسمه وأن تدخل في حماه وتصير عروسًا له.

٢. "في ذلك اليوم يكون غُصْنُ الرب بهاءً ومجدًا، وثمَر الأرض فخرًا وزينةً للنَّاجين من إسرائيل".

بعدما وصف إشعياء حاجة النفوس إلى الخلاص وإلى من ينزع عارها.. بشر النفوس المنتظرة قائلاً: في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجدًا.

+ في ذلك اليوم:

أي عند تمام الوقت وعندما يجيء ملء الزمان... فاليوم المقصود هنا هو يوم ظهور مخلصنا الصالح غصن الرب ابن الله... ويوم استعلان بهاء مجده.

فيوم دخوله إلى العالم صار بهاء... ومجد الرب أضاء حول الرعاة البسطاء ومجد نجمه أضاء للمجوس الحكماء... ومجده أضاء عيني سمعان الشيخ فقال: "نور إعلان للأمم ومجدًا لشعبك إسرائيل"... وصار بهاء ومجدًا لكل الناجين المنتظرين فداء لإسرائيل.

وقد وصَفَهُ النبي أنه غصن الرب لأنه مولود من الآب قبل كل الدهور... وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.

+ بهاءً ومجدًا وثمر الأرض فخرًا وزينة:

وعندما أخذ جسدنا وحمل طبيعتنا دُعيَ أيضًا ابن الإنسان فصار محسوبًا كثمر الأرض فهو غصن الرب وهو ثمر الأرض فهو بهاء ومجد القديسين وفخر وزينة النفوس التي ارتبطت به واتحدت بجسده... هنا أيضًا طبيعتنا بالمسيح تثمر ثمرًا للحياة الأبدية.

+ غصن الرب:

إن كلمة ناصرة[١] معناها "غصن" فالرب يسوع دُعيَ ناصريًا إشارة إلى كونه غصن الرب... وهو أصل وذرية داود... وهو الكرمة الحقيقية والكنيسة كلها أغصان

---

[١] **تعليق:** كلمة النصارى تطلق على أقباط مصر كنوع من التحقير ولكن في ذات الوقت بدون دراية من العالم هى دليل على بنوتنا لله واتحادنا بالناصري غصن الرب.

فيه "كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر يقطع وكل ما يأتي بثمر ينقية ليأتي بثمر أكثر" لذلك كل من يتحد بالمسيح يُدعى أيضًا ناصريًا أي غصنًا... وليس غصنًا في زيتونة البشرية البرية ولكن مطعمًا في غصن الرب يسوع المسيح الكرمة الحقيقية...

٣. "ويكونُ أنّ الذي يبقى في صهيون والذي يُترَك في أورشليم، يُسمى قُدُّوسًا. كل مَن كُتِبَ للحياة في أورشليم".

قال الرب للتلاميذ: افرحوا بالحري أن أسماءكم مكتوبة في سفر الحياة في أورشليم العليا التي هى أمنا جميعًا (غل٤) ... وكل من كتب اسمه للحياة في أورشليم السمائية يسمى قدوسًا. لأن المدينة لا يدخلها شيء نجس أو دنس ولا كل من يصنع كذبًا وهؤلاء أيضًا قيل عنهم أنهم غسلوا ثيابهم وبيضوها في دم الخروف... وأيضًا أنهم لم يتنجسوا مع النساء فالقداسة هى سمة أولاد الله... وبدونها لن يرى أحد الرب.

وكل من كتب اسمه للحياة في الكنيسة يسمى قديسًا... فالمعمودية والميرون غسل وتقديس "اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم بِاسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (١كو ٦: ١١).

فنحن كأعضاء في جسد الرب القدوس وممسوحين بروح القداسة لنا وصية من فم الرب "نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم قديسين في كل سيرة".

٤. إذا غَسَل السيد قَذَرَ بنات صهيون، ونقَّى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الإحراق".

وهنا يكشف الرب بجلاء ووضوح منقطعي النظير عن عمل الخلاص والتقديس لكي يستحق الإنسان البقاء بأورشليم ويكتب اسمه في سفر الحياة.

فالرب مُزمع أن يغسل قذر بنت صهيون ... يفسر حزقيال النبي بإيضاح قصة غسيل أورشليم وكيف دخل الرب مع النفس في عهد فصارت له (حز١٦).

فالغسيل بالماء هو المعمودية المقدسة... لا لإزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح ... وهى غسل قذر النفس ودفن الإنسان العتيق. وهو قد غسلنا بدمه من

خطايانا ... وجرى من جنبه على الصليب ماء غسيل خطايانا ودم تطهير ونقاوة.

تأمل أيضًا كيف غسل الرب أرجل التلاميذ بعد العشاء مؤكدًا الاحتياج الدائم إلى التوبة التي هى غسل الأرجل للذين اغتسلوا بالمعمودية.

فالغسيل عملية مستمرة في حياة أولاد الله... اغسلني كثيرًا من إثمي.

+ نقي دم أورشليم من وسطها:

أورشليم تلوثت بالدم في وسطها ... ظلم وقتل ... لهذا وقف الرب يسوع قبالها باكيًا وقائلاً لها: "يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء"... وقد نقى الرب أورشليم من الدم عندما سفك دمه خلاصًا وغفرانًا ... وأحضر كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ولا شيء مثل ذلك بل مقدسة في كل شيء.

+ بروح القضاء وروح الإحراق:

ترى ما هو روح القضاء الذي صار به تبريرًا وفداء وغسل لقذر خطايا صهيون؟

أليس هو دينونة الخطية بصليب ربنا يسوع الذي دان الخطية بالجسد... ألم يكن الإنسان واقعًا تحت حكم الموت بقضاء العدل الإلهي فقبل الرب أن يموت عن الجميع بل ويذوق الموت من أجل كل واحد ويشفع في المذنبين ... ألم يوف مطالب العدل الإلهي ... إذ وضع الرب عليه إثم جميعنا ووقف في الحكم كمذنب واحتمل الآلام كفاعل شر ... وهكذا محا الصك الذي علينا الذي كان ضدًا لنا وقد رفعه مسمرًا إياه بالصليب.

أما روح الاحتراق فهذا تفسيره الذبائح التي كانت تحرق أجسامها خارج الباب... بعد أن توضع عليها خطايا الشعب فيتطهر ضميرهم ولكنها لم تكن تقدس إلى التمام لأن دم تيوس لا يطهر الخطايا.

وقد جاز الرب عنا هذه المعصرة فلنخرج إليه حاملين عاره.

وقد يكون أيضًا روح الاحراق هو روح يوم الخمسين الناري الذي أحرق أشواك طبيعتنا وأضرم نار الحب الإلهي فينا.

٥. "يخلُق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى مَحْفَلها سحابةً نهارًا، ودُخانًا ولمعان نار مُلتهبةٍ ليلاً، لأن على كل مجدٍ غِطاءً".

ماذا بعد التطهير والتقديس ودينونة الخطية بروح القضاء "روح الصليب" وروح الاحتراق "روح يوم الخمسين" ... ماذا بعدما غسل الرب خطايا كنيسته وأحضرها كنيسة مجيدة لا دنس فيها، ونقى دمها بسفك دمه الزكي ... لابد بعد ذلك من حضور دائم للمسيح المبارك في وسط كنيسته التي هى جسده وهذا الحضور يعبر عنه بوجود سحابة نهارًا ودخان ولمعان نار ملتهبة ليلاً وهذا معناه:

١. حضور إلهي مستمر في الكنيسة لأن اسمه عمانوئيل = الله معنا. وهذا الحضور لا يحده مكان إذ يقال "على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها..." ومحفلها يشير إلى اجتماعات الكنيسة في كل زمان وكل مكان لأن الرب نفسه قال حيثما اجتمع اثنين أو ثلاثة باسمي هناك أكون في وسطهم.

٢. السحابة نهارًا وعمود النار ليلاً كانا في أيام خروج بني إسرائيل من أرض مصر لكي **يمشوا نهارًا وليلاً** وهذا يعني الحركة الدائمة نحو السماء والجهاد الذي لا يتوقف في السعي نحو الجعالة العليا.

٣. إن كلمة "يخلق الرب... سحابة ودخانًا... الخ" تشير إلى الفارق بين السحابة والدخان وهذه الأمور في القديم وبينهما في الجديد... إذ أن الأشياء العتيقة قد مضت وأن الكل قد صار جديدًا فهذه الأمور كلها روحيًا وهى متناسبة مع الخليقة الجديدة والإنسان الجديد وهى ليست أمورًا مادية مرئية بل روحية تدرك بإنساننا الجديد.

٤. أما قول الرب "لأن على كل مجد غطاء" فهذا يشير إلى أن مجد الكنيسة مجد مخفي... مجد سرائري لا يدركه أحد طالما البرقع موضوع... أما نحن فناظرون إلى الرب بوجه مكشوف... إن خيمة الاجتماع كان غطاؤها من جلود ماعز وتخس إشارة إلى غطاء المجد في الكنيسة في الأسرار.

+ مجد الكنيسة مخفي داخل غطاء الآلام وحمل الصليب كل يوم.

+ غطاء مجد الكنيسة هو ظل جناحي الله لأنه هو يظلل عليها ويستر

مجدها فيه.

+ تأمل كيف كان غطاء مجد الله في سر التجسد وهو في بطن العذراء القديسة والدة الإله... وهى أيضًا تحمله على ذراعيها وترضعه من لبن ثديها وتهرب به إلى مصر... إن أيام تجسد إلهنا امتلأت من غطاء المجد في غموض لذيذ صار سببًا في عباداتنا السرية العميقة وأوضحت لنا طريق الاتحاد بالله.

٦. وتكون مِظلَّةٌ للفيء نهارًا من الحرِّ، ولملجأ ولمخبأ من السَّيل ومن المَطر".

هذه هى الكنيسة وسط العالم بالنسبة لأولاد الله.

- مظلة.
- ملجأ ومخبأ.

ومخاطر العالم: ١- حر النهار. ٢- السيل والمطر.

- فالكنيسة في شكلها الرمزي القديم كانت عبارة عن خيمة في وسط صحراء وبرية قاحلة تمامًا... يتمنى المسافر في برية هذا العالم أن يدخل تحت سقفها هربًا من حر النهار القاتل... وظل الكنيسة هو ظل المسيح نفسه ونيره الخفيف الحلو... حيث تهرب النفس لتجد راحتها وحياتها مستترة مع المسيح في الله وهى تصرخ وتقول: "ثقل النهار وحره لم أحتمل من أجل ضعف بشريتي" [١].

+ إن بطرس الرسول اشتهى أن تكون ثلاث مظال على جبل التجلي من فرط لذته التي أثقلت حواسه برؤية مجد الرب وصحبة القديسين وتنازل الرب فظلَّله بسحابة نيرة ... فالكنيسة سحابة تظلل ولكن بدون ظلمة ... وتحمي من شمس العالم ولكنها في نهار دائم بسبب شمس البر يسوع المسيح.

---

[١] من صلاة الغروب.

⌖ ملجأ ومخبأ:

+ قال الرب: من يقبل إليَّ لا أخرجه خارجًا، ومكتوب أيضًا: شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني... إن الرب يخبئ كنيسته في حضنه ويجمع أولادها كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها.

+ والملجأ أيضًا هو المدينة التي كان يهرب إليها القاتل سهوًا فيعيش ولا يُطلب منه دم القتيل... والكنيسة أيضًا هى الملجأ الذي يهرب إليه الخاطئ فيحيا في اطمئنان بعيدًا عن الغضب الإلهي وحرًا من الدينونة والعقاب بالمسيح يسوع.

+ الكنيسة علمتنا أن نردد اسم الرب يسوع لأنه هو ملجأنا "اسم الرب برج حصين".

+ حقًا قال الرب عن الكنيسة "هلُمَّ يا شعبي ادخُل مخادعك، وأغلق أبوابك، واختبئ نحو لحيظة حتى يَعبُر الغضب". لأن الكنيسة هى ملجأنا ومخبأنا لأننا في داخلها ندخل إلى أحضان الله ونختبئ في صخر الدهور.

أما أخطار هذا العالم فهي:

أولاً: حر النهار: وهو ما قاله داود النبي في المزمور "الرب يظلل على يديك اليمنى فلا تحرقك الشمس بالنهار"... وعروس النشيد أيضًا تصرخ قائلة: "شمس التجارب قد لوّحتني" أنا سوداء...

وحر النهار عندما يصعد على الإنسان العالمي يحرق مجده وغناه مثل العشب كما يقول الرسول يعقوب.

ولكن إن احتمت النفس بالمسيح داخل الكنيسة فإنه يظلل عليها فلا تحرقها الشمس بالنهار ولا القمر بالليل.

فداخل الكنيسة شيء "ظل وفيء وراحة وسعادة" وخارجها شيء آخر "حر ويبوسة وهلاك".

ثانيًا: السيل والمطر: إن ما يهدد الإنسان السائر في العالم من مخاطر

ليس فقط حر النهار ويبوسة القيظ بل أيضًا الأمطار والسيول... والكنيسة في هذه الحالة هى فلك نوح.... المكان الوحيد للخلاص من الدينونة... إذ لا خلاص خارج الفلك... لأن خارجًا سيول العالم الجارفة وتيارات ولجج الخطية المهلكة... الكنيسة يدخلها المختارون ويغلق عليهم الرب بيده فلا تجوز إليهم مياه العالم.

الأصحاح الخامس

١. "لأُنشِدَنَّ عن حبيبي نشيد مُحبِّي لكَرْمِهِ: كان لحبيبي كَرْمٌ على أكَمَةٍ خَصِبةٍ".

النشيد هو ما يكتب شعرًا للترنم به. والكتاب المقدس ملء بالأناشيد الروحية بل أن سفرًا بجملته يحمل اسم نشيد الأناشيد.

فالشعب الخارج من أرض مصر رنّم نشيد الخلاص بالدف مع موسى ومريم أخت هارون والنسوة حولهما يغنين.

ودبورة أيضًا أنشدت نشيد الانتصار عندما سقط سيسرا في يدها، وهكذا أيضًا داود النبي مرنم إسرائيل، وحبقوق النبي، وفي كل هذه كان الشعب من ناحيته يترنم ويسبح الرب.

أما هذا النشيد فهو مقدم من الحبيب ربنا يسوع المسيح الذي أحب كنيسته (كرمه) وهى بعد كامنة في الظلال.

ومختبئة وراء الرموز... نشيد الحبيب الذي أحبنا فضلاً وأحب إلى المنتهى... وأحب الخطاة وبذل نفسه فداء عنا نشيد محبوبي لكرمه.

هو إذًا نشيد حب المسيح المبارك ينشده إشعياء وكما تغنت عروس النشيد بحب حبيبها ينطق إشعياء نشيد الحبيب للكرمة المشتهاة.. ومحبة ربنا لكنيسته لا تعرف الحساب فهى تعطي إلى المنتهى وكلما أعطت تمجدت بالأكثر إذ ليس لأحد حب أعظم من هذا.

كان لحبيبي كَرْمٌ على أكَمَةٍ خَصِبةٍ.

هى إذًا قصة محبة قديمة مكتوبة في الأسفار الإلهية ومحفوظة في قلب إلهنا وإن كان الشعب قد نسى أو تناسى هذا الحب أو ابتعد بالقلب وراء آخر "إن قسم الرب هو شعبه... وجده في أرض قفر، وفي خلاء مستوحش خرب ... أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه" (تث ٣٢: ٩-١٠). فالرب الحبيب أخرج هذا الكرم من أرض العبودية بذراعه القوية من أرض القفر الروحي (مصر) ومن الخلاء المستوحش

الخرب (البرية) وأتى به إلى أكمة خصبة أرض كنعان. أرض تفيض لبنًا وعسلاً. أرض يعتني بها الرب الإله ويسقيها بمطر النعمة النازلة من فوق[١] "كرمة من مصر نقلت. طردت أممًا وغرستها. هيأت قدامها فأصلت أصولها فملأت الأرض" (مز ٨٠: ٨، ٩).

أكمة خصبة (مكان مرتفع خصب): فالرب رفع شعبه وحملهم على أجنحة النسور[٢] وهيأ لهم خصبًا ودسمًا في كل شيء "في مراع خضر يربضني"... أطعمهم المن النازل من السماء وأعطاهم الشريعة كغذاء روحي "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"... "وجدت كلامك فأكلته".

ولكن نسى الشعب الأمور التي أبصرت عيناه ووُجد على أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء مضطجعًا في زناه متكلاً على ذاته. فتحول الارتفاع إلى كبرياء واستخدم عطايا الرب السخية في شهوات نفسه الباطلة.

٢. "فَنَقَبه ونقَّى حجارته وغرسهُ كرم سورق، وبنى بُرجًا في وسطه، ونَقَرَ فيه أيضًا معصرةً، فانتظر أن يصنع عنبًا فصنع عنبًا رديئًا".

التنقيب: "هو التفليح بنزع الشوك والحسك والأعشاب الغريبة".

+ قال الرب عن الشوك أنه: "هموم هذا العالم وغرور الغنى" (مر ٤: ١٩). والرب نزع هذا الشوك من حياة شعبه فهو بنفسه عالهم أربعين سنة بالمن من السماء وبالماء من الصخرة ولم يعوزهم شيء[٣]... ثيابهم لم تبل[٤] ونعالهم لم تتهرأ... والرب دائمًا يجنب كنيسته المحبوبة هذا السهم وينقيها من هذا الشوك "لا تهتموا بالغد"، "لا تهتموا بما تأكلون أو للجسد بما تلبسون"، "لأن اهتمام الجسد هو موت".

---

[١] تث ٣٢: ١.

[٢] مز ١٩: ٤.

[٣] تث ٢: ٧.

[٤] تث ٨: ٤.

+ والشوك أيضًا هو ثمرة الخطية "شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض" والرب الحبيب نقب هذا الشوك ونزعه عن كرمه المحبوبة... لقد غرس الشوك في جبين مخلصنا بالكلية.. وأخيرًا كسر شوكة الموت بقيامته "أين شوكتك يا موت".

+ والشوك والزوان أيضًا هم أولاد العالم ... زرع الإنسان العدو... والرب نزعهم من وسط الأرض وأحرقهم أمام شعبه.

"فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك نارًا آكلة. هو يُبيدُهم ويُذلُّهم أمامك" (تث ٩: ٣).

فبقوته الإلهية أهلك سيحون ملك الأموريين وعوج ملك باشان وكل الشعوب المعتبرة مخيفة ومؤذية كالشوك.

نقى حجارته:

+ أشار السيد الرب إلى الأرض الحجرية أنه ليس لها عمق أصل... سطحية، فالرب قال للشعب على فم حزقيال النبي: "أنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم" (حز ١١: ١٩).

+ والجيل الأول الخارج من مصر المعتبرون كحجارة من أجل قساوة قلوبهم وصلابة رقابهم... أماتهم الرب قبل أن يدخلوا كنعان.

+ لقد تمت فينا هذه المواعيد العظمى والثمينة إذ أكملها لنا الرب بتجسده فنقى حجارتنا... "أنتم أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به" وكسر شوكة الموت عنا.

وغرسه كرم سورق.

إن هذا النوع أفضل الكرم... فزرع الرب هو الزرع الجيد دائمًا.

والرب بفم إرميا يتعجب قائلاً: "أنا قد غرستك كرمة سورق، **زرع حق كلها**. فكيف تحوَّلت لي سروغ جفنة (كرمة) غريبة؟" (إر ٢: ٢١).

أليس كل شجرة تثمر ثمرًا كجنسها... ومن الشجرة تعرف الثمرة.

فالكرم المغروس هو زرع الحق نسل إبراهيم أب الآباء وأب الإيمان.

وذرية إسحق المولود بالوعد الذي فيه تتبارك جميع قبائل الأرض فكيف تحولت هذه الشجرة وأبدلت ثمرتها بثمرة غريبة ردية؟

وبنى برجًا في وسطه.

البرج هو خيمة الاجتماع وهو الهيكل.

+ وجود دائم لله في وسط الكرم "الله في وسطها فلن تتزعزع".

+ حراسة دائمة للكرم من الثعالب المفسدة.

+ رؤية للمستقبل البعيد بأنبياء في وسط الشعب بروح النبوة والإعلان.

+ دفاع دائم ضد هجمات الناس "قفوا وانظروا خلاص الرب"، "الرب يحارب عنكم وأنتم تصمتون".

ونقر فيه أيضًا معصرة.

جعل في الشعب تذكارًا دائمًا للذبيحة الإلهية وهيأه ذهنيًا لقبولها معصرة الذبائح الدموية التي أمر الرب بها... ذبيحة عن الخطية وذبيحة عن الإثم وأخرى للمحرقة والشكر... وهكذا. لعل كثرة الذبائح تثمر ثمرًا للتوبة وتنشئ تطهيرًا ونقاوة للضمير ورجاء للغفران الإلهي بالدم الذكي.

فانتظر أن يصنع عنبًا فصنع عنبًا رديئًا.

ينتظر الرب من أولاده ثمرًا "اصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة"... كل شجرة لا تصنع ثمرًا تقطع وتلقى في النار... ولكن يتأنى وينتظر ولا يتعجل الثمار... ويستجيب لقول القائل: "أتركها هذه السنة أيضًا" لعلها تكون فرصة للتوبة واستبقاء الحياة فالرب لا يشاء موت الخاطئ مثلما يرجع وتحيا نفسه.

على هذا النحو كانت أناة ربنا تنتظر في أيام نوح... وهكذا أيضًا انتظر الرب ثمرًا من هذا الشعب أجيالاً كثيرة ولكنه سنة بعد سنة وجيلاً بعد جيل صنع **عنبًا رديًا** "لا يصلح بعد لشيء" مرارة تحت شفاههم "حنجرتهم قبر" وعندما يتراءى في الشعب أمام الله ويقدم هذا الثمر الرديء يقول الرب صاحب الكرم: "بدم عجول وخرفان

وتيوس ما أُسرُّ... لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي... لست أُطيق الإثم والاعتكاف. حين تبسطون أيديكم أستر عينيَّ عنكم... أيديكم ملآنةٌ دمًا" (إش ١: ١١-١٥).

٣. "والآن يا سُكَّان أورشليم ورجال يهوذا، احكمُوا بيني وبين كَرْمي".

ربنا عجيب في كل شيء... حتى في عتابه مع شعبه وحكمه ودينونته لكرمه، فالرب طرح المثل أمام الشعب وعرفهم قصة حبه لكرمه وتعبه معه وكيف أثمر الكرم عنبًا رديًا والآن طلب الرب من الشعب أن يحكموا بأنفسهم على هذا الكرم أو بالحري يحكموا على أنفسهم.

وطريقة إلهنا أن يجعل النفس تكتشف خطيئتها ثم تحكم على نفسها فإن رجعت عن شرها خلصت وإن هى ظلت في بعدها هلكت.

+ هذا ما فعله الرب مع داود حين أخطأ خطيته. أرسل إليه الرب ناثان النبي وطرح أمامه مثل الرجل الغني الذي اغتصب غنمة الرجل الفقير... وحكم داود لنفسه هكذا. إن الرجل الذي فعل هذا موتًا يموت فقال له ناثان: أنت هو الرجل.

+ وهذا ما فعله الرب مع رؤساء الكهنة حين خاطبهم بمثل الكرامين الأردياء سألهم ماذا يفعل صاحب الكرم فهم قالوا: يأتي ويهلك الكرامين ويعطي الكرم لآخرين فقال لهم الرب: ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تصنع ثمرًا.

والآن بماذا يحكم رجال يهوذا في هذا المثل؟ وأي دينونة يستحقها هذا الكرم؟ وهم حين يحكموا... يحكموا على أنفسهم.

ولكن لا يغيب عن ذهننا أبدًا أن الرب ما طرح هذا المثل أمام الشعب إلا ليرجعوا عن طريقهم الردية ويرجعوا إلى الرب بالتوبة فيخلصوا من الدينونة العتيدة.

٤. "ماذا يُصنع أيضًا لكَرمي وأنا لم أصنعه له؟

لمـــــــــــــاذا إذ انتظـــــــــــــــرتُ أن يَصـــــــــــــــنع عنبًا، صنع عِنبًا رديئًا؟".

هنا تقف النفس عاجزة عن الكلام... لأن كل فم يستد!

فالرب في أعماله سخي وسخاؤه مُطلق... وليس بكيل يعطي الله الروح... ومحب ومحبته بلا حدود... ماذا يصنع أيضًا لهذا الكرم؟

والإنسان في الدينونة لا يستطيع أن ينسب لإلهنا تقصيرًا أو عجزًا ولكن العجز كله والتقصير كله واقع على عاتق الإنسان... فالرب لم يؤخر شيئًا ولم يستصعب صعبًا. من أجل خلاصنا. بل قد أحب إلى المنتهى وبذل إلى المنتهى. ولا يوجد ما يصنعه أكثر بعد أن بذل ابنه حبيبه عنا وبقى على النفس أن تتمتع وأن تثبت بل وأن تثمر... بالحقيقة لقد صنع الرب معنا أكثر مما نسأل أو نفهم.

لماذا إذ انتظرتُ أن يَصنع عنبًا، صنع عِنبًا رديئًا؟

+ هل من جواب على هذا السؤال؟ إننا لا نجد جوابًا إلا في ضمير الإنسان الذي يفحص ذاته ويعرف ضعفه... إن علة عدم الثمر ووجود ثمر رديء يعرفها الإنسان نفسه... قد يبرر الإنسان نفسه أمام الناس... ولكنه الآن أمام فاحص القلوب ومختبر الكلى... إذًا لماذا لم تثمر للحياة الأبدية؟ رغم إمكانيات النعمة وسخاء الروح القدس؟

وهذا السؤال يعطي فكرة عن الدينونة الأخيرة... قد لا تختلف كثيرًا عن هذا الموقف على أننا ندرك الآن أن هذا الكرم المثمر ثمرًا رديًا قد خيب أمل ربنا وخالف مشيئته... كم انتظر الرب منه ثمرًا... وكم تمنى لو أثمر ثمرًا مفرحًا تمامًا كالابن الفاشل يصير حزنًا لأبيه لأنه يخيب ظنه، كم تمنى الآب أن يكون ابنه ناجحًا ومثمرًا ولكنه في فشله يدعو إلى الأسف فالآن أعرفكم ماذا يصنع بكرمي.

لو حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا... لو أن الشعب المسكين انتبه إلى صوت الرب وإنذاراته، والتفت إلى كلمة الحياة وتحركوا بالتوبة ورجعوا كل واحد عن طريقه

الردية وعن الشر الذي في أيديهم وبكوا ولبسوا مسوح التوبة وتذللوا في الرماد، لارتفع قضاء الرب وارتد غضبه وندم الرب عن الشر كما فعل مع أهل نينوى ولكنهم إذ لم يحكموا على أنفسهم سمعوا القضاء من فم الرب القائل أعرفكم ماذا يصنع بكرمي.

٥. "فالآن أُعرِّفكُم ماذا أصنع بكَرمي: أنزعُ سياجَهُ فيصير للرَّعْي. أهدم جُدرانَهُ فيَصيرُ للدَّوس".

لقد اشتكى الشيطان قديمًا على أيوب البار قائلاً للرب: "أليس أنك سيَّجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية؟" (أي ١: ١٠).

وقيل أيضًا: يعسكر ملاك الرب حول كل خائفيه وينجيهم.

وعروس النشيد تترنم هكذا "شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني".

آه ماذا لو نزع الرب هذا السياج؟

تأمل كيف صار حال أورشليم محزنًا يدعو إلى الرثاء عندما صارت أسوارها مهدمة وأبوابها محروقة بالنار حينما نزع الرب سياجها دخلها نبوخذ نصر وسبى أولادها عندما تتخلى العناية عن النفس ترى ماذا يكون حالها.

+ تصير النفس مفتوحة على العالم يدخل ويخرج ويرعى قطعان خنازيره داخل النفس بعد أن كانت مصونة.

+ قال الرب تكون أورشليم مدوسة من الإثم... إشارة إلى النجاسة بعد هدم جدران القداسة وحماية نعمة الله.

٦. "وأجعَلُهُ خرابًا لا يُقضَبُ ولا يُنقَبُ، فيَطلَعُ شَوكٌ وحَسَكٌ. وأوصي الغَيم أن لا يُمْطِرَ عليه مطرًا".

قال الرب لأورشليم الرافضة عريسها والمحتقرة حبيبها... وهو باكٍ عليها "هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا" المخرب هو الشيطان إذا ما كنست النفس له بيتها وزينته يأخذ سبعة أرواح أُخر أشر منه، ويأتي ويسكن فتصير أواخر الإنسان أشرَّ من أوائله...

وعمل الخطية في النفس هو الفساد... لذلك قيل خذوا لنا الثعالب الصغيرة

المفسدة للكروم...

لا يقضب: كل ما يأتي بثمر ينقيه... هكذا تمتد يد النعمة لنزع كل حوات النفس لتأتي بثمر أكثر... ولكن إن صارت النفس بلا عناية وبلا تأديب تسقط فريسة في يد المهلك فتصير خرابًا.

ولا ينقب: التنقيب هو فحص النفس وهو من صميم عمل الروح القدس الذي يبكت على خطية وعلى بر وعلى دينونة.

هكذا إذ تصير النفس مبهورة من كل عمل للنعمة في الخارج "لا يقضب" وفي الداخل "لا ينقب" فيعمل فيها المخرب بفساد الخطية وثعالب الهلاك.

فيطلع شوكٌ وحسكٌ.

هذا الكرم الذي لم يثمر ثمرًا صالحًا لابد أن يثمر للخطية وللعالم شوكًا وحسكًا الذين رفضوا الرب ملكًا عليهم صاروا عبيدًا للذين يطيعونه... استعبدوا أنفسهم للشهوات ولرئيس هذا العالم، وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق. رفضوا التنقيب فطلع شوك وحسك خنق الكلمة فصارت بلا ثمر.

وأوصي الغَيم أن لا يُمْطِرَ عليه مطرًا.

إن قول الرب: "أوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطرًا"... يعيد إلى ذهننا أيام إيليا النبي وآخاب ملك إسرائيل... كيف كان زمان آخاب مظلمًا ومملوء شرًا ومعاصي إيزابيل الرديئة أزاغت قلوب شعب الله حتى قال الرب بفم إيليا: لا يكون ظل ولا مطر... فلم تمطر السماء على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر... حتى صار قحط شديد في كل مكان وذبلت كل نفس... ويبست من العطش كل قوة قادت الشعب إلى حافة الهلاك.

فإن كان الحال هكذا مع الحياة الزمنية والماء الأرضي... فكم يكون الحال محزنًا وأليمًا إذا امتنع مطر النعمة وتوقف سكب الروح القدس الذي هو ماء الحياة الأبدية.

لقد تذمر الشعب قديمًا على موسى في البرية عندما لم يكن ماء للشرب فصرخوا

قائلين: لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. فإذا كان أصعب ما تصادفه النفس جسديًا هو العطش... فإن أقسى اختبار روحي تجوزه النفس هو حرمانها من النعمة ويبوستها الداخلية.

٧. "إنَّ كَرْم رب الجُنود هو بيت إسرائيل، وغَرس لذَّته رجال يهوذا. فانتظر حقًا فإذا سَفكُ دم، وعدلاً فإذا صُراخٌ".

كلمة الرب بسيطة في طبيعتها واضحة في مدلولاتها... ولكن عندما تتورط النفس في حمأة الخطية تظلم بصيرتها وتنفذ قدرتها على فهم الكلمة وعلى استيعاب معانيها فيتوسط الرب بمثل يكلم به النفس ثم يتنازل فيفسر المثل أيضًا.

وهذا ما أعلنه الرب للرسل الأطهار عندما طلبوا إليه أن يفسر لهم مثل الزارع فقال لهم: "لكم قد أعطى أن تعرفوا أسرار ملكوت الله، وأما للباقين فبأمثال، حتى إنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يفهمون" (لو ٨: ١٠). وهنا نتأكد أن شعب إسرائيل ورجال يهوذا قد أمسكت أعينهم تمامًا عن النظر وثقلت آذانهم عن السمع بسبب كثرة تعدياتهم.

لهذا ابتدأ الرب بالتفسير قائلاً: إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذاته رجال يهوذا... وأسلوب ربنا في التفسير هو بمثابة تجديد الدعوة للتوبة كمن يضع أمام النفس فرصة أخرى لعله يستميلها ويجتذبها بربط المحبة والرب يقول لبيت إسرائيل أنتم كرمي ولرجال يهوذا أنتم غرس لذتي.

فانتظر حقًا فإذا سَفكُ دم، وعدلاً فإذا صُراخٌ.

أن الثمر الشهي في نظر إلهنا هو الحق والعدل في حياة شعب الله وهذا ما يتناسب وطبيعة إلهنا الحق المطلق والصلاح المطلق... وهو مطلوب من أبناء الله الذي قال عنهم "ربيت بنين ونشأتهم".

ولكن الواقع المحزن هو ثمر الخطية المُر... سفك دم وصراخ وهنا نرى بُعد لا نهائي بين ما هو إلهي وما هو بشري.

بين ما هو مطلوب وما هو موجود وهذا ما كشفه الروح القدس أخيرًا

لحل هذا اللغز والعجز البشري معًا... إذا أن ناموس الخطية كان عاملاً في الإنسان يسببه إلى الموت وثمر الموت... وتصارع الخير المطلوب والمشتهى مع الشر الحاضر أمام الطبيعة البشرية كواقع محزن واضطراري وثمر مملوء مرارة.

ولكن شكرًا لله أن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع أنقذنا من ناموس الخطية والموت.

إن الحق والعدل "الثمرة المطلوبة" هى ثمرة وجود الله في حياة الإنسان وليست ثمرة بشرية... لأن الطبيعة الساقطة لا تستطيع أن تثمر إلا ثمرًا كجنسها، وهذا يتحقق لنا باتحادنا بالمسيح فنثمر لله... الله هو العامل فيكم أما سفك الدم فهو الثمرة الأولى للخطية الأولى هو ثمر طبيعي للإنسان ما دام بعيدًا عن الله. أما ثمر الحياة الأبدية فهو أيضًا ثمر طبيعي لحياة الاتحاد بالله.

ويل للذين يَصِلون بيتًا ببيت: هنا استعرض النبي خطايا الشعب وثمرهم الرديء بأكثر تفصيل في سلسلة من الويلات وكشف عن عقاب الرب وما سيحل بهم وبسبب تركهم الرب واستهانتهم بقدوس إسرائيل.

٨. "ويلٌ للذين يَصِلون بيتًا ببيت، ويقرنونَ حقلاً بحقل، حتى لم يَبْقَ موضِعٌ. فصِرتُم تسكنون وحدكم في وسط الأرض".

١. ثمرة ملكوت الله.

لقد أخرج الرب هذا الشعب من مصر أرض العبودية وغرسه في أرض كنعان. أرض الميعاد رمز الكنيسة العتيدة وأورشليم السمائية والميراث الأبدي... وانتظر الرب أن يثمر الشعب في أرضه الجديدة ثمرًا يحقق التدبير الإلهي ويجذب البعيدين عن رعوية إسرائيل الأمم الذين بلا إلة ولكن للأسف خاب الشعب في أن يحقق القصد الإلهي أو أن يثمر لحساب ملكوت الله بل على العكس صنع عنبًا رديًا.

قال الرب: " لا تشتهِ بيت قريبك" (خر ٢٠: ١٧).

وانتظر الرب أن يرى ثمرة الوصية في شعبه فوجدهم يصلون بيتًا ببيت، وقال أيضًا: "تحب قريبك كنفسك".

وانتظر أن يرى ثمرة الوصية فوجدهم يسكنون وحدهم في وسط الأرض.

ينتظر الرب أن يكونوا نواة الملكوت الأبدي والحياة مع الله في ظل وصاياه فيهتموا بما فوق لا بما على الأرض... ويطلبون ملكوت الله وبره. ولكننا نرى مرارة حب الملكية الأرضية والطمع وعدم محبة القريب. ظلت هذه الثمرة الأرضية في حياة الشعب حتى ظهر ربنا يسوع في الجسد إذ وجدهم منشغلين بالملكوت الأرضي حتى تمثلوا المخلّص نفسه ملكًا أرضيًا... ولكن شكرًا لله لأنه عندما فشلت الكرمة القديمة أن تثمر لله أرسل الله ابنه مولودًا من العذراء – وكغصن الكرمة وأصلها الجديد وكابن الإنسان أثمر ما عجزت عنه الطبيعة البشرية كلها.

فما من قول أو تعليم للرب يسوع عن الملكوت الأرضي ولكن كل تعاليم الرب وأعماله انصبت على ملكوته السماوي فهو ملك حقيقي من المزود إلى أن ملك على خشبة الصليب ولكن مملكته ليست من هذا العالم وقد جعل هذه الثمرة الإلهية لحساب طبيعتنا حتى قال بفمه الطاهر ها ملكوت الله داخلكم.

٩. "في أُذُنَيَّ قال ربُّ الجنود: ألا إنَّ بيوتًا كثيرة تصير خرابًا. بيوتًا كبيرة وحَسَنةً بلا سَاكن".

تأمل ما قاله الرب بفم إيليا النبي لآخاب عندما اغتصب حقل نابوت اليزرعيلي. "هكذا قال الرب هل قتلت وورثت أيضًا؟... ثم كلّمه قائلاً: هكذا قال الرب: في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضًا... هأنذا أجلب عليك شرًا، وأبيد نسلك، وأقطع لآخاب كل بائل بحائط ومحجوز ومُطلَق في إسرائيل (١ مل ٢١: ١٩-٢١).

وقد تم كلام الرب فقد قتل ياهو كل بيت آخاب وجميع الذين بقوا له في السامرة حتى أفناه الرب حسب كلام الرب الذي كلم به إيليا أن هذه البيوت لم تبق على عمق الحق أو على أساس صخر الدهور ولكنها بنيت على رمال الحياة السطحية والأطماع البشرية فلابد أن تسقط ويكون سقوطها عظيمًا حسب قول الرب الإله.

١٠. "لأن عشرةَ فدادين كَرم تَصنع بَثًا واحدًا، وحومر بذار يصنع إيفة".

البث: مكيال للسوائل = ٢٧,٥ كيلو جرام.

الحومر: مكيال للحبوب = ٢٨٣,٥ كيلو جرام.

الأيفة = $\frac{١}{١٠}$ الحومر.

ففدان الكرم يصنع ٢,٧٥ كيلو حُمر ومحصول البذار $\frac{١}{١٠}$ قيمة البذور. هذه دينونة وقعة على البيوت والحقول، فالبيوت تصير خربة وبلا ساكن والأرض لا تعطي ثمرها ولا قوتها للذين فلحت من أجلهم. لقد نضح الإنسان بخطاياه حتى على البيوت والحقول وصارت بصمات اللعنة على الأرض. أليس هذا هو كلام الرب نعم عبده موسى قبل أن يدخل أرض كنعان. إن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم فأحطم فخار عزكم... وأرضكم لا تعطي تملقها وأشجار الأرض لا تعطي أثمارها.

١١. "ويلٌ للمُبكِّرين صباحًا يتْبَعونَ المُسْكِر، للمتأخِّرين في العتمَة تُلهبُهم الخَمر.

١٢. وصار العود والرَّبابُ والدُّف والنَّاي والخَمر ولائِمَهُم، وإلى فعل الرب لا ينظرون، وعمَل يدَيه لا يرونَ".

٢. ثمرة الفرح الروحي.

إن الثمرة الأولى للحياة في ملكوت الله ولعمل روحه القدوس في وسط شعبه هى الفرح الروحي لأن ثمر الروح هو "محبة – فرح – سلام" وهذا الفرح يرتكز على أساسات إيمانية مبهجة للنفس وهى كما يقول إشعياء فعل الرب وعمل يديه ولكنهم لا ينظرون ولا يرون ولكن ما هو فعل الرب وعمل يديه بالنسبة لهذا الشعب؟

ألم يخرجهم من أرض العبودية القاسية وكور الحديد ثم أعالهم في البرية المقفرة بالماء الحي من الصخرة والمن النازل من السماء إلى أن أوصلهم إلى أرض كنعان... وكم كرر الرب إحساناته أمام عيون الشعب ليدوموا في حياة الفرح بتذكارات ووصايا وأعياد وطقوس مملوءة فرحًا مبهجة وباعثة للسرور.

وانتظر الرب ثمر هذا الفرح في الشعب في أجياله كشهادة لعمل الله وقوة

للخلاص بذراع الرب ويده الممدودة.

ولكن ما أن دخل الشعب إلى أرض الموعد حتى تحولت أفراحهم إلى فجور ونشوتهم إلى سكر بالخمر الذي فيه الخلاعة وأبدلوا الثمر الحلو إلى أصل مرارة وصارت ثمارهم شاهدة على بعدهم عن مصدر الفرح الحقيقي. وبدل أن يفرحوا بالرب ويغنوا بتسبيحه ويسكروا من خمر حية انحطوا في المسرات العالمية المفسدة واستخدموا آلات التسبيح وإمكانيات النعمة "العود – الرباب – الدف – الناي" لكي يشبعوا شهواتهم ولكن بلا شبع.

وليس هكذا فقط بل رآهم إشعياء مبكرين صباحًا ومتأخرين في العتمة مترنحين في خمر نجاساتهم: أين كلام المزمور "يا الله إلهي إليك أبكر لأن نفسي عطشت إليك" أين كلام نشيد الأنشاد التي تطلب الخير الحقيقي في الليل تبحث عنه في كل مكان لتشبع بحبه.

١٣. "لذلك سُبيَ شَعبي لعَدَم المَعرفة، وتَصير شرفاؤه رجال جوع، وعامَّتُه يابسين من العَطش".

سبيَ شعبي:

+ قد يكون هذا إشارة إلى السبي الذي حدث بعد ذلك عندما هوجمت مملكة إسرائيل ثم مملكة يهوذا وسبيَ الجميع إلى بابل جزاء تركهم للرب واستهانتهم بإله يعقوب وانجرافهم وراء شهواتهم الردية وإثمارهم للخطية.

+ وقد يكون سبي الشعب في فخاخ الشياطين ورباطات الخطية وقيود الجسد وهذا أمر محزن لأن سبي النفس وعبوديتها مذلة لا تقاس بجانبها مذلة الجسد، وغربة النفس بعيدًا عن إلهها لا تكفيها ينابيع دموع كثيرة وعلة سبي الشعب هو الجهل وعدم المعرفة. فصار الشعب كمن يسلك في الظلمة وظلال الموت فلا يعرف أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه مثل أورشليم التي قال لها الرب لست تعلمين ما هو لخلاصك ولكنه قد أخفى عن عينيك. أليس بسبب عدم المعرفة كادت تهلك مدينة نينوى بأثرها إذ قيل عنهم لا يعرفون شمالهم من يمينهم - وكما قيل أيضًا عن الذين صلبوا الرب عن جهل وعدم معرفته بلاهوته "لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد"

لذلك صارت عدم المعرفة أصل كل انحراف وسبب كل ثمرة ردية في حياة هذا الشعب حتى صاروا رجال جوع وعطش ويابسين من النعمة لأن المتغرب عن حضن الآب يكون دائمًا أنا هنا أهلك جوعًا والذي يشرب من ماء مسرات العالم يعطش أيضًا أما الذي يقتني معرفة الله يفضل عنه الخبز وتجري من بطنه أنهار ماء حي.

١٤. "لذلك وسَّعت الهاوية نفسها، وفغَرت فاها بلا حدٍّ، فينزل بهاؤها وجمهورها وضجيجُها والمبتهج فيها!".

لقد رأى إشعياء النبي نهاية الباب الواسع الذي يسير فيه هذا الشعب والطريق الرحب الذي اختاروه دون الحياة مع إلههم وإتباعهم طرقه السفلى، فإذا الباب الواسع باب الهاوية ونهاية كل أمورهم منحدرة بلا حد إلى الهلاك.

أين البيوت الطينية التي انشغلوا بها. أين الحقول التي اشتروها. أين المبكرين صباحًا يبتاعون المسكر. أين الحفلات والولائم والابتهاج. كل هذه الأمور ستنزل بهم إلى الهاوية مثل الغني الذي مات ورفع عينيه وإذ هو في الهاوية، ومثل فضة سيمون الذي قال له الرسول: "ولتكن فضتك معك للهلاك"، ومثل ذلك الغني الغبي الذي قال له الرب اليوم تطلب نفسك منك فالذي أعددته لمن يكون؟ أليست هذه خبرة سليمان التي تركها للأجيال كلها عند زوال أباطيل العالم ونهاية المسرات التي تحت السماء "باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس" ولم يصنع هذا بالشعب قديمًا عندما جلسوا للأكل ثم قاموا للَّعِب واللحم مازال في فمهم، ضربهم ملاك الرب وهلك في هذا اليوم ثلاثة وعشرين ألفًا.

وهكذا العبد البطال أيضًا ابتدأ يأكل ويشرب ويسكر فيأتي سيده في اليوم الذي لا يعرفه وفي الساعة التي لا يتوقعها فيشقه من وسطه ويجعل نصيبه مع عديمي الإيمان.

١٥. "ويُذل الإنسان ويُحط الرَّجل، وعيون المُستعلين توضع.

١٦. ويتعالى رب الجنود بالعَدْل، ويتقدَّس الإله القدوس بالبرِّ".

هنا يكشف الرب أيضًا أصل الخطية وبذور الشر في قلب هذا الشعب وهو

الكبرياء... كم طرحت هذه الخطية كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء... حقًا ما قيل عن الله أن من يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله. يذل ويحط الإنسان وتوضع العيون المتشامخة.

اذكروا نبوخذ نصر... اذكروا هيرودس... اذكروا الكبرياء التي أسقطت الشيطان وطردت جنسنا من الحضرة الإلهية.

ما أجمل تسبحة العذراء القديسة أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين. وقد قيل أن الله يقاوم المستكبرين أما المتضعين فيعطيهم نعمة، فتواضعوا تحت يد الله القدير فيرفعكم في زمان الافتقاد. أما الإله القدوس رب الجنود فهو يتمجد ويرتفع ويتقدس في دينونة الخطية ويظهر عدله الإلهي وقداسته المطلقة وبره ... هكذا قال داود في المزمور: "لكي تتبرر أنت في كلامك وتغلب متى حوكمت أنا".

١٧. "وترعَى الخِرفان حيثما تُساق، وخِرَب السِّمان تأكُلها الغرباء".

ومما يعزي النفس جدًا أنه في وسط مناظر الخراب وأحكام الرب على فجور الشعب وفيما ينخفض الإنسان وينحط وتوضع تشامخ عين الإنسان في التراب في وسط المذلة والمهانة هذه تطلع إشعياء فرأى قطيع خراف يرعى حيثما يساق.

وهذا القطيع الصغير هو بقية شاهدة للرب تابعة لوصاياه خاضعة لناموسه والقطيع يسوقه الرب إلى مراع خضر وماء راحة بلا عائق. وقد قيل عن نبوخذ نصر عندما سبى الشعب إلى بابل أنه ترك في الأرض مساكينها ... وقد حسب هؤلاء المساكين أهلاً أن يستبقوا في أورشليم وأن لا يذوقوا طعم السبي والتغرب عن الرب وهيكله المقدس...

أمَّا سمان الأغنياء والمخصبين فيأكلها الغرباء... وتصير خرابًا شاهدًا عليهم.

١٨. "ويلٌ للجاذبينَ الإثم بحبَال البُطل، والخطية كأنه برُبُط العَجلَةِ".

٣. ثمرة الحرية الروحية.

عصا المسخر ونير العبودية حطمها الرب بقوة وأنقذ منها شعبه الحبيب فكسر فرعون (المشبه بإبليس) وأغرقه أمام عيون الشعب في البحر الأحمر (رمز المعمودية) وتمجد الرب بالمجد ورنم الشعب تسابيح النصرة والخلاص التي صارت أنشودة لنفوس المفديين في الكنيسة إلى أبد الدهور، وقال الرب كما رأيتم فرعون في هذا اليوم لا تعودون ترونه أيضًا... وانطلق الشعب بعد البحر الأحمر (المعمودية) لكي يتمتعوا بالحرية من بعد العبودية وانتهت إلى الأبد أصوات المسخر وأعمال الطين التي ترمز إلى قيود الخطية وسلطان الجسد والآن إن رجع الشعب وسقط تحت قيود الخطية وحبالها ألا تحسب أنه أثمر ثمرًا رديًا؟

إن الأمر الذي يتعجب له أن قلب الشعب ظل مرتبطًا بحبال الباطل رابطًا نفسه بالخطية كحيوان مربوط إلى عجلة تدفعه وهو ساقط تحت نيرها مغلوبًا على أمره وظل عائشًا كل زمانه تحت الخوف... فالقلوب مرتبطة بشهوات قدور والظهور المنحنية تحت عصا المسخر رفضت أن تنتصب فتعودت الإنحناء والعبودية. هكذا صار الشعب يبحث عن الخطية يربط نفسه بها يلتزم بعجلتها، ويستحق الويل واللعنات المكتوبة في الناموس.

وقال اليهود للرب: لن نستعبد لأحد قط، قال لهم الرب: من يفعل الخطية فهو عبد للخطية، ثم قال لهم: إن حرركم الابن صرتم بالحقيقة أحرارًا.

توجد نفس مربوطة مقيدة تجاهد من أجل حريتها تصرخ قائلة: "رباطات الخطاة التفت عليَّ" وتتضرع إلى الرب قائلة: "الرب يحل المربوطين ويقيم الساقطين"، وإذا ما نالت بالرجاء حريتها تغني قائلة: "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين"... "حللت قيودي فلك أذبح ذبيحة التسبيح"، أما هذا الشعب المهوب ففي حريته طلب قيود الخطية وحبال الباطل وربط نفسه بعجلتها.

١٩. "القائلين: ليُسرع، ليُعجِّل عمله لكي نرى، وليقرُب ويأت مقصَد قدوس إسرائيل لنعلَم".

إن استمرار الخطية والتمادي في عمل الشر بلا وخز في الضمير وحركة في

الروح أو انتفاضة للتوبة سببها دائمًا قلب الإنسان كما يقول المزمور: "قال الجاهل في قلبه ليس إله".

ثم عدم الإيمان والاستخفاف بمواعيد الرب الإله وهذا ما يعلنه الروح القدس بفم معلمنا بطرس الرسول "سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه؟".

وهذا يدفع الناس إلى الاستهانة بلطف الله وإمهاله وطول أناته ثم يقول الرسول بولس الأمر الحقيقي أن لطف الله يجب أن يقود النفس للتوبة والرجوع إلى أحضان الرب.

٢٠. "ويلٌ للقائلين للشر خيرًا وللخير شرًا، الجاعلين الظلام نورًا والنور ظلامًا، الجاعلين المُرَّ حلوًا والحلو مُرًا".

٤. ثمرة الحق.

هذا الويل منصب على الذين يحجزون الحق بالإثم... نفوس باعت ذواتها لعمل الشر... حتى أصبحت هلاك إثم وآنية هوان... أحبو الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة وصاروا وكأن الشر والظلام والمر أمورًا طبيعية ومقبولة عندهم أما الخير والحلو فأمور قد صارت غريبة عنهم وغير مقبولة في حياتهم.

والحقيقية أن الذي يميّز بين الشر والخير والظلام والنور والمر والحلو في حياة الإنسان هى الكلمة الإلهية والناموس... فكلام الله مصباح للرجل ونور للسبيل إعلان أقوالك ينير لي ويفهم الأطفال الصغار إذا اقتناه الإنسان لا يمشي في الظلمة وإن عدمه لا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه.

الخير والنور والحلاوة الروحية هى شر وظلام ومرارة. بالنسبة للجسديين العفة والطهارة يقولون عنها تزمت وكبت. الأمور المختصة بالله والملكوت والقيامة يقولون سنسمع عن هذا أيضًا. اذكر كيف كان حكم جماعة اليهود وهم في هذه الحالة المؤسفة كيف حكموا على رب المجد وهو كائن في وسطهم وهو النور الحقيقي والخير المطلق والحلاوة اللانهائية والعذوبة الدائمة.

قالوا عن حكمته الإلهية إنه مجنون ومختل العقل. قالوا عن مشاركته لنا في كل

شيء هوذا إنسان أكول وشريب خمر.

قالوا عن صانع الخيرات نحن نعلم أنه إنسان خاطئ. قالوا عن المنقذ والمخلص الإلهي أنه مضل.

حكموا على رب الحياة بالموت فاستحقوا كل الويلات المكتوبة في الكتاب.

٢١. "ويلٌ للحكماء في أعين أنفُسهم، والفُهماء عند ذواتهم".

٥. ثمرة الخطية.

هذه علة أخرى من علل الخطايا التي تملكت على هذا الشعب علة الحكمة البشرية والغرور والثقة بالذات البشرية... حتى صاروا حكماء في أعين أنفسهم ولم يدركوا أنه ليس من يمدحه الناس هو المزكى بل الذي مدحه من الله.

+ إن إبراهيم أب الآباء في عمق إيمانه واتصاله بالله لم يكن يعتز بنفسه ولا يثق في حكمته بل كان يقول أنه تراب ورماد.

+ وداود أيضًا الذي كان له قلب بحسب مشيئة الله كان يقول دائمًا: أما أنا فمسكين وفقير، ولم يحسب نفسه حكيمًا بل كان يردد: حقير أنا ومرذول، ويقول إعلان أقوالك ينير لي ويفهم الأطفال الصغار فكان يحسب نفسه كطفل صغير مسكين وبائس.

+ وسليمان الحكيم نفسه طلب من الله حكمة لأنه كان يعتقد أنه لا يعرف كيف يدخل ويخرج أمام الشعب.

+ بل وبولس الرسول يقول أن الله أختار جهال العالم ليخزي بهم الحكماء وقال أيضًا إن كان أحد يظن أنه حكيم فليصير جاهلاً لكي يصير حكيمًا.

أما هذا الشعب فبلغت بهم الثقة في حكمتهم البشرية أن وثقوا كل واحد في نفسه وفي حكمته بينما هم في هذه الحكمة لم يعرفوا الله فاستحسن الله أن يخلص المؤمنون بجهالة الكرازة.

إن الحكمة الإلهية هى ثمرة مطلوبة في حياة هذا الشعب الذي أؤتمن على أقوال الله فإن أثمر حكمة بشرية فقد أبدل حلاوة الحكمة الإلهية بمرارة الحكمة البشرية وأبدل ثمر الروح في الحكمة المكتومة إلى حكمة هذا العالم

الزائل.

٢٢. "ويـلٌ للأبطـال علـى شُـرب الخَمـر، ولـذوي القُـدرة علـى مَـزج المُسكر.

٢٣. الـذين يـبرِّرون الشـرير مـن أجـل الرُّشـوة، وأمَّـا حـق الصِّـدِّيقين فينزعونه منهم".

٦. ثمرة الإيمان.

لقد قيل عن الآباء الأولين أنهم كانوا أبطالاً في الإيمان وأشداء مقتدرين في فعلهم.. ويقول الرسول بولس أنه يعوزني الوقت أن أخبرك عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا برًا نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود هؤلاء حقًا يقال عنهم أبطال الإيمان وأبطال في حروب الرب الروحية وأبطال في الاتضاع وأبطال في المحبة... الخ.

أما رؤساء هذا الشعب فقد صاروا أبطالاً على شرب الخمر وذوي قدرة على مزج المسكر وإبطال شر وإبطال خطية، من أجل هذا أظلمت عقولهم وانطفأت مصابيح بصيرتهم عن قول الرب: "مبرئ المذنب ومذنب البريء كلاهما مكرهة"... وأحبوا أجرة الإثم مثل بلعام ومالت قلوبهم نحو الرشوة فعوجوا القضاء فبرروا الشرير من أجل الرشوة أما حق الصديقين فنزعوه عنهم.

ولكن من هو ربنا من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية. إن الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين.

٢٤. "لـذلك كمـا يأكُـل لهيـب النـار القـشَّ، ويهـبط الحشـيش المُلتَهـب، يكـون أصـلهم كالعفونـة، ويصـعد زهـرهم كالغُبَـار، لأنهـم رذَلـوا شـريعة رب الجنـود، واسـتهانـوا بكـلام قـدوس إسـرائيـل".

القضاء الإلهي

هنا يعود إشعياء النبي فيكرر عبارات القضاء الإلهي في مسامع هذا الشعب المتمرد ويردد مرة أخرى السبب الرئيسي لكل الويلات أنهم رذلوا شريعة رب الجنود واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل.

وهو يصور لهم مصير الشعب المحزن أنه سيكون مثل شجرة تعفنت أصولها "لأن الخطية دخلت إلى أعماقها"... وصار زهرها (مجدها) كالغبار ومثل العاصفة التي تزريها الريح كما يقول المزمور فجفت ويبست من أصولها وأخيرًا التهمتها نيران الغضب الإلهي.

+ أليس هذا هو كلام الرب بفم يوحنا المعمدان "كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقي في النار" (مت ٣: ١٠).

+ بل أن هذا ما قاله الرب: "إن كان أحد لا يثبت فيَّ يطرح خارجًا كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار، فيحترق" (يو ١٥: ٦). ثم من هو الإنسان حتى يُذكر؟ أو ابن الإنسان حتى يثبت أمام دينونة الله وغضب قدوس إسرائيل!

ما أجمل كلمات يعقوب الرسول "الشمس أشرقت بالحر فيبست العشب فسقط زهره وفنى جمال مظهره هكذا يزبل الغني في طرقه".

فإن كان العشب لا يستطيع أن يصمد أمام حر الشمس فكم يكون الحال مع لهيب النار الإلهي أن هذا التشبيه يعطي فكرة أيضًا عن سرعة هلاك الأشرار مثل التهاب القش.

٢٥. "من أجل ذلك حَمِيَ غَضَب الرب على شعْبه، ومدَّ يدَه عليه وضرَبَهُ، حتى ارتعَدَت الجبال وصارت جُثَثهم كالزِّبل في الأزقَّة. مع كل هذا لم يرتَدَّ غَضَبه، بل يده ممدُودةٌ بعد".

هنا يكشف لنا الوحي الإلهي عن طبيعة إلهنا الغيور على مجده والمنتقمة من الأشرار كديان الأرض كلها.

فهم حين كانوا في موضع الابن الخاضع حظوا من الرب باليد العزيز والذراع الممدودة واستعلنت ذراع الرب ذراع القوة "يمين الرب رفعتني".

وأخرجهم من أرض العبودية بيد قوية وهداهم بيمينه إلى كنعان وأطعمهم بيده خبز السماء وعلى ذراعيه حملهم كما على أجنحة النسور ومن يستطيع أن يحصي كثرة المراحم في امتداد يد إلهنا نحو شعبه طول النهار "مددت يدي طول النهار".

أما الآن فقد رذل الشريعة واستهان بكلام قدوس إسرائيل فامتدت يد الرب للضرب والتأديب نحو شعبه لأنه أي ابن لا يؤدبه أبوه وكم من مرة قيل فيها حمى غضب الرب... ومن جراء انحدار الإنسان وتمسكه بالشر وعناده وقساوة قلبه ولكن الذي يجذب انتباهنا ما نقرأه أيضًا أن ربنا من أجل مراحمه وكثرة رأفته يرجع عن حمو غضبه ويندم على الشر عند أول توبة أو رجوع من ناحية الإنسان وعند أول حركة ندم أو دموع أو استعطاف ويكفي أن تشير إلى استعطافات موسى ودموع داود وصلاة حزقيا وتوبة أهل نينوى.

أما هنا فإننا نرى أنه بالرغم من حمو غضب إلهنا... وبرغم لهيب النار وارتعاد الجبال وطرح جثث القتلى كالذبل في الأزقة لم توجد في الشعب ولا حركة توبة ولا بادرة أمل في الرجوع عن طرقهم الرديئة ولا علامة اتضاع ولا اعتراف بالخطية والعصيان أمام الرب ولا تذلل بالصوم والصلاة ولا مسوح... ومثل ابن عاق معاند واقع تحت عصا تأديب أبيه يظل يضربه حتى يذكر عناده ولا ترتفع يد أبيه إلا بصراخ الندم وعهود التوبة واستعطافات الابن... هكذا يكون مع هذا الشعب سيظل يضرب ويؤدب ويعاقب حتى يرجع عن عناد قلبه الشرير لذلك قيل "لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد".

(تأديب أقسى وعقاب أشد)

لم يصلح مع هذا الشعب تأديبات يد الله الحنون لذلك سيسلمهم ليد الأمم لقد أدرك داود النبي هول الوقوع في يد الناس فصرخ قائلاً: "فلنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة ولا أسقط في يد إنسان" (٢ صم ٢٤: ١٤).

٢٦. "فيرفع رايةً للأمم من بعيد، ويصْفِرُ لهم من أقصى الأرض، فإذا هُم بالعَجَلة يأتون سريعًا".

وهذا معناه أن الله بيده سيسلم شعبه للأمم للعقاب وسيسلم أورشليم للدوس والهدم والحريق فهو بيده سيشير للأمم للدخول وبصوته يصفر لهم للهجوم وهنا يظهر بوضوح أن الأمم لا تستطيع أن تقترب من أورشليم ولا تستطيع أن تمسها إلا بسماح من ضابط الكل...

وما أبعد الفارق بين تجربة يقع فيها الإنسان في يد العدو وهو محاط بعناية القدير ومؤازرة الروح القدس فنخرج من التجربة كالذهب المصفى بالنار كثير الكرامة مثل أيوب الذي بسماح من الله وقع في يد العدو ولكن في مؤازرة النعمة وعدم تخلي الله جاز التجربة وبارك الله آخرة أيوب أكثر من أولها أما إذا وقعت النفس في يد العدو وهى في حالة تخلي ومرفوضة من الله كم يكون سقوطها عظيمًا.

وهنا يبدو واضحًا أن الرب نفسه هو الذي يستدعي العدو ويسلم الشعب في قبضة للعقاب والتأديب فأي رجاء يكون لهم وأي حال يكون عليه هذا الشعب المسكين وقد تركته الرحمة وتخلت عنه النعمة وفقد الرجاء في الله.

أما من جهة الأمم فهم الآن في يد الله... بهم يؤدب بقضيب الناس وضربات بني آدم... أو كما يقول بولس الرسول عن الحكام من الناس... أنه لا يحمل السيف عبثًا بل هو خادم الله مرسل للانتقام من فاعل الشر وللمدح لفاعل الخير.

إذًا هم آلات يستخدمها الله... لذلك يقال عنهم فإذا هم بالعجلة يأتون سريعًا "لأن كل الخليقة خاضعة لله ومنفذة إرادته عند سماع صوت كلامه.

+ أما في عهد النعمة فإن سمح الله بوقوع النفس في يد أعدائها فلكي تخلص الروح ولكي تتزكى أمام الله "يسلم للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم ربنا يسوع المسيح".

هنا لا يوجد غضب ولا تخلي بل تزكية إيمان وخلاص للنفس.

٢٧. "ليس فيهم رازحٌ ولا عاثرٌ. لا ينعَسُونَ ولا ينامون، ولا تنحلُّ حُزُم أحقائهم، ولا تنقطع سُيور أحذيتهم.

٢٨. الذين سِهامُهم مسنونةٌ، وجميع قِسيِّهم ممدودةٌ. حوافر خَيلهم

تُحسَب كالصّوان، وبَكَرَاتُهُم كالزّوبعة.

٢٩. لهم زَمجَرة كاللَّبوة، ويُزَمجرُون كالشِّبل، ويهرُّون ويمسِكون الفريسة ويستخلصونها ولا مُنقِذ.

٣٠. يهرُّون عليهم في ذلك اليوم كهَدِير البحر. فإن نُظِرَ إلى الأرض فهوذا ظلام الضِّيق، والنور قد أظلَم بسُحُبها".

هذه أوصاف جيش أشور المزمع أن يهجم على أورشليم وعلى أولادها، كم هى حقًا أوصاف مخيفة ومرعبة وإن تأملنا تفاصيل أوصاف هذا الجيش نندهش كأنه مجهز خصيصًا للانتقام من خطايا الشعب وكأنه حقًا سيف دينونة وعصا تأديب يرفعها الرب.

١. ليس فيهم رازح ولا عاثر للانتقام من الذين تعثروا في طريق الرب وأهملوا طرقه وتعوجت مسالكهم وسقطوا في حفر الشر.

٢. لا ينعسون ولا ينامون... للانتقام ودينونة الكسالى كما يقول الرسول عن الأشرار غير الساهرين يفاجئهم اليوم بغتة ويأتي عليهم يوم الرب كلص وكالمخاض للحبلى فلا ينجون.

٣. لا تنحل حزم أحقائهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم... للانتقام من المتراخين الذين أهملوا وصايا الرب القائل "لتكن أحقاؤكم ممنطقة" أي متشددين في عمل الرب وقائمين في الخدمة الإلهية.

٤. سهامه مسنونة وجميع قسيهم ممدودة... يأتون كعقاب للذين ألقوا سلاحهم الروحي وألقوا ترس الإيمان القادر أن يطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة نارًا... هؤلاء الذين لم يتدربوا في الحرب الروحية يسقطون في فخ المحارب ويموتون بسهامه القتالة.

٥. حوافر خيلهم تحسب كالصوان وبكراتهم كالزوبعة... إن هذا التغير يشير إلى السرعة وهؤلاء يأتون لدينونة البطيئي القلوب في الإيمان والعاجزين عن الحركة نحو الله الذين شلت أعضاؤهم الخطية وربطتهم قيودها ... فيهجم عليهم العدو بسرعة مخيفة وليس لهم قدرة على الهرب.

٦. لهم زمجرة كاللبوة ويزمجرون كالشبل ويهرون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ... هؤلاء يأتون لمعاقبة الذين تركوا الراعي الصالح واستهانوا برعايته ولم يرضوا أن يقبلوه ... فيأتي عليهم المفترس وليس من ينقذ.

فإن نظر إلى الأرض فهوذا ظلام الضيق والنور قد أظلم بسحبها اختفى النور وحل الظلام. ظلام الضيق ... حجب الرب وجهه فصار ظلام الأرض كلها وليس ظلام أقسى من ظلام الضيق الذي يصيب النفس في داخلها... ولكن شكرًا لله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة وهو الذي أضاء في قلوبنا لمعرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح.

الأصحاح السادس

١. "في سنة وفاة عُزِّيا المَلِكِ، رأيتُ السيد جالسًا على كرسيٍّ عالٍ ومُرتفع، وأذيالُه تملأ الهيكل".

عزيا الملك: (عزيا معناه الرب قوته ... أو الرب معينه).

نقرأ عن حياة عزيا الملك مكتوبة في أخبار الأيام الثاني أصحاح ٢٦.

أنه ملك على يهوذا وهو ابن ١٦ سنة وملك ٥٢ سنة وعمل المستقيم في عيني الرب... وكان يطلب الرب في أيام زكريا الفاهم بمناظر الله وفي أيام طلبه الرب أنجحه الله، حارب الفلسطينيين، هدم أسوارًا، بنى مدنًا، امتد اسمه إلى مدخل مصر لأنه تشدد جدًا، بنى أبراجًا في أورشليم وأبراجًا في البرية وحفر آبارًا كثيرة وكان له ثروة كبيرة وجيش من المقاتلين.

ولكنه عندما تشدد ارتفع قلبه إلى الهلاك وخان الرب وأراد أن يوقد على مذبح البخور فضربه الرب بالبرص وهو في الهيكل فطرده الكهنة... وكان أبرصًا إلى يوم وفاته وهو معزول في بيت بعيد عن بيت الملك.

أحزان إشعياء:

بقلب الخادم الملتهب تابع إشعياء النبي عمل الله في حياة عزيا وبعيني النبوة شاهد يد الرب تمتد لتنجح الطريق وتبني المدن وتهدم أسوار الخطية... فكانت هذه الأمور سبب تعزية في حياة إشعياء كلما رأى عمل الرب ينمو يومًا فيوم... ولا يفرح قلب الخادم أكثر من أن يرى الرب الإله يعمل وملكوته يمتد... ثم كانت النهاية الأسيفة التي انتهى إليها الإنسان عزيا في ارتفاع قلبه وخيانته للرب... ثم موته وهو في هذه الحالة معزولاً عن شعب الله مطرودًا من هيكله المقدس.

لقد صار لإشعياء حزن على حزن... فهو ناظر إلى الشعب منطرح كغنم لا راعي لها بإحساس عميق كمن يترجى الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف ومن ناحية أخرى كأن كلمات المزمور: "لا تتكلموا على الرؤساء ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص تخرج روحهم

فيعودون إلى ترابهم" كأن كلمات هذا المزمور تكشف عن حقيقة الإنسان الحزينة والمحزنة في نفس الوقت وإشعياء بالروح يعيش هذه المأساة في وجع القلب، ثم تفاضلت نعمة ربنا جدًا وعزاه بالرؤيا تعزية ليست بقليلة.

الرؤيا في الهيكل:

لابد أن إشعياء كان يتخلف إلى الهيكل كثيرًا في هذه الأيام الحزينة... يطلب عزاء لنفسه وسندًا لشعبه وتدبيرًا للملك... ولابد أن نفسه المنحنية داخله كانت تقصد الهيكل تجاه المذبح الذي يجدد شبابها ومن المؤكد أن إشعياء رأى رؤياه في غير أوقات الصلاة الرسمية في الهيكل وهو منفرد وحده ومنحصر في الروح ولا شك أن استفسارات كثيرة كانت تجول في خاطر إشعياء النبي وهناك في الهيكل وجد جوابًا شافيًا وحلاً إلهيًا فائقًا للعقل البشري بالرؤيا الإلهية أن هذا يرسم منهجًا واضحًا للخدمة في محنتها عندما تدفع الخادم للوجود المنفرد مع إلهه في هيكله المقدس يطرح أمام الرب ضيقه قائلاً: "أبث لديه ضيقي عند فناء روحي مني". ويسأله عن أحكام عدله وعمل محبته وأسرار تدابيره... ويأخذ لنفسه عونًا من حيث يأتي العون.

تعزيات الله: رأيت السيد:

"عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك يارب تلذذ نفسي"، "الله الذي يعزي المتضعين عزانا". "يعزينا في كل ضيقتنا"... لم يترك الله نفس إشعياء الأمينة والغيورة هكذا بدون تعزية، لأن في محبته لنا يشرق بوجهه على أولاده عندما يتوجعون بوجع المسيح الخادم المتألم. وما من مرة تألم خادم بهذا الوجع المقدس إلا وانسكبت أحشاء مراحم إلهنا وتعزياته بغزارة النعمة التي لا توسع... فموسى وهو متفكر في آلام إخوته وضيقتهم وسخرتهم في أرض الغربة تراءى له الرب في العليقة.

وإيليا وهو أيضًا متألم بوجع شديد من أجل الشعب السائر وراء البعل ظهر له الرب في صوت خفيف معزي ... وأيضًا بولس الرسول المنطرح

علـى بـاب مدينـة لسـترة مضـروبًا حتـى المـوت اختطـف إلـى السـماء الثالثـة ... ويوحنـا المنفـي مـن أجـل شـهادة المسـيح صـار فـي الـروح فـي يـوم الـرب ورأى رؤيـاه الإلهية العجيبة.

أسرار الهيكل:

إن تعزيات الهيكل ينبوع سري للخدام يشربون من مياه الفرح بلا شبع... وليس من السهل أن يتكلم إشعياء النبي عن رؤياه في الهيكل ما لم يلزمه الروح... لهذا جاءت كتابة هذه الرؤيا في الأصحاح السادس. وأمور بولس الرسول ما كان أحد يعرفها لولا أن الروح - من أجل بنيان الكنيسة - ألزمه أن يكتبها إلى أهل كورنثوس ... ويوحنا ما كان ليكتب رؤياه لو لم يقل له الروح اكتب. والخادم إن افتخر فيفتخر بأمور ضعفه ولكن مناظر الرب وإعلاناته تبقى ذخيرة داخلية تغذي وتقوي الإنسان الباطن أو يكشفها الروح في حياة القديسين بقدر ما يخفيها عن أعين الناس... الروح القدس هو المسئول عن إظهار عمل مجد الله في حياة أولاده.

الرؤيا أساس للكرازة:

لا تقوم شهادة للرب بدون رؤيا واضحة لمجده... فالرب استعلن لموسى في البرية وعرفه باسمه وأعطاه عربون العمل الخلاصي والتلاميذ الأطهار أظهر الرب لهم ذاته بعد قيامته وأراهم يديه ورجليه... وتوما أيضًا ما كان ليتحرك للكرازة والشهادة ما لم يضع يديه في جنبه... وستبقى رؤية الله هى الدافع الحقيقي الوحيد للكرازة والشهادة بالذي رأيناه بعيوننا... ونحن كل يوم عندما نتناول من جسد الرب ودمه نبشر بموته ونتعرف بقيامته... على هذا القياس تراءى الرب لإشعياء الإنجيلي الشاهد لآلام المسيح والمخبر بموته وقيامته وعمله وكنيسته الباقية إلى أبد الدهور.

في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسًا على كرسي عال مرتفع وأذياله تملأ الهيكل...

الهيكل مكان استعلان الله: "أذياله تملأ الهيكل":

الهيكل مكان الصلاة... وبالصلاة وحدها يعلن الله ذاته للإنسان... في حالة الصلاة ظهر الرب بمجد على جبل التجلي للتلاميذ... ويوحنا الحبيب في يوم الرب (يوم الأحد) وفي حالة صلاة روحية استعلنت له أيضًا رؤياه الإلهية... وفي كل يوم نتواجد في الهيكل في الكنيسة حول جسد المسيح المكسور ودمه المسفوك نكون في مكان الاستعلان الإلهي والمجد المستور "لأن على كل مجد غطاء".

على كرسي عال ومرتفع:

الرب عال ومرتفع وعظيم في كل شيء... فهو ارتفع فوق السموات وهو عال في أفكاره كما علت السماء عن الأرض هكذا علت أفكار الله عن أفكارنا وطرقه عن طرقنا.. وهو مرتفع عن الإدراك البشري فلا يدرك أحد كماله الإلهي... ومرتفع في حكمته وكل تدابيره...

ولكنه ناظر إلى المتواضعين... وإلى المنسحق الروح والمرتعد من كلامه... والقلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله... وهو يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعيطهم نعمة.

فربنا مرتفع وعال وهو قريب من المتضعين لأن اتضاع إلهنا لا نهائي جعله ينزل من ارتفاعه إلى أحشاء البتول وحتى التراب والموت والجحيم لكي يرفعنا إليه. فربنا يسوع نزل من ارتفاعه إلى تواضعنا وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.

فارتفاع الله ليس حسب قياس الناس حين يرتفعون يترفعون ويتعالون ولكن الرب عال ويعاين المتواضعين والكائنات يعرفها من بعد.

٢. "السّرافيم واقفون فوقه، لكل واحدٍ ستة أجنحَة، باثنين يُغطي وجهَه، وباثنين يُغطي رِجلَيه، وباثنين يطيرُ".

السرافيم هم خدام العرش الإلهي هم المتقدون بالحب... نار الحب الإلهي هى الطاقة التي تحركهم بلا انقطاع وبلا تعب وبلا سكوت... "جعل ملائكته أرواحًا وخدامه نارًا متقدة" الخدام حول المذبح يخدمون الرب خدمة سرافيمية، الكهنة

والشمامسة يتقدون بالحب كجمر النار كلما يقتربون للجسد المذبوح بالحب والدم المهرق في بذل الحب الإلهي الفائق "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد"... الخدمة نتيجة حتمية للوجود في حضرة الله... وخدمة السرافيم خدمة التسبيح الكنسي للجالس فوق عرش الصليب العالي في الحكمة والقدير في الخلاص.

ستة أجنحة:

باثنين يغطي وجهه ... من أجل عظمة بهاء مجد الله غير المنظور ولا منطوق به وباثنين يغطي رجليه في اتضاع ووقار أمام الإله المخوف وباثنين يطير "سبحوه يا جميع ملائكته الصانعين إرادته عند سماع صوته".

تسبحة السّرافيم:

٣. "وهذا نادى ذاك وقال: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رب الجنود. مجدُه ملء كل الأرض".

الكنيسة بيت الله وموضع مسكن مجده... وصدى صوت التسبيح يتردد في جنباتها بلا انقطاع لأنها بيت الملائكة. وخوارس المرتلين والمسبحين فيها تثير في النفس رهبة سمائية وتجعل النفس تقول بالحقيقة "إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس نحسب كأننا واقفين في السماء".

وفي تقليد الكنيسة أن يوسف الذي من الرامة ونيقوديموس الرجلان الباران اللذان اهتما بجسد الرب بعد نزوله من على الصليب سمعا هذه التسبحة وهما يضعان الحنوط على جسد الرب قبلما وضعاه في القبر...

وقد ضمنت الكنيسة هذه التسبحة الملائكية في جميع صلاواتها بلا استثناء... فتسبحة الصلوات الليلية والنهارية بالمزامير "الأجبية" تردد تسبحة السّرافيم في كل ساعة... وأيضًا تقال الثلاثة تقديسات قبل إنجيل القداس.

وفي صلاة التقديس يرددها الشعب قائلين السّرافيم يسبحونك قائلين: "قدوس قدوس..." ويرددها الكاهن بعد ذلك...، إن غذاء الكنيسة هو التسبيح ولذتها وعزاءها في القداسة التي في الله.

وعندما تقدم الكنيسة جسد المسيح يصرخ الكاهن "القدسات للقديسين" لذلك حري بالذين يسبحون تسبحة التقديس مع السّرافيم أن يلتحفوا بالقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب.

رب الجنود مجده ملء كل الأرض:

ما أجمل أن تنطق السّرافيم بمجد رب الجنود المالئ كل الأرض... فمجد ربنا لا يملأ السموات والخليقة النورانية فحسب ولكن الأرض أيضًا موطئ قدميه وأذيال رحمته ومحبته تملأ الهيكل الأرضي أيضًا فيصير سماء... ومجد الرب إلهنا في التي على الأرض أوضح من الشمس في وسط النهار حتى أن قدرته السرمدية ولاهوته يدرك تلقائيًا بالتأمل في المخلوقات كما يقول معلمنا بولس الرسول في الرسالة إلى رومية، ولكن بالأكثر ملأ مجده كل الأرض حينما نزل إلى بطن البتول وولد في مزود ومشى على الأرض كإنسان... فامتلأت الأرض من مجده الإلهي... وعندما أعطى جسده ودمه للإنسان الترابي وأعطى روحه القدوس للهياكل الأرضية صار بالحقيقة مجده ملء كل "جسد" ملء كل الأرض.

٤. "فاهتزَّت أساسات العَتَب من صوت الصارخ، وامتلأ البيت دُخانًا".

عندما حل الرب بمجده فوق الجبل في أيام موسى الكليم صار الجبل يرتعد ويرتجف حتى استعفى بنو إسرائيل من مواجهة الرب قائلين لموسى تكلم أنت مع الله وهنا أيضًا نجد أن صوت الملاك الصارخ بالتسبيح هز أساسات عتب الهيكل. وبعدها اهتزت الأرض الضعيفة في العبادة الشكلية ومعها اهتزت نفس إشعياء في داخله. إن هذه الزلزلة تحدث دائمًا عندما يعلن ملاك الله عن الحق الإلهي، فملاك القيامة عندما جاء ليدحرج الحجر ويعلن أن الرب قام بمجد عظيم حدثت زلزلة عظيمة ومن خوفه ارتعد الحراس.

امتلأ البيت دخانًا:

لم تكن الرؤيا واضحة مكشوفة أمام إشعياء النبي بسبب هذا الدخان الذي ملأ كل البيت وهذا يتناسب جدًا مع حالة الإنسان في العهد القديم. إذ يحتاج إلى البرقع الموضوع حينما يتواجد مع بريق مجد الله حتى على وجه موسى الزائل.

أما الآن فنحن ننظر إلى الرب بوجه مكشوف وبدل سحابة الدخان التي تحجب نظر الإنسان صارت سحابة نيرة تظلل، وإلحاح إنسان العهد الجديد يصرخ قائلاً: "يارب جيد أن نكون ههنا".

٥. "فقُلتُ: يلٌ لي! إني هَلكتُ، لأني إنسانٌ نَجسُ الشَّفتَين، وأنا سَاكِنٌ بين شعب نجس الشَّفتين، لأن عينيَّ قد رأتا المَلك رب الجنود".

نحن الآن أمام مواجهة مع الله... الإنسان في حقارته وشقاوته أمام الله الحي النار الآكلة... لا يستطيع إنسان أن يراني ويعيش... فعندما تتواجه مع الله قارن البعد بين قداسته الإلهية ونجاسة طبيعتنا يصبح واضحًا أمام أعيننا.

إن الذي يجعل القديسين يشعرون بعمق حالة الخطية ليس هو التفكير في خطاياهم وفحص ذواتهم بأكثر تدقيق بل مجرد رؤية قداسة الله تجعل الإنسان يعيش حقيقته في عمق الاتضاع وحقارة التراب.

عندما تكلم إبراهيم أبونا مع الله نطق قائلاً: "شرعت أن أكلم المولى وأنا تراب ورماد" وعندما يقترب الكاهن من المذبح ليقف في مواجهة الله يقول: "أيها الرب العارف قلب كل واحد... ليس لي وجه لكي اقترب وأفتح فاي". إن مواجهة الله الحي في كل مرة في الصلاة أو القداس أو باقي الأسرار هو بمعنى دينونة أخيرة فيها يمتحن الإنسان وعمل الإنسان كما بنار.

ترى كيف نواجه الله في المخدع! أو في الكنيسة أو في الهيكل أو في مخدع القلب؟

إن عنصر مخافة الرب في الصلاة يعتبر أساسيًا للذين يسجدون بالروح والحق، فيسلكون في حضرة الرب غير المنظور كما لو كانوا في حضرته منظورًا بالعيان فتنطبع عبادتهم ذهنيًا وجسديًا بشكل إشعياء ومخافة موسى واتضاع إبراهيم وعبادة داود وخدمة السّرافيم وسهر العذارى.

نجس الشفتين:

ما الذي أثار في إشعياء إحساسه بنجاسة شفتيه في هذه اللحظات؟ لابد أن تسبيح السرافيم حرك قلب إشعياء بالتوبة والنظر إلى نفسه! إيه أيتها النفس المسكينة أين أنت في صلاتك وتسبيحك ووقوفك أمام خالقك وخدمتك من خدمة الخدام الروحانيين ومصاف الملائكة؟ ماذا يقول الخدام حول المذبح عندما ينطقون بالتسبيح أمام العرس الإلهي؟

إن اكتشاف الوجود في حضرة الله يضع الإنسان مباشرة في مواجهة نفسه مثل بطرس الرسول عندما اكتشف وجود الرب في سفينة عند صيد السمك صرخ قائلاً: اخرج من سفينتي يارب فإني رجل خاطئ...

وساكن وسط شعب نجس الشفتين:

مجتمع السّرافيم كم هو مفرح ومشبع بالقداسة... جمهور الجند السمائي في حالة انسجام كامل... هذا ما جعل إشعياء ينظر إلى خلف أيضًا إلى مجتمعه البشري وطبيعته الضعيفة الساقطة؟

شعب نجس الشفتين:

وجدير أيضًا بخادم مثل إشعياء النبي أن يعترف أمام الله ليس بنجاسة شفتيه وخطيته الشخصية فقط بل أيضًا يتراءى أمام الله معترفًا بخطيئة شعبه مثل نحميا الذي كان يعترف أمام إله السماء قائلاً: أخطأت أنا وبيت آبائي.

لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود.

لا يراني الإنسان ويعيش... هذه حقيقة أعلنها الله وعاشتها أجيال العهد القديم

كلها... لأنه أية شركة للنور مع الظلمة؟ هذا ما ردده إشعياء قائلاً ويل لي لأني هلكت لأن عيني رأتا الملك؟

ما أكثر عزاؤنا عندما نتأمل هذا الإله "الملك رب الجنود" وقد أخلى ذاته وصار مرئيًا وملموسًا "رأينا مجده" "رأيناه بعيوننا وسمعناه" لمسته أيدينا.

٦. "فطار إليَّ واحدٌ من السَّرافيم وبيَده جمرَةٌ قد أخذَها بمِلقَطٍ من على المذبح".

هنا يتضح عمق الحب الملائكي لجنسنا... وفي كل مرة ينطرح الضعف الإنساني أمام مجد الله العظيم يتوسط ملاك للخدمة ويقيم الإنسان المتهالك... يا لعمق هذه المحبة في الأرواح المرسلة للخدمة للعتيدين أن يرثوا الخلاص...

فالملاك يقيم دانيال وهو مسبخ على وجهه ومنطرح ويقيم يوحنا الرائي ممسكًا بيده عندما سقط على وجهه من فرط بهاء الرؤيا. أنه حنان ملائكي وعطف روحاني عجيب...

ونحن نقرأ كيف كانت الملائكة تقوي الشهداء في أيام تعذيبهم وضعف جسدهم.

٧. "ومَسَّ بها فمي وقال: إن هذه قد مَسَّت شفتَيك، فانتُزع إثمك، وكُفِّرَ عن خطيّتك".

إننا ندخل مباشرة إلى التعبير الكنسي عن هذه الجمرة المطهرة ففي صلاة القسمة التي يقولها الكاهن وهو يقسم جسد المسيح يقول: "وكما طهرت شفتي عبدك إشعياء النبي إذ أخذ أحد السّرافيم جمرة بالملقط من على المذبح وطرحها في فيه وقال له إن هذه لمست شفتيك ترفع آثامك وتطهر من جميع خطاياك. هكذا نحن أيضًا الضعفاء الخطاة عبيدك الطالبين رحمتك تفضل طهر أنفسنا وأجسادنا وقلوبنا وأعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التي هى الجسد المقدس والدم الكريم اللذان لمسيحك" قسمة قداس القديس كيرلس.

وفي صلاة أخرى للقسمة أيضًا يقول الكاهن: "لأني تقدمت للمس جسدك ودمك لشوقي في محبتك. فلا تحرقني بهما يا جابلي بل أحرق كافة الأشواك الخانقة

لنفسي".

فالكنيسة ترى بوضوح أن هذه الجمرة الملتهبة والمطهرة للخطايا هى جسد المسيح المكسور بالحب عن خطايا العالم كله.

الجسد المحيي الذي جعله الرب واحدًا مع لاهوته الذي حملته العذراء المجمرة الذهب في بطنها بالروح القدس الناري.

وهذه الجمرة لفم إشعياء:

+ تطهر وتقدس ولا تحرق مثل نار العليقة المشتعلة ولا تحترق.

+ تضرم نار الحب في القلب فيشتاق للبذل والتضحية.

+ تطلق اللسان بكلام الحق مثل ألسنة النار التي حلت على التلاميذ يوم الخمسين.

+ أنارت بصيرة إشعياء لاستعلان الحق الإلهي وألهبت قلبه بغيرة متأججة نحو مقادس الله وشعبه "غيرة بيتك أكلتني" (مز ٦٩: ٩).

+ ونحن نتأمل كيف أسلم إشعياء النبي فمه للنار المطهرة بدون تحفظ وهو في حالة الصلاة داخل الهيكل ونحن نحتاج إلى هذا التسليم في كل وقفة في الهيكل أمام جمر النار (جسد المسيح)... فما لم نكن مستعدين لتسليم شفاهنا وأعضاءنا النجسة لهذه النار الممحصة بلا شروط سوف تحرقنا هذه النار...

+ إن هذه الجمرة المستعدة للتطهير بقدرة إلهية فائقة يلزمها شعور بالعوز والاحتياج... إنها مستعدة لمس الشفتيْن إن اعترف صاحبها "أنا نجس الشفتين". فالنعمة تتنازل حيث فقر الإنسان ونجاسة شفتيه لتطهر إثمه وتنزع خطيته. فالتناول من الجسد يسبقه اعتراف بنجاسة القلب وعدم الاستحقاق.

٨. "ثم سَمِعتُ صوت السيد قائلاً: من أُرسل؟ ومن يذهب من أجلنا؟ فقُلت: هأنذا أرسلني".

ما كان لإشعياء النبي أن يسمع صوت الرب أو يجاوبه قبل أن ينتزع إثمه ويطهر من خطيته بلمس الجمرة المطهرة. لأن سماع صوت الرب يحتاج دائمًا

إلى أذن مهيئة ومختونة وتحتاج إلى خلع الحذاء قبل أن يتلاقى مع الرب ويسمع صوته ... لابد للإنسان أن يكون في حالة قداسة لأنه بدون القداسة لن يرى أحد الرب.

لقد قال الرب لموسى من العليقة هلم لأرسلك والآن يقول لإشعياء من أرسل؟ ومن يذهب لأجلنا؟... قد ينادي الرب واحدًا مثل موسى أو مثل لاوي بدعوة صريحة وصوت واضح ليرسله ... وفي مرات أخرى يضع الرب أمام الخادم حاجة الخدمة وإلزامها... قد يقول الرب "الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون". وهذا معناه أن الرب ينتظر من يجاوب قائلاً: "**هأنذا فأرسلني**" أو يقول مع صموئيل "هأنذا لأنك دعوتني".

من أرسل ومن يذهب لأجلنا؟

بهذا السؤال يبدو إلهنا وكأنه محتاج إلينا؟ كأنه يقول دائمًا... من أرسل ليخبر بمحبتي ويظهرها... من أرسل ليتعب ويتألم من أجلي؟ من أرسل ليكون رائحتي الذكية ورسالتي المقروءة؟... وهكذا.

ونرى أن النفس التي تقدست بجمرة الحب تجاوب الرب ببساطة القلب "هأنذا فأرسلني" هكذا تجاوب بلا تحفظ ولا شروط. هأنذا فأرسلني إلى أي مكان وإلى أي أحد وبأي وسيلة وفي أي زمان وبأي رسالة...

ولكننا عرفنا الطبيعة البشرية دائمًا تحب أن تأخذ وتخاف أن تعطي أو تبذل... تقبل الكرامة وتهرب من صليب الخدمة وتبعاتها... فكيف ينطق إشعياء بهذه الطاعة المطلقة "هأنذا فأرسلني"!؟ إن عمل النعمة هو التغيير الفائق للطبيعة فالوقوف في الهيكل ورؤية الله وسماع التسبيح الملائكي ولمس الجمرة الإلهية صار في إشعياء قوة غالبة للطبيعة البشرية بكل ضعفها... لذلك أيضًا قال الرب للتلاميذ: "لا تبرحوا أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي".

ففي كل مرة ندخل الهيكل وننظر جسد الرب ونسبح مع الملائكة وننال من جسد المسيح نحصل على نعمة فائقة وننمو في كل شيء ونتغير من ضعف إلى قوة ومن شك إلى عمق إيمان ومن خوف إلى شجاعة تواجه الموت بفرح...

٩. "فقال: اذهب وقُل لهذا الشعب: اسمعوا سَمعًا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارًا ولا تعرفُوا".

يارب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب.

إن السيد الرب قد وضع كلامه في فم إشعياء وهو مزمع أن يتكلم به بالكلام وبالمثل وبالآيات. ولكن كلام السيد ليس له مكان في قلب هذا الشعب فهم سيسمعون من فم إشعياء عن تجسد ابن الله ومجيئه إلى العالم وخلاص الله للشعوب وتعبه وآلامه وموته عنا ولكن لا يفهمون. ويبصرون ما يفعله الله بإشعياء مع جيش سنحاريب ولكن لعدم المعرفة لا يفهمون أيضًا.

إن اسطفانوس رئيس الشمامسة تكلم أيضًا بكلمة هذه الحياة أمام رؤساء اليهود ولكنهم سمعوا سمعًا ولم يفهموا ونظروا وجهه كوجه ملاك ولم يعرفوا، وحقًا قال عنهم اسطفانوس أنهم "غير مختونين بالقلوب والآذان".

١٠. "غَلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أُذنيه واطمُس عينيه، لئلا يُبصِر بعينَيه ويسمَع بأُذنَيه ويفهم بقلبه، ويرجع فيُشفَي".

وربنا يسوع المسيح نفسه وهو يفسر مثل الزارع للرسل الأطهار قال "أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات أما أولئك فلم يعط...!! من أجل هذا أكلمهم بأمثال لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون قد تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة: تسمعون سمعًا ... غمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا... ويرجعوا فاشفيهم" ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع" (مت ١٣: ١٦).

وقد كلّم الرب تلميذي يوحنا "اذهبا وأعلما يوحنا بما رأيتما وسمعتما: العميان يبصرون والخرس يتكلمون... وطوبى لمن لا يعثر فيَّ". الله يعمل بصفة مستمرة ويتكلم مع الإنسان بلا انقطاع قائلاً: "افتح لي" ولكن ماذا ينفع هذا مع نفس أغلقت على نفسها وصوتها من الداخل يقول "خلعت ثوبي، فكيف ألبسه؟ قد غسلت رجليَّ، فكيف أوسِّخهُما" (نش ٥: ٣).

وهنا نشير إلى الدينونة التي تحل بالإنسان عندما يسمع سمعًا ولا يفهم فتصير كلمة الله بلا ثمر "كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم".

١١. "فقُلت: إلى متى أيها السيد؟ فقال: إلى أن تصير المُدن خربة بلا ساكن، والبيوت بلا إنسان، وتخرَب الأرض وتُقفِر".

١٢. "ويُبعد الرب الإنسان، ويكْثُر الخرَاب في وسط الأرض".

فقلت إلى متى:

إلى متى يارب تصير حالة الشعب محزنة هكذا؟ إلى متى يكون لهم آذانًا ولا يسمعوا؟ ولهم عيون ولا يبصروا؟ إلى متى يارب تنسانا حتى متى تصرف وجهك عنا؟

وإشعياء يسأل كمنتظر النجاة ومتلهف على خلاص الله. لا يستطيع إشعياء أن يرى شعبه منطرحًا بعيدًا عن إلهه ولا يطيق أن يتطلع إليهم كشجرة يابسة خالية من ثمر... هذه الأحاسيس المباركة دفعت إشعياء النبي أن يسأل إلى متى؟ كمن يستعطف الله... إلى متى يظل شعبك كمجنون أعمى وأخرس؟... وكأن إشعياء يذكر الله بمواعيده بخلاصه الأبدي... "هل إلى الأبد تغضب علينا؟ أو تواصل رجزك إلى الأبد؟" وجدير بنا أن نردد بروح إشعياء هذا السؤال أمام إلهنا كل واحد على نفسه وعلى خدمته وعلى كنيسته وعلى شعبه.

إلى متى؟ إلى متى تظل نفسي عقيمة يارب إلى متى اسمع سمعًا ولا أفهم وأبصر إبصارًا ولا أعرف؟ إلى متى أغلظ قلبي وأقفل أذني واطمس عيني؟ إلى متى أظل متغربًا عن حبك بعيدًا عن سماع صوتك. أنت يارب تعود وتحيينا وشعبك يفرح بك.

فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر: *(هذه نبوة عن السبي).*

الذي كان وشيك الحدوث. فقد هجم الجيش الأشوري بقيادة سنحاريب وحاصر

أورشليم ولكن الرب أنقذها في اللحظة الأخيرة... ثم عاد ملك بابل وهجم عليها واقتحمها وأحرق المدينة كلها بالنار وسبى جميع بنيها إلى بابل فصار كلام الرب لإشعياء، صارت المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وخربت الأرض ولم تعد تصلح لزراعة بل صارت قفرًا.

لا شك أن هذا الجواب يمزق قلب إشعياء النبي مثل نحميا الذي سمع عن أورشليم وهو في السبي أن أسوار المدينة مهدمة وأبوابها محروقة بالنار فجلس على الأرض فناح وبكى وصلى وصام أيامًا...

فإشعياء يرى كل ما سمعه نحميا قائمًا كأنه حاصل في الحال. كيف أسلم الشعب إلى ذهن مرفوض؟ فإن كانت الخطية صنعت هكذا جسديًا وماديًا في الإنسان كم يكون علينا روحيًا؟ وإن كان هكذا المنظر الخارجي يبدو مفسدًا وخربًا فماذا يكون الداخلي؟

وإن كان هذا هو سبي الإنسان وسلطانه فكم يكون سبي العدو الشرير الحية القديمة الذي كان من البدء قتالاً للناس.

١٣. "وإن بقى فيها عُشرٌ بعد، فيعود ويصير للخراب، ولكن كالبُطمة والبَلُّوطة، التي وإن قُطعت فلها ساقٌ، يكون ساقه زرعًا مُقدَّسًا".

إلهنا هو إله الهزيع الرابع ... يتمجد في لحظة منتهى الضعف "كان لنا في أنفسنا حكم الموت ولكنه نجانا". "حينما كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا". فهو عند دعوة لنا بخلاص ونجاة من الموت ولا يمكن أن يبطل وعده حتى ولو خربت كل المدن وكل البيوت وهدمت الأسوار ولم يعد رجاء "تأملت عن اليمين وأبصرت فلم يكن من يعرفني... ضاع المهرب مني وليس من يسأل عني". "باركي يا نفسي الرب الذي يفدي من الحفرة حياتك".

هكذا يعزي الرب إشعياء بل ويعزي جميع المنتظرين فداء لإسرائيل. إنه رغم القفر الروحي الذي يصل إليه الإنسان ورغم الجفاف الذي تؤول إليه شجرة البشرية كلها إلا أنه يبقى قضيب من جزع يسى.

وهنا الغصن هو الكرمة الحقيقية الذي فيه تتبارك وتتقوى جميع قبائل الأرض، هو أصل الشجرة وفرع من فروعها في آن واحد.

الأصحاح السابع

١. "وحَدَثَ في أيام آحاز بن يوثام بن عُزِّيَّا مَلِك يهوذا، أن رَصِين ملك أرام صَعِدَ مع فَقَحَ بن رمَليَا مَلِك إسرائيل إلى أورشليم لمُحاربتها، فلم يَقدر أن يُحاربها.

٢. وأُخبر بيت داود وقِيل له: " قد حَلَّت أرام في أفرايم. فرجَف قلبه وقلوب شعبه كَرَجَفَان شجر الوَعر قُدَّام الرِّيح".

لمحة تاريخية:

١. في الأيام الأولى لآحاز ملك يهوذا تحالف ملك إسرائيل "فقح بن رمليا" مع ملك آرام "رصين"... تحالفا معًا وشنا حربًا على مملكة يهوذا وهجمت جيوش رصين من شرق الأردن بينما جاءت جيوش إسرائيل من شمال يهوذا وانقضا عليها وقتل من يهوذا في يوم واحد مائة وعشرون ألفًا (٢ أخ ٢٨: ٦) ثم صعدا إلى عاصمة يهوذا (أورشليم) وحاصراها ولكن لم يقدرا عليها... وعندما إشتد الهجوم من الملكين رصين وفقح بن رمليا على أورشليم شرع آحاز ملك يهوذا في الاستغاثة بملك أشور (تغلث فلاسر)... وقد جاء مسرعًا وصَعد على دمشق بجيوشه وفتحها وسبى أهلها وقتل ملكها (٢مل ١٦: ٩). وهكذا أيضًا فعل بالسامرة (عاصمة مملكة إسرائيل).

وقد جاءت كتابة الأصحاحات ٧، ٨، ٩ من نبوات إشعياء النبي خلال هذه الظروف.

وقد تركزت هذه النبوات بالأكثر حول التجاء ملك يهوذا إلى طلب المعونة من إنسان (ملك آشور) وأخرج لنا الروح القدس من هذه الحوادث التي تبدو وكأنها أمورًا سياسية وحوادث زمنية.

وقد أخرج لنا الروح منها أمورًا روحية غاية في العمق مختصة بالخلاص – وقد تجاوز الروح القدس الناطق بفم إشعياء حدود الزمن وتخطى الحوادث ودخل بنا إلى المستقبل دخولاً روحيًا مباشرًا فصار القارئ لهذه النبوات كأنه يرى الحاضر في كمال المستقبل حسب قصد الله ومع أن هذه النبوات تمت زمنيًا في وقتها إلا أنها لم تقتصر عليه لأن كلمة الله لا تقيد لا بزمان ولا بمكان ولا بحوادث بل ترفع الحاضر وترتقي

به ليتناسب وكمال المستقبل التي تعلن عنه كلمات النبوة.

٢. في العدد الثاني يشير الروح إلى الخوف القلبي الذي اعترى آحاز ملك يهوذا. وقلوب الشعب أيضًا كيف ارتجفت كرجفان شجر الوعر قدام الريح.

رجف قلبه:

معلوم أن آحاز لم يكن صاحب قلب مستقيم قدام الرب ويكفي أن نقرأ ما كتب عنه "كان آحاز ابن عشرين سنة حين مَلك، ومَلك ستَّ عشرة سنة في أورشليم. ولم يعمل المستقيم في عيني الرب إلهه كداود أبيه، بل سار في طريق ملوك إسرائيل، وعمل أيضًا تماثيل مسبوكة للبعليم وهو أوقد في واد هنوم وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم، وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء. فدفعه الرب إلهه ليد ملك أرام" (٢ مل ١٦).

+ الآن نعلم سر الكلمة المكتوبة "رجف قلبه" لأنه لو كان قلبه مستقيمًا كداود أبيه لوجدناه يقول: إن قام عليَّ جيش فلا يخاف قلبي... وإن انقلبت الجبال في البحار ففي هذا أنا أطمئن.

+ الإحساس بتخلي الله عنه هو السبب الأول لهذا الخوف الذي ملأ قلب آحاز وقلب شعبه.

+ توقع قصاص الله في كل لحظة يجعل الإنسان مستعبد للخوف والرعب في كل مناسبة. هذا ما يخيف غير التائبين والسالكين في سبل معوجة... "أما الخائفون والزناة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة".

+ الخوف ليس من الإيمان "وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية".

+ الخائف لم يتكمل في المحبة... الذي يدرك محبة الله له لا يخاف شيئًا ولا يرجف قلبه.

+ الخوف دفعه إلى الاتكال على خداع الناس (ملك آشور).

+ انظر أيضًا كيف رجفت قلوب الشعب بسبب قلب الملك غير المستقيم... لقد صار عثرة قدام الشعب.

٣. "فقال الرب لإشعياء: اخرج لملاقاة آحاز، أنتَ وشآر ياشوب ابنك،

إلى طَرَف قناة البركة العُليا، إلى سِكَّة حقل القَصَّار".

اخرج لملاقاة آحاز:

من المرجح أن إشعياء النبي وهو مثقل بنير الخدمة لذلك الشعب المحاصر كان منسكبًا في خلوته أمام إلهه يطلب ويتوسل من أجل مواعيد الله لشعبه وهيكله المقدس وميراثه واسمه القدوس مثل موسى وإرميا وباقي الذين حملهم الرب بغير الخدمة بشبه المسيح. ولابد أن إشعياء قضى في انسكابه أمام إلهه وقتًا من المحتمل أن يكون قد وضع في قلبه أن لا يخرج والحال بذلك محزن أشد الحزن.

وقد رأينا إشعياء دائم اللجوء إلى الهيكل أو إلى مخدع الصلاة كخادم حقيقي كلما ضغطت خطية الشعب المتألم حوله أو كلما رأى وجه الرب يبتعد عنهم.

وبينما إشعياء منحصر في مخدعه منسكب في صلاته قال له الرب "أخرج لملاقاة آحاز". ما أجمل هذا الصوت عندما يسمعه الخدام في مخدع الصلاة يدعوهم للخروج... هنا يصير الخروج من المخدع هروبًا من مواجهة الرب في الصلاة ولا يكون الخروج هربًا من اكتشاف الذات وخداعًا منها ولا طلبًا للراحة بعيدًا عن الوحدة ولكن يتحول عمل الروح الذي كان منحصرًا في الصمت والصلاة يتحول إلى كلمات إلهية نارية وقوة للتبكيت وشهادة للتوبة والرجوع إلى الله.

+ على أننا نرى إشعياء وقد أسلم نفسه لطاعة الصوت الإلهي لم يتردد في أن يترك خلوته المحبوبة ولم يتعلل بقساوة قلب آحاز وبعده عن الله، وكم يفرح الرب بأن يجد خادمه في كل لحظة واقفًا منتظرًا صوته ليفعل إرادته، إن الكلمة التي نطق بها إشعياء أمام الرب "هأنذا فأرسلني" صارت حياة إشعياء... فهو تحت الطاعة كل حين لملاقاة آحاز.

لملاقاة آحاز:

لقد أسقط آحاز الرب إلهه من حسابه فهو محصور في مخاوفه يجمع مشورات معاونيه دون أن يلجأ إلى إلهه أو يطلب معونته واتجه قلبه متفكرًا في الاتكال على ذراع ملك آشور ليخلصه ونسى ذراع الرب القوية ولم يدخل الهيكل ولم يسأل أنبياء الرب ولا قدم ذبيحة... كان آحاز تائهًا مرتبكًا في أمور كثيرة.

ولكن ما هو موقف إلهنا الحبيب من آحاز ومن هم على شاكلة آحاز... هل يتركهم هكذا إلى النهاية؟... حاشا... لقد أرسل الرب لإيليا قديمًا ليتراءى لآخاب وها هو يرسل إشعياء لملاقاة آحاز... إن الرب إلهنا يهتم دائمًا بالنفوس المتعبة والمضطربة وهى لاهية عن خلاصها.

أنت وشآر يشوب ابنك: "شآر ياشوب معناه البقية سترجع".

لقد أمر الرب إشعياء أن يسمى ابنه بهذا الاسم الرمزي وكثيرًا ما كلم الرب الآباء بالأنبياء بطرق متنوعة وكانت هذه إحدى الطرق فقد أمر الرب هوشع أيضًا أن يسمى أولاده بأسماء رمزية – "لوعمى ولورحامه" أي لستم شعبي ولا أرحم – ليعلم الشعب أن خطاياهم فصلت بينهم وبين إلههم هكذا أيضًا عندما أنقضت جيوش آرام وإسرائيل على يهوذا وقتلت شعبًا كثيرًا وأخذت البقية أسرى وكانت هذه الأخبار رعبًا للملك آحاز وحزنًا وخوفًا لجميع الشعب أن الرب أمر إشعياء أن يحمل ابنه (شآر ياشوب) هذا ويخرج لملاقاة آحاز وكأن الرب يقول لآحاز ولشعبه بواسطة هذا المنظر كما يحمل إشعياء ابنه شآر ياشوب... هكذا سأحمل المسبيين الباقين وأرجعهم.

هذا بالنسبة للحوادث الزمنية ولكن بمجرد أن ينكشف أمامنا الروح المخفي في هذا الوعد برجوع المسبيين والحق المختبئ وراء هذا المنظر الرمزي تتضاءل أمامنا الحوادث الزمنية كلها وتبدو مواعيد الله عميقة وكاملة.

فالحرب حربًا روحية وهجومًا للخطية راح ضحيتها كثيرين "طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء" والبقية الباقية مسبية في قبضة إبليس منتظرة ومتوقعة خلاص إلهنا برجاء حي هى بقية كل جيل وكل أمة أبقاها الرب شاهدة "أبقيت لنفسي... سبعة آلاف رجل..." وهذه البقية تصرخ "انهض قوتك وهلم لخلاصنا...".

وهنا تشرق على مسبي الرجاء مواعيد الله العظمى والثمينة "البقية سترجع".

يا لهذا الفرح الإلهي... من يبشر المسبيين ومن يطفأ ظمأ النفوس التي عطشت إلى خلاص إلهنا حتى صارت كأرض عادمة المياه... "البقية سترجع" إلى حضن الآب ونعمة البنوة سترجع إلى حرية مجد أولاد الله... سترجع من سبيها البعيد إذ قد تغربت عن الله معذبة من نير الخطية ومسخرتها وضيق الجسد وغواية العالم..

سترجع إلى مكان راحتها.

على أن أعجب ما أدخره لنا الروح في هذا المنظر أن هذه البقية سترجع محمولة في شكل الابن... فلقد دخلت هذه البقية إلى مركز البنوة بالمسيح فصارت محفوظة في المسيح وصار لنا به قدومًا ودخولاً إلى الله ودالة ورجاء وحياة أبدية وصرنا بالمسيح وفي المسيح أحرارًا من العبودية.

إلى طَرَف قناة البركة العُليا، إلى سِكَّة حقل القَصَّار:

ما أكثر الفرق بين سلوك إشعياء كخادم لله وبين آحاز الملك فالضيق دفع إشعياء إلى مخدع الصلاة والتوسل بينما دفع آحاز إلى تأمين الحياة الحاضرة فذهب يطمئن إلى قناة الماء إذا حوصرت المدينة أورشليم. وهنا يكشف لنا مسلك الإنسان عن عمق قلبه وما أكثر الشبه بين آحاز وبين آخاب ملك إسرائيل الذي ذهب يبحث عن عشب للخيل وقت أن أغلقت السماء ثلاثة سنين وستة أشهر بدل أن يرجع إلى نفسه ويعترف بخطاياه التي سببت هذا الكدر للشعب... فالضيقة على قدر ما هى نافعة لأولاد الله لنموهم على قدر ما تكشف عور السالكين بعيدًا عن طاعة إلهنا.

عند طرف البركة:

فالرب مستعد دائمًا أن يتكلم مع الإنسان حيثما كان وفي أي وقت. في الموقع الذي يوجد فيه... في مكان الجباية أو تحت شجرة الجميز... أو عند بئر السامرة... أو في الطريق إلى دمشق أو عند طرف البركة... لذلك تستطيع النفس أن تميز صوت الرب وتتعرف على رسالته في كل وقت وفي أي مكان إن هى انتبهت وألقت جانبًا مشغولياتها واهتماماتها الباطلة.

٤. "وقل له: احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعُف قلبُك من أجل ذنبي هاتين الشُّعلتين المُدخِّنتين، بحمُوِّ غضب رصين وأرام وابن رمليَا".

لقد كتب أحد الآباء قائلاً: لو كان الشعب قد استطاع أن يحيا وفق منظر العليقة لما احتاج إلى لوحي الشريعة فلأجل أولئك الذين لم يتأثروا برؤيا حوريب "العليقة" كانت رؤيا سيناء "الشريعة" ضرورية له... فحينما تنعدم

الحـرارة الداخليـة تكـون الحاجـة ضـرورية إلـى وصـايا مكتوبـة علـى ألـواح حجرية.

على هذا القياس كلف الرب إشعياء أن يتكلم مع آحاز إذ لم يؤثر فيه رؤية إشعياء وهو حامل ابنه "شآر ياشوب" وهكذا لم تنفتح عين آحاز ولا عيون الشعب على هذا المنظر لأنهم لو تأثروا بهذا المنظر وأدركوا غنى مواعيد الله لما احتاجوا بعد إلى كلام.

احترز واهدأ:

إن نفس الإنسان أشبه ما تكون بسفينة التلاميذ تظل معذبة من الأمواج مضطربة من الرياح تندفع في حركتها وتتخبط في التصرف إلى أن تقبل الرب داخلها فيصير هدوء عظيم وحيثما حل الرب يصير هدوء في الحال وسلام ليس على مستوى العالم أو ليس كما يعطي العالم، هذا ما حدث أيضًا عندما دخل الرب القائم من الأموات إلى علية التلاميذ وهى مضطربة بهم مليئة بمشاعر الخوف من اليهود – وقال أولاً السلام لكم.

لذلك كانت رسالة الرب إلى آحاز في بدايتها "احترز واهدأ" جيد للإنسان أن يقف قليلاً ويهدأ ويراجع طريقه لأنه: "توجد طريق تَظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طُرق الموت" (أم ١٦: ٢٥).

إن طبيعتنا سريعة الانفعال سريعة الذلل تأخذ القرارات بخفة وطياشة... ما أحوجنا أن نهدأ وأن نحترز "ليكن كل إنسان مبطئًا في الكلام مبطئًا في الغضب".

والاندفاع دائمًا يكون من عمل الذات البشرية والإنسان الحكيم يلتمس مشورة الله مثل نحميا عندما سأله الملك متى يكون سفرك ومتى ترجع لم يندفع في الجواب ولكن رفع قلبه وصلى إلى إله السماء وطلب مشورة ثم جاوب الملك فوجد نعمة في عينيه.

وقل له: احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعُف قلبُك من أجل ذنبي هاتين الشُّعلتين المُدخِّنتين، بحمُوِّ غضب رصين وأرام وابن رمليَا.

رأى آحاز رصين ملك أرام وفقح ملك إسرائيل في هجومهما على يهوذا كأسد زائر في غضبه ومثل نار تلتهم كل شيء أمامها ووقع أمام هذه القسوة في يأس وصغر نفس.

قد يبدو العالم جبارًا وقوى الشر عاتية مثل الريح العاصف ولكن يجب أن أولاد الله يعرفوا الحقيقة "الذي فيكم أعظم من الذي في العالم".

من هو جليات الأغلف الذي يعيّر صفوف الله الحي أمام جبروت داود الصغير وثقته في إلهه... وما هى قوة نار الأتون أمام الثلاثة فتية القديسين المتأكدين من رفقة ابن الله... هكذا تبدو قوات هذا الدهر كأنها لا شيء أمام ثقة أولاد الله "ثقوا أنا قد غلبت العالم".

وعبثًا حاول إشعياء بث روح الثقة هذه في آحاز الملك.

إن تقدير الإنسان لقوة العدو يجب أن تدخل فيها تقديرات الله، فالله ناظر إلى هذين الملكين وغضبهما الشديد.

كذنبي شعلتين مدخنتين... لا يخشى منهما... إنهما كلا شيء.

مغبوط هو الإنسان الذي ألقى رجاءه بالتمام على ذراع إلهنا في حربه الروحية... حينئذ يكتشف أن الحية القديمة انكسرت أنيابها وسكب سمها على الأرض "إنسحق الشيطان".

ويكتشف الإنسان أن رباطات الخطية وسلطانها وسطوتها – التي تبدو أحيانًا كنار وكأسد – يكتشف أن كل هذا وهم كاذب وأنه بالمسيح يسوع يستطيع كل شيء وأن أسلحة محاربتنا قادرة بالله على هدم حصون.

٥. " لأن أرام تآمرت عليك بشَرٍّ مع أفرَايم وابن رمَليا قائلة:

٦. نصعد على يهوذا ونُقوِّضُها ونستَفتِحُها لأنفسنا، ونُمَلِّكُ في وسطها ملكًا، ابن طبئيل.

٧. هكذا يقول السيد الرب: لا تَقوم! لا تكون!".

أراد الرب أن يطمئن نفس آحاز الملك بأكثر تأكيد فقال له بفم إشعياء أن هذه المؤامرة ليست من عندي وهذه المشورة باطلة وكل كلامهم الذي تكلموا به ليس من قبلي.

ولو أن آحاز له قلب متكل على الرب لكان يكفيه أن يسمع هذا الوعد الإلهي ويفرح به وهكذا يقول السيد الرب لا تقوم لا تكون.

كان يكفي لهذا الوعد أن يضع آحاز متكله ورجاءه وثقته كلها في وعد الله. هكذا تفعل النفوس الأمينة لو تآمر العالم كله ضد كنيسة الله المتكلة على ذراع حبيبها والمطمئنة إلى وعده "أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها" وإن مؤامرة الأشرار في كل جيل وغضبهم وحقدهم وتهديداتهم "لا تقوم لا تكون".

+ على أننا أيضًا من خلال كلام أرام وأفرايم ومؤامراتهم نستطيع أن نتأمل غرور القوة العالمية وثقتها وتخطيطها للمستقبل ونظرهما إلى يهوذا بإحتقار قائلين" "نقوضها ونستفتحها" لقد نسيا تمامًا إله السماء المتسلط على ممالك الناس أليس هذا ما فعله جليات وهو يعيّر صفوف الله الحي نظر إلى قوته متكلاً على ذاته.

+ إن هذا الهجوم الذي تعرضت له مملكة يهوذا كان بلا سبب فأرام وأفرايم (تآمرتا بشر) فالدافع كان شهوة شريرة لذلك كان وعد الرب "لا تقوم لا تكون".

٨. "لأن رأس أرام دمشق، ورأس دِمشقَ رصين. وفي مُدَّة خَمْس وستِّين سنةً ينكَسِر أفرايم حتى لا يكُون شعبًا.

٩. ورأس أفرايم السّامرة، ورأس السامرة ابن رمَليا. إن لم تؤمنوا فلا تأمَنوا".

إن الرب ينظر إلى أرام وأفرايم وقد تأمرتا بالشر وصارا آلة في يد الشيطان يتفكر بالشر على يهوذا بلا سبب... ينظر إليهما مثل الحية ويقول الرب: إنه سيسحق هذه الحية... رصين وابن رمليا هما رأس المملكتين المتحركتين بالشر وحياتهما أمام الرب كبخار وكنفخة. وفخر المدن في هاتين المملكتين هما دمشق والسامرة والرب مزمع أن يكسر كبرياءهما ويفرق شعبيهما قبل خمس وستين سنة وقد حدث هذا بالفعل (٢ مل ١٧: ٢٤).

- ماذا بعد كل هذه التأكيدات والوعود الإلهية.
- أيخاف الملك ويرتعد قلبه أم يطمئن إلى مواعيد الله؟

إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا:

"بدون إيمان لا يمكن أرضاؤه" (عب ١١: ٦).

"الإيمان هو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا ترى" إن لم تؤمنوا فجميعكم كذلك تهلكون".

بعد أن تكلم الرب من آحاز بمواعيد مطمئنة للنفس وثابتة وقوية... كلمه على فم إشعياء النبي قائلاً: "إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا" إن لم يؤمنوا فلا أمان ولا حاجة ولا طمأنينة ولا سلام قال إلهي للأشرار فالإيمان يستطيع أن يعمل كل شيء لأن كل شيء مستطاع للمؤمن (مر ٩: ٢٣). ووجود الإيمان في الإنسان دليل على علاقة شخصية بالله وحب وطاعة ودالة وثقة مطلقة بمواعيده ونتيجة الإيمان اعتماد كلي وتسليم مطلق لمشيئته مهما اصطدم هذا الإيمان بالواقع أو المنطق أو الظروف المحيطة.

فالذي يؤمن بالله حقًا يتحتم عليه أن لا يخاف شيئًا ولا يقيم وزنًا لشيء بل يضع أمامه مواعيد الله كمرساة مؤتمنة وثابتة للنفس ونحن لو راجعنا أمثلة الإيمان لرأينا كيف أن "بالإيمان... قهروا ممالك. صنعوا برًا نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود، اطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء".

وكم نجد إنسانًا مثل آحاز المتجرد من الإيمان خاب من معونة الله وخاب من النعمة متكلاً على معرفته البشرية التي أساسها الخوف والاحتراس والحذر والفحص والقياس والاتكال على ذراع البشر والحكمة البشرية ونسى أنه بالإيمان ينال أكثر مما يطلب أو يسأل.

(إذا رفض الإنسان كل معاضدة بشرية منظورة وكل آمال بشرية ولصق نفسه بالإيمان بالله بقلب نقي غير منقسم فإنه في ساعته تلازمه النعمة وتظهر فيه قوتها بمعونات مختلفة). "مار افرام السرياني"

إن عين الإيمان عجيبة جدًا ولو أن آحاز أسلم نفسه لهذا الإيمان لنظر إلى الأشياء التي لا تُرى مثل تلميذ أليشع الذي نظر قوات روحية وصرخ قائلاً: "أن الذين

معنا أكثر من الذين علينا". ووجد أن قوة العدو ضئيلة جدًا أمام جيوش الملائكة. كان يرى بعين الإيمان رصين وابن رمليا ذنبي شعلتين مدخنتين ويرى أنهما بنفخة من القدير ينكسر أفرايم فلا يكون شعبًا.

إننا كأولاد الله نسلك بالإيمان لا بالعيان... إيمان بمواعيد الله إيمانًا بالحياة الأبدية وملكوت الله الذي فينا... وهذه هى الغلبة التي نغلب بها العالم "إيماننا". إننا قطيع صغير ولكن بلا خوف... وأننا ضد العالم ولكنه عالم مغلوب وأننا نحارب قوات الشر ولكن لنا إيمان بأن الذي فينا أعظم من الذي في العالم.

١٠. "ثم عاد الرب فكلّم آحاز قائلاً:

١١. أُطلب لنفسك آيةً من الرب إلهك. عَمِّق طلَبك أو رَفِّعه إلى فوق".

ثم عاد الرب وكلم آحاز:

هنا يندهش الإنسان من طول أناة إلهنا وكثرة تحننه... كان يكفي ما تكلم به الرب أولاً من مواعيد وتأكيدات إلهية... كان يكفي أن قلب آحاز ظل كما هو مغلقًا دون كلمات الرب الإله... أما وأن الرب يعود فيتكلم آحاز مرة أخرى فهذا معناه أن الرب لا ييأس من نفس واحدة مهما بلغت من عدم الإيمان أو قساوة القلب هو يظل أمينًا في كلامه أمينًا في وعده يقرع الباب لا مرة ولا مرتين بل مرات ومرات... ثم يعود فيقرع أيضًا لعل النفس تتحنن عليه وتفتح إن صح هذا التعبير.

وفي هذه المرة يتكلم الرب مع آحاز متنازلاً تنازلاً إلهيًا مدهشًا للغاية فهو يترك لآحاز أن يختار بطريقته الخاصة نوع التأكيد الإلهي "أُطلب لنفسك آية" والرب الإله مستعد دائمًا إجابة طلب الإيمان على أن يكون الإيمان كاملاً في القلب "ليطلب غير مرتاب لأن المرتاب يشبه موجًا من البحر تخبطه الرياح فلا يظن ذلك الإنسان أن ينال شيئًا من عند الرب".

لقد طلب جدعون آية قبل ذلك وكان الرب حسب طبيعته سخيًا في العطاء فأعطاه حسب طلبه لا مرة بل مرتين "أن ينزل الندى على الجزة بينما الأرض حول الجزة يابسة ومرة أخرى ينزل الندى على الأرض وتظل الجزة يابسة".

وموسى عندما قال للرب أن الشعب لا يصدقه أعطاه آيات "العصا – اليد – ماء النهر".

وحزقيا الملك أيضًا عند شفائه أعطاه الرب علامة أن رجعت الشمس عشر درجات (إش ٣٨).

أُطلب آية من الرب إلهك:

وكان السيد الرب يعاتب آحاز أيضًا بلطفه الإلهي قائلاً: لماذا تذهب بعيدًا لماذا تطلب من ملك آشور الوثني ولا تطلب مني – أُطلب من الرب إلهك– أنا إلهك وإله آبائك، ألم يطلب سليمان أبوك حكمة فأعطيته؟ وطلب عزيا وفي طلبه الرب أنجحه.

عمق طلبك أو رفعه إلى فوق:

أُطلب لنفسك آية في الأمور الأرضية أو الأمور السماوية... فقط أُطلب وأنا أجيبك من السماء من فوق ومن الأرض من أسفل... السموات تحدث بمجدي (الله) والفلك يخبر بعمل يدي... من أجلك ألجمت البحر وأظهرت طبيعة الحيوان. أخضعت كل شي تحت قدميك... **فقط أُطلب آية!!**

ألست أنا الجاعل آياتي في فرعون ويدي القوية أخرجت الشعب وجعلت في البحر طريقًا، ألم أُعط الشعب آية من السماء المن ليأكلوا؟ الذي لم يكن يعرفه آباؤك. عمق طلبك أو رفعه إلى فوق.

١٢. "فقال آحاز: لا أطلُب ولا أُجرِّب الرب".

مسكينة هى النفس التي تقسي قلبها إلى هذا الحد، الرب يقرع ويتوسل ويطلب إلى النفس... افتحي لي يا حبيبتي، يا كاملتي، شعري امتلأ من الطل، وقصصي من نُدَى الليل. والنفس ذاهبة في قساوتها إلى أن قيل "حبيبي تحوَّل وعَبَرَ. طلبته فما وجدته، دعوته فما أجابني.

لقد كلم الرب آحاز مبكرًا ومتأخرًا بالوعود الكثيرة وتوسل إليه قائلاً: أُطلب لنفسك آية من الرب إلهك. ووضع كل شيء تحت قدميه... ولكن جواب آحاز "لا أطلب".

لا أطلُب ولا أُجرِّب الرب:

معلوم أن آحاز لم يطلب لسبب عدم إيمانه بالله وعدم ثقته في كل الكلام الذي نطق به إشعياء... ولكن الذي يدهش الإنسان أن آحاز يبرر عدم طلبه بكلمة الله قائلاً: "لا أُجرب الرب" إن كثيرين من الذين يسلكون سلوكًا معوجًا يبررون سلوكهم المعوج بتحوير كلمة الله أو بتفسيرها تفسيرًا خاطئًا يتفق وسيرتهم الرديئة.

ويسكتون ضميرهم المعوج ويخدعون أنفسهم بتنفيذ الوصية حسب استحسانهم وليس حسب قصد الله.

وتصير كلمة الله المكتوبة والناموس لهلاكهم وليس لخلاصهم "الناموس صالح إن كان أحد يستخدمه ناموسيًا" – لقد بكت يعقوب الرسول أيضًا المحاباة التي أخذت شكل محبة القريب.

إن المجرب كان يجرب الرب بالمكتوب يحوره حسب قصده النجس وكان الرب يكشف أيضًا خبثه قائلاً: مكتوب أيضًا... أنه يستطيع أن يغير شكله إلى شكل ملاك نور حينما يحول كلمة الله والوصية ليخدم غايته "الحكمة، الخبث، القسوة، والحزم". الحرف يقتل ولكن الروح يحيي.

صحيح أنه مكتوب لا تجرب الرب إلهك... وآحاز بقلبه الملتوي استخدم هذه الآية وارتكن عليها ضميره المعوج ولكن أين روح الوصية... هذه خطورة الذين يتمسكون بالحرف ويهملون الروح.

١٣. "فقال: اسمعُوا يا بيت داود! هل هو قليلٌ عليكم أن تُضجِروا الناس حتى تُضجِروا إلهي أيضًا؟".

عندما سمع إشعياء النبي إجابة آحاز الملتوية وانكشف أمامه عدم إيمانه بكلام الرب ومواعيده وقال لا أطلب وأجرب الرب التهب قلب إشعياء واحتدت روحه فيه... أنها الغيرة الروحية المقدسة في قلب الخادم عندما يرى نفوسًا ارتدت عن الإيمان وزاغت عن الحق...

اسمعوا يا بيت داود "أهو قليل عندكم... ألا يكفيكم عدم تقيد خطورة الخطية".

لأنك لم تسمع لصوت الرب اللطيف الهادئ ولم تصدق مواعيده... اسمع صوت الدينونة... لأن الرب قرع على بابك مرات ولم تستجيب لندائه. ها هو يغلق دونك الباب ويقول "أني لا أعرفكن"... لأنك لم تعرفي زمان افتقادك... تأت ساعتك... يهدمونك وبنيك فيك.

اسمعوا يا بيت داود يا آحاز أنت وآباؤك الذين كدرتم إسرائيل بتركككم الرب وسيركم وراء آلهة غريبة... أضجرتم الناس، صرتم قدوة ردية وعثرة... ولم تكتفوا بهذا بل أضجرتم إلهي أيضًا... استوجبتم غضبه وسخطه... تركتم وصاياه. احتقرتم مواعيده هدمتم مذابحه... قتلتم أنبياءه.

١٤. "ولكن يُعطِيكُم السيد نفسُهُ آية: ها العذراء تحبَل وتلِد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل".

آية على بقاء بيت يهوذا أبديًا.

آية على انكسار قوات الشر روحيًا إلى الأبد.

آية أعمق مما تطلب وفوق ما ترتفع.

آية على ثبات مواعيد الله وصدقها.

آية على أن البقية تستخلص وأن الرب سيحملها كما يحمل الأب ابنه.

+ جيل شرير يطلب آية ولا تعطى له... كما كان يونان آية في جيله كذلك يكون ابن الإنسان.

أية آية ترثينا حتى نؤمن بك... موسى أعطانا المن... ليس موسى أعطاكم... أنا هو المن النازل من السماء الواهب حياة للعالم.

الآن مرة أخرى يتخطى الروح الحوادث الزمنية من قيام مملكتي أرام وإسرائيل للهجوم على يهوذا ثم مواعيد الله من أن هذه المؤامرة لا تقوم ولا تكون وأن البقية من المسبيين في الحرب سترجع وأن ملكي أرام وإسرائيل ستنتهي حياتهما سريعًا كفتيلة مدخنة وأن المملكتين ذاتهما ستخربان وأن أفرايم ينكسر فلا يكون شعبًا... كل هذه الحوادث فعلاً تمت بكمالها زمنيًا في ذلك الحين... ولكن الروح يتخطى هذه الحوادث زمنيًا ويحولها كلها إلى صورة رمزية غاية في الإبداع.

+ فالسيد الرب يتدخل ويعطي آيته العجيبة العالية:

ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل.

+ آية على بقاء بيت يهوذا روحيًا وأبديًا إذ يولد من العذراء من سبط يهوذا الابن "عمانوئيل" الذي تفسيره الله معنا وهذا يعني أنه يتحد الله نفسه بجسم بشريتنا ويصير واحدًا معنا ونسله يبقى إلى الأبد. ومملكته الروحية تثبت بالبر ولا يقوى عليها الموت "ويملك على بيت داود أبيه – ولا يكون لملكه نهاية".

+ آية على انكسار مملكة الشر الروحية وإلى الأبد أو أن نسل المرأة عمانوئيل سيسحق رأس الحية وإلى الأبد أو بصليبه المُحيي وموته على الصليب سحق الشيطان وجرد الرئاسات وظفر بهم " أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية".

+ آية على انكسار أفرايم حتى لا يكون شعبًا بعد أن دعيَ شعب الله ولكنه لم يثبت في دعوته "إسرائيل القديم"... وقد صار شعبًا جديدًا لله متحدًا في جسد عمانوئيل.

+ آية على ثبات القلب والشجاعة الروحية في الإحساس الحقيقي بوجود الله في حياة الإنسان "عمانوئيل الله معنا"... أنا هو لا تخافوا... ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب... لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد... دفع إليَّ كل سلطان... أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر.

+ آية على أن البقية المعنية للحياة الأبدية التي سباها الشيطان زمانًا هذا مقداره وأحدرها إلى الجحيم سوف يصعدها عمانوئيل من سجنها ويفكها من رباطها ويحملها ويمجدها في نفسه "سبى سبيًا وأعطى الناس كرامات... نزل إلى أقسام الأرض السفلى... أقامنا معه...".

+ آية تنهي محنة إشعياء بين موت عزيا ونهايته وخوف آحاز وعدم إيمانه.

الملك المسيح غاية الأمم. يشترك مع الشعب في وجعهم منذ ولادته إلى صليبه.

إن آية الميلاد التي وضعها الملاك للرعاة كعلامة مضمونة وأكيدة للتعرف على المخلص مسيح الرب لا تزال هى بعينها آية الظهور الإلهي وآية الخلاص معًا.

تجدون طفلاً مقمطًا مضطجعًا في مزود... هو هو الذي تقيد في يديه ووضعوه

على الصليب.

وهو هو الذي قال تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب...

نحن مدعوون دائمًا للتعرف على المسيح ولكن قل من يجده ومن يراه لأننا لا نطلبه في المزود ونبحث عنه خارج الصليب لذلك نضيع العمر باطلاً... في بساطة الطفولة نتعرف عليه في قيود الضعف والتسليم والطاعة، يشير علينا بلاهوته في فقر الجسد وعوز الطبيعة نرى مجده ونعاين قوته.

وتدعو اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا:

اسم عمانوئيل يفيد حضور الله مع شعبه في وسطهم وحضورهم معه وفيه وهو أخذ جسدنا ليكون معنا في كل شيء "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضًا فيهما". فهو معنا في إنسانيتنا بكل ما فيها من ضعف ما خلا الخطية وحدها... معنا شريكًا في اللحم والدم ونحن معه أيضًا من لحمه ومن عظامه أخذ جسدنا المائت ووحده فيه وأعطانا جسده المحب وأقامنا معه.

معنا في أكلنا وشربنا ودخولنا وخروجنا ونومنا وقيامنا وسيرنا ووقوفنا، معنا في العمل والسكون والشارع والبيت، معنا في حربنا وجهادنا وشريكنا في صومنا وصلاتنا ودموعنا وأنيننا "عمانوئيل" معنا في وسطنا حال فينا، معنا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر.

ونحن مدعوون – كأولاد الله – أن نكون معه "أقام اثنيْ عَشر ليكونوا معه" (مر٣: ١٤).

وهو يقول للآب: "أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون" (يو١٧: ٢٤). فهو صار معنا لنصير معه في كل حين وإلى انقضاء الدهر.

والذي يلفت النظر أن أول من استحق بركات الوجود في معية الله ودعا الرب الحبيب بهذا الاسم هى العذراء الطاهرة "تدعو اسمه عمانوئيل" فهى التي دعته أولاً بهذا الاسم المبارك كثمرة للوجود الدائم في حضرته والتي اختصت بها العذراء القديسة وانفردت بها فصار "عمانوئيلها" الشخصي. إذ صح هذا التعبير كما حيّاها الملاك قائلاً: "الرب معك" فهو صار لها "عمانوئيل" "الله معها"

وهو في بطنها وحين حملته على ذراعيْها الطاهرتين وعظَّمته ركبتاها وأرضعته من ثدييها.

كان معها حضورًا إلهيًا فريدًا في نوعه صار معها ولها ابنًا وصارت معه أمًا "قامت الملكة عن يمينك أيها الملك".

١٥. "زُبدًا وعسلاً يأكلُ متى عَرَف أن يرفُضَ الشر ويختار الخَير.

١٦. لأنه قبلَ أن يعرفَ الصّبي أن يرفض الشر ويختار الخَير، تُخلَى الأرض التي أنت خاشٍ من مَلِكيها".

زبدًا وعسلاً يأكل:

إنه يشاركنا طعامنا وهو طفل "... كان الصبي ينمو ويتقوى في النعمة والقامة...".

كنعان أرض الموعد قال عنها الرب أرض تفيض لبنًا وعسلاً وهى حسبت رمزًا لراحتنا الأبدية وميراثنا في المسيح "بقيت راحة لشعب الله".

والمسيح عمانوئيل أعطانا نعمة البنوة فصرنا ورثة مع المسيح وارثون في المجد في الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل.

أورشليم العليا التي هى أمنا جميعًا... الراحة الحقيقية في الله نفسه، في المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله... وأوصاف هذه المدينة الروحية لا يسوغ لإنسان أن يتحدث عنها... هناك يطعمنا الله خبز الحياة المن المخفي ويسقينا من شهد حبه الإلهي، المدينة تفيض شبعًا أبديًا إلى دهر الدهور.

الزبد من اللبن الفعلي العديم الغش والعسل هو الوصية الإلهية والمواعيد التي اشتهتها البشرية كلها... وجدت كلامك فأكلته أحلى من العسل والشهد في فمي... إن قولك أحياني.

مكتوب عن الطفل المبارك عمانوئيل أنه دخل الهيكل في السن التي يعرف الأطفال فيها أن يختاروا الخير ويرفضوا الشر في سن إثنى عشر سنة وجلس بين المعتبرين معلمي الناموس وحافظي الشريعة يسألهم ويرد على استفساراتهم وكانوا يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ومن الحكمة الإلهية المذخرة فيه.

جلس عمانوئيل يقدم من خيرات الأرض الجديدة والسماء الجديدة للذين تعتقوا في أيام الغربة في برية العالم يقدم لهم من دسم بيته زبدًا وعسلاً ونعمة وكلام حكمة.

هذا هو الطعام الذي يأكله عمانوئيل! "ينبغي أن أكون في ما لأبي..." ... لقد سأله التلاميذ بعد ذلك الزمان. أن يأكل وقد جاع وهو عند بئر سوخار يتحدث مع المرأة السامرية... "يا معلم كُل. فأجابهم لي طعام آخر لستم تعرفونه... طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله".

لأنه قبلَ أن يعرفَ الصّبي أن يرفض الشر ويختار الخَير، تُخلَى الأرض التي أنت خاشٍ من مَلِكيها.

إن هذه الأمور التي تحدث عنها الرب ستحدث في ملء الزمان وتحتاج إلى إيمان لكي تمتد العين إلى منتهى السنين وتدرك غير المنظور ولكن أين آحاز المسكين من هذا الإيمان...

لذلك فهو محصور في الأمور الزمنية ومحدود بها وعبثًا محاولة إبعاده وإخراجه خارج دائرة الزمن فهو لا يرى ولا يستطيع أن يرى أن العذراء تحبل وتلد وهو عاجز أيضًا عن أن يتمتع – ولو بالإيمان برؤية عمانوئيل (الله معنا)... لأنه فعلاً لا يعرف معية الله... ولكن ما يراه بنفسه الذليلة المضطربة الخاشية من سطوة الملوك ورعبة الموت هو كل ملموس ومحسوس بالجسد فقط... مسكينة هذه النفس التي يغلق عليها داخل هذا السجن المظلم فلا ترى إلا جدرانه الكثيفة في ظلام!

من هذه الإعلانات الإلهية الفائقة للعقل البشري لم يرَ آحاز إلا إشعياء وهو حامل طفله "شآر ياشوب" ويتكلم معه بكلام الناس.

لهذا الإنسان الجسدي غير المؤمن قدّم الرب تأكيدًا مناسبًا ووعدًا زمنيًا قائلاً، قبل أن يعرف هذا الطفل "الذي تراه بعينيك الجسدية محمولاً على كتف إشعياء أبيه" قبل أن يعرف أن يختار الخير ويرفض الشر "أي سن ١٢ سنة" ستخلى الأرض التي تخشاها من الملكين رصين ملك أرام وفقح بن رمليا ملك إسرائيل.

وقد تمت هذه النبوة بالفعل فقد هاجم ملك أشور دمشق وقتل رصين كما قام هوشع بن أيلة على فقح بن رمليا وضربه وقتله وملك عوضًا عنه (٢ مل ١٦: ٩)،

(٢ مل ١٥: ٣٠).

وقد حدث هذا في مدة وجيزة من هذا التأكيد الإلهي.

ورجعت البقية التي تكلم عنها الرب زمنيًا فعاد حوالي ٢٠٠,٠٠٠ أسير الذين سباهم فقح ورصين من يهوذا إلى وطنهم.

١٧. "يجلبُ الرب عليكَ وعلى شَعبك وعلى بيت أبيكَ، أيامًا لم تأتِ منذ يوم اعتزال أفرايم عن يهوذا، أي ملك أشُّور".

+ نهاية الاتكال على ذراع البشر وقوة الناس.

+ من أراد أن يكون مُحبًا للعالم فقد صار عدوًا لله... محبة العالم عداوة لله.

عندما تقابل إيليا مع آخاب الملك الزائغ وراء غواية امرأته وعبادة البعل قال آخاب لإيليا "يا مكدر إسرائيل" فقال له إيليا النبي بكلمة فيها قوة دينونة إلهية...

"بل أنت وبيت أبيك يترككم الرب وسيركم وراء البعليم" أن إنسان واحدًا يخالف الوصية يكدر الجماعة كلها مثل عاخان بن كرمي عندما خان خيانته فقال له يشوع "كدرتنا يكدرك الرب".

لقد كان سبب هزيمة للشعب كله ومرارة نفس.

فكم يكون الحال إذا كان الملك نفسه قد أسلم نفسه ليد الشيطان. أين هذا من إحساس بولس الرسول الذي يود لو يموت ولا يعثر أحد إخوته الأصاغر.

+ على أن الرب لأجل خلاصنا يدبر أن الذين يسيرون وراء العالم يطلبون شهوة أو سند أو شيئًا من أباطيله يخذلهم العالم مثل الابن الشاطر عندما تخلى عنه أصحابه وكان ذلك سببًا في رجوعه...

"العار أرده على المخصبين والهوان على المتعظمين".

+ هذه هى طبيعة العالم يبدو أن يحبني اليوم ثم يلتفت ليمزقني غدًا، يظهر نفسه كصديق يدافع عني ثم يعود فيلتهمني... أليس هذا هو ملك أشور الذي ينسى آحاز إلهه من أجله ويتغاضى عن مواعيد الرب بسببه، إنه هو هو عصاة التأديب لآحاز بل ولكل شعبه ولكل بيت أبيه.

١٨. "ويكـون في ذلـك اليـوم أن الـرب يصْـفِر للـذُّباب الـذي في أقصَـى تُـرَع مِصْرَ، وللنَّحـل الـذي في أرض أشـور".

لقد تحالفت يهوذا مع أشور تارة ثم مع مصر مرة أخرى وقد قامت بين أشور ومصر عدة حروب وكانت في كل مرة ضحية هذه الهجمات يهوذا الحليفة لأحدهما.

+ ونحن نجد أن هذا الخراب الذي يحل بيهوذا هو بسماح من الله فهو مصفر للذباب وللنمل الذي في أشور – أي أنه يدعوهم.

وليتنا نستفيد عندما نشعر بهجمات العالم علينا ونرجع إلى الرب إلهنا. أن غزو العالم للكنيسة بذبابه ونمله بسبب انفتاح الكنيسة واتكالها على ذراع العالم وتحالفها معه.

لقد شبه الرب جيوش مصر بالذباب وجيوش أشور بالنمل من أجل كثرتهم وضررهم... والذباب هو ضربة من أجل قساوة القلب ووجع من أوجاع العالم وقد وعد الرب قديمًا قائلاً "من أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظونها وتعملونها يحفظ الرب إلهك العهد والإحسان... ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة" ولكن عندما حادوا قال: "بما ليست أمة أغيظكم" بالأمم الوثنيين بذباب مصر ونمل أشور.

١٩. "فتـأتي وتحِـلُّ جميعُهـا في الأوديـة الخربَـة وفي شـقُوق الصّـخُور، وفي كـل غـاب الشّـوك، وفي كـل المراعـي".

تحل جيوش العالم فتغطي ملامح يهوذا بجوانبها لا تترك فيها مكانًا إلا وتملأه.

تأمل كيف تصير المملكة المتروكة من الله للتأديب بيد العالم الذي لا يعرف الرحمة!

٢٠. "في ذلـك اليـوم يَحلِـقُ السـيد بموسـى مُسـتأجَرةٍ في عَـبر النهـر، بمَلـك أشـور، الـرأس وشعـر الرِّجلين، وتَـنـزع اللحيـة أيضًا".

ملك أشور:

آلة تعذيب في يد الرب – ليس له سلطان ولا قوة من ذاته إنه في يد ضابط

الكل مثل الموسى المستأجرة ولكن العجيب أن آحاز هو الذي استأجره ليدافع عنه وإذا بالموسى يأتي على المملكة كلها، ويحلق فيها السيد الرأس أي أصحاب المراكز العالية وشعر الرجلين أي عامة الشعب وشعر اللحية أيضًا أي الكهنة والملك وبيت الملك المعتبرين ذوي كرامة.

عندما يصير الإنسان في مكان الطاعة من إلهه يصير في بهجة القداسة مدهونًا شعره بالزيت نازل من الرأس العالي والتدبير الإلهي إلى اللحية المباركة. وزيت النعمة يشمل الجسم كله... ولكن عندما يضرب الجسم ببرص الخطية فإنه مكتوب في الناموس في شريعة تطهير الأبرص أنه يحلق شعر رأسه ولحيته وشعر الرجلين والحواجب أيضًا ويستحم بماء" (لا ١٤: ٨، ٩).

هذا ما يفعله الرب الإله في هذا التطهير الزمني الذي يحل بيهوذا حسب كلام النبوة "تأديبًا أدبني الرب ولكن إلى الموت لم يسلمني".

٢١. "ويكون في ذلك اليوم أن الإنسان يُربِّي عِجلَة بقر وشاتَين.

٢٢. ويكون أنه من كثرة صُنعها اللبن يأكل زُبدًا، فإن كل من أُبقيَ في الأرض يأكل زُبدًا وعَسلاً.

٢٣. ويكون في ذلك اليوم أنَّ كل موضِع كان فيه ألف جَفْنَةٍ بألفٍ من الفضة، يكون للشوك والحَسَك.

٢٤. بالسِّهام والقَوْس يؤتى إلى هناك، لأن كل الأرض تكون شوكًا وحَسكًا.

٢٥. وجميع الجبَال التي تُنقَب بالمِعوَل، لا يؤتى إليها خوفًا من الشوك والحَسَكِ، فتكون لِسَرح البَقَر ولدوس الغَنم".

ونحن هنا نرى صورة أليمة جدًا للحالة التي تؤول إليها مملكة يهوذا المحبوبة.

+ في مكان تسمع عن الشوك والحسك (أجرة الخطية)... "شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض"...

+ هناك بقية في هذه الأرض الحزينة، وهذا ما يعزي النفس جدًا أن الرب من أجل أمانته يبقي على بقية في كل جيل "لنا في كل قرن خلاص". فالخطية مهما بلغت لا تأتي على كل عمل الله "فسادوم وعامورة قتلتهما نار الغضب الإلهي ولكن

هناك بقية للرب... والعالم الأول أيضًا هلك بالطوفان ولكن هناك بقية تخلص ... "يعرف الرب أن ينقذ الذين هم له".

وهذه البقية رغم هذا الفقر "تربي عجلة بقر وشاتين" ولكن غنى نعمة الله تجعلهما – تأكل زبدًا وعسلاً كعربون الميراث للبقية التي تخلص في يوم الدينونة ونهاية العالم كله.

الأصحاح الثامن

١. "وقال لي الربُّ: خُذ لنَفسِك لوحًا كبيرًا، واكتُب عليه بقلم إنسان: لمَهير شلاَل حاش بَزَ".

إن ظروف هذا الأصحاح هى نفس الظروف التي تكلّم الرب فيها مع إشعياء النبي في الأصحاح السابق من جهة مؤامرة رصين ملك أرام وفقح بن رمليا ملك إسرائيل ضد يهوذا.

وقال لي الرب:

إن حديث الرب مع خادمه يكاد يكون متصلاً. فإن الرب يسر بخائفيه ولهم يعلن إرادته ولا يكتم عنهم سرًا، والخادم الأمين بالنسبة لربنا كجهاز استقبال مرهف الحساسية يستقبل في كل ظرف كلمات وتوجيهات وإعلانات من أجل نفسه ومن أجل الخدمة التي أؤتمن عليها.

لقد أرسل الرب إشعياء لآحاز الملك قبل ذلك وقال له: "لا تخف ولا يضعف قلبك"... ثم كلمة أيضًا قائلاً: "اطلب لنفسك آية وعمق طلبك إذا شئت" ...

وها الرب هذه المرة يكلّم الشعب بطريقة أخرى قائلاً لإشعياء: "خذ لنفسك لوحًا كبيرًا واكتب عليه بقلم إنسان لمهير شلال حاش بز" وهكذا فعل إشعياء.

لوحًا كبيرًا... وقلم إنسان:

إن زكريا الكاهن أبو يوحنا المعمدان طلب لوحًا ليكتب لأنه كان صامتًا لا يتكلم... فما بال الرب يطلب من إشعياء أن يكتب على لوح كبير ويضعه أمام الشعب!

أليس لأنهم لم يسمعوا الكلمة التي تكلم بها الرب بفم أنبيائه القديسين مرارًا... وتكرارًا؟

أليس من أجل ذلك أيضًا بعد ما كلم الرب الشعب بفم موسى النبي وأخرجهم بيده وأطعمهم في البرية ورغم ذلك كانوا يتقسون ويصلبوا رقابهم... فكتب لهم الوصايا

على ألواح حجر تتناسب مع قلوبهم... لأنهم لو كانوا أطاعوا صوت الله فما حاجتهم إلى كلمة مكتوبة على حجر.

إن مرات كثيرة يلزم الله خدامه بالسكوت على أن يشيروا فقط إلى الكلمة المكتوبة أمام الشعب... لقد قال الرب مرة لحزقيال النبي: ادخل مخدعك وألصق لسانك بحنكك (حز٣: ٢٤، ٢٦).

وقال أيضًا بولس الرسول: "منعني الروح من أن أتكلم".

ومرة أخرى يقول: "تكلم لا تخف لأن لي شعبًا كثيرًا في هذه المدينة".

ما أجمل أن يتكلم الخادم حينًا ويصمت حينًا آخر ولكن بحسب قول الرب وبحسب إرشاد روحه القدوس.

لوحًا كبيرًا:

فإعلانات الله يجب أن تكون واضحة أمام المخدومين.. وعلى أوسع نطاق وهنا أيضًا تبدو مسئولية النبي كما قال الرب أيضًا لحزقيال: "جعلتك رقيبًا على الشعوب" (حز٣٣).

إذًا لابد من اللوح الكبير والوضوح في الإنذار والتوبيخ بكل أناة وتعليم كما يقول الرسول بولس.

واكتب عليه بقلم إنسان:

إن ربنا في حديثه معنا لا يكلمنا بلغة الملائكة ولا يخاطبنا بكلام أعلى منا... ولكن في اتضاعه يتنازل ويكتب لنا بقلم إنسان... يتكلم معنا وهو قريب منا ومتنازل إلى مسكنتنا.

ويكفي أن الرب بعدما كلّم الآباء بهذه الطرق الكثيرة والمتنوعة كلمنا في ابنه ودُعيَ "ابن الإنسان" وصار ليس قريبًا منا فقط بل ومتحدًا أيضا بطبيعتنا.

أما العبارة التي موضوع الإعلان "**مهير شلال حاش بز**" فهى أربع كلمات معناها "يعجل الغنيمة ويسرع النهب" وهى إشارة صريحة لتتميم كلمة الله السابقة في

الأصحاح السابق. من جهة هجوم ملك أشور على مملكتي إسرائيل وأرام ومجيئه بسرعة وتخليص يهوذا من أيديهما.

وكما قال الرب لآحاز: "إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا".

هكذا أيضًا إن لم يكن لهذا الشعب إيمان بالله فالذي يصيب مملكة إسرائيل بسبب انحرافهم وعدم إيمانهم سوف يصيب يهوذا أيضًا إذا لم تثبت في الإيمان.

٢. "وأن أُشهدَ لنفسي شاهدين أمينين: أوريا الكاهن، وزكريا بن يبرخيَا".

على فم شاهدين أو ثلاثة شهود تقوم الشهادة (٢ كو١٣: ١) قال الرب في أيام إيليا: "أبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل". فربنا يبقى لنفسه شهودًا في كل زمان يشهدون لمحبته ويشهدون لوصاياه ويشهدون ضد العالم وضد فجور الناس مثل نوح البار وأيوب الصديق ويوسف العفيف والرسل الأطهار... وكل تلاميذ الرب "تكونون لي شهودًا".

أما أوريا فهو الكاهن المؤتمن في أيام آحاز وكان يوقد محرقة الصباح وتقدمة المساء ومحرقة الملك وتقدمته مع محرقة كل شعب الأرض وتقدمتهم وسكائبهم... (٢ مل ١٦). أما الشاهد الآخر فهو زكريا بن يبرخيا وهو ليس كاهنًا ولا نبيًا بل إنسانًا عاديًا ولكن بشهادة الله نفسه "أمينًا" وهنا تتعظم نعمة إلهنا التي تبقي بقية الشاهدة من المعروفين ومن المجهولين على حد سواء.

٣. "فاقتربت إلى النبيّة فحبلت وولدت ابنًا. فقال لي الرب: ادع اسمه مَهَير شلال حاش بَزَ".

لم يكتف الرب بالإعلان السابق "اللوح الكبير والكلام المكتوب" فليست طريقة من الطرق تشبع رغبة إلهنا في إعلان إرادته إلا تجسد الحقيقة أمام الإنسان... هكذا أراد الله أن يكون هكذا فأعطى لإشعياء أن ينجب ولدًا ويسميه بذات الاسم الذي كتبه على اللوح ولم يصبح مجرد كتابة ولا كلام ولكن شخص بذاته يحمل الاسم ويحمل الوعد أيضًا.

هكذا أيضًا مع الفارق فإن الكلمة المكتوبة قديمًا أعلنت الله للناس وأعلنت وصاياه وقصده ومشيئته من جهة الخلاص إلى أن صار الكلمة جسدًا فرأينا مجده وقيل أن الحياة أظهرت ودُعيَ اسمه يسوع أنه يخلص شعبه من خطاياهم.

٤. "لأنه قبل أن يَعرف الصّبي أن يدعو: يا أبي ويا أمي، تُحمَل ثروة دمَشق وغنيمة السَّامرة قُدَّام ملك أشور".

وهنا يجعل الله مواعيده ثابتة ويتوسط بهذه الطريقة لعل الشعب يثق في مواعيد الله أي قبل سنة أو سنتين على الأكثر يتحقق وعد الله من جهته ضد الشر على يهوذا أو خراب أرام وإسرائيل.

٥. "ثم عاد الرب يُكلِّمني أيضًا قائلاً:

٦. لأن هذا الشعب رَذَلَ مياه شيلوه الجاريَة بسُكُوتٍ، وسُرَّ بِرَصين وابن رَمَليا".

يبدوا أن علامات عدم الإيمان بدت واضحة في ملامح هذا الشعب رغم كثرة إعلانات إلهنا ورغم تعدد الطرق التي توسط بها الرب والآيات التي أظهرها نحوهم.

إن كثرة مراحم الرب إلهنا إن لم تكن سببًا للتوبة والرجوع إلى الله تصير علة دينونة بالأكثر... والذي لا يستفيد من لطف الله وإمهاله وطول أناته يجعل نفسه مستحقًا للعقاب الأبدي.

لذلك عاد الرب فكلم إشعياء أيضًا كلمات قضاء على هذا الشعب قائلاً:

"لأن هذا الشعب رذل مياه شيلوه الجارية بسكوت".

شيلوه:

هى مكان عبادة رب الجنود وتقديم ذبائح منذ القديم... فقد صعد إليه ألقانه وحنة أم صموئيل من سنة إلى سنة ليسجدا ويذبحا للرب وفيها نصب يشوع خيمة الاجتماع (يش ١٨: ١)، (١ صم ١).

ويقول عنها إرميا النبي: "اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمى أولاً.." (إر ٧: ١٢).

شيلوه = شلوام: وهى اسم عبري تعني سلام أو خلاص ويذكر نحميا النبي "وباب العين رمَّمه شلُّون بن كلحوزة رئيس دائرة المصفاة. هو بناه وسقفه وأقام مصاريعه وأقفاله وعوارضه، وسور بركة سلوم عند جنينة الملك إلى الدَّرج النازل من مدينة داود" (نح ٣: ١٥).

إذًا هى باختصار:

١. مكان العبادة لرب الجنود وتقديم الذبيحة.
٢. مكان الخيمة واجتماع الله بشعبه وحلوله في وسطهم.
٣. المكان الذي يسكن فيه اسم الرب إلى الأبد.
٤. السلام والخلاص.
٥. هى بركة الملك داود.

وقد اتضحت هذه المعان كلها عندما أمر الرب يسوع الرجل المولود أعمى أن يذهب ويغتسل في بركة سلوام فاغتسل وأبصر. وهو رمز غسيلنا في مياه المعمودية بقوة الروح القدس وتجديد خلقتنا.

فإن رفض هذا الشعب مياه سلوام إنما يكون رفض هذه المعاني جميعها... رفض السلام والخلاص والعبادة والذبيحة وخيمة الاجتماع وكل ما فيها واسم رب الجنود ورعاية الملك داود وبالجملة قد رفضوا.

رفض الانقياد لروح الله.. لأن المياه الجارية بسكوت هى ماء الراحة رمز الروح القدس الذي يقود للرب النفوس التي يرعاها...

وليس هذا فقط ولكنهم... **سروا برصين وابن رمليا**... وغالب الظن أن كثير من الشعب رحبوا بأخبار اقتراب ملك أرام وملك إسرائيل من مملكة يهوذا... فرحوا باقتراب عبادة الأوثان والزنى والنجاسات وانتهاء واجبات العبادة والذبائح وكل هذه الأمور التي عبّر عنها الرب بقوله: "**مياه شيلوه**".

هؤلاء يرمزون للذين يشتهون العالم في قلوبهم ويسرون بأباطيله أو ربما يكون هذا شعور بعض الشعب بقيود الحياة مع الله وانغلاق مملكة يهوذا وعدم اختلاطهم بالأمم وعدم تعاملهم مع العالم... ففرحوا عندما سمعوا أن أسرار الحياة مع الله وشيكة الوقوع وأنهم سيفلتون ويعتقون من العبودية لله والخضوع لوصاياه...

وهؤلاء يمثلون الذين يعيشون في الكنيسة بضيق وتذمر ويتمنون لو يكونوا للعالم ولكنهم لا يجهرون برأيهم خوفًا من المجتمع أو عدم وجود الفرصة للشر.

٧. "لذلك هوذا السيد يُصعِد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة، ملك أشُّور وكل مجده، فيَصعَد فوق جميع مجَاريه ويجري فوق جميع شُطوطه".

إن جزاء الذين يرفضون روح الله الوديع الهادي "مياه شيلوه" يصعد عليهم روح العالم الصاخب الهائج "ملك أشور".

هكذا يشبه الرب ملك أشور بمياه نهر قوية وكثيرة متدفقة في فيضان وثورة تغرق وتهلك وتهدم ولا تشفق.

وهكذا هو العالم للذين يشتهون ويطلبون أن يرتووا منه ويسروا به ويتركوا مياه الراحة ويرذلوا شيلوه ويجرفهم العالم في تياراته ويغرقهم في لججه فلا ينجون فالذين يشتهون شهوات الجسد ويسرون بها... يصعد عليهم الشهوات في طوفان تحطم حياتهم وتفني شبابهم وتذهب نور عيونهم مثل شمشون الذي اشتهى الفلسطينيين فغرق في طوفان الفلسطينيين وذهبت عنه قوته وفقئت عيناه.

ومثل الابن الضال الذي رذل الحياة في بيت أبيه واشتهى الحرية الكاذبة وسر بالعالم والأصدقاء... فغرقه العالم في الكورة البعيدة وسلب ثروته وصار يشتهي خرنوب الخنازير وكاد ينتهي لو لم تدركه أفكار التوبة ومراحم الآب.

٨. "ويندَفق إلى يهوذا. يفيض ويَعبُرُ. يَبلُغُ العُنُقَ. ويكون بَسط جناحيه ملء عَرض بلادك يا عمانوئيل".

وقال الرب: "بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وبمراحم أبدية سأجمعك" باستحقاق وعدل استحق الشعب أن يندفق إليه ملك أشور مثل نهر هائج لأنهم رذلوا الرب إلههم...

وهكذا يدخل ويفيض ويعبر ويبسط جناحيه ويتسلط.. ولكن يقول "**يبلغ إلى العنق**" أنه لا يغرق إلى النهاية ولا يهلك إلى التمام لابد أن يترك بقية استبقاها الرب... ونفوس المخلصين الناجين تصرخ "أترى جازت نفوسنا الماء الذي

لا نهاية له مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم". إن تعبير "يبلغ إلى العنق" يعطي رجاء حتى للذين وصلت مياه العالم في حياتهم إلى العنق... مازال فيهم نسمة حياة فلهم في صليب ربنا رجاء مادام أبقى لهم حتى اليوم بقية.

ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل.

صحيح أن ملك أشور سيأتي ليهلك ويهدم لكنها حتى في حال العقاب هى بلاد عمانوئيل وهو سيخلص مختاريه وينقذ أولاده... وحتى في داخل الطوفان سيحوط بأولاده وهو معهم لأن اسمه عمانوئيل.

إيمان البقية:

٩. "هِيجُوا أيها الشعوب وانكسروا، وأصغي يا جميع أقاصي الأرض. احتزموا وانكسروا! احتزموا وانكسروا.

١٠. تشاوروا مشورة فَتَبْطُل. تكلّموا كلمَة فلا تقوم، لأن اللَّه معنا" (عمانوئيل).

إن كان إيمان آحاز بدى هكذا ضعيفًا مهتزًا حتى رجف قلبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح... وإن كان هكذا أيضًا إيمان شعبه وقلوب شعبه... إلا أن هناك بقية من لم تنتسب للملك كشعبه لكنها كانت منتسبة للَّه **"كشعب اللَّه"** هذه البقية عجيبة في إيمانها قوية في ثباتها... وقد كشف إشعياء في هذه الأعداد فكر هذه البقية وإيمانها.

"هيجوا أيها الشعوب وانكسروا واصغي يا جميع **أقاصي الأرض**".

ويذكر داود النبي: "لماذا ارتجَّت الأمم، وتفكّر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحه ... الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزىء بهم" (مز ٢: ١-٤).

وأيضًا "إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧: ٣)، "كل آلة صورت ضدك لا تنجح" (إش ٥٤: ١٧).

هذا هو إيمان البقية العجيبة يسمعون بحروب وأخبار حروب ولكن عمانوئيل في وسطهم... مثل إيمان أليشع النبي في وسط جيش أرام، ومثل إيمان موسى عندما

سعى فرعون وراء إسرائيل، ومثل إيمان أستير عندما تآمر هامان على شعب الله ليفنيهم...

إذًا هم يسخرون من كل قوى بشرية وكل تهديدات الناس لأن إحساسهم الوحيد بوجود عمانوئيل "الله معنا".

وهيجان الأمم وثورتهم وتهديداتهم لا تساوي شيء بل أن نظرة الإيمان تراهم ينكسروا مهما هاجوا، ويتدجروا مهما تقدموا لأن عمانوئيل هو سر نصرة أولاد الله.

وهناك أيضًا ما هو أعظم أن عين الإيمان ترى الرب ممجدًا، وأن أقاصي الأرض ستسمع بخلاص إلهنا كما سمعت الشعوب القديمة أن الرب غرق المصريين وأنه بيد قويه وذراع ممدودة خلص شعبه وأنقذهم من كور الحديد..

احتزموا وانكسروا.. احتزموا وانكسروا

ها قلب داود الصغير لم يضعف أمام التهديدات لأن اسم الرب – رب الجنود – كان قوته وسلاحه وترسه وهو قبل أن يتقدم لجليات رأى بعين الإيمان وقال لشاول الملك إن هذا الأغلف يكون مثل الأسد والدب والتنين اللذين قتلتهم.

فالعدو الذي يظهر قويًا وجبارًا أمام عديمي الإيمان كم يبدو ضعيفًا ومنكسرًا أمام ذوي القلوب المؤمنة بعمانوئيل "أي وجود الله معنا".

"تشاورا مشورة فتبطل: تكلموا كلمه فلا تقوم لأن الله معنا".

ألم يبطل الرب مشورة أخيتوفل الحكيم الذي أشار بها ضد داود الملك.

إن أولاد الله في كل زمان يؤمنون أن الله يبطل مشورة أهل العالم ومؤامراتهم وشرهم ونميمتهم وتهديداتهم.

هكذا عاشت الكنيسة في أجيالها تتحدى مشورة العالم ومؤامراته وتقول لهم "تشاورا مشورة فتبطل... تكلموا كلمه فلا تقوم" ماذا عمل نحميا عندما عرف أن الأعداء تآمروا أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضررًا..؟ "فصلينا إلى إلهنا وأقمنا حرسًا" وعلم نحميا في قلبه أن الرب يفشل مؤامرة الأعداء ويبطل مشورتهم.

أيضًا أن إيمان هذة البقية بكلمة الرب عجيب حقًا... هم يؤمنون أن الله تكلم نحو أورشليم بالخير ونحو أولاده بالخلاص.. وأن الله ليس إنسان فيكذب... لقد تكلم

الله فى نفوسهم ... ماذا بعد ذلك... ليتكلم العالم كما يريد... ليتكلموا بالشر على الكنيسة وليتكلموا كما يشاؤون ولكن الله سبق فتكلم ولتبطل ألسنة الناس ولترتد سهامهم إلى نحورهم... يتكلمون كلمه ولا يقدرون أن يكملوها لأن عمانوئيل "الله معنا" هو الذي يدفع الشر عن كنيسته ويحمي أولاده من ألسنة الناس.

١١. "فإنه هكذا قال لي الرب بشِدَّة اليد، وأنذرني أن لا أسلُكَ في طريق هذا الشعب قائلاً:

١٢. لا تقولوا: فتنَةً لكل ما يقول له هذا الشعب فتنَةً، ولا تخافوا خوفه ولا تَرهبوا".

قال لي الرب بشدة اليد:

إن حزقيال أيضًا يقول: "فحملني الروح وأخذني، فذهبت مُرًّا في حرارة روحي، ويد الرب كانت شديدةً عليَّ".

وداود النبي يتحدث عن ذات الاختبار فيقول: "تحولت رطوبتي إلى يبوسة القيظ لأن "**يدك ثَقُلَت عليَّ نهارًا وليلاً**" (مز ٣٢). إذًا اليد الشديدة تفيد هذه المعاني كلها فمن حرارة الروح إلى التبكيت الشديد والإنذار... ففي هذا الاختيار دخلت روح إشعياء النبي حينما تكلم معه الله في هذه المرة وفي الواقع أن الرب لم يكن يتكلم مع إشعياء فقط بل وجميع النفوس الأمينة الباقية لله. ويبدو أن هذه النفوس بدأت تضعف أو تتشكك أو يبدو أن تيارات المهاترات وحملات التخويف كانت تسري داخل الشعب بشكل مخيف.

فابتدأ الخوف والرعب يدخل إلى كل نفس ... خوف من العقاب وخوف من الموت وخوف من الخراب وخوف على المستقبل أو خوف كما يقول المزمور "الشرير يهرب ولا طارد" فأراد الله أن يحفظ شعبه الخاص من العدو الأول للنفس البشرية **(الخوف)** فكلم الرب إشعياء بيد شديدة وأنذره قائلاً: لا تقولوا فتنة لكل ما يقول له هذا الشعب فتنة فلا تتساقوا ولا تنقادوا وراء كل ريح... بل كونوا ثابتين وهكذا علمنا الرب يسوع: "وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا ولا ترتاعوا (مت ٢٤: ٦).

إن الإنسان الذي يؤمن بعمانوئيل ويحيا حياة الوجود مع الله لا يكون قصبة تحركها الريح... لا يتحرك بكلام الناس ولا بمخاوف الناس ولا بالإشاعات ... ولكن قلبه ثابت متكل على الله.

كما يقول المرنم "المتوكِّلون على الرب مثل جَبَل صِهيون" (مز ١٢٥: ١).

لا تخافوا خوفه ولا ترهبوا.

مخاوف الشعب مصدرها خطاياهم وابتعادهم عن مصدر السلام وأباؤهم قيل عنهم قضوا أيامهم تحت العبودية بسبب الخوف أما أولاد الله فوجود عمانوئيل في وسطهم يعطيهم سلامًا كما قال الرب عندما ظهر في وسط التلاميذ بعد قيامته المقدسة "سلامًا أترك لكم. سلامي أعطيكم" (يو ١٤: ٢٧).

وقد اقتبس هذه الآيات القديس بطرس الرسول في رسالته قائلاً: "فإن تألمتم من أجل البر، فطوباكم. وأما خوفَهم فلا تخافوه" (١ بط ٣: ١٤).

١٣. "قدِّسوا ربَّ الجنود فهو خوفكم وهو رهبتُكُم".

إن هذه هى بداية الصلاة التي علمنا الرب يسوع إياها أن نقول للآب "ليتقدس اسمك".

هى حياة أولاد الله في كل زمان ... يتقدس الله في حياتهم ويتقدس في أعمالهم.

إن الله هنا يطلب البقية الأمينة له أن يثبتوا في حياة القداسة وهذا هو الضمان الوحيد لتمتعهم حيث أن:

+ عشرة عمانوئيل فيها اختبار الوجود مع الله.

+ القداسة تحفظهم من نجاسات الأمم وعادات الشعوب الردية.

+ القداسة تعطي استنارة أكثر وثباتًا في الإيمان.

حياة القداسة هى استمرار لوجودهم بجوار مياه شيلوة الوديعة الجارية بسكوت.

وإلى جانب حياة القداسة هناك وصية أخرى لابد أن تكون في هذه البقية - وهى مخافة الله ورهبته لأن الإنسان السالك في وسط أباطيل هذا العالم وفي وسط تيارات وأعمال جسدية يحتاج دائمًا أن يصرخ مع داود النبي قائلاً: "سمِّر خوفك في لحمي"

(مز ١١٨).

إذًا لابد أن يكون رب الجنود القادر على كل شيء هو محور حياة هذه البقية هو قداستهم وهو خوفهم وهو رهبتهم وحينئذ تنتهي المخاوف البشرية من الموت والانكسار والحروب وجيوش الأعداء والغضب الآتي.

وبعد ما طلب إشعياء البقية بحياة القداسة ومخافة الرب نطق بهذا الوعد الإلهي المملوء من نوح قائلاً:

١٤. "ويكون مَقدِسًا وحجر صدمةٍ وصخرة عثرةٍ لبيتي إسرائيل، وفخًا وشركًا لسكان أورشليم".

مقاسًا = مكان التقديس = هيكل أو خيمة للقداسة ولملجأ ولمخبأ (إش٦). لقد قال الرب بفم حزقيال النبي: "أكون لهم مقدسًا صغيرًا" (حز ١١: ١٦).

هنا يعلن إشعياء أن الرب الإله سوف يقدس الشعب بخيمة جديدة وهيكل جديد فيه تتقدس وتتبارك النفوس المختارة وفي ذات الوقت يكون هذا الهيكل حجر صدمة وصخرة عثرة للنفوس الرافضة كيف يكون هذا...؟

لقد حقق الرب هذه النبوة بالتجسد.. أخذ هيكلاً جسديًا وصار مقدسًا.. واستبدل خيمة الاجتماع بخيمة جسده واجتمع مع شعبه بل اتحد بنا وصرنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه وأصبح هو سلامنا وقداستنا ونلنا فيه نصيبنا وصار لنا به قدومًا وجرأة ونضح علينا من بره الإلهي فصرنا فيه مقدسين وقديسين برش دم يسوع المسيح.

ولكن ماذا كان التجسد بالنسبة للجاحدين...؟

كم كانوا يعيشون به!... كم كانوا يشكون فيه! كم رفضوه ولم يقبلوه!... حقًا قال الرب بفمه القدوس "أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية... من سقط على هذا الحجر يترضَّض، ومن سقط هو عليه يسحقه" (مت ٢١: ٤٢ - ٤٤). وهكذا تم قول سمعان الشيخ: "وُضِع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل" (لو ٢: ٣٤) الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله" وصار لهم صخرة خلاص ورفعه "على الصخرة

رفعتني".

أما الذين رفضوه فصار لهم صخرة عثرة وصخرة صدمة للسحق وللغضب "من لا يؤمن بالابن فليس له حياة بل يمكث عليه غضب الله".

أيضًا معلمنا بولس الرسول كم يتكلم عن الصليب الذي هو بالنسبة للمخلصين قوة الله وحكمة الله... أما بالنسبة للَّهالكين جهالة "نكرز بالمسيح مصلوبًا: لليهود عثرةً، ولليونانيين جهالةً" (١ كو١: ٢٣).

١٥. "فيَعثُر بها كثيرون ويسقُطُون، فينكَسِرون ويَعلَقُون فيُلقَطونَ".

١. **يعثرون:** هذه عثرة التجسد وعثرة الصليب.. يعثر به كثيرون حتى بعض التلاميذ قيل عنهم "من تلك الساعة رجع كثير من التلاميذ إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه".

وقال الرب أيضًا: "حينئذ يعثُر كثيرون ويسلمون بعضُهم بعضًا ويبغضُون بعضهم بعضًا" (مت ٢٤: ١٠).

وقال أيضًا: "يقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرون".

وقال الرب "لابد أن تأتي الشكوك والعثرات".

٢. **يسقطون:** إن الذين يعثرون بالمسيح ويشكون فيه يسقطون في فخ إبليس... يقتنصهم لإرادته... لأن بدون المسيح لا توجد قيامة لإنسان. بل سقوط وانطراح في الحكم.

٣. **فينكسرون:** قبل الكسر الكبرياء كما قال سليمان الحكيم إذًا العثرة في التجسد والصليب سببها ذات الإنسان وكبرياء الإنسان أما اتضاع الله وضعف الله فهذا أقوى من الناس... هؤلاء عثروا بالمسيح واصطدموا بصخرة الدهور فسقطوا على أرض تشتت عظامهم عند الجحيم؟

٤. **يعلقون فيلقطون:** إن هذه النفوس الرافضة لله تصير فريسة في يد الشيطان يلتقطها ليفترسها ويهلكها... قد صار لها تجسد ربنا وظهوره فخًا وشركًا لم يعرفوا سره وحمقوا في أذهانهم فسقطوا في هذه الحكمة البشرية فالتقطهم عدو الخير للَّهلاك.

١٦. "صُرَّ الشهادة. اختِم الشريعة بتلاميذي".

إن شهادة يسوع المسيح هى روح النبوة. والشهادة هى عمل الروح القدس الذي شهد للمسيح قبل تجسده الطاهر بنبوات الأنبياء وإعلانات إلهية وهنا يطلب الرب من إشعياء قائلاً: صُر الشهادة واختم الشريعة بتلاميذي.

الشهادة: وهذه الشهادة التي اشهد الرب لنفسه شاهدين أمينين عليها كما في بداية الأصحاح...

١. **الشهادة المكتوبة:** على لوح كبير كوعد الرب بانكسار ملك أشور الذي يشير إلى انكسار سلطان الشيطان ونهاية جبروت المشتكي على أولاد الله.

٢. **الشهادة المتجسدة:** في شخص "مهير شلال حاش بز" ابن إشعياء...

٣. **الشهادة بخلاص ونجاة البقية** وانكسار الأمم رغم هيجانهم واليقين الشديد من جهة النصرة.

٤. **الشهادة بوجود الله معنا "عمانوئيل":** صخر الدهور وصخرة العثرة والشك لبني إسرائيل.

الشريعة: أما الشريعة فهى:

شريعة التقديس "قدسوا رب الجنود".

شريعة مخافة الله "هو خوفكم".

شريعة عدم الانسياق وراء تعاليم الناس ووصايا الناس... وألا يحملوا بكل ريح تعليم...

قال الرب لإشعياء: صُر هذه الشهادة واختم الشريعة بتلاميذي، كما قال الرب لدانيال: "فاخف الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية"، فالشهادة والشريعة والنبوات وأقوال الله في العهد القديم مصرورة ومختومة... ومعلنة جزئيًا ليس لجميع الناس ولكن لتلاميذ الرب والشهود الأمناء.

وهكذا ظلت هذه الأمور مختومة ومكتومة وغير مستعلنة كما قال بولس الرسول: "الذي في الأجيال الأخر لم يعرف به بنو البشر"... هذه الختوم فكها الأسد الخارج من سبط يهوذا كما رآه يوحنا الحبيب... بعد دموع ورجاء الأجيال لأنه لم يكن من يفتح السفر ولا من يفك ختومه.

لقد فك الرب يسوع المسيح كل أختام ورموز وغموض العهد القديم بتجسده

وآلامه وصليبه وقيامته المقدسة وصعوده إلى السموات.

١٧. "فأصطَبر للرب السّاتر وجهَهُ عن بيت يعقوب وأنتظِرُهُ".

صحيح أن هناك غموض وسحاب كثير محيط بالله في العهد القديم بل أنه حينما كان الناموس يقرأ كان البرقع موضوع على القلوب والأذهان... والرب الإله قد ستر وجهه عن بيت يعقوب وتخلى عن أن يكون لهم سندًا وعضًا، لقد صارت الخطية فاصلاً مخيفًا بينهم وبين إلههم.

ولكن ماذا يفعل تلاميذ الرب وشهوده الأمناء الذين استبقاهم الرب للشهادة أمام هذا الغموض وتخلى الله؟

فأصطبر للرب... وأنتظره.

هكذا كان الآباء بالحقيقة يصطبرون للرب ولناموسه "ينتظرون ويتوقعون خلاصه من جيل إلى جيل".

قال داود البار: "انتظارًا انتظرت الرب، مثل منتظري الصبح انتظرتك... من أجل اسمك صبرت لك يارب... صبرت نفسي لناموسك"، وهكذا يقال عن سمعان الشيخ وحنة بنت فنوئيل المتعبدة ٨٤ سنة وعن جميع المنتظرين فداء لإسرائيل.

وهكذا يقال أيضًا عن الكنيسة التي تصطبر للرب وتنتظره إذا ما حلت بها أزمنة ضيق وأوقات امتحان... وهكذا أيضًا يقال عن النفس التي تحتمل الآلام والتجارب بصبر وانتظار وتوقع ورجاء كما قال الرب "بصبركم تقتنون أنفسكم".

١٨. "هأنذا والأولاد الذين أعطَانيهمُ الرب آياتٍ، وعجائِب في إسرائيل من عند رب الجُنود الساكن في جبل صِهيَون".

وليس فقط الصبر والرجاء والانتظار هو رصيد البقية من تلاميذ الرب بل هنا يكشف إشعياء عن سر حياة البقية المخفي عن أعين الناس...

هأنذا والأولاد الذين أعطانيّهم الرب:

يبدو أن إشعياء كان قد التصق به أولاد في الخضوع والطاعة لوصايا الله

والتعلق بالرجاء في المسيح المنتظر.

واستعلان مجد الله وهنا يتقدم إشعياء في حياة تسليم كامل قائلاً للرب هأنذا...

لقد قدَّم إشعياء لله سابقًا قائلاً: "هأنذا فأرسلني" وهنا يقدم نفسه وأولاده بنفس حياة التسليم قائلاً: هأنذا مثل عروس النشيد التي تقول: "أجذبني" وحدي وراءك "فنجري" "أنا والأولاد الذين أعطانيهم الرب".

+ قدّم نفسه أولاً لكي يرسله الله... "من نرسل ومن يتكلم من أجلنا". وأما الآن فهو يقدم نفسه وأولاده في الروح لكي يكونوا عجائب وآيات في إسرائيل من عند الرب.

إنهم يوضعون في يد الله في طاعة وتسليم لكي يعمل بهم مسرته... يجعلهم آيات وعجائب بأي طريقة وبأي تدبير.

لقد كان يونان النبي آية لأهل نينوى كما قال عنه الرب وأيضًا قال الرب لحزقيال: "جعلتك آية للشعوب"... كان الرب يعمل به ففي مرة ألزمه الرب أن ينام على جانبه الأيمن ٣٩٠ يومًا، ومرة أخرى على جنبه الأيسر ٤٠ يومًا، ومرة أخرى تموت زوجته ويلزمه الله بالسكوت... وهكذا عمل الله به وجعله آية.

هكذا أيضًا قدّم إشعياء النبي نفسه وأولاده ليكونوا آيات وعجائب لإسرائيل.

+ ولكن هل يبلغ خضوع البشرية للآب وطاعتها إلى مبلغ الكمال إلا في شخص الابن الوحيد الذي أخلى ذاته وقال للآب لتكن لا إرادتي بل إرادتك. وقدّم نفسه ذبيحة طاعة للآب وهو يحملنا في جسم بشريته فقدمنا للآب قائلاً: "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله" كما سجّل معلمنا بولس الرسول في العبرانيين (عب ٢: ١٣).

وقد صار الرسل الأطهار "تلاميذ الرب" آيات وعجائب في إسرائيل من عند رب الجنود الساكن في جبل صهيون.

+ انظر كيف تعجبوا منهم في يوم الخمسين عندما امتلأوا من الروح المعزي وقالوا: "إننا نسمعهم يتكلمون بعظائم الله".

+ انظر كيف تعجب رؤساء الكهنة من بطرس ويوحنا إذا كانا إنسانان عديما العلم وعاميان وقد أجريا آية معلومة عند الجميع "شفاء الأعرج" (أع ٣).

إن حياة أولاد الله عمومًا في وسط العالم هى آيات وعجائب نازلة من فوق من

عند رب الجنود الساكن في جبل صهيون.

١٩. "وإذا قالوا لكم: اطلبوا إلى أصحاب التَّوابع والعرَّافين المُشَقشِقين والهامسين. ألا يسأل شعب إلهَهُ؟ أيُسأل المَوتى لأجل الأحياء؟".

+ هنا يحذر الرب أولاده من... انحراف الإيمان والمشي وراء الأباطيل... لأن الشعب المسكين إذا ما أظلم أمامه المستقبل وانحجبت الرؤيا يصير مثل أعمى يتخبط ولا يدري أين يذهب لأن الظلمة أعمت عينيه.

فهم يسألون أصحاب التوابع والعرافين... إلخ:

١. لأنهم في خوف من المستقبل وغموض أحداثه.

٢. لأنهم لا رجاء لهم في الله ولا إيمان في قدرته.

٣. لثقتهم في مقدرة أنبياء الكذب وانخداعهم.

فإذا قالوا لأولاد الله اطلبوا إلى أصحاب التوابع... فماذا يكون جوابهم؟

+ إن أولاد الله ينظرون إلى الرب بوجه مكشوف ونوره الإلهي يكشف الطريق أمامهم فيسيروا في نور الرب ويسلكوا في طرقه.

+ إن أولاد الله لهم ثقة في مواعيد الرب وينتظروها بالصبر ولا يحتاجوا أن يقول لهم أحدًا عن المستقبل لأنهم يثقون أن الرب يدبر أمر الغد ويهتم بهم.

+ إنهم يعرفون أن طلب أصحاب التوابع والعرافة خطية عظيمة لأنهم يتركون الرب ويسعون في أثر الكذب.

+ إن أولاد الله الذين ارتبطوا به، ارتبطوا بالحياة فصاروا أحياء بالرب وصارت حياتهم ملكًا له.

أما أصحاب التوابع والعرافين والمشقشقين. فهم في حال الخطية والموت والبعد عن الله والالتصاق بروح الظلمة.

فهل يسأل هؤلاء الأموات لأجل الأحياء؟

أم يسألون أرواح الأموات أم يستشيرون روح الظلمة لأجل الأحياء في الله، الأحياء بوصاياه.

يا للعار والخزي إذا أطاع أولاد الله مشورة شياطين كهذه. ولكن الرب الإله يوجه

نظر أولاده بقوة قائلاً...

٢٠. "إلى الشريعة وإلى الشهادة.إن لم يقُولوا مثل هذا القول فليس لهم فجْرٌ!".

إذا أردتم أن تعرفوا أمر الغد فإلى الشريعة وإلى الشهادة.

وإذا أردتم أن تطردوا الخوف من حياتكم فإلى الشريعة.

وإذا أردتم شبع وري فإلى الشريعة وإلى الشهادة.

وإذا أردتم النور والحق والحياة فإلى الشريعة وإلى الشهادة.

وأما هؤلاء فإن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر ليس لهم قيامة ولا نور بل يصيرون في ليل وظلمة إلى أبد الدهور. لأن الشريعة هى نور ومصباح للرجل وسراج للعين وقيامة من الأموات.

٢١. "فيعبُرُون فيها مُضايَقين وجائعينَ. ويكون حينما يجوعُون أنهم يحنَقُون ويسُبُّون مِلِكَهُم وإلهَهم ويلتَفِتُون إلى فوق".

هؤلاء الذين رذلوا شريعة إلهنا ومياه روحه القدوس الجارية بسكوت وهدوء ووداعة وحرموا أنفسهم من نور الحياة ومحبة الحق.

يعبرون: لأن بقاء الإنسان على الأرض أمر مستحيل لأنه غريب وجائل مثل سائر آبائه.

ويعبر الإنسان كظل ولا يعرفه مكانه.

وهؤلاء الذين انفصلوا عن الله يعبرون ولا يذكرهم مكانهم.

مضايقين: إن الأرض التي يعيش فيها الإنسان قيل عنها "الضيقة العظيمة"... وقيل عنها أيضًا "وادي ظل الموت". وأيام الأرض مملوءة ضيقات وضرورات ومتاعب كثيرة ولكن الذي يعزي أولاد الله في هذه الغربة أن الرب في حال ضيقهم يتضايق وملاك حضرته يخلصهم... وهو يسير معنا في وادي ظل الموت ويظلل على اليد اليمنى ويفدي من الحفرة حياتنا فماذا يكون حال الذين ليس لهم أن يتمتعوا

بحبه ورفقته ومعيته المقدسة.

إنهم يعبرون مضايقين. وليس من يخلص.. بل أن الرب يسوع يقول عن الضيق في آخر الأيام أنه لا يكون مثله ولن يكون. ولكن من أجل أولاد الله تقصر الأيام من أجل نجاتهم وخلاصهم.

وجائعين: إن الشبع الحقيقي يكون للإنسان متى أكل الخبز النازل من السماء... من المن الحقيقي وشرب من ينبوع الدم النازل من جنب الصخرة.

ولكن هؤلاء رفضوا صخر الدهور وعثروا به فهم إذًا يعبرون جائعين.. لأنهم سعوا في أثر الخنازير ومحبة العالم فهم يهلكون جوعًا كالابن الضال بينما الأجراء في بيت الآب يفضل عنهم الخبز.

ولكن الجوع بالنسبة للابن الضال كان سببًا في التوبة والرجوع. واستعطاف قلب الأب... أما هؤلاء المساكين فإن الجوع انقلب فيهم إلى حنق وسب وشتيمة وتجديف على الله.

ويلتفتون إلى فوق:

إنهم لا يلتفتون إلى فوق لطلب المعونة أو التوبة أو الاستغفار بل للتجديف على إله السماء... ولكنهم لا يستطيعون أن يروا وجهه ولا أن يقفوا أمام غضبه بل يهربون كالظلمة.

٢٢. "وينظُرون إلى الأرض وإذا شِدَّةٌ وظُلمةٌ، قَتَام الضِّيق، وإلى الظلام هُم مطرودون".

التي هى حياتهم وخيالهم وفكرهم وأملهم ومستقبلهم لأنهم عاشوا للأرض... ولكن ماذا يجدون في الأرض في وقت القضاء والغضب!!

إذا شِدَّةٌ وظُلمةٌ، قَتَام الضِّيق، وإلى الظلام هُم مطرودون.

هذه الأرض التي لم يثمروا فيها لله... يطردهم منها، فالإنسان الأول آدم عندما انفصل بإرادته عن الله طرده الرب من الفردوس، لكن هؤلاء مطرودون إلى الظلام...

إن الأرض التي كانوا يعيشون فيها، فيها الهيكل والعبادة والذبائح والعهود والاشتراع... وحضرة الله وتابوت العهد... وهذه الأمور يعبّر عنها بالنور... فإن طردوا منها فهم مطردون إلى الظلام مثلما حكم بولس الرسول بطرد إنسان من الكنيسة في كورنثوس قائلاً: "يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد" أي يطرد من شركة الكنيسة لأن خارجًا الظلمة ...

بل أن الرب يسوع وهو يحدثنا عن الدينونة قال عن الجحيم "الظلمة الخارجية".

والنفس في هذه الحالة تكون في حال الشدة والظلمة وقتام الضيق وهذا يشير إلى الدينونة التي تحل بهذا الشعب وتكشف عن الظلمة التي تحيط بالنفوس الرافضة للمسيح، وأخيرًا توضح كيف تكون الدينونة في اليوم الأخير.

الأصحاح التاسع

١. "ولكن لا يَكون ظَلامٌ للتى عليها ضِيقٌ. كما أهَان الزمان الأول أرض زَبُولون وأرض نفتالى، يُكرمُ الأخير طَريق البحر، عبر الأردن، جَليل الأُمم".

انتهى حديث الرب في الأصحاح السابق بقوله: "وينظرون إلى الأرض وإذا شدة وظلمة وقتام الضيق وإلى الظلام هم مطرودون". وفيه نرى الصورة هكذا مظلمة. وكئيبة تفوح منها رائحة الغضب وخوف العقاب وبؤس حال الذين تركوا الرب واستهانوا بقدوس إسرائيل ورفضوا مياه شيلوه الجارية بسكوت وسروا بروح العالم...

ثم نندهش جدًا إذ نجد أن تكملة كلمات العقاب هذه تأتي هكذا "ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق...".

والواقع أن الحديث هنا بشارة بأشراق شمس البر الذي سينهي أزمنة الظلام وسلطان الخطية ويعلن بداية زمن البر الأبدي.

فبينما العالم يئن ويتمخض في شدة وظلمة وقتام الضيق جاء النور الحقيقي إلى العالم فأضاء في الظلمة، والظلمة لم تدركه لذلك قيل "ولكن لا يكون ظلام للتي عليها ضيق". "**ولكن**" هذه الكلمة كم هى غالية وعزيزة ككنز أدخره لنا الرب في كل أزمنة الضيق لكي لا تنهي الخطية على رجاء أولاد الله. فهى مصدر عزاء ونور وفرح لأن هذه الكلمة "ولكن" إن تتبعناها في الكتاب المقدس نجدها تقف كحاجز جبار وتفصل بين الغضب والرضا، النور والظلمة، الضيق والفرج. بل أنها أداة المتضادات وهى منفذ عجيب في شدة الضيق...

دعنا نتأمل موقعها العجيب لنستطيع أن نقدم شكرنا لله بسبب هذه الكلمة: فإن قيل "في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم، أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحوّل إلى فرح" (يو١٦: ٣٣، ٢٠) المرأة وهى تلد تحزن... لكن متى ولدت الطفل لا تعود تتذكر الشدة لسبب الفرح، ... فأنتم كذلك، عندكم الآن حُزن، ولكني سأراكم أيضًا فتفْرح قلوبكم" (يو ١٦: ٢١).

"مضطهدين، ولكن غير متروكين" (٢ كو ٤: ٩).

"كحزانى ونحن دائمًا فرحون" (٢ كو ٦: ١٠).
هكذا ادخر لنا الرب في هذه الكلمة المواعيد العظمى والثمينة.

لا يكون ظلام: قال الله قديمًا ليكن نور فكان نور فالظلام لا يتبدد إلا بكلمة الله فإن لم يقل الرب ليكن نور فإن الظلام يظل مخيمًا بسلطانه.

هكذا كان في تجسد الكلمة ودخوله إلى العالم حيث ظل ظلام الخطية وسلطان إبليس رئيس هذا العالم مسيطرًا ومالكًا، أشرق نور الحياة الأبدية في المسيح يسوع مبدد ظلمتنا وأنار لنا الحياة والخلود... لذلك قيل عن الظلام "لا يكون" لأن ابن الله جاء لكي ينقض أعمال إبليس...

"إن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لمعرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح".

وقد أضاء مجد الرب:

في ميلاده "مجد الرب أشرق على الرعاة".

في أعماله: إذ أن قوات الظلمة كانت تهرب صارخة.

في تجليه: "أضاء وجهه كالشمس وثيابه كالنور".

في قيامته: بمجد لا ينطق به بدد ظلمة القبر وكسر شوكة الموت وبهذا تكون قد كَمُلَت نبوة ملاخي النبي "لكم أيها المتقون اسمي تُشرق شمس البر" (ملا ٤: ٢).

كما أهَان الزمان الأول أرض زَبُولون وأرض نفتالي، يُكرمُ الأخير طَريق البحر، عبر الأردن، جَليل الأُمم.

الزمان الأول والزمان الأخير:

إن دخول المسيح إلى العالم قسم الزمن إلى اثنين: الزمان الأول والزمان الأخير.

في الزمن الأول دخلت الخطية إلى العالم، والزمن الأخير البر الأزلي، في الزمن الأول حصل الهوان لأرض زبولون وأرض نفتالي، وفي الأخير تكون الكرامة

حتى لجليل الأمم.

في الزمن الأول بإنسان واحد دخل الموت إلى جميع الناس، وفي الزمن الأخير بإنسان آخر الحياة.

الزمان الأول كانت الجزة "خراف بني إسرائيل" مبللة بندى الروح والأرض حولها جافة.

والزمان الأخير تكون الجزة (يابسة) والعالم كله في قبول النعمة وفي معرفة المسيح (راجع سفر القضاة ٦: ٢٦-٤٠).

لذلك قيل في بداية البشارة بالإنجيل "قد كمل الزمان" يقصد الزمان الأول أي انتهى سلطان الخطية وزمن سيادتها وسطوة الموت الذي بالخطية.

"ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة". فميلاد المسيح له المجد فصل بين ما قبل الميلاد وما بعد الميلاد كزمنين منفصلين ومتميزين تمامًا.

ومن الأمور المدهشة إن إشعياء هنا يحدد مكان بزوغ شمس البر والإشراق الإلهي "طريق البحر - عبر الأردن".

جليل الأمم وهى الأماكن التي ابتدأ الرب خدمته فيها، واختار الرسل الأطهار لأول مرة وأوصاهم أيضًا بعد قيامته أن يذهبوا إلى الجليل لكي يروه قائمًا من الأموات لأول مرة أيضًا.

أرض زبولون وأرض نفتالي:

زبولون ونفتالي كانتا أكثر البلاد التي قاست منذ زمن بعيد هجمات الأمم المجاورة (قض ٤: ٦، ١٠، ص ٦: ٣٥).

نفتالي قاست بشدة من الغزو الأرامي سنة ٩٥١ قبل الميلاد (١مل ١٥: ٢٠) وعندما بدأ تغلث فلاسر يجلي بعد الغزو نجد أن قادش حاذور وجلعاد وكل أرض نفتالي ذكرت على وجه الخصوص كأراضي كابدت أكثر من غيرها (٢ مل ١٥: ٢٩).

أيضًا كانت أول من سقط تحت نير الأشوريين.

ولكي يصنع الرب تعويضًا عظيمًا لهذا الانكسار فإن أول شعاع لنور عمانوئيل

يجب أن يشرق عليها (طبرية – كفر ناحوم – كورزين – وهى من أقاليم نفتالي).

وهكذا بدل الرب هوانها إلى كرامة ومرارتها إلى حلاوة.

وهذا إشارة ورمز لرفع الأمم من عار الخطية إلى حرية مجد أولاد الله عندما أشرق عليها بنور لاهوته في تجسده وموته وقيامته.

+ ومن المدهش حقًا أن جبل تابور الذي تجلى عليه السيد المسيح بمجد عظيم يقع في حدود أرض زبولون.

+ ومن المدهش أيضًا أن النور الإلهي والكرامة والمجد في الزمن الأخير أي في زمن المسيح سيكون ليس لعبر الأردن وطريق البحر فحسب بل أنه سيمتد ليغطي جليل الأمم وليس جليل اليهودية ويا لها من مقارنة مبدعة هذه التي يظهرها الروح القدس في معنى الكلمة... فالجليل بالنسبة لليهودية منطقة حقيرة لا يعتد بها وهى ذات المنطقة التي تربي فيها الرب يسوع "ناصرة الجليل" والتي قيل عنها أمن الناصرة يخرج شيء صالح.

فالرب كان مزمعًا أن يشرق بنوره ليس على الأمم الوثنيين فحسب بل على أحقر ما في الأمم أي على "جليل الأمم".

فهو جاء يدعو الخطاة والزناة وفاعلي الإثم والذين في الطرق والسياجات المعتبرين بقياس الروح أنهم عمي وعرج وجدع بل وحتى المزدرى وغير الموجود بحث عنهم.

حقًا إن هذا هو أقصى تعبير عن رحمة ربنا المتنازلة وحبه الحاني وإشراقه حتى على جليل الأمم.

وهذا ما سجله القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس انظروا دعوتكم أيها الإخوة ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء. ليس كثيرون شرفاء. بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء واختار ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود (١كو ١ : ٢٨).

٢. "الشعب السَّالك في الظُّلمة أبصرَ نورًا عظيمًا. الجالسون في أرض ظلال المَوت أشرَق عليهم نورٌ".

هنا نستطيع أن نلاحظ بسهولة أن الظلمة والموت كلمتان تفيدان نفس المعنى فالظلمة هنا ظلمة عقلية داخلية أصابت الروح وسيطرت على سلوك الإنسان لتقوده إلى الموت كأجرة للخطية.

من أجل ذلك لم يكن الإنسان يحتاج إلى ناموس أو وصايا لإنقاذه وخلاصه. بل كانت حاجته إلى نور وحياة أو إلى نور الحياة.

+ دخول المسيح إلى العالم الغارق في ظلمة وظلال الموت كان بمثابة إشراق نور عظيم لأنه هو شمس البر والشفاء (الحياة) في أجنحتها (ملا ٤: ٢).

وبالفعل قدم الرب يسوع نفسه للعالم قائلاً: "أنا جئت نورًا للعالم"، والقديس يوحنا شهد قائلاً: "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة".

+ في الآية السابقة حدد إشعياء النبي جغرافيًا الأماكن التي تشرفت بإشراق النور الإلهي فيها وكرمها الرب عوض الهوان الماضي.

أما في هذه الآية فنرى أنه ليس مجرد نور لفئة من الناس مقصور عليهم ومحصور حيث هم مقيمين... بل أنه نور عظيم لكل الشعب السالك في الظلمة ولجميع الجالسين في ظلال الموت أينما كانوا وحيثما وجدوا. فالمسيح جاء نورًا لكل الذين وقع عليهم ظل الموت في كل الأرض وإلى دهر الدهور.

+ وعندما أشرق النور على الجالسين في ظلال الموت بدل ظلمتهم إلى نور "الذين كنتم قبلاً ظلمة أما الآن فنور في الرب".

وأصبحوا بنوره يعاينون النور... ويحدثون بفضل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب.

٣. "أكثرت الأُمَّة. عَظَّمت لها الفَرح. يفرَحُون أمامك كالفَرح في الحَصَاد. كالذين يبتهجُون عندما يقتَسمون غَنيمَةً".

أ. أكثرت الأمة:

في نور وجه يسوع المسيح وإشراقه رأى إشعياء النبي الكنيسة المقدسة أعضاء جسد المسيح... المولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى وإذا هم جمهور لا يعد من الكثرة كما رآهم التلميذ الحبيب في رؤياه "جمع لا يستطيع أحد أن يعده من كل أمة ولسان وقبيلة وشعب".

وهى أمة مقدسة كشهادة القديس بطرس الرسول وشعب اقتناء لأنه اقتنانا بدمه (١بط ٢: ٩)، لذلك قال "أكثرت الأمة".

فهو الذي أكثرها بسقي الروح القدس وفلاحته وتعهدها ونماها لأنها غرس يمينه... "بولس غرس وأبولس سقى، ولكن الله كان يُنمي" (١ كو ٣: ٦).

وكان الرب كل يوم يضم الذين يخلصون ... وهذا هو وعد الله منذ أيام القدم "أنه في نسلك (في المسيح) تتبارك جميع قبائل الأرض". مثل نجوم السماء والرمل الذي على شاطئ البحر هكذا رآها إشعياء ملء الذي يملأ الكل في الكل.

ب. عظمت لها الفرح:

الفرح في الكنيسة ميراث وغنى ... وهو من أول لحظة فرح عظيم "هأنذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب".

وقد قال الرب: "لا يستطيع أحد أن ينزع فرحكم منكم...". وهو فرح دائم "افرحوا بالرب في كل حين..." وله قدرة على غلبة الآلام. "أفرح في آلامي"... وهو باختصار فرح لا ينطق به ومجيد. وقد عظم الرب الفرح لكنيسته.

١. بوجوده الدائم فيها. هو في وسطها... وهذا مصدر فرحها.
٢. بعنايته الفائقة لها... "حتى شعور رؤوسكم محصاه..." وهذا ضمان دوام الفرح وعدم خضوعه لتقلبات العالم.
٣. بقيامته "فرح التلاميذ إذ رأوا الرب". وهذا هو سر نصرة الفرح على الحزن.
٤. بصعوده: "رجع التلاميذ بفرح عظيم" وهذا هو رجاء الفرح في السماء.
٥. بحلول روحه القدوس بفيض وغنى فائق.

يفرَحُون أمامك كالفَرح في الحَصَاد. كالذين يبتهجُون عندما يقتَسمون غَنيمَةً.

١. قلنا أن ينبوع الفرح في الكنيسة هو وجود الله الدائم لأن اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا... لذلك قال يفرحون أمامك... أي في حضرتك ووجودك.

والكنيسة صارت لها قدرة في المسيح على أن تتراءى أمام الآب بعد أن كانت تختبئ من وجهه بحجاب الخطية وخجل السقوط.

٢. الفرح في الكنيسة كالفرح في الحصاد. وهذا التعبير بعينه هو الذي قاله الرب يسوع للتلاميذ بعد مقابلته للسامرية "ارفعوا عيونكم.. الحقول ابيضت للحصاد... أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه.. لكي يفرح الحاصد والزراع معًا" وهذا الحصاد عظيم جدًا حقول مبيضة ونفوس مستعدة منتظرة يد الحاصد لتقطفها ثمرة تفرح السماء والأرض "السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب".. لذلك فالفرح في الكنيسة لا ينتهي لأن الحصاد فيها عمل لا يتوقف.

كالذين يبتهجون عندما يقسمون غنيمة:

قال ربنا يسوع: "إذا تحصن القوي فإنه يحفظ داره في أمان ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه وينزع سلاحُه الكامل الذي أتكل عليه وينهب أمتعته ويوزع غنائمه" (لو ١١: ٢١،٢٢).

قال هذا عندما أخرج الشيطان من المجنون الأخرس وعندما رجع التلاميذ بفرح قائلين: "حتى الشياطين تخضع لنا باسمك" (لو ١٠: ١٧) قال لهم الرب: "رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء" (لو ١٠: ١٨) هنا كان فرح التلاميذ وابتهاجهم مثل من يقسّم غنيمة بعد الانتصار في الحروب.

فالرب يسوع سَحَقَ الشيطان وكسر شوكة الخطية والموت ووطئ قوات الجحيم لحسابنا وحطّم متاريس سجن الجحيم وفك المسبيين وأعطى الناس كرامات وعطايا.

أعطانا أن نوزع الغنائم والفضائل والنعم التي كنا محرومين منها زمانًا وأن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو.

هذا هو فرح النصرة للذين يهزمون الشياطين بسلطان المسيح الذي أحبهم "يعظم انتصارنا بالذي أحبنا".

٤. "لأنَّ نـير ثقلـه، وعصـا كتفـه، وقضـيب مُسـخِّره كسَّـرتهُن كمـا فـى يـوم مِديـان".

يبدو واضحًا أن الخطية:

+ **نير ثقيل**.. أحنى ظهر البشرية كلها ومرر حياتها بالعبودية وهى ربطت الإنسان بالعالم والجسد والشيطان فصار الإنسان مذلولاً بعنق عبودية يعمل ويثمر للموت.

ولا توجد حرية ولا كرامة للإنسان طالما هو يحمل نير الخطية الثقيل ولكن كسر النير يعني تحرير النفس وانطلاقها بلا قيود ولا عبودية وهذا ليس في مقدور الإنسان ولا في استطاعته... لذلك فإن الرب نفسه هو الذي كسر النير وعصا كتف التسخير حطمها بيده القوية وذراعه الممدودة وحرر الذين عاشوا كل حياتهم تحت العبودية... وقال إن حرركم الابن صرتم بالحقيقة أحرارًا.

+ **كما في يوم مديان** (قضاة ٨: ١-٢٣).

١. كان الشيء المميز ليوم مديان أن النصرة لم تأت نتيجة حرب ومعركة منظورة... بل بقليل من البشر مختارين من إسرائيل لئلا يعيروا السيد قائلين: "يدي خلصتني" (قض ٧: ٢). بل كان واضحًا ومعلنًا لجدعون أن الرب معه "الرب معك يا جبار البأس" (قض ٦: ١٣) وهذه المعية تعني عمانوئيل.

٢. في يوم مديان أيضًا نرى أنه في الزمان الأول جزة الصوف "المعتبرة أنها رعية إسرائيل" مملوءة من ندى السماء وعمل الروح والأرض حولها جفاف لعدم معرفة الله.

أما في الزمان الأخير فكان الندى على الأرض والجزة في جفاف.

فالخلاص الذي صنعه الرب يسوع شبيه بيوم مديان ولكن هناك فرقًا واضحًا أنه جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله، أما كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله.

٣. وقد تحققت هذه النبوة زمنيًا في أيام حزقيا ملك يهوذا عندما أرسل الرب

ملاكه فقتل من جيش سنحاريب ملك أشور ١٨٥ ألف جندي كانوا محاصرين أورشليم... وخلصت أورشليم من يدهم بلا ذراع بشري وبحرب غير منظورة كما في يوم مديان.

٥. "لأن كل سِلاح المُتَسلِّح في الوغى وكل رداءٍ مُدحْرَج في الدِّماء، يكون للحريق، مأكلاً للنار".

الحديث هنا عن النار المطهرة.. التي تحدث عنها إشعياء سابقًا في (ص ٤: ٤) "روح الإحراق".. أي نار الروح القدس الذي كان مزمعًا أن يقدس أورشليم وينقي دمها من وسطها.

والرب يسوع نفسه قال: "جئت لألقي نارًا على الأرض" ووعد تلاميذه أنهم يتعمدون بالروح القدس ونار.

أين سلاح المتسلحين أمام هذه النار؟ وأين رداء الشيطان المخضب بدماء الأبرياء؟

إن نار الروح القدس تحرق وتطهر وتصفي الإيمان من الشوائب كما يتنقى الذهب بالنار.

٦. "لأنه يُولَدُ لنا وَلَدٌ ونُعطى ابنًا، وتكون الرِّياسة على كتِفِه، ويُدعَى اسمه عجيبًا، مُشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام".

ميلاد المسيح

إشعياء النبي هنا تجاوز حدود النبوات والرموز والظلال إلى إعلان وشهادة يسوع المسيح التي هى روح النبوة ولكن بطريقة تتحدى أصحاب الشكوك والبدع ومنكري تجسد ابن الله الكلمة... وتقف شهادة إشعياء قبل ميلاد المسيح بأكثر من ٧٠٠ سنة دامغة لكل حجة مثبّتة للمؤمنين باعثه للرجاء.

لقد سبق وأعلن إشعياء عن:

+ ظهور نور عظيم على الجالسين في الظلمة.

+ ونهاية الزمن الأول وبداية الزمن الثاني.

+ وتبديل الهوان إلى مجد لأرض زبولون ونفتالي.

+ وإكثار الأمة وتعظيم الفرح.

+ وكسر عصا الكتف وتحطيم نير العبودية.

ولكن بأي وسيلة سيتم كل هذا؟ وكيف يكون هذا؟

لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنًا.

ففي ميلاد المسيح تكميل كل هذه المواعيد العظمى والثمينة.

لم يكتف إشعياء بنبوته الأولى عن الميلاد "ها العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل (الله معنا)"...

ولكنه يعود فيتنبأ عن ميلاد عمانوئيل العجيب.

يولد لنا ولد:

في اللغة العبرية يمكن أن تقرأ هكذا يولد بيننا... لأجلنا... ملكنا فهو مولود من الآب قبل كل الدهور.. مولود في ملء الزمان. لمَّا جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة.

وهو مولود غير مخلوق... لأنه رأس كل خليقة... وبه خلق كل شيء. وهو مولود لنا... "ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب" لأجلنا ولأجل خلاصنا ولد.

ولكي يكون ملكًا خاصًا لكل واحد... يتمتع به... يحمله على ذراعيه مثل سمعان الشيخ... أو يحمله في داخله مثل العذراء القديسة وكأنه لا يوجد في الوجود من يمتلكه أو يتمتع به غيره... فهو يتوزع ولا ينقسم... وكل واحد يمتلكه وهو غير محدود... مثل الشمس حين تشرق يتمتع بها كل أحد كما يشاء وكأنها أشرقت خصيصًا من أجله... فهى توزع دفئها وحيويتها وهى لا تنقسم ولا تنحصر في مكان.

+ وهو شريك الأولاد في اللحم والدم "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا فيهما".

ونعطى ابنًا "ابن الله":

ابن الله الكلمة صار جسدًا ودعيَ ابن الإنسان وابن البشر يا لعظم هذا

السر الذي سبق فبشرنا به إشعياء قبل حدوثه بسنين كثيرة أن العطية هنا بمعنى الهبة المجانية. هذه النعمة التي كثيرًا ما تحدث عنها القديس يوحنا الرسولي في إنجيله "هكذا أحب الله العالم حتى بذَل ابنه الوحيد..." (يو٣: ١٦). وكما قال عنه معلمنا بولس الرسول في رسائله "الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين" (رو ٨: ٣٢)، "فالآب أعطانا ابنه الوحيد وبذله لأجلنا".

الحب الإلهي:

ابن داود

هذا هو ابن داود المنتظر... الذي ثبت مملكة داود إلى الأبد. ولا يكون لملكه نهاية... ويجلس على كرسي داود ويكون كرسي ملكه ثابتًا إلى الأبد (٢ صم٧: ١٢-١٦).

ألم يرَ المجوس الحكماء الذين أنار الروح بصيرتهم ملامح ملكوته الإلهي منذ الأيام الأولى لتجسده. كابن ملك فسعوا ليقدموا له هدايا الملوك "أين هو المولود ملك اليهود".

وكانت الجموع تتناجى فيما بينها "ألعل هذا هو ابن داود". والمرأة الكنعانية ببصيرة الإيمان الثاقبة كانت تصرخ "يا سيد يا ابن داود ارحمني".

بل أن الأطفال الصغار في يوم دخوله الانتصاري إلى أورشليم ليثبت كرسي مملكة داود أبيه في الهيكل. صرخوا باستعلان إلهي مباركة مملكة أبينا داود، أوصنا يا ابن داود، وتكون الرئاسة على كتفه.

المسيح ملك بالصليب... حينما وفّى الدين الذي كان علينا ومحا الصك وسمره بالصليب واشترانا لا بفضة ولا بذهب بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب.

إذًا رئاسة المسيح التي كانت على كتفه هى صليبه الذي حمله عوضًا عن الأشرار ويا للعجب أن علامة المسيح هذه يعلنها إشعياء النبي وهو يتكلم عن ميلاده وكأنه يقول يولد وهو حامل صليبه ورئاسته على كتفه.

بل من العجيب أيضًا أن سمعان الشيخ عندما حمل الطفل يسوع على ذراعيه تلامس مع الصليب في الحال وتكلم عن علامة المسيح "صليبه" التي تقاوم من العالم

الرافض.

حقًا لأنه لم يكن الصليب حدثًا عارضًا في حياة المسيح بل أنه وُلِدَ ليكون فدية وخلاصًا ونعمة وغفرانًا للخطايا. فلا عجب أن يبدو الصليب من أول لحظة واضحًا ومُعلنًا هكذا في حياة ربنا في الجسد.

+ إن هذا الذي حمل رئاسته على كتفه... صير حمل الصليب شرطًا للتلمذة له والدخول ملكوته "من لا يحمل صليبه كل يوم ويتبعني لا يستحقني". وقد سبق بفم صفنيا النبي وقال إنه عندما يحول الشعوب إلى شفة نقية، فيكرزون باسمه في كل العالم حينئذ يعبدون الرب. "بكتف واحدة" أي بحمل صليبه (صفنيا ٣: ٩).

ويُدعَى اسمه عجيبًا، مُشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام.

+ أضاف كتاب الترجوم كلمة "من الأزل" إلى هذه السلسلة العجيبة من أسماء المسيا المخلص وكأنها تقرأ هكذا يدعى اسمه من الأزل عجيبًا مشيرًا... الخ.

أي أن هذه الأسماء ليست جديدة ولا مستحدثة بل هى الأزل وإنما أظهرت في آخر الأيام، في ظهور ابن الله الكلمة وهذه الأسماء هى مجرد استعلانات جديدة للعمل الخلاصي الذي يضطلع به المسيح الكلمة الذاتي الذي كان منذ الأزل عند الله.

+ **عجيبًا:** هذا هو أول اسم ممكن أن يدعى به المسيا كما قيل لمنوح أبي شمشون "لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب". وذلك لأن التجسد هو أعجوبة الأعاجيب "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد".

فهو عجيب في **نزوله من السماء** إلى الأرض "طأطأ السموات ونزل".

وعجيب في **اتضاعه وإخلاء ذاته** ومذهل للعقل جدًا "أخلى ذاته وأخذ شكل العبد".

وعجيب في **محبته للبشر** إلى حد البذل "هكذا أحب الله العالم...".

أحبنا خاصة إلى المنتهى ليس لأحد حب أعظم من هذا وعجيب في **ميلاده البتولي** من العذراء القديسة "أرسل الله ابنه مولودًا تحت الناموس".

وعجيب في **أعماله** التي لا توصف "كان الجميع يتعجبون من أعمال النعمة الكائنة منه".

وعجيب في **أقواله وأمثاله وتعاليمه** "ما رأينا إنسانًا قط يتكلم مثل هذا".

عجيب في قبوله الآلام بالجسد "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان".

وعجيب في **موته الإرادي** على الصليب "لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها".

وعجيب في **قيامته** "حبة الحنطة إن ماتت تأتي بثمر كثير".

وعجيب في **صعوده** "أنا ماض لأعد لكم مكانًا".

وعجيب في **إرساله الروح القدس** "يأخذ مما لي ويخبركم".

وعجيب في **معيته للتلاميذ** "ها أنا معكم كل الأيام".

الذي يهمنا جدًا أن هذا الاسم المبارك صار من نصيبنا.

وباختصار فإن اسم مخلصنا الصالح كما اختبره الرسل والآباء القديسين هو الاسم العجيب في قوته والعجيب في فعله به أقاموا الموتى وأخرجوا الشياطين وشفوا المرضى وصنعوا القوات.

+ **مشيرًا:**

أي كلي الحكمة، معطي الحكمة، أو مشير وقاضي الشعب.

الترجمة السبعينية الفاتيكانية جمعت كل سلسلة الأسماء في كلمة "ملاك المشورة العظيم" أو كما جاء في (إش ٢٨: ٢٩) "ربّ الجُنود عَجيب الرأي عظيم الفَهم".

فالمسيح هو حكمة الله، وهو كنز الحكمة والمذخر لنا فيه كل كنوز الحكمة والعلم.

وهو عندما استقر عليه الروح القدس من أجلنا قبل لحسابنا روح المشورة والفهم ... وصار لنا حكمة وخلاصًا ونعمة وغفرانًا للخطايا وكما كان الشعب في القديم يلجأ للقاضي أو المشير يطلب كلمة لتصريف أمور الحياة ويستقصى عن أحكام الناموس والشريعة.

هكذا نطق القديس بطرس بالروح وقال للسيد المسيح: "يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية هو عندك".

فالمسيا هو الذي خدم قضية خلاصنا وحكم حكمنا وخاصم مخاصمينا. حكم

للمظلومين وقضى للمساكين بالروح.

وهو مشير مشورة الخلاص للبعيدين والمتعبين "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين". ومشورة الرجوع والتوبة للخطاة "أشير عليك أن تشتري مني ذهبًا مصفى بالنار لكي تستغنى. وثيابًا بيضًا لكي تلبس... الخ".

+ من لا يقبل المسيح كمن يرفض مشورة الله:

لقد قيل عن الفريسيين عندما لم يقبلوا بشارة يوحنا عن المسيح أنهم رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم.

إلهًا قديرًا:

تتميز النبوات دائمًا بغموض لذيذ في نصوصها يحتاج إلى عمق وبصيرة روحية لفهم مكنوناتها واستيضاح معانيها وكشف سرها لأن النبوة دائمًا تحوي سر الزمان القادم إلى أن يستعلن في حينه المرتب من الله والنبوة دائمًا مختومة إلى وقت تحقيقها والمسيح له المجد هو الذي فك ختوم السفر الأزلي فيه كملت كل نبوة مكتوبة وتحقق كل وعد للبشرية قيل من الله.

هنا نجد أن إشعياء العجيب تجاوز حدود النبوات والرؤى إلى كشف الجهاري عن لاهوت المسيح الذي رآها متجسدًا.

هنا الكلمات لا تحتاج إلى تفسير ولا تحتمل أكثر من معناها فالمولود من العذراء هو هو "الله القدير".

هل من بعد هذا الوضوح المعجز في نبوة سبقت مجيء المسيح بأكثر من ٧٠٠ سنة هل يوجد من يتشكك في لاهوت المسيح وسر تجسد ابن الله الكلمة؟

هل يوجد من يحاج أو يناقش والكلمات تطفح نورًا وهاجًا أكثر من ضياء الشمس في قوتها.

أنه ليس بالمثل ولا بالرمز والظلال ...

فالمسيح المولود من العذراء "هو الله القدير" هذا هو اسمه منذ الأزل ... لقد ظهر الله لأبينا إبراهيم وعرفه بذاته قائلاً: "أنا الله القدير سر أمامي وكُن

كاملاً" (تك ١٧: ١)، هذا الذي قال عنه اسطفانوس الشهيد الأول ... ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم.

إن اقتدار الله يبدو عجيبًا لأنه يتخطى مقاييس الناس فنحن نرى أن أعمال الاتضاع وإخلاء الذات في التجسد يستحيل أن يأتيها إنسانًا إذ هى فوق قدرات البشر...

ولكن الله القدير أخلى ذاته وهذا يتفق مع قدرته أن يستطيع كل شيء ولا يعسر عليه أمر... لذلك لا نستغرب أن ربنا شاركنا في كل شيء "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا في كل شيء"... ولم يستح أن يدعونا إخوة... ولم يستنكف أن يجعل طبيعتنا الضعيفة واحدًا مع لاهوته.

لأنه الله القدير... كل شيء مستطاع لديه.

وهذا الاسم المبارك يكشف لنا عن عمله الخلاصي... والشيطان يحدر إلى الجحيم فالله القدير يستطيع أن يخلص من الخطية ويصعد من الهاوية. إنه ليس مجرد ميلاد ولكن المولود هو الله القدير وهو سيعمل بحسب شدة قوته لخلاص الذين جاء من أجلهم.

+ أبًا أبديًا:

لقد شكا إرميا النبي حال البشرية متوسلاً إلى الله قائلاً: "صرنا أيتامًا بلا أب" (مرا ٥: ٣).

وقال إشعياء أيضًا بجرأة كمن يلقي بنفسه في أحضان الآب بجسارة: "أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم" (إش ٦٣: ١٦).

وكلمة أب هى كلمة سريانية معناها أصل.

فالإنسان كان يتحرق شوقًا إلى الآب ... إلى الأصل ...

والمسيح المبارك هو أصل وذرية داود... الألف والياء البداية والنهاية (رؤ٢٢).

وقد صار المسيح بالقيامة باكورة الراقدين ورأس الخليقة الجديدة والمسيح

هو الذي أخبرنا عن الآب وهو وحده الذي قال: "أنا والآب واحد. من رآني فقد رأى الآب".

ويقرر علماء الكتاب المقدس أن كلمة "أبًا أبديًا" مطابقة تمامًا لموضعها في سفر التكوين عندما قال يوسف لإخوته أن الله "جعلني أبًا لفرعون" (تك ٤٥). أي مخلصًا له.

+ أبديًا:

لمَّا جاء ملء الزمان وُلِدَ المسيح بالجسد. وُلِدَ بيننا تحت الناموس وخاضعًا له. وجد في الهيئة كإنسان تحت الزمان... ولكنه لم يكن محصورًا بالمكان ولا بالزمان لأنه أبدي.

"يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد" هكذا قال القديس بولس الرسول (عب ١٣).

على أن استعلانات هذه الأسماء التي للمسيح المبارك هى في الواقع تخصنا وتحل لنا في شخصه المواعيد العظمى والثمينة.

فإذا قيل عن المولود من العذراء أنه "أبًا أبديًا" فإننا ندرك للحال أن بدخوله إلى عالمنا وميلاده في جسم بشريتنا صار لنا ضامنًا لعهد أبدي وخلاصًا أبدي أو بالحري أن جميع الأعمال والمواعيد التي لنا في المسيح هى بلا ندامة وبلا زوال بل أن السماء والأرض تزولان ولكن كلامه وهباته لنا لا تزول.

فعمل المسيح الذي عمله فينا هو عمل يدوم إلى الأبد واسم الخلاص الذي له هو اسم أبدي إلى دهر الدهور.

رئيس السلام:

لقد ظهر على مستوى تاريخ البشرية رجال سلام كثيرون فلقب أحدهم ملك ساليم أي ملك السلام. ولم يفهم أحد سر هذا الرجل ملكي صادق حتى كمل إعلان هذا السر في المسيح ملك السلام... وهكذا جميع الذين كانوا في القديم يحملون لقب السلام كانت حياتهم رمزًا وظلاً يكمل ويتحقق في شخص رئيس السلام الحقيقي

يسوع.

فنحن نقرأ عن سليمان "السلامي" الملك أنه كان في أيامه سلام وأمان ولكن في الرموز كان السلام مؤقتًا سريعًا ما يزول وتحل مكانه الحروب والانقسامات والاضطراب فيفقد السلام... يقولون سلام ولا سلام.

أي أن ولد ملك السلام الحقيقي وترنمت الملائكة في لحظة ميلاده معلنة بدء زمن السلام على الأرض... السلام الروحاني الفائق للعقل الذي جاء وبشرنا به نحن البعيدين والقريبين... وصالحنا مع الآب بذبيحة نفسه صانعًا سلامًا لا يزول.

ولا يستطيع العالم أن ينزعه منا.

وقد أوضح المزمور ٧٢ معان عميقة لزمن المسيح السلامي، عنوان هذا المزمور لسليمان وهو من صلوات داود النبي ويحمل نبوات عن المسيح رئيس السلام غاية في العمق.

"تحمِل الجبال سلامًا للشعب... يشرق في أيامه الصديق، وكثرة السلامة... مبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده" (مز ٧٢).

وهو كرئيس السلام وهبه لتلاميذه كسلامه الخاص "الذي أخذته من أبي"... السلام مع الآب "لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح هذا الذي نلنا الصلح من قبله".

هنا السلام برفع الخطية من الوسط ونقض حائط السياج المتوسط بين الله والناس.

السلام هنا ليس كلمه قالها المسيح كما تعودها الناس بل عطية حقيقية كموهبة روحية استقرت في حياة التلاميذ (الكنيسة) إلى الأبد إذ قد رفع المسيح خطايانا على الخشبة وقتل العداوة.

فصار المسيح رئيس السلام وهو بذاته صار سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا. فعطايا المسيح لا تنفصل عن شخصه ففي المسيح مذخر لنا كل كنوز الحكمة والحب الإلهي.

٧. "لنُمُوِّ رياسَته، وللسَّلام لا نهايةَ على كُرسيِّ داود وعلى مْملكَته،

ليُثَبِّتها ويَعضُدها بالحق والبرِّ، من الآن وإلى الأبد. غيرَةُ ربّ الجنود تصنع هذا".

المسيح جاء ملكًا للسلام ورئيسًا للسلام ومعطيًا السلام. هنا إشعياء يعلن أن سلام المسيح سلام أبدي لا نهائي لا يمكن أن يأتي عليه الزمن الحاضر فهو سلام فائق. وسلطان المسيح ورئاسة ملكوته السلامي ستكون ممتدة ونامية إلى ما لا نهاية... وقد تحقق هذا بالفعل فمنذ أن أسس المسيح كنيسته وجلس في كرسي مجده عن يمين الآب يوم صعوده وعضد كنيسته بالروح القدس المعزي روح الحق وروح البر (التبرير)... منذ هذه اللحظة والكنيسة تنمو وتتكاثر بروح الإخصاب.. وتمتد وتزهو... وكلمة الرب لم تزل نامية مزداده في كل بيعه... وستظل هكذا إلى يوم مجيئه الثاني المخوف فالكنيسة الحية بالروح لا تعرف التوقف عن الحياة لحظة... وملكوت المسيح مثل نار ألقيت على الأرض وما زالت تضطرم بفعل روحه القدوس الناري.

النمو هو حياة الكنيسة بالمسيح في الروح القدس، فالمسيح جالس على كرسي مملكته فوق المذبح يثبت كنيسته ويقودها وينميها ويسقيها كل يوم من ينابيع روح الحق في الأسرار... إذا أن غيرة رب الجنود تصنع هذا.

+ والذي يعزي قلوبنا جدًا أن كل هذه المواعيد لنمو الكنيسة وبقاء سلامها ووجود المسيح الملك جالس على كرسي مملكته يعضدها بفعل الروح القدس.. هذا كله يصنعه الرب لنا بحسب عمل قوته كإله غيور على مجده يستحيل أن يترك ميراثه للعار... يستحيل أن يرضى بخيمة داود ساقطة وحولها ردمها... أولاده تحت نير عبودية أو سخرة... بل إلهنا الغيور يقوم يصنع الخلاص علانية، يقيم خيمة داود الساقطة ويقيم أيضًا ردمها، يطهر هيكله بروح الإحراق وروح التطهير كقول المرتل: "غيرة بيتك أكلتني..." يخصب كنيسته ويسهر عليها بالروح القدس الذي حل فينا الذي يغير علينا غيرة مقدسة حتى أن الذين ينحرفون إلى محبة العالم يخاطبهم قائلاً: "أيها الزناه والزاني أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله" أنه يغير علينا كمن يغير على خطيبته المحبوبة التي خطبها ليقدمها عذراء عفيفة للمسيح.

٨. "أرسَل الرب قولاً في يعقوب فوقَع في إسرائيل.
٩. فَيعرف الشعب كله، أفرايمُ وسكان السامرة، القائِلُون بكبرياء وبعَظَمَة قلب:
١٠. قد هبط اللِّبنُ فنبني بحجارةٍ منحوتَةٍ. قُطِع الجُمَّيز فنستَخلِفه بأرز.
١١. فيَرْفَعُ الرب أخصَام رَصِين عليه ويُهَيِّج أعداءه:
١٢. الأراميِّينَ من قُدَّام والفلسطينيين من وراء، فيأكلون إسرائيل بكُل الفَم. مع كل هذا لم يَرتدّ غضَبُهُ، بل يدُهُ مَمدُودةٌ بعد!".

قول الرب: هو كلمته.. والآب يرسل كلمته كفعل مستمر... فالكلمة مولود من الآب.. وفعل الإرسال هنا في الأصل العبري "شيلوه" يشير إلى أن الكلمة ذات عاقلة... فهذا الفعل لا يستخدم إلا للإرسال الشخصي العاقل ولا يجوز استخدامه في اللغة العبرية للرسائل المادية.

لذلك كان يلذ لربنا يسوع أن يكرر أن الآب هو الذي أرسله بهذا المفهوم وأنه يعمل مشيئة الذي أرسله إذ كان قد أخلى ذاته من أجل خلاصنا.

أرسل الرب كلمته في يعقوب... فوقع في إسرائيل.

كان الأنبياء كلهم في مملكة يهوذا... وكانت إليهم كلمة الرب... فتكلم الرب بفم أنبيائه القديسين بطرق متنوعة بالمواعيد مرة وبالإنذارات أخرى نحو مملكة إسرائيل... ولكن كان ملوك إسرائيل متباطئ المسامع وغليظي القلوب وكان الشعب وراؤهم في زيغانه وعصيانه فما استفاد من مواعيد الله ولا وقع في خشيته من الوعيد والإنذارات ولم يحسبوا أناة ربنا خلاصًا.

وهنا يؤكد إشعياء النبي أن قول الرب الذي قاله بفمه هو أمر واقع فعلاً وليس كلامًا وأن السماء والأرض تزولان ولكن كلامه لا يزول.

أصل الداء: الآن يكشف الرب للشعب كله وسكان السامرة.... أصل الداء والسبب الكائن وراء هذا العمى الذي أصاب إسرائيل... إنه الكبرياء وعظمة القلب.

الكبرياء الذي يقسي القلب فلا يقبل كلمة الرب ولا يذعن لقوله.

المظهرية الكاذبة: إن المظهرية الكاذبة الخارجية هى نوع من التغطية في حال الفشل الروحي وهى أولى ثمرات الكبرياء... فإسرائيل يبحث كيف يتمجد بمباني الحجارة المنحوتة والأبهة الخارجية... وقد نسى أن بسبب الخطايا يُسلِّم الرب ميراثه للعار ويخرب كل هذا المجد الخارجي المتكلين عليه ولا يبقى حجر على حجر ألا وينقض.

الرب يهيج أعداءه: لا يوجد شيء من الخطايا بغيض عند ربنا قدر الكبرياء وعظمة القلب "يقاوم الرب المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة"، وينزل الأعزاء عن الكراسي. ويرفع المتضعين، ومن يسلك بالكبرياء هو قادر على أن يذله... إنه حقًا وراء كل سقوط تكمن الكبرياء.

فالرب هنا هو الذي يهيج أعداء إسرائيل المتكبر والمتكل على ذاته والذي أسقط الرب من حسابه وطرح وصاياه وأقواله خلفه.

فيأتي الأعداء ويأكلون إسرائيل بكل الفم... أي بلا رحمة وبكل قسوة.

مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد:

ولأنه لا توجد توبة ورجوع إلى الرب بعد، فمازلنا نسمع هذه العبارة: "مع كل هذا..." مع كل ما صنعه الرب ومع كل ما قاله وأنذر به.. حتى تهيج الأعداء هذا صنعه الرب للتوبة والرجوع... لعله إذا ذل كبرياءهم يرجعون إلى الرب، وكأنه حتى هياج الأعداء والمذلة والسقوط حتى الأكل بكل الفم... كل هذا سمح به الرب وهو يرجو أن يؤول كله للتوبة والخلاص فيرتد الغضب الإلهي وترتفع اليد الممدودة للعقاب والتأديبات.

إن ما يبدو في نظر الناس أنه عقاب أو تخلي هو في قصد ربنا ليس للهلاك ولكن للرجوع والخلاص وارتداد الغضب لذلك يكمل قائلاً:

١٣. "والشعب لم يرجِع إلى ضاربهِ ولم يَطلب رب الجُنود".

وكأن الضارب المؤدب هو الرب وليس أرام ولا العدو الخارجي.

هنا البصيرة الروحية التي يطلبها الرب في شعبه في كل جيل... أن ينتبه بوعي روحي فيدرك القصد الإلهي فيرجع ويطلب الرب.

الرجوع إلى الرب من كل القلب هو الطريق الوحيد للخلاص من النكبات والانكسار في الحروب (الروحية) فما بال هذا الشعب لم يلتفت إلى إلهه؟ كثيرًا ما نرجع سبب الضربات والتأديبات التي تقع علينا إلى أشياء كثيرة ربما الظروف أو الأحوال السياسية أو المتغيرات أو الناس من حولنا وننسى أن هناك سببًا جوهريًا ورئيسيًا وراء كل مصيبة وكل تأديب يقع علينا وهو الخطية الكامنة التي تعمل في القلب.

وبدون كشف هذا المرض الخطير الذي هو أصل الداء لا يحصل شفاء ولا ينجو الشعب من العقاب والتأديب ولا ترتد يد الرب.

١٤. "فيقْطع الرب من إسرائيل الرأس والذَّنَب، النَّخل والأسَل، في يوم واحد.

١٥. الشيخ والمعتَبر هو الرّأس، والنبي الذي يُعلِّم بالكذب هو الذَّنَب.

١٦. وصار مُرشِدو هذا الشعب مُضلِّين، ومُرشدوه مُبتَلعين.

١٧. لأجل ذلك لا يَفرح السيد بفتيَانه، ولا يَرحم يتامَاه وأراملـه، لأن كل واحد منهم مُنَافقٌ وفاعل شرٍّ. وكل فم مُتكلِّم بالحماقَة. مع كل هذا لم يرتَدّ غَضَبُه، بل يده مَمدودة بعد!".

لسبب عدم التوبة والرجوع تمتد يد الرب يقع الزوان... وكأنه وقد صار الشعب كله زوانًا الرأس مثل الذنب... والنخل مثل الشوك، النخل الذي يشير للصديقين في وسط الشعب "الصديق كالنخلة يزهو" في عطائه وارتفاعه وعمقه وخيره. صار الصديقون في وسط الشعب كالشوك "الأسل" الذين هم زرع الخطية ونتاج أرضها "شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض"...

الشيوخ الحكماء المفروض أن يكونوا مسكن الروح وينبوع التعليم والقدوة المقدسة صاروا كالأنبياء الكذبة الذين يخضعون لروح الكذب والضلال والأباطيل.

لقد خضعوا جميعًا لروح العالم الخادع وعاشوا بعرفه وتقاليده ولم يبق لهم سوى منظر لشيوخ واسم الأنبياء فقد. احتفظوا بصورة التقوى ولكنهم ينكرون قوتها... لذلك إذا اقترب إليهم الشعب للمشورة أو للإرشاد فإنه يكمل فيهم قول الرب "إن كان أعمى يقود أعمى يسقُطان كلاهما في حفرة" (مت ١٥: ١٤).

هذا من ناحية المعتبرين في الشعب. الشيوخ والرؤساء والمرشدين والمشيرين!! فماذا عن الشعب المطحون والمسكين؟

صار الفتيان لا يفرحون قلب السيد الرب:

السيد الرب يفرح بالفتيان لأنهم يشيرون إلى الطهارة والقوة والنصرة على الشر "كتبت إليكم أيها الأحداث، لأنكم **أقوياء**، وكلمة **الله ثابتة فيكم**، وقد غلبتُم الشرير" (١ يو٢: ١٤).

فالفتيان في وسط الشعب مثل يوسف العفيف ودانيال الطاهر والثلاثة فتية القديسين وصموئيل الفتى النقي وداود القديس... الخ.

يصيرون سبب فرح وسرور لدى الله وبسببهم يحسن إلى الشعب كله، بسبب يوسف يستبقى حياة الأسباط كلها "لاستبقاء حياة أرسلني الرب قدَّامكم" (تك ٤٥: ٥).

وفرح الرب بصموئيل كان عوض رائحة الدنس من حفني وفنحاس ابني عالي الكاهن، وفرح الرب بداود كان عوض خيانة شاول الملك وبسبب داود كان الرب يحسن إلى الشعب قائلاً: "من أجل داود عبدي"...

فماذا لو صار الفتيان كل منهم **منافق وفاعل شر** وفمهم يتكلم بالحمّاقة (ع١٧).

أين يكون فرح السيد الرب ومن يكون موضوع سروره يشتم فيه رائحة رضاه.

وحتى الأرامل والأيتام أصبحوا لا يستدرون المراحم!!

إن الأرامل والأيتام كانوا يشيرون دائمًا إلى العنصر الضعيف في الشعب الذي فقد السند الأرضي وصار الرب هو سندهم "أب الأيتام وقاضي الأرامل" وصار هو الذي "يقيم دعوى اليتيم" وهو الذي يطلب حقهم وكانوا رمزًا للنفوس التي ألقت رجاءها بالتمام على الله وعاشت في مسكنة الروح فإن تدنست أيضًا هذه النفوس بفعل الشر

والنفاق والحماقة فمن يستدر مراحم الرب؟

هكذا صار المنظر مؤسفًا، فلا رأس سليم يرشد ويقود ولا قديسين يشفعون ولا أطهار ولا مساكين بالروح. فلم يريد الغضب ويد الرب ممدودة بعد.

١٨. "لأن الفجُور يُحرق كالنَّار، تأكُلُ الشوك والحَسَكَ، وتُشعِل غابَ الوَعر فتلتف عمود دُخان.

١٩. بسَخَطِ رب الجنود تُحرَقُ الأرض، ويكون الشعب كمأكل للنار. لا يُشفِق الإنسان على أخيه.

٢٠. يلتَهِمُ على اليَمين فيَجُوع، ويأكل على الشّمال فلا يشبَع. يأكلون كل واحد لحْم ذراعِه.

٢١. منسَّى أفرايم، وأفرايم منسَّى، وهما معًا على يهوذا. مع كل هذا لم يرتَدّ غضَبه، بل يده ممدُودَةٌ بعد! ".

لقد أعلن الرب في (ع ٩) دينونة الكبرياء وسقوط تشامخ الإنسان وعظمة قلبه وما يجلبه الكبرياء من ويلات وغضب.

وهنا يكشف الرب عن العلة الرهيبة للانهيار وانحطام الشعب، وهو الفجور وأعمال النجاسة ويجد ربنا أن نتعمق كلمات الوحي الإلهي جدًا لكي ندرك رعب ما تفعله هذه الخطايا الدنسة.

١. يحرق كالنار:

قال سليمان الحكيم عن الزناة أنهم كمن "يأخذ نارًا في حضنه".

والقديس بولس الرسول قال عن الذين أسلمهم الله إلى أهواء الهوان أنهم "اشتعلوا بشهوتهم" (رو ١: ٢٧).

وأمر بأن الرجل الذي انحمق في خطية الزنى في كنيسة كورنثوس – أمر بأن يسلم للشيطان ويفرز الخبيث من وسطهم وقال: "أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله".

وعندما زاغ الشعب قديمًا وراء الجسد جلس الشعب للأكل ثم قاموا للعب (للزنى) خرجت نار الله واشتعلت في طرف المحلة.

فالفجور إذًا يحرق كالنار... من ناحية في داخل الإنسان فيجعله يشتعل بشهوات غبية وردية ويحترق بها جسدًا ونفسًا وروحًا.. ويحرق من حوله كنار مشتعلة في شوك وحسك وغاب أشجار وعر وآنية الغضب مهيأة للحريق والهلاك ومن ناحية أخرى يكابد الإنسان نار دينونة رهيب تحرق الفجار ونار غضب الله المعلن على كل فجور الناس... بسخط رب الجنود تحرق الأرض.

٢. يشفق الإنسان على أخيه:

هذه الخطية وكل خطايا النجاسة تولد في الإنسان الطمع وقساوة القلب لذلك قال الرسول: "لا يطمع أحد على أخيه في هذا الأمر..." فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ولكن الزنى هو خطية الذات التي لا تشفق على الآخر ولا تترفق... **فالإنسان لا يهلك نفسه فقط بل يحدر الآخرين.**

٣. بلا شبع:

ومن جوع الشهوات يكون الإنسان كمن يأكل لحم نفسه... ولكن بلا شبع. ألم يقل الرب للسامرية "من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا".

الأصحاح العاشر

١. "ويلٌ للذين يقضُون أقضية البُطلِ، وللكتَبة الذين يُسجِّلون جَورًا.
٢. ليصُدُّوا الضعفاء عن الحُكْم، ويسْلُبوا حق بائسي شعبي، لتكون الأرامل غنيمَتَهُم وينهَبوا الأيتَام.
٣. وماذا تفعَلون في يوم العقاب، حين تأتي التَّهلُكَة من بعيد؟ إلى من تهرُبُونَ للمَعُونَةِ، وأين تَترُكُون مَجدَكُم؟
٤. إمَّا يجثُون بين الأسرى، وإمّا يسقُطون تحت القَتلى. مع كل هذا لم يرتَدّ غضَبُه، بل يدُهُ مَمدُودَةٌ بعد! ".

يبدو إشعياء النبي مرة أخرى ليشر إلى ظلم الفقراء وإلى سلب حقوق البائسين ونهب بيوت الأيتام واغتنام الأرامل.

وقد ذكر هذا الموضوع سابقًا في (ص ٣: ١٤، ١٥ – ص ٧: ٢٣).

لكن الذي لا يجب أن يفوتنا في هذا الموضوع أن كلمتي "سلب وغنيمة" الفعلين الذين ارتكبهما قضاة هذا الشعب هما نفس الكلمتين اللذين تضمنهما الاسم الرمزي "مهير شلال حاش بز" الذي تفسيره أسرع السلب وعجل الغنيمة. والذي كان ملك أشور عتيدًا أن ينفذه حرفيًا كدينونة حتمية على ظلم قضاة الشعب. وهنا لابد لنا أن ندرك أن الله يدين بالحق فما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا. ولا يجتنون من الشوك تينًا ولا من الحسك عنبًا بل نسل الحية لابد أن يكون أفعوانًا.

فداود النبي عندما ارتكب فعل الزنا والقتل حصد الثمرة بمرارتها على يد ابنه أبشالوم في وضح النهار.

وقد شهد أيضًا أدوني بازق ملك الكنعانيين بعد أن قطع بنو إسرائيل أباهم يديه ورجليه قائلاً: "سبعون ملكًا مقطوعة أباهم أيديهم وأرجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتي. كما فعلت كذلك جازاني الله" (قض ١: ٧).

وماذا أيضًا لو تحدثت... فالأمثلة كثيرة وجميعها تنطق باستحقاق دينونة الله العادلة أن الذين يضايقونكم سيجازيهم ضيقًا وأن الزانية ستشرب من كأس غضب زناها... وأن الذين رفضوا النور ولم يقبلوه تكون دينونتهم بقاءهم

في الظلام.

ملاحظات:

١. نسب الرب البائسين إليه قائلاً: "بائسي شعبي" وحينما أخذ الرب جسد بشريتنا صار شريكًا للضعفاء والبائسين بل أنه دعاهم إخوته الصغار "ما لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر، فبي لم تفعلوا" (مت ٢٥: ٤٥).

٢. "أما اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان، وورَثَة الملكوت" (يع ٢: ٥).

وقد بكّت يعقوب الرسول الكنيسة الأولى قائلاً: "أما أنتم فأهنتُم الفقير" (يع ٢: ٦).

وقال القديس بولس الرسول "اختار الله الفقراء ليخزي بهم الأغنياء".

٣. إن كان الجور والظلم للأيتام والأرامل استحق عقابًا هكذا فما أحوجنا إلى إدراك قول يعقوب الرسول "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يع ١: ٢٧).

لأن الرب يرفع دعوى اليتيم بل أنه هو أب الأيتام.

ماذا تفعَلون في يوم العقاب، حين تأتي التَّهلُكَة من بعيد؟ إلى من تهرُبُونَ للمَعُونَة، وأين تَترُكُون مَجدَكُم؟

إمَّا يجثُون بين الأسرى، وإمّا يسقُطون تحت القَتلى. مع كل هذا لم يرتَدّ غضَبُه، بل يدُهُ مَمدُودَةٌ بعد.

+ إن ربنا سيصير هو ملجأ الأبرار في يوم الدينونة حين ينظرون نور وجهه متجليًا في قلوبهم التي قبلت الحق وكانوا ينظرون كما في مرآه وكما في لغز ينتظرون مجيئه فيرفعون رؤوسهم لأن نجاتهم تقترب.

+ أما الأشرار إلى من يهربون؟ يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام

غطينا من وجه الجالس على العرش... وكما تهرب الظلمة أمام شعاع النور هكذا يكون هربهم.

+ أضافت الترجمة السبعينية قبل الآية (٤) كلمة بدوني. أما يجثون بين الأسرى... وهذه الكلمة تفتح مجال جبار للتأمل أمام النفس، بالرب يسوع تستطيع النفس أن تقول: "بك يا إلهي اقتحمت جيشًا... بك يا إلهي تسورت أسوارًا" (مز ١٨: ٢٩).

بوجود الله مع النفس تجرؤ أن تقول: "لولا أن الرب كان معنا عندما قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء" (مز ١٢٤: ٢ – ٣).

بل مع الله تقول باختصار "أستَطيع كل شيء في المسيح الذي يقوِّيني" (في ٤: ١٣).

أما في حال التخلي وبعيدًا عن الله ماذا يكون حال النفس؟

حقًا قال ربنا: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا".

بدون ربنا أما تصير النفس جاثية بين الأسرى مذلولة ومأسورة بالخطايا ونير العدو فاقدة لحرية مجد أولاد الله. وأما أن تكون تحت القتلى بالذنوب والأموات بالخطايا.

إن كان السقوط بين الأسرى أو تحت القتلى جسديًا يعني تخلي الله والعقاب والتهلكة فكم يكون تخلي الله أكثر مرارة على النفس. وكم تكون الدينونة والعقاب مخيفًا بالأكثر.

+ **عقاب أشور:**

٥. "ويلٌ لأشور قَضيب غضبي، والعصا في يَدهم هي سَخَطي.

٦. على أُمةٍ منافِقَةٍ أُرسله، وعلى شعب سَخطِي أُوصيه، ليغتَنِم غَنيمَةً وينهب نهبًا، ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة.

٧. أمّا هو فلا يفتَكر هكذا، ولا يَحسِبُ قلبه هكذا، بل في قلبهِ أن يُبيد

ويَقرض أُمَمًا ليس بقليلةٍ".

+ كما علت السماء عن الأرض هكذا علت أفكار الله عن أفكار الناس وطرقه عن طرقهم... لأنه من عرف فكر الرب.

هكذا كان الحال حينما استخدم الرب ملك أشور ليعاقب به كبرياء وخطايا شعب بني إسرائيل.

كان في فكر الله أن يعاقب الخطاة ويدين الخطية أما ملك أشور فكان في قلبه أن يبيد ويقرض أممًا.

كان في فكر الله أن يكون ملك أشور عصا في يده. آلة يستخدمها لتنفيذ مشيئته... تكون طوع يديه...

أما ملك أشور فعندما قهر بعض الممالك لم يظن في نفسه هكذا بل ارتفع قلبه وامتلأ كبرياء وافتكر في نفسه أنه بقوته وجبروته يفعل، ونسى أن لله العلي سلطانًا على مملكة الناس.

+ فإن كان ملك أشور يخطئ هكذا في قلبه وينحمق في تصرفات الشر والكبرياء لابد أن يدان هو الآخر لأن الله ليس عنده محاباة بل النفس التي تخطئ هى تموت.

٨. "فإنه يقول: أليست رؤسائي جميعًا ملُوكًا؟

٩. أليست كلنُو مثل كَركَمِيش؟ أليست حَمَاةُ مثل أرفَاد؟ أليست السامرة مثل دمشق؟

١٠. كما أصابت يدي ممَالك الأوثان، وأصنامُها المنحوتة هى أكثر من التي لأورشليم وللسامِرَة.

١١. أفليس كما صَنَعتُ بالسامرة وبأوثانها أصنَع بأورشليم وأصنَامها؟".

١. كانت دمشق قد سقطت في يد ثغلت فلاسر ملك أشور في السنة الثالثة لملك آحاز وحمل شعبها وثروتها إلى قير (٢ مل١٦: ٩) ولم تكن السامرة كابدت مثلها بعد.

٢. كان ملك أشور يتقدم في قهر الممالك والبلاد المجاورة كلنو ثم

كركميش، حماة ثم أرفاد... دمشق ثم السامرة. ولكن يبدو كما لو كان الهدف هو أورشليم هى نهاية المطاف... فالعدو لا يقنع إلا بأورشليم حتى لو أعطى كل ممالك الأرض.

إن هذه البلاد في عبادتها للأصنام لم تكن بعيدة عن العقاب إذ هى في يد الشيطان ولكن أورشليم مدينة الهيكل مسكن الله مع الناس تختلف تمامًا.

ملحوظة:

قد يملك الشيطان على نفوس كثيرة وتسقط مدن في يده... مدن كبيرة وعظيمة... ولكن لا تساوي كل هذه النفوس شيئًا بجانب نفس مقدسة... هذه أنها أورشليم إذا ما حاصرها الشيطان أو أسقطها في يده يبدو كأنه انتصر على الله.

+ نظر ملك أشور ورؤسائه وامتداد فتوحاته... ونظر حوله أين ملوك البلاد التي استفتحها لنفسه؟

ثم فكر في أورشليم أيضًا بذات الفكر... أين إله أورشليم؛ هل استطاعت آلهة البلاد الأخرى الدفاع عنها؟

ونسى أن أورشليم إن دفعها الرب ليده إنما بسماح منه لتأديبها وردها إلى حضن الله.

أليست رؤسائي ملوكًا:

إن صار رؤساء جيش ملك أشور ملوكًا فيصير ملك ملوك.

+ إن فكرة التوسع في الملك فكرة قديمة طغت على البشرية كلها في كل أجيالها... إن ملك أشور فكر في قلبه أن يصير ملك ملوك قائلاً: "أليست رؤسائي جميعهم ملوكًا... لقد ظل الشيطان يطغي الإنسان بملكوت هذا العالم الزائل... إلى أن جاء ملك الملوك الحقيقي ربنا يسوع المسيح ورفض إغراء الشيطان الذي أراه جميع ممالك العالم ومجده وقال له: "أُعطِيكَ هذه جميعها إن خرَرتَ وسَجَدْت لي" فطرده الرب قائلاً: "اذهب يا شيَطان" (مت ٤ : ٩ . ١٠).

إن وراء كل مطامع يوجد شيطان يحرك بالشر قلوب الطامعين ويزرع زرع

الكبرياء الذي نهايته الهلاك.

١٢. "فيكون متى أكمَل السيد كل عَمَله بجَبَل صِهيون وبأورشَليم، أني أُعاقِبُ ثمَر عَظَمَةِ قلب مَلك أشُّور وفَخر رفعَةِ عينيه.
١٣. لأنه قال: بقُدرَة يدِي صَنَعت، وبحكمَتي. لأني فَهيمٌ. ونَقَلت تُخوم شعوب، ونهَبْتُ ذخائرهم، وحَطَطْتُ الملوك كبطل.
١٤. فأصابت يدي ثروةَ الشعوب كعُشٍّ، وكما يُجمع بيضٌ مهجورٌ، جَمَعتُ أنا كل الأرض، ولم يكن مرَفرفُ جناح ولا فاتح فم ولا مُصَفصِفٌ ".

مقاصد الله من ناحية أورشليم لابد أن تكمل:

+ لابد أن يكمل الرب كل مقاصده من جهة أورشليم حتى ولو كان بالتأديبات فربنا ليس عنده أنصاف حلول... فهو يمد يده نحوها لينقيها من كل زغل بروح الاحراق ولا تزال يده ممدودة حتى يكمل إلى التمام.

+ فالتجربة لا ترفع حتى تكمل مشيئته الإلهية وتدابيره العالية لتأتي بالثمر المطلوب.

+ والشيطان قد يأخذ بسماح من الله سلطانًا ليحارب المرأة المتسربلة بالشمس ولكن سلطانه إلى حين.

+ وكلام الرب بفم عبيده الأنبياء عن عقاب الأشرار ودينونة الخطاة وهلاك الفجار لا تسقط منه كلمة بل لابد أن يكمل المكتوب.

فمتى أكمل الرب عمله حينئذ يعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه.

+ إن كل أفعال الإثم التي ارتكبها ملك أشور كانت ثمرة كبرياء قلبه... فمن القلب مخارج الحياة... وإن كان اتضاع القلب يفرح قلب الله ويرفع الإنسان في زمان الافتقاد فكبرياء القلب هو بداية السقوط وثمرته مُرة دائمًا.

والقلب المغرور ينسب كل نجاح إلى ذاته فيزداد كبرياء... ويثق في حكمته

واقتداره فلا يقبل مشورة من أحد حتى لو كانت من الله.

لأنه قال بقدرة يدي صنعت وبحكمتي لأني فهيم. نقلت ما نهبت... فخططت... الخ. لا يكف عن الحديث عن ذاته وعن قدرته كما لو كان لا يوجد في الكون غيره. ما أجمل قول الكتاب "أن فوق العالي عالي يلاحظ والأعلى فوقهما".

الله ليس موجودًا في برنامج الإنسان المتكبر... ليس له وجود ولا عمل ولا سلطان ولا قدرة ولا تدبير... "قال الجاهل في قلبه ليس إله" أما القديسون فهم لا ينسبون إلى أنفسهم عمل ما... لأن الله هو العامل فيهم وبهم أما ذواتهم وقدرتهم فقد حسبت عندهم كلا شيء بل أنها تراب ورماد ومزدرى وغير موجود.

ما أعظم الفارق بين قلب ملك أشور وبين قلب داود النبي ملك إسرائيل الذي كان يتصاغر أمام الله ويقول: القلب المتواضع والمنسحق لا يرذله الله.

نقلت تخوم (حدود):

لو لم يكن هناك سماح من الله لدينونة هذه الشعوب ما استطاع ملك أشور أن يحرك مسكنًا واحدًا من مكانه... لأن القديس بولس يقول أن الله حدد مساكن الإنسان.

حططت الملوك كبطل:

كل سلطان هو من الله ... هو يعطي الإنسان سلطان بتدبير وترتيب وينزعه من الإنسان... يرفع من يشاء ويذل من يشاء... يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف.

أما ملك أشور فقد افتكر في نفسه بفكر الشيطان أنه يولي من يشاء ويحط الملوك عن كراسيهم... لقد أفرخت الكبرياء في قلبه. الله وحده هو الذي ينزل الأعزاء عن الكراسي ويرفع المتضعين.

جمعت أنا كل الأرض:

من كال المياه بحفنته وقاس الأرض بشبره ووزن الجبال كما بالقبان غير ذاك الذي أوجدها من العدم؟

يا للإنسان عندما تتأله ذاته في عينيه!!

ملحوظة: "توكل على الرب من كل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد" (أم ٣: ٥). لا تنسب إلى ذاتك أعمالاً باهرة ولا تكثر الحديث عن ذاتك وإن عمل الرب بك عملاً فائقًا ليكن في قلبك ما قاله القديس بولس الرسول "أنا ما أنا ولكن نعمة الله التي معي".

١٥. "هل تفتَخِرُ الفأس على القاطِع بها، أو يتكبَّر المِنشار على مُردِّده؟ كأن القضيب يُحرِّك رافِعَه!كأن العصا ترفَع من ليس هو عودًا!".

إن كانت الجبلة لا تقدر أن تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا ... بل كل الخليقة خاضعة وقائمة بكلمة الرب ... كل الخليقة تصنع إرادته وتباركه ... (انظر تسبحة الثلاثة فتية القديسين).

فكيف صار قلب ملك أشور مفتخرًا هكذا حتى على الله!!

هل تفتخر الفأس على القاطع بها:

نحن آلات في يد الله... فإن خضعنا لتدابيره صرنا آلات بر يصنع بنا مسرته وينفذ مشيئته ولكن إن كنا نقاوم تدبيره ونسلك بإرادتنا الخاصة فإن الله لا يشمخ عليه. ومن يسلك بالكبرياء هو قادر على أن يذله.

١٦. "لذلك يُرسل السيد، سيد الجنود، على سمانه هُزالاً، ويوقد تحت مجده وقيدًا كوقيد النار.

١٧. ويصير نور إسرائيل نارًا وقدوسه لهيبًا، فيُحرق ويأكل حسكه وشوكه في يوم واحد.

١٨. ويُفني مَجْدَ وعرهِ وبستانِهِ، النفس والجسد جميعًا. فيكون كذَوبان المَريض.

١٩. وبقيّة أشجار وعره تكون قليلةً حتى يكتُبها صبيٌّ".

نصيرًا في الضيق، وجد شديدًا يتجلى إله الآلهة في صهيون.

لقد عرف الرب عند شعبه باسمه المملوء بركة ومواعيد نهائية.

"**أنا هو... أنا كائن**". ولشعبه أن يتمتع بهذا الاسم المبارك الذي يملأ كل احتياج فإن جاعوا يصير لهم "أنا هو خبز الحياة" وإن عطشوا "أنا هو الماء الحي". وإن ساروا "أنا هو الطريق". وإن واجهوا الموت "أنا هو الحياة".

أما بالنسبة لفرعون فلم يعرف بهذا الاسم قط بل كان يقال لفرعون الرب إله العبرانيين... رب الجنود... رب القوات الإله المخوف والمرهوب الذي تذوب الجبال من أمامه كالشمع.

هكذا يستعلن الرب لملك أشور المنتفخ (السمين).

فالرب الإله هو نور إسرائيل أما بالنسبة لملك أشور فهو نار أكلة الشوك والحسك هما زرع الخطية في قلب ملك أشور فهل تستطيع أن تثبت أمام قدوس القديسين..."لا يثبت مخالفو الناموس قدام عينيك".

أين جبروت فرعون ملك مصر أمام قوة رب الجنود!

أين مجده وكبرياؤه وتجبره على إله العبرانيين؟

"الرب رجُل الحَرب. الرب اسمُه. مركَبَات فرعون وجيشُه ألقاهُمَا في البحر ... يمينُك يارب معتزَّة بالقُدرة. يمينُك يارب تحطِّم العَدُو... تُرسل سُخْطَكَ فيأكُلُهُم كالقش" (خر ١٥: ٣-٧).

أما مجد الإنسان. المجد البشري فهو كزهر العشب كما قال الرسول يعقوب: "العُشب يبس وزهره سقط" (يع ١: ١١).

هكذا يذبل المجد البشري ويسقط في لحظات.. يعبر كالظل فلا يعرفه مكانه بعد.

٢٠. "ويكون في ذلك اليوم أنَّ بقيَّة إسرائيل والنَّاجين من بيت يعقوب لا يعُودون يتوكّلون أيضًا على ضاربهِم، بل يتوكّلون على الرب قدوس إسرائيل بالحقِّ.

٢١. ترجع البَقيَّة، بقيَّة يعقوب، إلى اللَّه القدير.

٢٢. لأنه وإن كان شعبُك يا إسرائيل كرمل البحر ترجع بقيَّةٌ منه. قد قُضيَ بفناءٍ فائض بالعدل.

٢٣. لأن السيد رب الجنود يصنع فناءً وقضاءً في كل الأرض".

يعود إشعياء مرة أخرى ليعلن بشرى الخلاص والنجاة للبقية وبمنتهى الوضوح في الإعلان يقول أن البقية سترجع إلى الله القدير. الموضوع إذًا لا يختص بحدث زمني وعقاب وقتي أكمله ملك أشور بأورشليم وأبنائها العصاة فحسب إنما وراء الحوادث الزمنية يكمن سر الخلاص الإلهي الأبدي.

بولس الرسول عندما تفاعل مع هذه الآيات نطق بالروح قائلاً: "إن إشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص".

فالحديث لم يعد سر مخفي في كلمات وأحداث ولكنه صراخ علني للذين استؤمنوا على سر الروح.

إذًا قد حصل رفض لإسرائيل... رفضوا العريس والراعي والمخلص والمحب إلى المنتهى رفضوا الذي جاء إلى خاصته متحننًا وديعًا... مد يده طول النهار إلى شعب معاند. ولما رفضوه مسمرين إياه على خشبة كمل قوله الإلهي "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. أمَّا كل الذين قَبلوه فأعطاهُم سلطانًا أن يصيرُوا أولاد اللَّه" (يو ١: ١١، ١٢). وكان لمَّا رفضوه حصلوا في الهوان والازدراء وصاروا أعداء للنور ورافضين للحق وصالبين للمسيح.

والقديس بولس تعلق بهذه الآيات وفهم سر رجوع البقية من إسرائيل أنه قبولهم للمسيح ورجوعهم إلى حضن اللَّه القدير بنعمة البنوة في يسوع المسيح.

والذي يقرأ ص ٩ و ١٠ من رسالة رومية يدرك أن قبول إسرائيل للمسيح مخلصًا وفاديًا هو هو الذي صرخ به إشعياء منذ القديم.

ونستطيع أن نستخلص بعض النقاط الهامة والنافعة للتأمل:

١. إشعياء يعلن أن هذه البقية كما يسميها "الناجين من يعقوب" أي المخلصين من الهلاك... أي الذين يتمتعون بالخلاص في شخص يسوع المخلص.

٢. إنهم لا يعودون يتوكلون على ذراع البشر. كاتكال بني إسرائيل قديمًا على ملك أشور وطلب معونته لخلاصهم فعندما يخيب رجاؤهم بالناس واتكالهم على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص حينئذ يرجعون إلى الرب يسوع ويؤمنون به ويتوكلون عليه.

٣. رجوع البقية في وقت دينونة وقضاء بالعدل الإلهي والحق وفناء يسود العالم... وهذا ما عناه القديس بولس الرسول بقوله: "إن اقتبالهم في الإيمان مرة أخرى سيكون بمثابة قيامة من الأموات".

٢٤. "ولكن هكذا يقول السيد رب الجنود: لا تخَف من أشور يا شعبي الساكن في صِهيَون. يَضْربُكَ بالقَضِيب، ويرفع عصاهُ عليكَ على أُسلوب مصر.

٢٥. لأنه بعد قليل جدًا يتم السَّخَطُ وغضبي في إبادتهم.

٢٦. ويُقيم عليه رب الجنود سوطًا، كضربة مِديان عند صَخرَة غُراب، وعصاه على البحر، ويرفعها على أُسلوب مِصْر.

٢٧. ويكون في ذلك اليوم أن حِمْلَهُ يزول عن كَتِفك، ونيرَهُ عن عُنقِكَ، ويتْلَف النِّير بسبب السَّمَانةِ".

نعود مرة أخرى لنتمتع بالبركات المخفية داخل كلمة "ولكن" لأن (ع٢٣) "أن السيد رب الجنود سيصنع فناءًا وقضاءًا على كل الأرض" فيه رائحة الدينونة والغضب والقصاص وفي وسط هذا الفناء والقضاء توجد طمأنينة لأولاد الله مذخرة وراء هذه الكلمة "ولكن".

ولكن لا تخف يا شعبي:

"لا تخَف، أيها القَطِيع الصَّغير" (لو ١٢: ٣٢).

أنتم شعبي... غنم مرعاي... لا تخف لأني معك.

لا تخف... لأن عيني عليك... لا تخف لأني نقشتكم على كفة يدي الساكن في صهيون... الساكن في الكنيسة... في حضن الله.

الساكن في ستر العلي... يخبئك في خيمته أي كنيسته.

لا تخف يا شعبي المحتمي في جنبي.

هو يرفع عليك العصاة ولكن لا يستطيع أن يهلك، يضربك بقضيب التأديب على أسلوب مصر **ولكن أنا أنقذك.**

حقًا قال المرنم واثقًا من فكر الله وصلاحه "تأديبًا أدَّبني الرب، وإلى الموت لم يُسلِمني" (مز ١١٨: ١٨).

قد رفع المصريون عصا التأديب وقضيب التسخير على الشعب قديمًا **لكن** بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا وأخيرًا كسر الرب عصا التسخير وأباد قوة فرعون مصر. وصنع الرب خلاصًا عظيمًا "الخيل وركاب الخيل طرحها في البحر الأحمر" (خر ١٥: ١).

+ لابد من مراجعة تاريخ معاملات الله مع الكنيسة في أجيالها لكي نستطيع أن ندرك مقاصد الله. فدرس الخلاص من أرض مصر وما صنعه الرب بالمصريين لإنقاذ شعبه لهو درس حي يجب أن لا ينس من شعب الله في كل الأجيال... لئلا يظن أن الرب قد ترك شعبه وباع ميراثه إذا ما حلت بعض الضيقات... ولئلا يظن العدو أنه أدرك هدفه وداس وحطم.

لأنه بعد قليل جدًا يتم السَّخَطُ وغضبي في إبادتهم.

قال القديس بطرس الرسول: "بعدما تألمتم يسيرًا، هو يُكمِّلكم، ويثبِّتكم" (١بط ٥: ١٠)، إن سلطان الظلمة لا يدوم ... ولكنه إلى ساعة ... "هذه ساعتكم وسلطان الظلمة" والآلام والضيقات بالنسبة لأولاد الله هى بالتأكيد وقتية وتمر بسرعة إذا ما قيست بالمجد الأبدي الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل.

هكذا يطمئن الرب شعبه الساكن في صهيون قائلاً: "بعد قليل جدًا" فليت شعب الله يفطن إلى هذا لأن الإنسان إذا ما حاقت به جيوش أشور قد يفقد صبره ويضعف وتصغر نفسه... وإذا ما طالت أيام الضغطات قد يضيق بها شعب الله... ولكن لابد أن نثق في مواعيد الله وننتظر بصبر "لأنكم تحتاجون إلى الصبر" بل يجب أن لا نقيس أيام الضيقة بمقياس الحكمة البشرية فنجدها طويلة وثقيلة بل بمقياس الله

فنشعر أنها قليلة جدًا...

وقد عاش الشعب هذه النبوة زمنيًا عندما أرسل الرب ملاكًا على جيش سنحاريب ملك أشور فقتل في ليلة واحدة ١٨٥ ألف جندي وهرب باقي الجيش في ذعر وخوف عندما بكروا فإذا هم جثث ميتة.

ألا يصير هذا عزاءًا للكنيسة في كل جيل!!

ويُقيم عليه رب الجنود سوطًا، كضربة مِديان عند صَخرَة غُراب، وعصاه على البحر، ويرفعها على أُسلوب مصر.

السوط = الكرباج – كان يستعمل للسخرة ورمز للعبودية التي استعبد بها المصريون شعب بني إسرائيل.

العصا = هى عصى التأديبات التي وقع تحتها الشعب.

وها الرب يرد السوط والعصى على الضارب بهما ويضربهما بذات السوط وذات العصى.

ويكون انكسار العدو أمام سوط الرب وعصا قوته مثل انكسار المديانيين في أيام جدعون ومثل انكسار فرعون عند البحر الأحمر. وبذات الإعجاز والاقتدار سينهزم أشور بل وكل قوة زمنية أمام كنيسة الله التي اقتناها بدمه.

ويكون في ذلك اليوم أن حِمْلَهُ يزول عن كَتِفك، ونيرَهُ عن عُنقِكَ، ويتْلَف النِّير بسبب السَّمَانةِ.

عندما يجري المسيح حاملاً رئاسته على كتفه. ويقول "**من أراد أن يأتي ورائي يحمل صليبه كل يوم...**" تكون هذه هى دعوة الحرية وتحرير كتف الإنسان من نير عبودية الشيطان وسلطان الخطية الذي أرهق الإنسان زمانًا هذه مدته.

نير الخطية يُتلف بنير المسيح... وناموس الخطية استبدل بناموس روح الحياة في المسيح يسوع.

شكرًا لله الذي أعطانا النصرة والغلبة بربنا يسوع المسيح وحرر العبيد قائلاً: "إن

حرركم الابن بالحقيقة تصيرون أحرارًا".

وجد في كتاب الترجوم "أن الأمم ستنكسر أمام المسيا. لأنه سيُميت المنافق بنفخة فمه".

٢٨. "قد جاء إلى عَيَّاث. عَبَر بمجرُون. وضَعَ في مِخْمَاش أمتِعَتَهُ.
٢٩. عبروا المَعبر. باتوا في جَبَع. ارتعَدت الرَّامة. هرَبت جبعة شاول.
٣٠. اِصهلي بصوتك يا بنت جَلِّيم. اسمعي يا ليشَةُ. مسكينة هى عَنَاثوث.
٣١. هَرَبت مدمِينَةُ. احتمَي سكان جِيبيمَ.
٣٢. اليوم يَقِف في نوبَ. يهُزُّ يدَهُ على جبل بنت صِهيون، أكَمَة أورشليم".

برؤية نبوية سابقة للأحداث يسجل إشعياء تقدم العدو الأشوري متجهًا نحو أورشليم ويراه لم ينتهج الطريق العادي الشمالي ولكن يتقدم مخترقًا المدن في خط يتقاطع مع أكثر من مدينة لكي يرعب أورشليم ولكي تصل أخبار الانكسار من المدن التي يمر بها إلى سمع أورشليم قبل أن يباغتها بجيوشه.

هى إذًا خطة للتخويف وإلقاء الرعب في قلب أورشليم أكثر من الواقع وكما كانت أخبار الشعب الخارج من أرض مصر في معية الله وبذراعه القدوسة... كانت أخبار تقدمهم تذيب قلب الشعوب.

هكذا يكون العكس في حالة التخلي يذوب قلب أورشليم داخلها من سماع صوت الولولة والنحيب والانكسار في المدن التي تتداعى ساقطة في قبضة ملك أشور.

ولكن العدو سيتقدم إلى أن يقف مقابل أورشليم ويهز يده على جبل بنت صهيون "جبل بيت الرب"... "جبل الاجتماع" وهذا يوضح أن هدف العدو كان أن يرتفع على الله كما أوضح حزقيال النبي أيضًا... وفيما هو في نشوة المنتصر وانتفاخ المتكبر يفاجأ بهلاك بغتة وبنفخة المسيا تهب عليه فتبيده وتقضي على كبريائه وتحطم عزه.

٣٣. "هوذا السيد رب الجنود يَقْضِبُ الأغصان برُعْبٍ، والمُرتَفِعو القامة يُقطَعون، والمُتشامِخُون ينخَفضون.

٣٤. ويُقطَع غَابُ الوعر بالحديد، ويَسقُط لُبنان بقدير".

قبل أن يمد يده على جبل بيت رب الجنود تأتي عليه هذه كلها.

تقضب الأغصان. يرعب، وقطع المرتفعين وخفض المتشامخين... وباختصار يتحقق لنا أن المسيا ابن الله الحي جاء لكي ينقض أعمال إبليس ويكسر جبروت الموت ويحطم قوته.

الأصحاح الحادي عشر

١. "ويَخرُجُ قَضِيبٌ من جذع يَسَّى، وينبُتُ غُصْنٌ من أصُولِهِ".

عندما تكلم الرب عن قضائه بملك أشور وعن سكب غضبه عليه في الأصحاح السابق... سمعنا قول الرب: "يُفنى مجد وعره وبستانه، النفس والجسد جميعًا" (ع ١٠: ١٨).

فالشرير يسقط ولا يقوم ... يفنى فلا يصير له أصل ولا فرع ليس كذلك الصديق ولكنه يسقط والرب يقيمه. يقضب الرب أغصانه (١٠: ٢٣). ولكن ليس للفناء بل على العكس من ممات تخرج الحياة، ومن شجرة يابسة معاقبة ينبت غصن الرب.

ما من مرة يتكلم إشعياء النبي عن العقاب والدينونة إلاَّ ويستدرك حديثه بعمل الله الخلاصي وظهور ربنا يسوع المسيح.

وكأن إشعياء النبي ولو أنه يتنبأ بأزمنة الظلمة وسلطان إبليس روح الظلمة إلا أنه لا يطيق أن يبقى فيها ولا إلى لحظة واحدة فيهرب إلى النور برجاء فائق وثقة في قدرة الله على الخلاص.

لذلك بدأ هذا الأصحاح مشرقًا بعد نهاية مؤسفة لأشجار بيت إسرائيل المرتفعة الشامخة...

وهنا يحدد إشعياء النبي أن ظهور ربنا الغصن والكرمة الحقيقية يتكون من جذع يسى من بيت الملك داود.

في العدد السابق رأينا أن أرز لبنان المرتفع والمتشامخ قد قطع برعب ... سقط الأرز إلى الأبد لأنه لا يستطيع أن يخرج فروعًا بعد أن يقطع.

أما كرمة إسرائيل المغروسة بيد الرب نفسه التي سماها الكرمة المشتهاة فهى بعد أن تقضب ينبت قضيب من جذعها الذي ترك في الأرض في اتضاع ...

نعم... لم تعد شجرة الملك داود قائمة... قطعت وصارت متساوية مع العامة... ولكن بقى أصلها في الأرض صار وسقط البيت.

الملك في صهيون ولم يبق سوى جذع يسى البيت لحمي. ومن هناك من

بيت لحم مرة أخرى وبنت الغصن الحي... يسوع الناصري... مخلص العالم.

+ **من جذع يسى:** لأن ربنا يسوع المسيح:

هو داود الجديد الذي تنبأ عنه حزقيال أنه راعي الخراف الجديد "ويرعاها داود عبدي".

وهو الصغير بين إخوته والذي نزع العار عن بني إسرائيل وهو أصل وذرية داود.

وهنا الرجوع إلى جذع يسى معناه أن المسيا سيزيل جميع السلبيات والإخفاقات التي سقط فيها ملوك المتعاقبين من داود إلى سليمان إلى رحبعام... الخ.

وسيتجاوز عن الآثام والخطايا والنجاسات التي انحرف إليها ملوك إسرائيل وأزاغوا الشعب من ورائهم.

وهكذا يصير خروج الملك والمخلص من جذع يسى كأنه رجوع إلى بداية الملوك مرة أخرى وتحقيق الرموز دون الوقوع في الإخفاقات.

٢. "ويَحُلُّ عليه روح الرب، روحُ الحكمة والفَهْم، روح المشورَة والقوَّة، روح المَعرفَةِ ومَخافَة الرب".

هذا الغصن من أصل يسى... هو هو عبد الرب المذكور في ص ٥٢ وهو أيضًا المسيّا في ص ٥٦.

والذي يميزه هو روح السيد الرب "**روح السيد الرب عليّ**". لأنه حبل به بالروح القدس... وناسوته المعبر عنه بهيكل جسده هو المستقر الوحيد للروح القدس لأنه فيه يحل كل الملء.

وقد تحقق هذا بالعيان عند نهر الأردن ويوحنا المعمدان شهد قائلاً: إن الآب الذي أرسله قال له: "الذي ترى الروح نازلاً ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يعمِّد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله" (يو ١: ٣٣).

هذا استعلان الروح القدس في المسيح في ثلاث أزواج من المواهب التي صارت ميراثًا روحيًا للبشرية في المسيح يسوع.

الذي صار لنا به الدخول إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون لأن الروح حل على المسيح لحسابنا... لكي يغني بشريتنا إذ أن الرب يسوع المسيح والروح القدس هما واحد ولكن نحن قبلنا في المسيح كل غنى الروح القدس.

١. روح الحكمة والفهم:

أ. بدون روح الحكمة والفهم لا نستطيع أن نفهم سر المسيح ولا تدبير مشيئته في التجسد والفداء والمحبة... وجميع الأسرار الإلهية.

ولكي ندرك مقدار حاجتنا إلى هذا الروح نتأمل كيف يطلبه القديس بولس بإلحاح من الله للكنيسة في أفسس لكي يعلموا ما هو رجاء دعوتهم وغنى مجد ميراثهم وأسرار الله وتدابيره من موت المسيح وقيامته وصعوده وإخضاع كل شيء تحت قدميه لحسابنا... الخ. راجع (أف ١: ١٥- الخ).

ب. عجز إسرائيل قديمًا عن أن يحققه من أن يكون للأمم نموذجًا للحكمة والفهم.

"فاحفظوا واعمَلوا لأن ذلك حِكمَتُكم وفطنتُكم أمام أعين الشعوب" (تث ٤: ٦).

بمعنى أنهم يصيرون كعقل البشرية كلها لإدراك الله عن طريق عمل وصاياه وحفظ ناموسه... إذ عجز إسرائيل وفشل في إعلان الله.

هذا أكمله الرب يسوع في نفسه لأنه هو حكمة الله وقبل في جسم بشريته (أي الكنيسة) أن يحل عليه روح الحكمة والفهم. لذا صارت الكنيسة بروح الحكمة والفهم أداة استعلان الله للعالم.

"طالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي لتسلكوا كما يحق للرب".

٢. روح المشورة والقوة:

هاتان النعمتان وجدتا متحدتان معًا بالحكمة والفهم في (أمثال ٨: ١٤).

لقد دُعيَ اسم الرب يسوع عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا.

وها الروح القدس يحل عليه كروح المشورة والقوة فنقبل في شخصه هذه النعمة

الفائقة للطبيعة البشرية.

فيكمل فينا القول أن الله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل لأن روح المشورة هو الروح الذي يقودنا في موكب نصرة المسيح ويشير علينا كل يوم بأنات لا ينطق بها وينصحنا ويعلمنا ويرشدنا إلى جميع الحق.

ليس هذا فقط بل أن روح الحياة في المسيح يسوع أعتقنا بقوة جبارة من ناموس الخطية والموت "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضًا. بروحه السّاكن فيكم" (رو ٨: ١١).

كما أن الرسول بولس يقول "تعين ابن الله بقوة من جهة روح القيامة من الأموات".

روح القوة الذي قبلته البشرية هنا هو روح القيامة من الأموات. إذًا هو ليس بالقوة البشرية ولا بالقدرة البشرية لكن بروحي قال رب الجنود... روح القوة والقيامة من الأموات.

٣. روح المعرفة ومخافة الرب:

في بداية النبوات قال الرب بفم إشعياء: شعبي هلك لعدم المعرفة (إش١).

بسبب انعدام روح المعرفة دخل الهلاك إلى الشعب وبسبب انعدام روح المخافة يصير الإنسان مستبيحًا كما ظن إبراهيم في أبيمالك أنا قلت أنه لا يوجد خوف الله في هذا المكان (تك ٢٠: ١١).

فحلول روح المعرفة معناه أن الروح القدس الذي حل على المسيح أنار لنا الحياة والخلود... فعرفنا الحياة التي أظهرت لنا في المسيح. هنا المعرفة ليست عقلانية ولكنها تذوق للحياة وقبولها. رأس الحكمة مخافة الرب ...

٣. "ولذَّته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحَسَب نَظَر عَينيه، ولا يَحكُمُ بحَسَب سمع أُذُنيهِ.

٤. بـل يَقضـي بالعَـدل للمسَـاكين، ويَحكُـم بالإنصـاف لبائسـي الأرض، ويَضـربُ الأرض بقَضيـبِ فَـمِـهِ، ويُمِـيـتُ المُنافِـق بنفخَـةِ شـفَـتَيـه.

٥. ويكون البرُّ مِنطَقَـة مَتنيـهِ، والأمانـة مِنطَقَـة حقوَيـه".

أوصاف المسيا:

هنـا بعـد حلـول الـروح ومسـح قـدوس القدوسـين تسـتعلن أمامنـا أوصـاف المسـيا الملك ولكن بإبداع روحي فائق للوصف.

١. لذته في مخافة الرب:

مخافـة الـرب عنـد المسـيح والأعمـال التـي تعمـل فـي مخافـة الله يشـتمها المسـيح رائحـة لذيـذة ونسـيمًا طيبًـا... مثـل فلسـي الأرملـة وقـارورة الطيـب... ودمـوع المـرأة الخاطئة وسجود المرأة نازفة الدم أمامه. وهى مرتعدة... قال لها "ثقي يا ابنـة إيمانك شفاك"... ومسكنة قائد المئة.

كل هذه الأمور كانت في نظر المسيح أثمن من كل ما على الأرض يشتم فيها رجوع النفس إلى حضنه وتمتعها مرة أخرى بالآب في شخصه...

ولأن خـلاص الإنسـان كـان غايتـه لـذلك قيـل عنـه "مـن أجـل السـرور الموضـوع أمامه احتمل العار مستهينًا بالخزي".

٢. فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه:

أمـا أحكـام الملـك والمسـيا مخلـص العـالم فهـى لا تـرتكن علـى الظـاهر المرئـي والملموسات والحسيات. أحكامه عميقة كعمق الروح... من قاس روحه أو من صار له مشيرًا؟؟

هو فاحص القلوب ومختبر الكلى ولم يكن محتاجًا أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان.

إن كل أحكام قضاة هذا الدهر وملوك العالم تكون بحسب نظر العين وسمع الأذن... أما أحكام المسيح فما أبعدها عن الفحص البشري.

حكام الأرض وقضاتها لهم سلطان على الجسد وأحكامهم كلها محصورة فيه أما ملكوت المسيح فهو ملكوت روحاني مؤسس بالروح وليس كباقي الملوك. هكذا

المسيح... بل عيناه كلهيب نار تخترقان أستار الظلام وتكشف مكنونات القلب وتختبر الكلى.

لذلك جاءت أحكام المسيح غريبة عن روح العالم – محيرة لحكماء هذا الدهر الذين يبطلون.

٣. يقضي بالعدل للمساكين:

من الأمور التي يتعجب لها فعلاً أن المسيح الملك بدأ خطاب العرش من على جبل الموعظة بهذا الاعلان "طوبى للمَساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات" (مت ٥: ٣).

وأعلن بذلك قضاءه بالعدل نحو أولئك المساكين بالروح والمخفيين عن عيون العظماء والمتضعين العائشين في العالم وهم غير محسوبين.

٤. ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض:

يمكننا الآن أن نتأمل المسيح واقفًا وحوله جماعة اليهود المشتكين على المرأة التي أمسكوها في ذات الفعل.

ويمكننا أن نتأمل حكم المسيح نحو هذه البائسة التي وقعت فريسة للخطية والجسد والشيطان وليس هذا فقط بل فريسة في يد قضاة الظلم أقاموا أنفسهم حراسًا للشريعة وحماة للوصايا وهم في داخلهم مملوئين من كل نجاسة.

لقد طرد الرب المشتكين عليها حينما انحنى وصار يكتب على الأرض، ثم حين صارت المرأة بمفردها قال لها يسوع: "أما دانك أحد؟ فقالت لا أحد، يا سيّد! فقال لها يسوع: ولا أنا أدينك اذهبي ولا تخطئي أيضًا" (يو ٨: ١٠ - ١١).

إن بائسي الأرض في نظر المسيا ليسوا كما هم في نظر الناس. المساكين بالروح هم ورثة الملكوت وبائسي الأرض صاروا مختاريه وأحباؤه والخطاة والمرذولين صاروا خاصته وجلساؤه... "محب للعشارين والخطاة".

تأمل أيضًا مثل قاضي الظلم وإعلان المسيح "أفلا يُنصف الله مختَاريه، الصّارخين إليه نهارًا وليلاً، وهو متمهِّل عليهم" (لو ١٨: ٧).

لقد كمل المسيح كلامه نبوات المزمور الذي يقول "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين من الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية" (مز ١٢: ٥).

٥. يضرب الأرض بقضيب فمه:

القديس يوحنا الحبيب رأى المسيا في رؤياه "وسيف ماض ذو حدَّين يخرج من فمه" (رؤ ١: ١٦).

ثم في الرسالة إلى ملاك كنيسة برغامس يقول عن المقاومين "أتيك سريعًا وأحاربهم بسيف فمي" (رؤ ٢: ١٦).

قضيب الملكوت الذي للمسيح الملك المخلص هو الكلمة هى قضيب استقامة... للحكم والدينونة للحياة والموت في الذين يخلصون والذين يهلكون.

هى قوية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس.. ومميزة أفكار القلب وكل شيء مكشوف وعريان أمامها.

هى تفعل كل مسرته ولا ترجع إليه فارغة.

بها يحكم ويدين الأرض. "من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه. الكلام الذي تكلَّمت به هو يدينه في اليوم الأخير" (يو ١٢: ٤٨).

هكذا بالحقيقة كان كلام ربنا يسوع... يتكلم بسلطان وليس كالكتبة انسكبت النعمة على شفتيه..

٦. يميت المنافق بنفخة شفتيه:

المنافق هو ضد المسيح روح الظلمة إذ أنه يوجد في أي زمان وفي أي مكان وهو روح مقاوم لله ومرتفع بالكبرياء الهلاك... "الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويُبطله بظهور مجيئه" (٢ تس ٢: ٨).

والقديس يوحنا الحبيب أيضًا "كما سمعتم أن ضد المسيح يأتي قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون" كما يسميه أيضًا الكذاب وأيضًا الذي ينكر الآب والابن.

فهو إذًا بحسب كلام القديس يوحنا روح إنكار تجسد المسيح وإنكار أنه واحد مع الآب.

هنا إشعياء النبي يعلن أن المسيا سيميت هذا الروح المنافق بنفخة شفتيه... ونفخة المسيح هى الروح القدس لأنه مكتوب.

"نفخ في وجوههم وقال لهم اقبلوا الروح القدس".

لذلك كانت الشياطين ترتعب وتصرخ عندما يأمرها ويطردها وكانت تقول "مالنا ولك يا يسوع الناصري أتيت لتهلكنا"!!

لا سبيل إذًا لغلبة هذا المضاد والمنافق إلا بروح المسيح بالروح القدس، لا سبيل لإبطال حجج المقاومين للإيمان إلا بالروح والحق، لا سبيل لإماتة شهوات الجسد إلا بالروح ... "إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" (رو ٨: ١٣).

٧. ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقوية:

مثل ملك المسيح إلهنا فإنه يمنطق يديه ويمنطق حقوية بمناطق ملوكية تتفق وطبيعة ملكوته السماوي.

فيديه ممنطقتان بالبر وكما يقول القول الإلهي "مددت يدي طول النهار" فهو يفتح يديه فيشبع حتى بغنى من رضا...

في أيام الغضب والعقاب قيل عدة مرات "لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد". أما في أيام المسيا فيداه ممدودتان بالبر، بالتطهير. "إذ محا الصك الذي كان علينا وسمره بالصليب".

يداه محليتان بالمسامير من أجل خلاصنا وحتى بعد أن قام من الأموات احتفظ بأثر المسامير في يديه كعلامة أبدية للبر الأبدي بالمسيح يسوع.

أما منطقة حقوية فهى أمانته الإلهية نحو مواعيده التي سبق فأعطاها من جهة خلاص الإنسان... وقد أكملها المسيح وأجزلها لنا بكل حكمة وفطنة.

وهنا نتأمل المسيح الملك في ليلة العشاء الأخيرة وهو يكمل عهد حبه ويكسر جسده ويبذل ذاته... قام عن العشاء ومنطق حقويه وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ... وقال أنا بينكم كالذي يخدم.

فمنطقة الحقوين هى خدمة الخلاص وخدمة غسل الأرجل التي أسسها المسيح بنفسه لتبقى أساسًا لملكوته الذي هو الكنيسة.

ملامح زمن المسيا:

٦. "فيَسكُن الذئب مع الخَروف، ويربُضُ النِّمر مع الجَدي، والعِجْل والشبل والمُسَمَّن معًا، وصبيٌّ صغيرٌ يسوقُهَا.

٧. والبقَرة والدُّبة ترعَيان. تربُض أولادهما معًا، والأسَد كالبَقر يأكل تِبنًا.

٨. ويلعَب الرَّضِيع على سَرَب الصِّل، ويمدُّ الفَطيم يَدَه على جُحْر الأفعوان.

٩. لا يسوؤون ولا يُفسِدُون في كل جَبل قُدسي، لأن الأرض تمتلئ من مَعرفة الرب كما تُغَطِّي المياه البحر".

من الملامح الرئيسية التي تميز ملكوت المسيا والزمن المسياني... السلام الكامل الفائق للطبائع... فإشعياء يدعو المسيح رئيس السلام، وملك السلام... والنبوة هذا تبرز لنا صورة دخول السلام المسيحي إلى الخليقة كلها...

إذ كانت الخليقة تئن وتتمخض معًا لأن الموت دخل إلى العالم مع كل ما يتبعه من خوف ورعدة واضطراب شديد. فالشرير يهرب ولا طارد لأن الخوف ساكن في قلبه، "ولا سلام للأشرار قال إلهي".

وعند مجيء المسيح إلى العالم كان العالم مملوءًا انقسامًا على كل المستويات لأن الخطية ضربت جذورها في كل جسد، فأصبح العالم بعيد عن معرفة الله، يجوز في صراعات لا نهاية لها...

فجاء المسيح وبشرنا بالسلام نحن القريبين والبعيدين ونقض حائط السياج، وصالحنا مع الله، وصالح السمائيين مع الأرضيين وجعل الاثنين واحدًا... وكانت نعمة القيامة التي وهبها لكنيسته إلى أبد الدهور، وكان قول الرب: "سلامي (الخاص) أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم" (يو١٤: ٢٧).

وقال أيضًا لتلاميذه: "ها أنا أرسلكم كحملان في وسط ذئاب" (مت ١٠: ١٦).

ففي زمن المسيا صاروا يسكنون معًا الخراف مع الذئاب...

ويظهر دخول السلام المسيحي إلى الخليقة كلها من جهة:

١. **الوحوش:** ليس لها إمكانية الإيذاء كمن سلب منهم الطبع الوحشي.

٢. **الخراف:** تكون بلا خوف من بطش الافتراس.

٣. **الحية القديمة:** نزع المسيح سمها وسكبه وأعطانا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو... "إن شربتم مميتًا لا يضركم".

٤. **الرضيع:** الرضعان هم المبتدئون في المعرفة الذين يشتهون اللبن العقلي العديم الغش لينمو به للخلاص "سقيتُكم لبنًا لا طعامًا" (١كو٣: ٢)، الطعام الروحي للبالغين.

فالفطيم هو الذي من بعد الرضاعة من التعاليم الروحانية وغنى النعمة انفطم عن العالم..

فإن كان سلطان المبتدئين في الكنيسة إلى هذا الحد؟ فكم يكون الكاملين في مجد السلام المسياني؟

أهم ما يميز ملكوت المسيح وزمنه السلامي:

استعادة الإنسان لسلطانه وصورته القديمة حيث يعطى من جديد أن يكون على صورة الله بعد أن كان فقدها منذ لحظة دخول الخطية إلى العالم.

كما لبسنا صورة ذلك من التراب سنلبس صورة الذي من السماء أعطيكم السلطان أن تدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو. وكما كان آدم أبونا قبل السقوط متسلطًا على وحوش البرية ولم يكن يخاف شيء أو يخشى شيء وهو في الفردوس هكذا في المسيح يسوع. استعاد الإنسان صورة سلطانه وصارت وحوش الأرض تتنسم رائحة المسيح في أولاد الله القديسين.

وقد حفل تاريخ الكنيسة بأمثلة مذهلة لقديسين صاروا أصدقاء للوحوش وكان لهم سلطان على الحيات والعقارب، ومن أمثلتهم:

+ القديس مارمرقس الإنجيلي كانت أولى معجزاته عندما واجه مع أبيه أسدًا ولبؤة.. ومات الوحشان بصلاته. والأيقونة منذ القرون الأولى تصوّر هذا الأسد تحت قدميه، حتى صار الأسد رمزًا للقديس مارمرقس.

+ القديس الأنبا برسوم العريان كان يسكن في مغارة مع وحش ثعبان رهيب ومخيف... وقد رشمه القديس بعلامة الصليب عندما دخل المغارة لأول مرة قائلاً:

"تطأ الأفعى وملك الحيات وتسحق الأسد والتنين"... ثم قال للثعبان من الآن يا مبارك ينزع الرب عنك طبعك الوحشي فصار الثعبان لساعته يأكل فتات الخبز وصار مستأنسًا.

+ القديس الأنبا متاؤوس الأول البابا ٨٧ ، كان أنيسًا للوحوش في البرية وكانت الوحوش تستغيث به في ضيقتها وقد أنقذ ضبعة صغيرة كانت سقطت في حفرة ولم تستطع أمها إنقاذها فقادت القديس إلى مكان الصخرة التي فيها الحفرة فنزل إليها وأنقذ رضيعها فكانت تلحس قدميه في عرفان للجميل. وآخرين من أمثلة القديسين الذين كملت فيهم صورة سلطان المسيح وعاشوا هذا الوعد بالروح وتمتعوا به بكمال... أمثلة لا حصر لها وفي كل جيل لأن الكنيسة قائمة بالمسيح ووعود المسيح فيها بلا ندامة.

٢. الذئب والخروف هما الضدان اللذان لا يمكن أن يجتمعا فطبيعة الذئب شرسة جدًا وخصوصًا ضد قطعان الخراف.

والنمر هو العدو الخطير ضد قطعان الماعز والجداء.

والعجل والمسمن عدوهما المخيف هو الأسد.

فكيف يكون الحال في زمن المسيا وملكوته.

هل تفقد الحيوانات المفترسة طبيعتها.

أم أن الحيوانات الضعيفة ستأخذ قوة فائقة للطبيعة؟

الواقع أن المسيح المبارك صنع الاثنين معًا. اسمعه يقول: "ها أنا أرسلكم كحملان في وسط ذئاب، فكونوا حُكمَاء كالحيّات وبسطاء كالحَمام" (مت ١٠: ١٦)، "لا تخف أيها القطيع الصغير" (لو ١٢: ٣٢).

والقديس بطرس الرسول يحذرنا: "إبليس خصمكم كأسد زائر، يجول ملتمسًا من يبلعه هو. فقاوموه، راسخين في الإيمان" (١ بط ٥: ٨).

إذًا العدو الذي كان من البدء قتالاً للناس هذا سحقه الرب بصليبه وكسر شوكته... القوي الذي غلب جنسنا جاء من هو أقوى منه ونزع سلاحه الذي كان

متكلاً عليه ونهب أمتعته وأخرج المأسورين من بيت السجن.

أما الصل والأفعوان... الحية القديمة المحتوية إبليس فقد سحقها الرب بالصليب فلم يعد لها قدرة ولا قوة على أولاد الله... كقول الرب "ها أنا أعطيكُم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو ١٠: ١٩).

فإني أخاف أنه كما غرّت الحية حواء أن يغرّكم أحد على طريقة ما... لذا احترزوا من كل حيل إبليس وخداعه لأن الرب يسوع قد أعطانا القدرة على غلبته إذ يقول "إن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم".

٩. "لا يسوؤون ولا يُفسِدُون في كل جبل قُدسي، لأن الأرض تمتلئ من مَعرفَةِ الرب كما تُغطِّي المياه البَحر".

أيضًا من الملامح الرئيسية لزمن المسيا أن الأرض تمتلئ من معرفة الرب بغزارة منقطعة النظير لأن الرب سيسكب من روحه على كل بشر.

مياه الروح القدس هى نهر سباحة لا يمكن عبوره كما قال حزقيال وهى أنهار ماء حي يفيض إلى حياة أبدية.

وهى تجري من بطن الإنسان كأنهار حياة كما قال الرب للسامرية وعندما انسكب الروح بهذه الهيئة وهذه الكيفية غطى كل الأرض بواسطة الرسل الذين بلغت أصواتهم إلى كل المسكونة وهذه المعرفة بواسطة الروح القدس هى سر قداسة القديسين في الكنيسة "جبل قدسي".

فالمولود من الله لا يخطئ ولا يستطيع أن يخطئ.

وهذا يعني أن في كل جبل قدس الله لا يكون سوء ولا فساد لأن المسيح سينقي بيدره وسيقتني كنيسته ويطهرها بغسل الماء وبغزارة مراحمه ودم صليبه... أما خارجًا - كما في السماء - فيطرح الكلاب والسحرة وكل من يصنع كذبًا.

+ فالكنيسة هى جبل القداسة – جبل قدس الله ليس فيها شيء دنس ولا يدخلها شيء نجس.

١٠. "ويكون في ذلك اليوم أن أصْل يَسَّى القائم رايةً للشعوب، إياه تطلب الأمَم، ويكون محلُّهُ مجدًا".

في الأعداد السابقة وصف المسيح المبارك بأنه قضيب من جزع يسى وغصن من أصل شجرة... وهنا يوصف بأنه أصل يسى... والواقع أن المسيح جمع في شخصه أصل كل شيء ومصدر كل حياة ورب كل عطية صالحة وهو في ذات الوقت ابن الإنسان المولود من العذراء.

وقد نادى المسيح قائلاً: أنا هو الألف والياء. البداية والنهاية (رؤ ١: ١١). أنا أصل وذرية داود.

وبهذا المعنى يتضح لنا أن المسيح وإن كان مولودًا من أصل يسى نابتًا كفرع وكغصن من أصوله إلا أنه هو أصل الكرمة وهو غارسها بيمينه وهو الذي منه وله كل الأشياء الكائن على الكل إلهًا مباركًا.

القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم:

معلوم أن مملكة أبينا داود كانت على شعب بني إسرائيل وأن الله أقامه ليرعى خراف إسرائيل، أما ملكوت المسيح فهو لجميع الشعوب والأمم. "كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله" (يو ١: ١٢).

وأوصى رسله قائلاً: "وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كل اليهودية والسَّامرة وإلى أقصى الأرض" (أع ١: ٨).

فالمسيح جاء ليخلص العالم كله: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يو ٣: ١٦) أنا جئت نورًا للعالم.

ولكن كيف يكون المسيح "قائمًا راية للشعوب".

+ هو راية على كل مرتفع.

+ راية تهدي التائهين.

+ راية سلام وإعلان قبول لشعبه.

+ راية محبة "عَلَمُهُ فوقي محبة" (نش ٢: ٤).

فهذا ليس إلا صليب ربنا يسوع المسيح الذي به صالح العالمين وهدم العداوة.

وصار البعيدين قريبين بدم صليبه، ونقض حائط السياج، وجمع المتفرقين تحت لواء جناحي صليبه...

أما كلمة "**يكون محله مجدًا**" فهى تربط بين حلول المسيح ومجده فأينما حل يظهر مجده الإلهي رغم ظهوره في الجسد. وهذه الكلمة يلقي القديس يوحنا عليها ضوءًا إنجيليًا في بداية بشارته قائلاً عن تجسد الكلمة: "حلّ بيننا، ورأينا مجدهُ مجدًا كما لوحيد من الآب، مملوءًا نعمة وحقًا" (يو ١: ١٤).

إن مكان حلول مجد الله فوق التابوت دعيت "شاكيناه" أو تسكيناه أي مسكن أو محل... (عد ١٠: ٣٣). وحيث حل الله بمجده وسط الشعب كانت تدعى المحلة، والهيكل دعيَ أيضًا موضع مسكن مجده.

إياه تطلب الأمم:

هنا يشير النبي إلى عطش الأمم إلى خلاص المسيا وطلبهم له مثل الرجل المكدوني الذي ظهر في رؤيا للقديس بولس الرسول قائلاً: "اعبر إلى مكدونية وأعِنَّا" (أع ١٦: ٩).

ومثل كرنيليوس القائد الوثني الذي أرسل يستدعي سمعان بطرس وينتظر أن يسمع منه كلمة الخلاص (أع ١٠)، مثل ما قيل عن السامريين أنهم طلبوا من المسيح أن يمكث عندهم يومين (يو٤: ٤٠).

وقد أجاب الرب دائمًا طلب الأمم للخلاص مثل المرأة الكنعانية وطوبها وقال لها: "يا امرأة، عظيم إيمانك!" (مت ١٥: ٢٨).

وطوّب قائد المئة الأممي وأجاب طلبه وقبل شفاعة المتوسلين عنه وأرسل تلاميذه قائلاً... "اذهبوا إلى العالم أجمع واكروزا للخليقة كلها".

١١. "ويكون في ذلك اليوم أن السيد يُعيد يدَه ثانيةً ليقتني بقيّة شَعبه، التي بقيَت، من أشُّورَ، ومن مصر، ومن فَتروسَ، ومن كوشَ، ومن عِيلام، ومن شنعارَ، ومن حماة، ومن جزائر البحر".

موضوع البقية والخلاص هو من أهم الموضوعات التي شغلت بال إشعياء النبي فهو لا يرى في ربنا سوى المخلص مهما بدأ في آونة الغضب أنه منتقم من هذه الأمور كلها.

ولا يرى في إسرائيل إلا من خلال البقية التي ستخلص حتمًا. وسيكون لها المواعيد والعهود والاشتراع ولهم الآباء ومنهم المسيح الكائن على الكل إلهًا مباركًا.

ومن خلال هذه الرؤية المملوءة رجاء نفذ إشعياء إلى قلب الله واختبر خلاصه ومحبته نحو الخطاة وذاق المواعيد وحياها.

فبينما يبشر إشعياء بقبول الأمم داخل الكنيسة وتمتعهم بخلاص المسيح يعود فيبشر أن الرب يعود ويمد يده للبقية من شعب إسرائيل الكرمة القديمة والزيتونة الأصلية كما دعاها القديس بولس الرسول (رو ١١: ١٧).

في المرة الأولى أرسل السيد الرب روحه في يوم الخمسين ومد يده ونخس قلوب ثلاثة آلاف رجل يهودي جاءوا إلى أورشليم من كل أمة تحت السماء وهم "فرتيُّون وماديُّون وعيلاميُّون، والساكنون ما بين النهرين ... وبنتس وأسيا... ومصر، ونواحي ليبيَّة... كريتيُّون وعرب..." (أع ٢: ٩ - ١١).

وجعلهم له شعبًا مقدسًا واعتمدوا بِاسم الرب يسوع.

وإشعياء يرى بعين النبوة مرة ثانية أن الرب يعيد يده بابنه يسوع المسيح ويقتني البقية الباقية التي تحدّث عنها القديس بولس الرسول في (رو١١)... وذلك بعد قبول ملء للأمم لأن العداوة حصلت جزئيًا لإسرائيل.

وهنا يعيد الرب يده التي مدها لخلاص شعبه في القديم.

"يده الشديدة وذراعه الممدودة... استيقظي استيقظي ألبسي قوة يا ذراع الرب أليست أنت المنشفة البحر".

تمتد يمين الخلاص التي برأها الشعب ومجدوها قائلين في تسبحة موسى عبد الرب "يمينك يارب مُعتزَّة بالقُدرة" (خر ١٥: ٦).

فانمحت من الأرض وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط.

+ هناك رأي آخر يقول: أن هذه البقية هى أبناء الله المختارين في كل جيل وفي كل مكان يقول هم شهود لعمل نعمته. ويبقيهم لنفسه لا يحنو ركبة لبعل (رو١١: ٤).

أما كونهم من إسرائيل فهذا مجرد رمز لأولاد الله الحقيقيين.

لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهوديًا ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانًا بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان (رو ٢: ٢٨، ٢٩).

+ أما من جهة البلاد المكتوبة في هذا العدد والتي سيجمع الرب البقية منها فهي:

أشور: كما في عدد ١٦ "المكتوبين للحياة الأبدية رغم ظلم أشور وجور الخطية".

ومصر: تث ٢٨: ٦٨.

وفتروس: حز ٢٩: ١٤ جنوب مصر.

كوش: الحبشة (نوبيا في الترجوم الهند).

عيلام: إش٢١: ٢، ٢٢: ٦ (إيران).

شنعار: تك ١١: ٢ البلاد حول بابليون.

حماة: إش ١٠: ٩

جزائر البحر: إش ٢٤: ١٥ يقصد بها الأراضي في شواطئ حوض البحر الأبيض فالذين في أشور هم الذين أخذوا عنوة بالقوة وسقطوا في أسر إبليس إذ اقتنصهم لإرادته.

والذين هم في مصر هم المستعبدين لرئيس هذا العالم ومغلق عليهم في عبودية الطين (الجسد) تحت السخرة.

والذين في الحبشة جنوبًا وفي إيران شمالاً وفي الهند شرقًا وفي بابليون غربًا فهم المشتتون في جهات الأرض بعيدًا عن المدينة المقدسة وهيكل العبادة وأرض الميعاد.

أما الذين في الجزائر فهم محاطون بماء طوفان هذا العالم منعزلين تمامًا عن كل أخبار الخلاص وبشرى النجاة.

"الرب قد مَلَك، فلتبتهج الأرض، ولتفرَح الجزائر الكثيرة" (مز ٩٧: ١) إلى كل هؤلاء جاء المسيح المُخلِّص. أنه مشغول بخلاص البقية المشتتة والمعذبة... سيرد

يده ثانية ويقتني أولاده.

"لأن الموعد لكم ولأولادكم ولكل الذين هم على بعد" ويجمع المنفيين إلى حضنه من شتات كور الخطية البعيدة وهذا ما يعنيه الرب بقوله:

١٢. "ويرفَع رايةً للأُمَم، ويجمَعُ مَنفيِّي إسرائيل، ويَضُم مُشتَّتي يهوذا من أربعة أطْرَافِ الأرض".

وهنا يجمع إسرائيل مع يهوذا وهكذا سيخلص جميع إسرائيل كما يقول الرسول بولس.

بل أنه في هذه الآية يشير إلى وحدانية كنيسة الأمم وكنيسة الختان – الأمم وإسرائيل ويهوذا - لتصير كنيسة واحدة مقدسة من كل الشعوب ومن كل لسان ومن كل أطراف الأرض.

كائنة من أقاصي المسكونة إلى أقصائها ليس فيها يهودي ولا سكيثي، عبد ولا حر، ختان وغرلة بلا تمييز من أجل اللون أو الجنس وليس فيها قريب وبعيد بل البعيدين يصيروا قريبين والآخرين فيها أولين كما قال الرب.

١٣. "فيزول حسد أفرايم، وينقرض المُضايقون من يهوذا. أفرايمُ لا يَحْسِدُ يهوذا، ويهوذا لا يُضايق أفرايم.

١٤. وينقضَّان على أكتاف الفلسطينيين غربًا، وينهَبون بني المشرق معًا. يكون على أدوم وموآب امتداد يدهمَا، وبنو عَمُّون في طاعتهما".

+ من ملامح زمن المسيا أيضًا زوال الانقسام والحسد وحلول السلام الإلهي فالانقسام والحسد هما ثمر الخطية، والمسيح هو سلامنا وبظهوره أبطل قوة الخطية وآثارها.

أما الخصومة والحسد بين أفرايم ويهوذا أو بصورة أخرى مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا أمر يطول شرحه منذ اعتزال أفرايم والأسباط العشرة عن سبط يهوذا بواسطة يربعام بن ناباط الذي جعل إسرائيل يخطئ.

والآية المكتوبة في سفر أخبار الأيام الأولى "لأن يهوذا اعتز على إخوته ومنه

الرئيس وأما البكورية فليوسف...".

تبين مدى حسد أفرايم ليهوذا ومدى مضايقة يهوذا لأفرايم على المستوى المادي لأن الرئيس يعتبر متسلطًا وملكًا والبكر يعتبر وارث البركة.

وهنا ندرك بالروح كيف صالح الرب الاثنين في نفسه صانعًا سلامًا فهو الملك المنتظر من يهوذا. الرئيس رئيس السلام، وهو بكر جميع الخلائق وبكر بين إخوة كثيرين ورأس الكنيسة.

هنا فقط وفي المسيح يلتقي الضال ويتصالح المتخاصمون.

لقد ظل تابوت عهد الرب في القديم في حوزة أفرايم مدة ٤٠٠ سنة في شيلوه ثم انتقل إلى يهوذا بعد ذلك.

وقد أوضح داود النبي القصد الإلهي في هذا العمل في أحد مزاميره قائلاً: "رفض خيمة يوسف ولم يَختر سبط أفرايم. بل اختار سبط يهوذا، جَبَل صهيون الذي أحَبه... (مز ٧٨: ٦٧ - ٦٨).

وكأنما انتقال تابوت العهد من أفرايم إلى يهوذا كان إشارة إلى اختيار سبط يهوذا وبيت داود لكي يأتي ابن الله إليه ويتجسد منه وبتجسد المسيح استعلن شيلوه الجديد... جبل الله حيث ينبغي أن يسجد بالروح والحق وأنهى على الانقسام بين أفرايم المتمسك بالسجود في شيلوه ويهوذا الذي يقول أنه ينبغي أن يسجد في أورشليم (انظر يوحنا ٤ - وحديث ربنا يسوع مع المرأة السامرية).

النصرة والغلبة في المسيح أيضًا:

+ "ينقضان على أكتاف **الفلسطينيين** غربًا وينهبون بني المشرق شرقًا... يكون على أدوم وموآب".

هؤلاء هم الأعداء التقليديين لكنيسة العهد القديم...

كانوا دائمًا بالنسبة للشعب القديم يمثلون عنصر المخاوف والانزعاج وكانوا عصا تأديب وكان وجودهم يهدد حياة الشعب كله... وكانت كلمة الخلاص زمنيًا تعنى الانتصار على هؤلاء الأعداء والخلاص من يدهم والخروج من تحت نيرهم.

أما في المسيح فيوجد كمال خلاصنا الأبدي ونصرتنا الروحية "يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" فبالمسيح انسحق الموت وانكسرت شوكة الخطية وهزم الشيطان. وأصبح لأولاد الله بالمسيح سلطانًا أن يدوسوا الحيات والعقارب وكل قوات العدو...

فتكون امتداد يد الكنيسة على أدوم، موآب وبني عمون في طاعتها وهذا يفسره قول الكتاب عن المسيح "حتى الأرواح النجسة تطيعه". وقد اختبر التلاميذ ذلك وشهدوا "حتى الأرواح تخضع لنا باسمك"... وقد قال الرسول بولس أن الآب أخضع كل شيء تحت قدمي الكنيسة في المسيح وإياه جعل رأسًا فوق كل شيء...

١٥. "ويُبيدُ الرب لسان بحر مِصر، ويَهُزُّ يدَه على النهر بقوَّة ريحِهِ، ويضربُه إلي سبع سوَاق، ويُجيزُ فيها بالأحذِيَة.

١٦. وتكون سِكة لبقيّة شعبه التي بقيت من أشور، كما كان لإسرائيل يوم صعوده من أرض مِصر".

إن تدابير الخلاص كائنة في قصد الله وفكره منذ إنشاء العالم لذلك كل من عاش بالروح واجتاز أحد رموز الخلاص في القديم فإنه يستأمن على مفاتيح كنوز العمل الخلاصي إلي أبد الدهور...

فخلاص الشعب من أرض مصر بيد موسى لم تكن قصة زمنية محدودة بل احتوت في داخلها كل أسرار الخلاص وقوة العمل الإلهي وستظل جديدة وحية بالروح لكل الأجيال التي تتمتع بعمل المسيح الخلاصي.

وهنا الرب عندما يتحدث عن نجاة البقية التي بقيت له في قبضة ملك أشور يرجع بنا بالروح إلى أعماله العجيبة التي عملها بالبحر يوم صعود إسرائيل من أرض مصر بيد قوية وذراع رفيعة فعلى البقية التي للرب في كل جيل أن تسترجع إلى ذهنها أحداث الخروج من أرض مصر تفصيليًا كذخيرة حية لقوة بقائها وكرجاء للخلاص بقوة الصليب.

"عصا موسى"... وقوة الروح القدس "الريح العاصف" ويد الله الممدودة في تجسد

المسيح "لمن استعلنت ذراع الرب".

وهنا يذكر الرب البقية التي في أشور... كيف أباد لسان البحر الأحمر في مصر وأنه سيهز يده على النهر (نهر الفرات). وبقوة سينشفه فيعرف أولاد الله قوة خلاصه ويرنمون مع داود "أترى جازت نفوسنا الماء الذي لا نهاية له" (مز ١٢٤: ٥).

ويعبرون في وسطه كما فعل بنو إسرائيل قديمًا في وسط البحر الأحمر... ويكتشفون طريقهم في وسط المياه... طريق مستورة وعجيبة تستعلن لأولاد الله... طريق خلاص لا يستطيع أحد أن يعبر فيها إلا المعذبين بدم خروف الفصح. الطريق التي لما شرع المصريين الدخول فيها هلكوا...

هى طريق حديثة للدخول إلى الأقداس كرسها لنا المسيح بالحجاب أي بجسده وصار لنا به جرأة للدخول إلى ما داخل الحجاب الموضع الذي لا يدخله ذو طبيعة بشرية.

الأصحاح الثاني عشر

ترنيمة الفداء

١. "وتقول في ذلك اليوم: أحمَدُك يارب، لأنه إذ غَضِبت عليَّ ارتدَّ غضبك فتُعَزِّيني.

٢. هوذا اللَّه خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوَّتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصًا".

لقد أعلن الرب ذاته فاديًا ومخلصًا في الأصحاحات السابقة وقدم للإنسان قوة خلاصه وعمل نعمته.

فهو في بداية الحديث:

١. أعطى نفسه للإنسان آية، "السيد يعطيكم نفسه آية... ها العذراء تحبل" (ص ٧: ١٤).

٢. ثم أعلن ذاته نورًا يشرق على الجالسين في الظلمة وظلال الموت. (ص ٩ : ٢).

٣. ثم طفلاً مولودًا، ملكًا، وإلهًا ورئيسًا أبديًا للسلام ومولودًا كابن الإنسان للبشرية كلها "يولد لنا" (ص ٩: ٦).

٤. ثم قاضيًا ومنتقمًا من ملك أشور ومخلصًا شعبه من ظلمه (ص ١٠).

٥. وأخيرًا فاديًا كمشتهى الأجيال هو الملك والمسيا الذي يستقر عليه روح الرب لحساب البشر وغناهم... وبعد ذلك تحدث عن مجد ملكوته وزمنه السلامي العجيب وملامح مجد أولاد الله في المسيح... حتى قبول الأمم ورجوع البقية المشتتة والمنفية من إسرائيل.

كل هذه الإعلانات قدمها الرب للبشرية بمواعيد صادقة وافية فماذا يكون لسان حال البشرية التي قبلت في المسيح هذه المواعيد العظمى والثمينة وتمتعت بهذا الخلاص الذي ابتدأ الرب بالتكلم عنه؟

هذا هو موضوع هذا الإصحاح القليل في عدد آياته والعميق جدًا في أسراره لأنه يكشف لنا عن عمق الفرح الروحي بخلاص المسيح.

وتمامًا كما كانت النتيجة التلقائية للخلاص في أيام موسى إذ بعدما عبروا البحر ونظروا خلاص الله العجيب وهم بعد على شاطئ البحر انفجروا في التسبيح والحمد قائلين: "تعالوا نسبح الرب لأنه بالمجد تمجد" إذًا التسبيح هو النتيجة الحتمية للخلاص.

والفرح هو الثمرة الأولى التي تتمتع بها الكنيسة وهى تخطوا خطواتها الأولى إلى أرض كنعان.

ولكن التسبيح هنا أخذ بالأكثر طابع الشكر والحمد والعرفان بمعروف الرب لأن الخلاص الذي صنعه المسيح هو إحسان إلهي إذ أحبنا فضلاً... "ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا... إذ كنا أمواتًا بالذنوب والخطايا، وغلف قلوبنا أشرق علينا... وغسلنا بدمه وأسلم ذاته عنا كفارة وذبيحة، البار من أجل الآثمة... لكي يقربنا إلى الله".

من أجل ذلك لا نملك سوى ذبيحة الشكر لسبب عجزنا وقصورنا ولأنه أكمل كل شيء وصنع معنا رحمة كعظيم رحمته.

+ والثمرة الأولى من ثمرات الخلاص التي يشعر بها الإنسان ويتذوقها كما يعلنها إشعياء... هى ارتداد غضب الله عن الإنسان.

لأن المسيح الذي لم يعرف خطية صار خطية واحتمل العار مستهينًا بالخزي وهو الذي رفع خطايانا ورفع الغضب عنا بذبيحته التي اشتمها الآب من فوق الجلجثة رائحة سرور ورائحة رضا.

لأنه من يستطيع أن يرفع الغضب ويستدر العطف الأبوي سوى ابن الله الذي شهد له الآب "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت".

فتعزيني:

١. التعزية في حضن الآب:

+ أما الثمرة الثانية فهو روح التعزية الذي ضم به الرب البشرية إلى حضنه كما قيل أيضًا في بداية بشارة الخلاص "عزُّوا، عزُّوا شعبي طيِّبوا قلب أورشليم" (إش ٤٠: ١ - ٢).

هنا التعزية تحمل معنى التمتع بحضن الآب وحبه الذي تغربت عنه البشرية ففقدت عزاءها ووجودها.

"وكنا محسوبين أبناء الغضب والهلاك فلما ارتد غضب الله بذبيحة الصليب قبلنا التعزية عن كل خطايانا".

٢. التعزية في قبول الروح المعزي:

لقد عزى الرب البشرية بسكب روحه القدوس المعزي في قلوبنا متى جاء المعزي الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلِّمكم كل شيء (يو١٤: ٢٦).

هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب:

الله ليس فقط صانع الخلاص وصانع السلام والصلح بدم صليبه بل أنه هو بذاته صار خلاصنا وفداؤنا وسلامنا.

ومعنى ذلك أننا مدعوون لا أن نتمتع بشيء صنعه الرب من أجلنا بل أن نتمتع به هو شخصيًا...

لقد قال الرب لإبراهيم قديمًا: "لا تخف يا ابرآم أنا تُرس لك. أنا أجرك العظيم جدًا" (تك ١٥: ١). حسب النص الإنجليزي والعبري.

هنا يبدو واضحًا أن المسيح المخلص لم يأت إلا ليعطي ذاته للبشرية خبزًا مكسورًا ودمًا مسفوكًا من أجل خلاصنا.

ومتى أدركت النفس الهدف الذي من أجله أدركها المسيح وتمتعت بنصيبها في المسيح تدخل ببشارة إلى السلام الذي يفوق كل عقل... "فأطمئن ولا أرتعب".

+ وهذا ما يبدو واضحًا عندما أبصر سمعان الشيخ بالروح خلاص الله في المسيح... كيف دخلت نفسه إلى السلام وانطلق من قيود الحس الجسدي قائلاً: "تطلق عبدك بسلام" (لو ٢: ٢٩).

+ وكذلك أيضًا التلاميذ عندما تحققوا من خلاصهم بجراحات الرب القائم من الأموات طار خوفهم إلى غير عودة وقبلوا السلام من فم الرب: سلامي أترك لكم سلامي أعطيكم.

+ أيضًا اتحاد الله الدائم بكنيسته يجعلها لا تخاف ولا ترتعب:

١. من ترك الله لها بسبب تخليها عنه لأن اتحاد المسيح بالكنيسة دائم ولن ينفصل عنها طرفة عين.

٢. لا تخف من الأعداء "مصر أو أشور أو.... الخ"، لأنه صار لها خلاصًا أبديًا من أيدي جميع المبغضين (لو ١).

٣. لا تخاف من الزمن لأنها أضحت بالمسيح تضحك على الزمن الآتي إذ اتحدت بالأبدية.

٤. لا تخاف من التجارب لأنه احتضنها فصارت له ودخل معها في عهد أبدي وصارت تجد في شخصه المنقذ في التجربة والنصير الشديد في كل ضيقة "في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته يخلصهم".

لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصًا:

هذا هو اسم الذي أظهره الرب وأعلنه لعبده موسى من داخل عليقة التجسد التي لم تحترق بنار اللاهوت عندما رأى الرب مذلة شعبه الذين في مصر وسمع أنينهم ونزل إلى أرض عبوديتهم ليخلصهم بتجسده وقيامته المجيدة.

ياه يهوه... أهين الذي أهين... أي أنا هو أنا كائن.

وهنا الذهن الروحي يتجه نحو الأعمال التي أكملها الإله العظيم "ياه يهوه" المواعيد الصادقة والأمينة والقوة والقدرة في الخلاص وجميع الآيات التي صارت هى بعينها تسبحة للشعب في القديم. وكأن في يوم تكميل الخلاص بالمسيح سيستعيد الذهن كل ما كمل بالرمز والمثال قديمًا ويتحقق من أن المسيا مخلص العالم هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.

لقد أعلن السيد المسيح مرات قبل أن يصنع الآيات الخلاصية "أنا هو" قبل أن يقيم لعازر من الموت قال "أنا هو القيامة"... "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن"... "أنا هو خبز الحياة. أنا هو نور العالم... أنا هو" التي قالها في العهد القديم وظلت بلا تكملة، كمّلها المسيح بمجيئه "أنا معكم كل الأيام" (مت ٢٨: ٢٠).

لأن كلمة "أنا هو" كلمة مطلقة لا يأخذ منها الإنسان شيء أي أن الله كائن بذاته ليس للإنسان أن يدركه أو يتمتع به، أما وقد أكملها المسيح بتجسده وكلامه وآياته على النحو الذي رأيناه وسمعناه فقد دخل الخلاص إلى أعماق البشرية ليس ككلمات قيلت لموسى في القديم بل سرت كقوة واقتدار دخل إلى كيان الأموات فأحياهم.

قوتي ونشيدي وقد صار لي خلاصًا:

هذه التسبحة هى بعينها المكتوبة في (خر ١٥: ٢) وواضح من هذه الكلمات التي سبح بها الشعب المفدي من عبودية فرعون أنه بمجرد العبور من معمودية البحر الأحمر، نطق بتلقائية وعواطف مقدسة كنتيجة حتمية لما رأوه وعاشوه، وهذه التسبحة ستصير أيضًا للذين يتمتعون بخلاص المسيح ويدركوه... فنرى في المسيح:

١. أنه هو بذاته قوتنا للخلاص... إذ ليس قوة بشرية، وليس اسم أعطيَ بين الناس به ينبغي أن نخلص سوى اسم يسوع...
٢. لا دخل للقدرة البشرية مطلقًا في الخلاص إنما ضعف الله أقوى من الناس، وهو بصليبه أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة.
٣. إن موته كان قوة كسرت شوكة الموت، وآلامه قوة غلبت الآلام...
٤. حبه قوة حطمت كراهية الإنسان وحقده...
٥. اتضاعه قوة سحقت كبرياء الإنسان..
٦. عبوديته قوة كسرت تأله الإنسان...

فهو صار قوتنا عندما أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فحقًا قال بولس الرسول "لأعرفه، وقوة قيامته" (في ٣: ١٠)، لأنه لم يعد الله قوة بعيدة عنا بل صار قوتنا وترنيمتنا وخلاصنا...

+ اسم يسوع أيضًا صار ترنيمة الكنيسة تردده بلا انقطاع كأنشودة أبدية عذبة في أفواه القديسين قائلة: لك القوة والمجد والبركة... يا عمانوئيل إلهنا... "لأنك ذبحت واشتريتنا لله أبيك".

+ اسم يسوع كترنيمة صار صلاة دائمة لآبائنا القديسين... هو اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح الذي فيه إعلان لعبيده الذين يدعونه، وصار لهم خلاصًا من

أفواه الأسود وبه تقووا على قوة النار، ومن كل ضعف.

٣. "فتَستقُونَ مياهًا بفَرَح من ينابيع الخلاص".

شخص المسيح المُخلِّص صار قوة وتسبحة وترنيمة نصرة للمفديين بدمه وللذين تمتعوا بخلاصه.

وفي هذا العدد نكتشف ينابيع الخلاص في شخص المخلص. أليس هو الصخرة التي تبعت المتغربين في برية سيناء.

"من صخرةٍ روحية تابعَتهم، والصخرة كانت المسيح" (١ كو ١٠: ٤).

على النفس إذًا أن تكتشف ينابيع الخلاص والماء الحي لتستقي منه شخصيًا.

مثل السامرية كيف قادها بذاته إلى الماء الحي الذي ينبع في الداخل كأنهار ماء حية (يو ٤).

كيف تكلَّم مع نيقوديموس عن ينبوع الماء والروح والميلاد الجديد (يو ٣).

كيف جرى دم وماء من ينبوع جنبه المطعون بالحربة علينا إذا أن نعطش إليه ونستقي من ينابيع الخلاص التي أجزلها الله لنا بكل سخاء في كل حكمة وفطنة.

أليس هو القائل في يوم العيد العظيم: "إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرَب" (يو ٧: ٣٧)، أنا أعطي العطشان ماء حياة مجانًا.

+ آه من مراحم إلهنا العجيب للخلاص!! أليس هذا الشعب الذي قيل عنه أنهم "رذلوا مياه شيلوه الجارية بسكوت كينبوع للخلاص في وسط مدينة الله المقدسة".

وسروا بمياه العالم التي من يشرب منها يعطش أيضًا.

ولكن رفض الناس لا يحجب إنعام الله، وبركات ينابيع الخلاص لا يمكن أن تعوقها أكداس خطايا أو نجاسات.

إن ينبوع دم المسيح المختلط بماء والجاري من جنبه هو في الواقع نهر سباحة لا يُعبر كما رآه حزقيال النبي لأنه ينبع إلى حياة أبدية.

+ لقد طلب الشعب قديمًا الماء في البرية مرتين:

الأولى: عند مارة حين تذمر الشعب وكانت المياه مُرة ولم يقدروا أن يشربوا (خر ١٥: ٢٣).

وفي المرة الثانية عند مسة ومريبة عندما خاصم الشعب موسى وتذمروا وجربوا الرب بضرب الصخرة في حوريب ففاضت ينابيع ماء وقد لازم التذمر والضجر والسخط والغضب شربهم من الماء لقلة إيمانهم (خر ١٧) "إذ لم تكن الكلمة ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا الذين طرحت جثثهم في القفر".

أما ينابيع الخلاص في المسيح فيلازمها الفرح الروحي في الذين يتقدمون ليرتووا منه... فرح لا ينطق به ومجيد.

وكأن الفرح ينبع من جراحات الرب ومن ينابيع خلاصه التي فجرها بروحه في أعماق الإنسان فصارت البرية القفر أجمة ماء والأرض اليابسة التي عطشت زمانًا هذا مقداره فرح وجهها وأكثر ثمرها وأبهج قلبها.

٤. "وتقولُون في ذلك اليوم: احمَدوا الرب. ادعوا باسمِهِ. عرِّفوا بين الشعوب بأفعاله. ذكِّرُوا بأن اسمَهُ قد تعالى.

٥. رنِّموا للرب لأنه قد صَنع مُفتخَرًا. ليكن هذا معروفًا في كل الأرض.

٦. صوِّتي واهتفي يا ساكِنَةَ صِهيَون، لأن قدوس إسرائيل عَظِيمٌ في وسَطِكِ".

في **الجزء الأول** كانت **ترنيمة التمتع بالخلاص الإلهي على مستوى شخصي وفردي** لذلك كان حديث الرب كما لشخص واحد "وتقول في ذلك اليوم أحمدك يارب لأنك إذ غضبت عليّ ارتد غضبك فتعزيني".

لأن المسيح تألم من أجل كل واحد وقدم نفسه فدية عن كل أحد وكان الجزء الأول أيضًا ترنيمة النصرة والخلاص بصخر الدهور وانفجار ينابيع الخلاص والفرح.

أما الجزء الثاني: من هذا النشيد فهو **ترنيمة الكرازة والتبشير والشهادة لعمل النعمة في حياة أولاد الله.**

من ذا الذي يذوق الموهبة السماوية ويتمتع بالمسيح ملك الدهور ومخلص العالم، إلا ويشرب من ينبوع الروح ويرتوي ولا يخبر بفضل ذلك الذي دعاه من الظلمة إلى نوره العجيب.

من الذي يرى السيد جالسًا على كرسي مجده ويتطهر من قبل الجمرة بيد

الشاروبيم إلا ويكون مستعدًا في الحال ويقول "هأنذا فأرسلني".

مـن الـذي يحمـل عمانوئيـل علـى ذراعيـه إلا ويريـد أن تنطلـق نفسـه لتكـرز للمسبيين.

من الذي يتمتع بميلاد الطفل ويعرفه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام ولا يذيع مجده بين الأمم ويخبر بكم صنع به الرب ورحمه.

إذًا فـالكرازة هـى ثمـرة الخـلاص الأولـى للـذين صـاروا شـهودًا لربنـا فـي أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض وهنا الكرازة في الآيات ٥، ٦ تتركز حول:

١. إعلان اسم الرب يسوع لجميع الشعوب والأمم:

وهذه هى علامة أولاد الله "يُخرجون الشياطين باسمه" (مر ١٦: ١٧)، ونادوا "باسمه في كل الأرض" (رو ٩: ١٧).

فالمسيح له المجد قال للآب: "أنا أظهرت اسمك للناس" (يو ١٧: ٦) فهو الذي أظهر لنا نور الآب.

وحتى الآلام قبلها التلاميذ في كرازتهم من أجل اسمه.

وقد كرز الرسل وعلموا الأمم وعمدوهم بِاسم الآب والابن والروح القدس.

وصارت لهم سمة هى اسم أبيه مكتوب على جباههم (رؤ ١٤: ١).

٢. أعمال الله الخلاصية كما تبدو في الأصحاحات السابقة:

وهى التي **تحدّث عنها في:** رجوع البقية إلى الله...

ولادة الملك المخلص من العذراء "العذراء تحبل وتلد عمانوئيل".

ولادة المسيا "يولد لنا ولد ونعطي ابنًا".

وتكون الرئاسة على كتفه... الخ.

ينبت قضيب من جزع يسى...

وتحل عليه روح الرب.

ثم زمن المسيا وملكوته...

إلى آخر ما جاء في ص ١١.

تصير كل هذه الأعمال كرازة وبشارة للشعوب وإن تفطنا نجد أن بشارة الإنجيل هى هى حياة يسوع المسيح.

وهى مجد ذاته الذي سماه إشعياء "أنه صنع مفتخرًا".

وهو ما يود أن يذيعه في كل الأرض.

٣. سكنى الله في وسط شعبه "قدوس إسرائيل عظيم في وسطك".

قدوس إسرائيل الذي رآه إشعياء في مجد وجلال جالسًا في الهيكل... هو هو المتجسد في هيكل جسم البشرية الذي أخذه من العذراء القديسة هذا هو عمانوئيل والله معنا.

"عظيم هو سِرُّ التقوى: الله ظَهَر في الجسد" (١ تي ٣: ١٦).

اهتفي يا ساكنة صهيون ... وارفعي صوتك جدًا لتعلني عن تجسد ابن الله. الذي أتى وحل فيك ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملوء نعمة وحقًا.

يا ليت صوت الكنيسة يمتلئ قوة ويتجدد شبابها بالأكثر لتصرخ في الشعوب البعيدة والمترنحة كالسكرى والسالكة في الظلمة والقائمة في غفلة وإلى كل النفوس التي اقتنصها العدو الشيطان لإرادته... تصرخ الكنيسة فتوقظ الضمائر الميتة والنفوس المتراخية وتحيي أموات شعوب العالم.

إن الصوت الهادئ الوديع يصلح للروحانيين، أما إذا كانت نفوس في غفلة فهى في حاجة إلى صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب قوموا سبله كما في أيام القدم.

الأصحاح الثالث عشر

١. "وحْيٌ من جهَةِ بابل رآهُ إشعياء بن آمُوصَ".

لقد بدأت بابل في تاريخ البشرية ببرج الكبرياء حيث تبلبلت الألسنة وقد كانت الأرض قبلها لسانًا واحدًا... ومنذ ذلك الحين ويرمز لبابل بمملكة الكبرياء. وكان الشيطان قد استولى على هذه المملكة ليمارس منها سلطانه ويسيطر عليها بروح الظلمة ويحركها بالشر على الممالك الذين كانوا حولها...

وفي نهاية أسفار الوحي الإلهي كنى ببابل عن مملكة الشيطان التي تشن حربًا على أولاد الله القديسين وتحبك حبالها حولهم ...

وهكذا سميت بابل الزانية أم الزواني... التي استحقت دينونة رهيبة وقيل عنها سقطت! سقطت بابل العظيمة (راجع سفر الرؤيا – رؤ ١٨: ٢).

هكذا يبدو واضحًا من التكوين إلى الرؤيا أن بابل ليست مجرد مملكة زمنية اعتدت على ميراث إسرائيل وسبت الشعب إليها فترة من الزمان بل هى معتبرة أنها مملكة الشيطان الذي يشتكي على أولاد الله في كل زمان وفي كل مكان وهو ملك على كل بني الكبرياء.

وفي الأزمنة التي ترك فيها الشعب المقتني شريعة إلهه واستهان بقدوس إسرائيل كان لابد له أن يلج دائرة الظلمة كما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض وكما قال الرب: "سيروا في النور مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام" (يو ١٢: ٣٥).

هكذا كان في تاريخ الشعب القديم... إذ هجروا النور ارتدوا إلى الظلام ووقعوا تحت سيطرة مملكة بابل كنتيجة حتمية لعدم الخضوع للملك السماوي الساكن في النور الذي لا يدني منه.

على هذا فإن الإعلان الذي بين أيدينا من نحو بابل هو دينونة للخطية في دراها وللعدو القديم في مكان حصنه الأول (الكبرياء بابل).

وقد رأى إشعياء النبي هذه الدينونة في رؤياه أنها مادية في مظهرها من جهة خراب بابل، وروحية في معناها من جهة سقوط الشيطان الذي لا يمكن أن تثبت مملكته.

على ذلك فقد تحققت رؤياه زمنيًا في خراب بابل بينما كشفت عن سر سقوط الشيطان في كلمات غاية في العمق تعتبر من أعلى الأسرار التي كانت مخبأة وراء الدهور ولم يعرف بها بني البشر من قبل.

٢. "أقيموا رايةً على جبَل أقرَعَ. ارفعُوا صوتًا إليهم. أشيرُوا باليد ليدخُلوا أبواب العُتَاةِ.
٣. أنا أوصَيتُ مُقدَّسيَّ، ودَعَوت أبطالي لأجْل غضبي، مُفتَخِري عظَمَتي.
٤. صوتُ جمهُور على الجبال شبه قَوم كثيرينَ. صوتُ ضَجيج ممَالِكِ أُمم مُجتَمِعَةٍ. رب الجنود يَعرُض جيش الحرب.
٥. يأتون من أرض بعيدةٍ، من أقصى السموات، الرب وأدوات سخَطِه ليُخربَ كل الأرض".

أبواب العتاة:

هى أبواب بابل المتكبرة، أم الزواني ستقتحم أبوابها الحصينة. أبواب مملكة إبليس النحاسية ومتاريسه الحديد. القوي المتسلح الذي يحفظ داره وكأنه في أمان... ولكن لا سلام قال إلهي للأشرار.

أقيموا راية على جبل أقرع:

علامة الخراب على مملكة الشيطان هى راية الصليب المرفوع، جبل الجلجثة هى نذير الخلاص وبشرى تحطيم أبواب سجن الجحيم.

فالوحي الذي رآه إشعياء من جهة بابل هو وحي الدينونة حين يكمل زمان دينونة بابل أم الزواني ومدينة الكبرياء.

والرب يأمر لتقام راية على جبل عال في مكان قفر "جبل أقرع" ترى من بعيد تجتذب النظر من بعد.

ويأمر بأن يرفعوا صوتًا إليهم ليأتوا وأن يشار إليهم باليد.

وقد رأى إشعياء النبي بالروح هذه الآيات كلها تأتي وتحل ببابل وقد كمل زمان عصيانها وأتت ساعة دينونتها.

ويمكننا أن نعلم أن هذه كلها قد تمت زمنيًا ببابل حيث هاجمتها جيوش الماديين وأنهت زمان ملكها وحطمت كل كبريائها.

وهنا يرى إشعياء النبي الأمر وقد خرج من قبل الرب لاستدعاء الجيوش والقوات لتأتي على بابل بكل قوة وجبروت.

أقيموا راية على جبل أقرع:

لتجتمع الجيوش حول الراية وهى مرفوعة على جبل عال مكان قفر يمكن نظرها من بعد.

أشيروا باليد ليدخلوا:

وكأن الرب نفسه يعطيهم إشارة للدخول وإذن بالاقتحام وهذا بين بوضوح شديد أن يد الرب متدخلة في كل الأمور وأن تدابيره الإلهية وراء كل عمل.

أبواب العتاة:

أبواب بابل المتكبرة العاتية أم الزواني... التي حصنت نفسها وقالت أني أسكن في أمان وكان يفتخر بها نبوخذ نصر قائلاً: هذه بابل العظيمة التي بنيتها بقوتي واقتداري... حقًا قال الرب "إذا تسلح القوي يحفظ داره في أمان ولكن متى جاء من هو أقوى منه ينزع سلاحه المتكل عليه وينهب أمتعته".

مقدسي، أبطالي، مفتخري عظمتي:

لقد سمى الرب الجيش المنتقم من بابل بهذه الأسماء ومنها تدرك تمامًا أن ربنا هو وحده الذي يقاوم الكبرياء. وهو في ذلك يستخدم آلات غضب وقد خصصها للعمل لتنفذ إرادته وعمل قصده الإلهي.

فإن كانت هذه الأسماء أطلقت على جيش الهجوم على بابل فكم تكون الأسماء المقدسة التي يعطيها الرب لأولاده الذين يستخدمهم لعمله الخلاصي. وهدم حصون الشيطان وكل علو يرتفع ضد الله القدوس.

على أننا من جهة أخرى نرى في دينونة بابل وخرابها الزمني بُعدًا آخر عميقًا جدًا وهو خراب بابل المختفية والمتحوية وراء كل بابل زمنية وهى مملكة الظلمة ذاتها وسقوطها وخرابها. وقد يبدو ذلك واضحًا في أصحاح ١٤.

٦. "ولْولُوا لأن يوم الرب قريبٌ، قادمٌ كخرَابٍ مِن القادر على كل شيءٍ.
٧. لذلك ترتخي كل الأيادي، ويذُوب كل قلب إنسان.
٨. فيرتاعون. تأخُذهم أوجاع ومخاضٌ. يتلوَّوْن كوالدةٍ. يبهَتون بعضهم إلى بعض. وجوهُهم وجوه لهيب".

إن بابل في كبرياء قلبها كانت تظن أنها تعيش مطمئنة بعيدة عن الاضطراب لا يمكن أن تصل إليها يد أعدائها، بل كان يظن أنه لا يقدر أحد أن يقترب إليها.

ولكن خراب بابل يأتي عليها من القادر على كل شيء، القادر أن يبني ويهدم، يميت ويحيي، يعطي ويأخذ، يفتح ويغلق.

لذلك فإن أخطر ما في الكبرياء هو الغرور والثقة والاتكال على الباطل.

ترتخي كل الأيادي:

تأتي الضربة الأولى على ذراع البشر فترخى...

أليس هذا هو ذراع البشر الذي اتكلت عليه بابل.

حقًا ملعون من يتكل على ذراع بشر.

+ أليست هذه هى الأيادي التي تشددت لعمل البشر.

+ أليست هذه هى الأيادي التي تقول أن ذراعي خلصت لي وقوتي واقتداري هما معتمدي.

يذوب قلب كل إنسان:

الكبرياء تعمل قساوة في القلب، وجسارة وتجبُّر فعندما تأتي ساعة الدينونة يذوب قلب كل إنسان.

القلب المرتفع في الشر كالجبل يذوب كالشمع من وجه ربنا.

فيرتاعون. تأخُذهم أوجاع ومخاضٌ. يتلوَّوْن كوالدة:

من خوف وهول العقاب تتوجع أحشاؤهم فيصيرون كالمرأة التي تلد. يتلوون من الوجع.

لقد اضطرب حزقيا الملك عندما حاصره جيش أشور وشعر بهذا الشعور. وأرسل إشعياء يقول: "هذا اليوم يوم شدة وتأديب وإهانة لأن الأجنة قد دنت إلى المولد ولا قدرة على ولادة".

ومرة أخرى قيل: "تلوينا وتوجعنا ولدنا ريحًا...".

ولكن عندما تداهم مثل هذه الأوجاع والمخاوف أولاد الله الحقيقيين يلتفتون إلى صخر الدهور وإلى قوتهم في اسم الخلاص فتتحول أوجاعهم إلى قوة وطلقات الموت إلى خلاص فينقذهم ويخلصهم ولا يعودون يتذكرون الشدة فيما بعد.

أما رجال بابل فإذ ليس لهم من ينظرون إليه فإنهم **ينظرون بعضهم إلى بعض** ويلتمسون خلاصهم في عظمائهم ولكن يا لخزي الوجوه فإن العظماء في تلك الساعة هم أكثر بؤسًا تبددت قوتهم عند الجحيم وانشقوا وانسكبوا سكيبًا أمام دينونة الله العادلة.

حقًا ما أصدق الكلمة لا تتّكلوا على الرؤساء، ولا على ابن آدم حيث لا خلاصَ عِندَه (مز ١٤٦: ٣).

٩. "هوذا يوم الرب قادمٌ، قاسيًا بسخطٍ وحموِّ غضبٍ، ليَجْعَل الأرض خرابًا ويُبيد منها خُطَاتَها.

١٠. فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تُبرز نورها. تُظلِم الشمس عند طُلُوعِها، والقَمَر لا يلمَعُ بضَوئِهِ.

١١. وأُعاقب المسكُونة على شرِّها، والمُنافقين على إثمِهم، وأُبَطِّل تعظُّم المستَكبرين، وأضَعُ تَجَبُّر العُتَاةِ".

تتطابق كلمات النبوة هنا في يوم دينونة بابل مع ما قاله الرب يسوع عن مجيئه الثاني المخوف والمرهوب، فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تتساقط من السماء وقوات السموات تتزعزع وهذا يعني أن دينونة بابل كانت رمزًا للدينونة العتيدة،

ففي كل حالات الدينونة يقف الرب الديان العادل مخيفًا مرعبًا للخطاة حتى أنهم يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا من وجه الجالس على العرش (لو ٢٣: ٣٠).

ومن المعروف أن المنافقين لا يقومون في الدينونة... بل يكونوا مثل الظلمة الهاربة من النور ولا تستطيع أن تثبت أمامه لذلك قال أنه يأتي... "ليبيد من الأرض خطاتها كما قيل أيضًا فيذهب الخطاة إلى هلاك أبدي".

يجب أيضًا أن نلاحظ أن الرب في دينونة بابل سيعاقب تعظم قلب المستكبرين ويضع تجبر القساة، فالدينونة منصبة أساسًا على الكبرياء، وليس طريق آخر لدينونة الكبرياء سوى السحق والكسر، لأنه مكتوب أن الكبرياء تسبق الكسر والسقوط "قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦: ١٨).

١٢. "وأجعل الرَّجُل أعزَّ من الذهب الإبريز، والإنسان أعزَّ من ذَهب أوفِيرَ.
١٣. لذلك أُزَلزلُ السموات وتَتزَعْزَع الأرض من مكانها في سَخَطِ رب الجنود وفي يوم حُمُوِّ غَضَبهِ.
١٤. ويكونون كَظبي طريد، وكغَنم بلا من يَجمَعها. يلتَفِتُون كل واحدٍ إلى شَعبه، ويهرُبُونَ كل واحدٍ إلى أرضِهِ.
١٥. كل من وجِد يُطْعَن، وكل من انحَاشَ يسقُطُ بالسَّيفِ.
١٦. وتُحَطَّمُ أطفالُهُم أمام عُيونِهم، وتُنهَب بيوتهم وتُفضَح نساؤهُم".

عندما يبيد الرب الرجال الخطاة في بابل ويعاقب كبرياءهم يصير في بابل فناء وانقراض للرجال فتبحث عن رجل ولا تجد ويصير الرجال شيئًا نادر الوجود إذ أن الرجال يصيرون قلة قليلة لذلك شبههم النبي بالذهب والإبريز النادر الوجود.

وفي عقابهم رآهم إشعياء النبي مثل ظبي مطرود أمام الصياد في فزع رهيب وخوف بالغ أو مثل غنم مضطربة من المفترس وليس في وسطها راع يجمعها.

حقًا أن الشرير يهرب ولا طارد بل أنه قيل أن ملاك الرب طاردهم، والذي يجعل الموضوع أشد آلامًا وفزعًا أن الأشرار ليس لهم من يجمعهم، ليس لهم راع... بلا مسيح وبلا من يحميهم.

لا تحميهم المدينة بأسوارها "كل من أنحاش يسقط بالسيف". لأن بابل ليست مكان احتماء، أسوارها تُحسَب كلا شيء وتحصيناتها كالعصافة أمام نفخة القدير. لأن المدينة التي لها الأساسات التي يمكن أن يحتمي بها هى أورشليم التي قيل عنها "على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسًا لا ينامون كل النهار ولا كل الليل"؟

فمن أراد أن يحتمي فعليه أن يكون في أورشليم وليس في بابل.

وليس أيضًا النجاة هى مجرد الهروب... إلى أين يهرب الأشرار من الدينونة؟ هكذا يصادفهم العقاب في كل مكان. وليس من مفر "إن ذهبت إلى السماء فأنت هناك وإن هبطت إلى الجحيم فأنت هناك أيضًا".

لذلك يجدر بنا ونحن نتأمل هول عقاب الدينونة أن نهرب إلى الله ونحتمي في أحضانه في أورشليم (الكنيسة) حيث لا يقترب الأشرار ولا يصيب الشر ولا تدنو ضربة من مسكنك (كنيستك).

+ تحطم أطفالهم أمام عيونهم:

إن الخطية لا تسيء إلى الشخص في ذاته فقط بل أنها تمتد في آثارها وتكابد بسببها كل الدائرة المحيطة، الأطفال، النساء البيوت، الكل يئن ويتوجع وتقع عليهم ظلال الموت.

يا ليت الذين يعيشون في حياة الشر يفكرون فيما سيجلبه وتستوجبه خطاياهم من دينونة تقع على أطفالهم الأبرياء وتلحق بالنساء والبيوت.

١٧. "هأنذا أُهيِّج عليهم الماديِّين الذين لا يعتدُّون بالفِضَّة، ولا يُسرُّون بالذهب.

١٨. فتُحَطِّم القسيُّ الفتيَان، ولا يَرحَمُون ثمَرَة البَطن. لا تُشفِقُ عُيونُهم على الأولاد.

١٩. وتَصِيرُ بابل، بهاءُ المَمالك وزينَةُ فَخر الكِلدانيِّين، كتقليب اللَّه سدوم وعمورة.

٢٠. لا تُعمَر إلى الأبد، ولا تُسكَنُ إلى دور فدور، ولا يُخَيِّم هناك أعرابيٌّ، ولا يُربضُ هناك رعاةٌ.

٢١. بل تَربُضُ هناك وحُوشُ القَفر، ويملأ البوم بيوتهم، وتَسكُن هناك بنات النَّعام، وترقُصُ هناك مَعْزُ الوَحْش.

٢٢. وتَصيح بنات آوَى في قصُورهِم، والذِّئاب في هياكل التنعُّم، ووقتهَا قريب المجيء وأيامها لا تطُولُ".

هنا يشبه الروح القدس دينونة بابل بدينونة سدوم وعمورة التي حكم عليهما بالخسف ورمدهما الله في القديم جاعلهما عبرة للعتيدين أن يفجروا. وكما كلمت أيام عصيان بابل استحقت نفس النصيب التعس من الخراب والهزء والدمار الأبدي.

هكذا يجعل التدبير الإلهي من كل قصة دينونة آية تحذير لكل الأجيال لعلها تكون توبيخًا وتبكيتًا للخطايا ودافعًا للتوبة لبني الملكوت.

ليتنا ونحن نرجع التاريخ المقدس ونرى دينونة شعوب وعقاب قد وقع على الفجار نتذكر كلمات الرب يسوع لجماعة اليهود الذين جاءوا ليخبروه عن الذين سقط عليهم البرج في سلوام فقال لهم: "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون".

قد تتحول الكوارث والأحداث التي تسمع عنها وتقرأها كل يوم إلى موضوع للحديث والسمر وتناقل الأخبار مع أنها كان يجب أن تقودنا للتوبة لأن كل ما يحدث حولنا يجب أن يكون دافعًا لحياتنا نحو التوبة.

+ أما من جهة ما كابدته بابل فيكفي ما قيل أنها ستكون مسكنًا للبوم والذئاب التي هى رمز لسكنى الشيطان وامتلاكه لحزب بابل التي كانت تدعى بهاء الممالك وفخر الكلدانيين على أن أجمل ما يعزي النفس المترقبة خلاص ربنا... هو هذا القضاء الإلهي في آخر كلمات الأصحاح أن "أيامها لا تطول".

فسلطان الظلمة وجبروت الخطية وطغيان الشيطان إلى حين وإلى نهاية وأيامها لا تطول.

ما أجمل قول الرب يسوع ساعة القبض عليه في البستان "هذه ساعتكم وسلطان الظلمة" فسلطان الظلمة إلى ساعة أما ملكوت النور فإلى أبد الآبدين. وهذا يعزي أولاد الله في رحلتهم التي يجاهدون فيها ضد كبرياء بابل وزناها عالمين أن أيامها لا

تطول.

+ بنات آوَى في قصُورهِم، والذِّئاب في هياكل التنعُّم:

هذه هى النهاية المخيفة وراء التنعم والقصور لأولئك الذين قال عنهم الرسول أنهم يحسبون تنعم يوم لذة، فيعيشون في قصور الملوك ويتنعمون بالبز والأرجوان مثل الغني الذي استوفى خيراته في حياته.

يجب أن نتنبه يا إخوة إلى زوال المجد العالمي وأن الذئاب وبنات آوى مختبئة وراءها منتظرة لحظة القضاء الإلهي. إن المظهر البهي والمجد الخارجي سرعان ما يزول.

بنات آوى والذئاب مشهورة بالمكر والحيلة وإفساد الكروم، لذلك قيل: خذوا لنا الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم، هلم نهلكها قبل أن تهلكنا هلم نتغلب عليها ونستأصلها قبل أن تخرب قصورنا وهياكلنا.

+ أيضًا لنحذر أن تصير هياكلنا هياكل للتنعم البشري، لئلا تصير للخراب بل لنجعلها للتنعم الإلهي وبخور الصلوات ورائحة القداسة لئلا تسمع صوت الرب "بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص".

الأصحاح الرابع عشر

مقدمة:

كان حديث الرب في الأصحاح السابق عن خراب مملكة بابل ونهاية سلطانها وكسر تجبرها، وقد تأملنا في تحقيق كلمات الوحي الإلهي التي كملت في وقتها وكذا فيما وراء التحقيق الزمني من سقوط مملكة الشيطان وسحقها وإنهاء زمان الخطية الذي حققه ربنا يسوع المسيح بمجيئه وصلبه وقيامته. إذ سحق الشيطان وأنهى مملكته وأعلن اقتراب ملكوت الله "اقترب منكم ملكوت الله".

والحديث في هذا الأصحاح هو استرسال في كشف أسرار الخلاص من سلطان الظلمة وانهيار مملكتها.

وقد تركزت نبوات هذا الأصحاح حول ملك بابل، كيف سقط وكيف كان سقوطه عظيمًا.

وإن كان سقوط مملكة بابل كشف عن أسرار انهيار مملكة الشيطان، فإن سقوط ملك بابل يحوي أسرار سقوط إبليس عدو الخير وليس فقط سقوطه تحت صليب ربنا يسوع بل أيضًا كشف لنا أسرار سقوطه الأول قبل خلقة الإنسان ثم أخيرًا سقوطه الأبدي حيث يطرح في بحيرة النار المتقدة إلى أبد الآبدين. وقد بدأ الوحي كلماته هكذا.

١. "لأن الرب سيَرحَمُ يعقوب ويختار أيضًا إسرائيل، ويريحُهُم في أرضهم، فتقتَرن بهم الغُرَباء وينضمُّون إلى بيت يعقوب.

٢. ويأخذُهُم شعوب ويأتون بهم إلى موضِعِهم، ويمتلكُهُم بيت إسرائيل في أرض الرب عبيدًا وإماءً، ويسبون الذين سَبَوهُم ويتسلَّطون على ظالِمِيهم".

الرب سيرحم يعقوب:

في بداية البشارة بالخلاص من قبضة إبليس وسلطانه يعلن الرب رحمته نحو مختاريه وأحشاء رأفته وقلبه الحاني نحونا، والأفعال هنا **يرحم ويختار ويريح** تحتاج

إلى وقفة طويلة لنتأملها بعمق لكي ندرك ما كان يجول بخاطر ربنا نحو خلاصنا قبل الأزمنة.

ففي المسيح يسوع نحن الذين كنا قبلاً غير مرحومين صرنا بنعمه مرحومين إذ أعلن رحمته ولطفه المتناهي نحونا.

ففي المسيح أعلنت لنا مراحم داود الصادقة والأمينة التي وعد بها الرب جنس البشر، وفي المسيح تحقق وعد الله من نحو الكنيسة "بمراحم عظيمة ساجمَعُك" (إش ٥٤: ٧).

عوض فيضان الغضب الذي حجب وجه الآب عنها. وفي المسيح اكتشفنا الله الذي هو غني في الرحمة الذي من أجل رأفته الكثيرة ونحن أموات بالخطايا أحيانا في المسيح، وفي المسيح قويت رحمة الرب على خائفيه مثل ارتفاع السموات، ومثل بعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا، وفي المسيح كمل وعد الرب لموسى "أرحم من أرحم وأتراءف على مَن أتراءف" وأعلن الرب كل جودته أمامنا ونوديَ بِاسم الرب، وحلّ بيننا ورأينا مجده وامتلأنا نعمة فوق نعمة.

هذا هو الفعل الأول للخلاص عندما بدأ الرب يحطم العدو الشرير قال "لأن الرب سيرحم يعقوب" من العبودية القاسية ومن يد الذي لا يرحم.

ويختار إسرائيل:

حقًا لقد "اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قُدَّامه في المحبة (أف ١: ٤).

ولكن هذا الاختيار الذي سبق الأزمنة "إذ عيننا للتبني بيسوع المسيح" لم يكن لسبب بر أو تقوى أو فضيلة بل على العكس اختار الله فقراء العالم والضعفاء والمزدرى وغير الموجود ... لكي لا يفتخر كل ذي جسد واختار صهيون ورضيها مسكنًا له، وقد دعانا أحبابه ومختاريه بمقتضى الرحمة التي سبق فأعلنها في شخص ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية.

هكذا سبقت وأدركتنا رحمته فصار اختيارنا على سبيل نعمته الغنية ورحمته الفائقة باللطف علينا.

ويريحهم في أرضهم:

لقد دعا الشعب القديم في العهد الأول لكي يدخلوا راحته ولكن لعدم الإيمان ولأنهم أغضبوه بأفعالهم وأسخطوه بقلة إيمانهم أقسم في غضبه أنهم لن يدخلوا راحته.

لكن بقى وعد الله للراحة من جهة العتيدين أن يرثوا الخلاص... كما يقول الرسول بولس: "إذًا بقيت راحة لشعب الله"... وهذه الراحة هى في المسيح يسوع الذي قال: "تعالوا إليَّ... وأنا أريحكم".

فهو وحده مريح التعابى، وهو الراعي الصالح وحده كما يقول المرتل: "إلى مياه الراحة يوردني" (مز ٢٣: ٢). وهو الذي عندما نتكئ على صدره نستطيع أن نقول: "أرجعي يا نفسي إلى موضع راحتك" والرب معلن أنه سيريحهم في أرضهم، لأن لا يمكن أن تكون الراحة في أرض الغربة أو أرض السبي، ولكن "أرض الموعد" وليس بالعهد القديم، ولكن بالعهد الجديد بدمه. وهى كما عبَّر عنها الرائي "أرضًا جديدة يسكن فيها البر" (أي المسيح) وهى مسكن الله مع الناس.

ولكن هنا تدعى أرضهم أي أرض المفديين، أنها ميراثهم إذ هم ورثة الله ووارثون مع المسيح.

يا لغنى رحمة المسيح ويا لمجد اختياره لنا وملكوت راحته التي وعدنا بها فلنشكر المسيح إلهنا من أجل كثرة إحساناته لنفوسنا.

ولكن لا يظن أحد أن الموعد والاختيار والرحمة هما لإسرائيل فقط بل في المسيح سيقترن بهم الغرباء وينضمون إلى بيت يعقوب... لأن إشراق نور المسيح وإن كان من إسرائيل إلا أن جليل الأمم سيتمتع به وكل من هو جالس في ظلمة الخطية والموت "أبصر نورًا عظيمًا".

واقتران الغرباء مع بيت يعقوب هو بالمسيح الذي صالح الاثنين في نفسه صانعًا سلامًا وقتل العداوة بصليبه، لا ختان ولا غرلة، لا عبد ولا حر، وعندما يدخل هؤلاء الغرباء إلى المسيح يقال لهم: "لستم إذًا بعد غرباء ونزلاً، بل رعيَّة مع القديسين وأهل بيت الله" (أف ٢: ١٩).

ويأخذهم شعوب ويأتون بهم إلى موضعهم ويمتلكهم بيت إسرائيل في أرض الرب

عبيدًا وإماء ويسبون الذين سبوهم ويتسلطون على ظالميهم.

هذه نبوة عن رجوع بني إسرائيل بعد السبي – إلى أرض الرب – بعد أن تدور الدائرة على مملكة بابل وملكها، فالمخرب والظالم سيأخذ أجره ودينونة، متى جاء من هو أقوى منه ونزع سلاحه المتكل عليه، حينئذ ينهب أمتعته ويوزع غنائمه هكذا يكون بني الملكوت بعد أن كانت مملكة الظلمة تسبيهم وناموس الخطية يسود عليهم فبالمسيح المخلص تتبدل الأحوال ويهاجموا به مملكة الشيطان ويخلصون من يده غنائم وسبايا، ويكون لهم سلطان وقوة بِاسم فاديهم القدوس.

٣. "ويكون في يوم يُريحُكَ الرب من تَعَبك ومن انزعاجِكَ، ومن العبودية القاسية التي استُعبدت بها.

٤. أنك تنطِق بهذا الهجو على مَلِك بابل وتقول: كيف باد الظَّالم، بادَت المُغَطْرِسَةُ؟ قد كَسَّر الرب عَصَا الأشرار، قضيب المُتَسلِّطِين".

في يوم عبور البحر الأحمر عندما رأى شعب الله قديمًا، يد ربنا الشديدة وذراعه الممدودة وكيف أن فرعون وجنوده وخيار فرسانه ومركباته غرقوا في البحر الأحمر، انطلق الشعب يمجد الله بصوت واحد قائلين: "تعالوا نسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد... وأخذت مريم أخت هارون الدف بيدها والنسوة من حولها في مظاهرة روحية خلابة.

هكذا يكون التسبيح نتيجة حتمية للخلاص الذي صنعه الرب، فالعمل الخلاصي يدفع الإنسان دفعًا إلى الشكر والتسبيح والتأمل في صنيع إلهنا وانكسار العدو الشرير.

على هذا القياس تنبأ إشعياء النبي هنا لبني الخلاص، والذين سيتمتعون برؤية سقوط رئيس هذا العالم مثل البرق من السماء، والذين سيأخذون سلطانًا أن يدوسوا الحياة والعقارب وكل قوة العدو. ويتحررون من عبودية إبليس القاتلة في يوم يريح الرب أولاده من التعب والانزعاج والعبودية القاسية ويتمم خلاصهم بالآلام والصليب، في ذلك اليوم ينطق أولاد الله بهذا الهجو على الشيطان قائلين: "**كيف باد الظالم، بادت المغطرسة؟**".

٦. "الضَّارب الشعوب بسَخَطٍ، ضربَةً بلا فتور. المُتسَلِّط بغضَب على الأمم، باضطهاد بلا إمسَاكٍ".

إن علة الشيطان الأولى هى الكبرياء والغطرسة والظلم والتسلط ينبعان منها مع كل قساوة وتجبُّر، وقد كان ملك بابل الوثني مملوءًا من هذه الروح الشيطانية. وسقوط الشيطان الممثل سواء في فرعون أو ملك بابل أو في الظالمين المتسلط عليهم روح إبليس، هذا السقوط يثير الفرح والسرور في كل زمان ويملأ قلوب أولاد الله بالطمأنينة والإيمان أنه مهما بلغ الشيطان من ظلم أو مهما بدا الظالم وقف منتصرًا وغالبًا ومتسلطًا ومهما بدا أن أولاد الله مذلين مهانين مكروبين معتازين وأن الاضطهاد من العدو والشرير "بلا إمساك"... ولكن هناك رجاء ثابت في داخل نفوس أولاد الله وثقة بيقين شديد أنه ستأتي أوقات الفرج والنجاة من قبل الرب، وسيأتي يوم الخلاص يوم استعلان قوة رب الجنود، يومها يُباد الظالم والمغطرسة، ويكسر الرب العصا وقضيب التسلط، ويسحق الشيطان ويقول أولاد الله، أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا جحيم؟

٧. "استراحت، اطمأنَّت كل الأرض. هتفُوا ترنُّمًا.

٨. حتى السَّرو يفرَح عليكَ، وأرز لبنان قائلاً: منذ اضطَجَعتَ لم يَصْعَد علينا قاطِعٌ".

لقد كان ملك بابل ثقلاً رهيبًا ونيرًا ثقيلاً على الأرض، وقع ظله الثقيل على كل أحد ولم ينج من بطشه وسطوته شعب، بل أينما ذهب كان ينفث تهديدًا وقتلاً ويترك الأرض خلفه خرابًا ودمارًا، فصار اسمه رعبًا لكل الشعوب لذلك عندما يباد ويسقط فإن الأرض تتنفس الصعداء والشعوب من حوله تطمئن بل وتهتف بالترنم والشكر حتى نبات الحقل السرو وأرز لبنان الخليقة غير الناطقة أيضًا تستريح من دماره وفساده.

فإن كان يقال هذا عن ملك بابل فكم بالحري يقال عن رئيس هذا العالم، الروح الذي صارت الخليقة مخضعة له ليس طوعًا ولكن بقسوته وجبروته وظلمه كان يجول في الأرض ويتمشى فيها مشتكيًا على أولاد الله، هذا من المبدأ كان قتالاً للناس.

فماذا يقال يوم تستريح الخليقة وتتحرر من عبوديته؟ حقًا أن الأرض تستريح من عبودية الفساد وتعتق إلى حرية أولاد الله بعدما كانت تئن وتتمخض معًا.

حتى السرو يفرح وأرز لبنان:

هنا السرو وأرز لبنان يشيران إلى الشهداء والصديقين "البار مثل النخلة يزهو ومثل أرز لبنان ينمو... مغروسين في بيت إلهنا"... يفرح الأبرار بالفرح وكما يقول المرتل: "الصديقون صرخوا والرب استجاب لهم ومن جميع شدائدهم نجاهم" (مز ٣٤: ١٧)...

ولم يعد للشيطان سلطان أن يقطع ويهلك بل صار السرو والأرز ينميان بلا خوف من قاطع لأن الفأس التي كانت في يد القدير للتأديب افتخرت على القاطع بها وتكبرت على ملك الملوك لذلك طرحها للهوان ولم يعد لها سلطانها الأول...

٩. "الهاوية من أسفل مُهتَزَّةٌ لك، لاستقبَال قُدُومِكَ، مُنهضَةٌ لك الأخيلَةَ، جميع عُظماء الأرض. أقامَت كل ملوك الأمم عن كراسيِّهم.

١٠. كلهم يُجيبُون ويقولون لكَ: أأنتَ أيضًا قد ضَعُفتَ نظِيرَنا وصرتَ مثلنا؟

١١. أُهبط إلى الهاوية فَخْرُكَ، رنَّةُ أعوادِكَ. تحتَك تُفرَشُ الرِّمةُ، وغطاؤك الدُّود".

إن سقوط ملك بابل ظاهريًا للموت الجسدي – كان يخفي وراءه سقوطًا أكثر بشاعة وهو انحداره إلى الجحيم حيث موضع العذاب الأبدي.

وإن كانت الأرض استراحت واطمأنت فالهاوية من أسفل اهتزت لاستقبال قدومه.

على أننا نرى أن سقوط الشيطان الذي كان مثل البرق يشير إلى مقدار القوة والقدرة التي احدرته إلى أسفل الجحيم... واهتزاز الهاوية لاستقباله يدلنا أن سقوطه كان عظيمًا جدًا في جبروته.

وفي هذه النبوة يشير إشعياء النبي إلى أن أرواح الملوك والعظماء الذين سبقوا ملك بابل إلى الجحيم والذين كانوا يخضعون له في حياتهم ويعظمونه ويخافونه...

ستستقبله هذه الأرواح وهى واقفة عن كراسيها ولكن في هذه المرة ليس خوفًا منه ولا تعظيمًا لجلاله ولكن للهزء والسخرية عندما يجدونه منحدرًا إلى الجحيم نظيرهم في ضعف وهوان وخزي ويبادرونه قائلين: أأنت أيضًا ضعفت نظيرنا وصرت مثلنا؟

أين سلطانك وقوتك وجبروتك؟ يا للخزي الأبدي الذي للنفوس التي تقوت بالشيطان على الأرض وتمجدت بالكبرياء...

وهذا الحديث عينه سيواجهه ملك الكبرياء الشيطان من جنوده الذين خدعهم بحيله وأغواهم وراءه ليصيروا مقاومين لله. ووعدهم وعودًا كاذبة، في يوم خزيه العظيم سيسمع تهكمات وسخريات تابعيه فيغيظه الخزي من كل جانب.

"**أُهبط إلى الهاوية فَخْرُكَ، رنَّةُ أعوادكَ. تحتَك تُفرَشُ الرِّمةُ، وغطاؤك الدُّود**" هذا وصف الجحيم حيث البكاء وصرير الأسنان – حيث نارهم لا تطفأ ودودهم لا يموت كما قال السيد المسيح له المجد.

١٢. "كيف سَقَطْتِ من السماء يا زُهَرَةُ، بنت الصُّبح؟ كيف قُطِعْتَ إلى الأرض يا قاهِرَ الأُمَم؟

١٣. وأنتَ قُلتَ في قَلبكَ: أصعد إلى السموات. أرفع كرسيِّي فوق كواكب اللَّه، وأجلس على جبل الاجتِماع في أقاصي الشَّمال.

١٤. أصعد فَوق مُرتفَعات السَّحاب. أصير مثل العليِّ".

هنا يكشف الروح القدس بوضوح شديد كيفية سقوط الشيطان ومكانته قبل السقوط فهو زهرة الصبح (لوسيتر) وحزقيال النبي في (ص٢٨) يتكلَّم بتفاصيل مذهلة عن مدى الجلال الذي كان عليه الشيطان كرئيس ملائكة قبل السقوط "أنت خاتم الكمال، ملآن حكمة وكامل الجمال. **كنت في عدن جنة الله. كل حجر كريم ستارتك**، عقيق أحمر وياقوت أصفر... أنت الكروب المنبسط المُظلل، وأقمتك. على جبل الله المقدس كنت. بين حجارة النار تمشَّيت. أنت كامل في طُرقِكَ من يوم خُلقت حتى وجد فيك إثم. بكثرة تجارتك ملأوا جوفك ظلمًا فأخطأت. فأطرَحُك من جبل الله وأُبيدك أيها الكروب المُظلِّل من بين

حجارة النار. قد ارتفع قلبك لبهجَتك. أفسدت حكمَتك لأجل بهائك. سأطرحك إلى الأرض، وأجعلك أمام الملوك لينظروا إليك... فأخرج نارًا من وسطك فتأكلك وأُصيِّرك رمادًا... فيتحيَّر منك جميع الذين يعرفونك بين الشعوب..." (حز ٢٨: ١٢-١٩).

وأيوب الصديق عندما كلمه الله من العاصفة عن أسرار أعلى منه وكشف له مكنونات الدهور قال له: "أين كنت... عندما ترنَّمت كواكب الصبح معًا، وهتف جميع بني الله" (أي ٣٨: ٤ - ٧).

فالملائكة القديسون هم كواكب الصبح، أما الشيطان فكان كاروبًا مظلالاً ودعيَ زهرة بنت الصبح لكونه خاتم الكمال وملآن حكمة وكامل الجلال.

وواضح أن علة السقوط هى كبرياء القلب. قلت في قلبك أصعد إلى السماء أرفع كرسي فوق كواكب العلي (أي الملائكة)... أصير مثل العلي. ما أجمل قول يهوذا الرسول: "الملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام".

١٥. "لكنك انحَدرتَ إلى الهاوية، إلى أسَافل الجُبِّ.

١٦. الذين يَرَونَك يتطلَّعون إليك، يتأمَّلُون فيك. أهذا هو الرَّجُل الذي زلزل الأرض وزَعزَع الممَالِك.

١٧. الذي جَعَل العالم كقَفْر، وهَدَم مُدُنَه، الذي لم يُطلِق أسرَاهُ إلى بيُوتِهم؟

١٨. كل ملوكِ الأمم بأجمَعِهم اضطَجَعوا بالكرامة كل واحدٍ في بيتهِ.

١٩. وأما أنت فقد طُرِحتَ من قَبرك كغُصن أشنع، كلباس القتلى المضروبين بالسيف، الهابطِينَ إلى حجارة الجُبِّ، كجُثَّةٍ مَدوسَةٍ".

+ قال في قلبه ارتفع. أرفع كرسي... أصير مثل العلي ولكنه انحدر إلى الهاوية إلى أسفل الجب... هذا قانون روحي لا يسقط أبدًا. هى كلمة قالها ربنا يسوع من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع، وقيل أيضًا: "قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦: ١٨).

يا ليتنا نسلك بهذا القانون عينه ولا نرتئي فوق ما ينبغي أن نرتئي بل ننقاد دائمًا إلى المتضعين ولنبغض الكبرياء الذي هو علة جميع الخطايا.

والحديث بعد ذلك تكمله لما قيل عن ملك بابل والمفارقة العجيبة بين ما كان عليه قبل السقوط هو في سلطانه الزائل ثم ما بعد الموت والانكسار.

فقبلاً:

١. هو الرجل الذي زلزل الأرض... ثم في سقوطه الهاوية مهتزة لاستقباله.
٢. وزعزع الملك ثم في سقوطه صار الملوك يستهزئون به.
٣. جعل العالم كقفر ثم في سقوطه صارت الرمة تحته والدود غطائه.
٤. هدم مدنه ثم في سقوطه صارت الهاوية مسكنه.
٥. لم يطلق أسراه ثم في سقوطه صار أسير الهاوية إلى الأبد.

"كل ملوك الأمم بأجمَعهم اضطجَعوا بالكرامة كل واحد في بيته" (ع ١٨).

هذا النصيب الوافر من الهوان حل بملك بابل فهو دينونة كبريائه وعظمة قلبه فالملوك الأخر رغم كونهم وثنيين ولكنهم ماتوا ميتات هادئة في بيوتهم ودفنوا من ذويهم بكرامة لأنهم لم يبلغوا ما بلغه ملك بابل من الارتفاع والتعالي لذلك كابد ميتة بشعة ودفن مثل الكلب ليكون عبرة لكل بني الكبرياء وليعلم أن الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة.

٢٠. "لا تتَّحِدُ بهم في القبر لأنك أخرَبْتَ أرضَكَ، قَتَلتَ شَعبَكَ. لا يُسمَّى إلى الأبد نسل فاعلي الشر.

٢١. هيِّئوا لبنيه قتلاً بإثم آبائهم، فلا يقُومُوا ولا يرثوا الأرض ولا يملأوا وجْه العالم مُدنًا.

٢٢. فأقومُ عليهم، يقولُ رب الجُنود. وأقطَع من بابل اسمًا وبقيَّةً ونسلاً وذريَّةً، يقول الرب.

٢٣. وأجعلها ميراثًا للقُنْفُذِ، وآجام مياه، وأُكَنِّسها بمِكنَسة الهلاكِ، يقول رب الجنود".

في هذه الأعداد، نبوات على ما يصيب نسل ملك بابل وذريته من جراء خطية ملك بابل وكبريائه، صحيح أنه قيل "أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع".

وقيل أيضًا أن "الآباء يأكلون الحصرم وأسنان الأبناء ضرست".

فهناك يقال: "هيئوا لبنيه قتلاً بآثم أبائهم" كم قتل ملك بابل وأفنى أولاد ملوك. ألم يقتل نبوخذ نصر أولاد صدقيا ملك يهوذا أمام عينيه.

ألم يقل أدوني بازق في القديم حينما وقع تحت القصاص العادل "كما فَعَلت كذلك جازاني الله" (قض ١: ٧).

قال الرب أيضًا "ويل لك أيها المخرب وأنت لم تخرب... حينما تنتهي من النهب ينهبوك".

+ على أننا ننبه الذهن إلى القضاء الإلهي من نحو ملك بابل وكلمة الدينونة الإلهية "لأنك أخربت أرضك قتلت شعبك".

لكي يعلم جيدًا أن العلي متسلط في ممالك الناس، وأنه حقيقة هو ضابط الكل وهو سيد كل الأرض وحده... فإذا سلم مملكة لإنسان يسوسها أو شعبًا لملك يتسلط عليه فلا يفتر ولا يتعظم ولا يقول في نفسه هذه بابل العظيمة التي اقتنيتها بقوتي واقتداري... بل ليعط الملك لله وحده.

أما ملك بابل فقد أخرب أرضه وقتل شعبه بدل أن يرعاه بأمانة ويهتم به بإخلاص، غرقه في شهوات نفسه وارتفع في كبرياء قلبه ونسى شعبه للموت وترك أرضه للخراب.

+ وأخيرًا نلفت الذهن أيضًا إلى التعبير الرهيب الذي قيل عن بابل كلها...

"وأكنسها بمكنسة الهلاك يقول رب الجنود".

يا لشناعة الخطية ويا لهول عقابها حين تفرخ الكبرياء وحين تلد الخطية ولادتها فإن كان الرب يسوع قد شبه النعمة بالمكنسة في يد الأمراة التي أضاعت دينارًا وهي تكنس وتفتش حتى تجده فإن الدينونة هنا مشبهه بمكنسة ولكن مكنسة هلاك.

يكنس بها بابل لكي لا يبقى أصلاً وفرعًا.

مثل الرفش في يد القدير بعدما ينقي بيدره ويدفع التبن للحريق للهلاك الأبدي.

٢٤. "قد حَلَفَ رب الجنود قائلاً: إنه كما قَصَدت يَصِيرُ، وكما نويت يثبُت:

٢٥. أن أُحطِّم أشور في أرضي وأدوسَهُ على جبالي، فيزول عنهم نيرُهُ، ويزول عن كَتِفِهم حِمْلُهُ.

٢٦. هذا هو القضاء المقضيُّ به على كل الأرض، وهذه هي اليَدُ المَمدُودَة على كل الأمَم.

٢٧. فإن رب الجُنود قد قَضَى، فمَن يُبَطِّل؟ ويدُهُ هي المَمدُوة، فمَن يرُدُّهَا؟".

هذا الجزء الأخير من الأصحاح يحتوي على نبوتين فيهما قضاء الرب على مملكة أشور وعلى فلسطين. ومن المعروف أن أشور اعتدى على إسرائيل بعد كتابة هذه النبوات بسنين قليلة، وقد تحقق كلام هذه النبوة في أشور. عندما أرسل سنحاريب ملك أشور جيشًا وحاصر أورشليم بقيادة ربشاقي قائد الجيش وقد انكسرت هذه الجيوش بخلاص عظيم عندما أرسل ملاكه بحسب كلام إشعياء وقتل من جيش سنحاريب ١٨٥ ألف في يوم واحد، ولعل هذه النبوات قد أوردها الروح هنا وهي وشيكة الوقوع لتكون نموذجًا لتحقيق باقي كلام النبوات السابقة ضد بابل ومملكتها وملكها ولكي تكون للمؤمنين في كل زمان سبب رجاء لا يخزى ونحن نرى هنا أن الرب يبدأ بقسم، ومعلوم أن القسم يتوسط به الله لأجل التثبيت وتوطيد الإيمان، كالقسم الذي حلف به لإبراهيم فصار الوعد أكيدًا والمواعيد صادقة لا تزول، وقد أقسم الرب مرارًا للكنيسة ولأولاده أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأنه يخلص أولادها، وأنه يطعم ظالميها لحم أنفسهم.

وإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحسانه فلا يزول عنها وعهد سلامه فيها لا

يتزعزع... أنه نقشها على كفه وجعل أسوارها أمامه دائمًا وأنه يخاصم أعداءها ويهلك مبغضيها ويجازي الذين يضايقونا ضيقًا... إلى أخر هذه المواعيد العظمى والثمينة.

وكما حلف أنه يصنع هكذا بأشور الذي حاصر أورشليم بلا سبب واشتكى عليها ظلمًا وجورًا هكذا يكون الرب إلى جيل الأجيال.

وهكذا تثبت الدهور صدق مواعيده وتكشف الأيام عن قوة ذراع مجده. هكذا حلف الرب أنه كما قصد يصيرو كما نوى يثبت... هذا معناه أن هذه المواعيد كائنة منذ الأزل وأن قصد الله وتدبيره الأزلي للخلاص تكشف عنه الأيام فقط ولا تستحدثه... هذه المواعيد أزلية أليس مكتوبًا أن الملكوت معد لأولاد الله "قبل كون العالم" ألسنا مختارين في المسيح – قبل تأسيس العالم – بل أن ذبيحة المسيح ودمه المسفوك عنا "معروفًا سابقًا قبل تأسيس العالم".

ليتنا كل حين نتعرف على قصد الله وتدبيره الأزلي من نحونا حتى لا نفقد الصبر ونحن نسلك الطريق الضيق وحتى لا تنعدم الرؤيا فنسقط في يأس أو فشل بل كلما تحققنا من مشيئته التي قصدها في نفسه حسب تدبير ملء الدهور كلما زاد اطمئناننا وقوى رجاؤنا مهما غشيتنا الظلمة الخارجية أو سرنا في وادي ظل الموت.

أن تحطيم أشور سيكون:

أ. في أرض الرب حاول أن يعتدي عليها – في الأرض التي قال في قلبه يستفتحها لنفسه سوف تتحطم قوته.

ب. في جبال الرب التي حاول أن يصعد عليها سيداس فيها وما نواه في قلبه أن يرتفع سيخفضه الرب ويدوسه بجبروت خلاص يمينه هذا القضاء ليس على أشور فقط بل على كل الأمم الذين يطمعون في ميراث الرب أو يمسون شعبه المقدس.

٢٨. "في سنة وفاةِ الملك آحَاز كان هذا الوحي:

٢٩. لا تفرَحي يا جميع فلسطين، لأن القَضِيبَ الضَّاربَكِ انكَسَر، فإنه من أصل الحيَّة يَخرُج أفعوانٌ، وثمرتُهُ تكون ثعبانًا مُسمًا طيَّارًا.

٣٠. وتَرعَى أبكار المَساكين، ويربضُ البائسون بالأمان، وأُمِيتُ أصلَكِ

بالجُوع، فيقتُل بقيَّتك.

٣١. ولول أيها الباب. اصرخي أيتها المدينة. قد ذابَ جَمِيعُكِ يا فلسطين، لأنه من الشمال يأتي دخانٌ، وليس شاذٌّ في جُيوشِهِ".

هذا الفصل الأخير من هذا الأصحاح يشتمل على نبوات خاصة بأرض فلسطين المتاخمة لمملكة يهوذا. وقد كانت فلسطين في أيام كتابة هذه النبوات في فرح ونصرة إذ أن الفلسطينيين كانوا قد كسروا آحاز الملك (٢ أي ٢٨: ١٨).

وعندما سمعوا بموت ملك أشور إزداد فرحهم لأن أشور كان يهدد الفلسطينيين وقد تعرضت أرضهم لغزوات ملوك أشور مرارًا كثيرة.

هنا الوحي الإلهي يقول لفلسطين لا تفرحي بهذا النجاح المؤقت لأن فرح الأشرار لا يدوم. ولا سلام قال إلهي للأشرار.. فإن كان ملك أشور الذي مات هو حية فابنه الذي يملك بعده سيكون أفعونًا وثعبانًا سامًا طيارًا يفتك بأرض فلسطين فتكًا مرعبًا.

بينما شعب الله الذي كان في نظر الفلسطينيين مساكين وضعفاء وبائسين يكونون في سلام في مراع خضر وماء راحة وكأن التاريخ المقدس يتكرر عندما كان شعب الله يسكن في أرض جاسان قديمًا وكان الرب يميز بينهم وبين المصريين فيكون ظلام على كل الأرض أما أرض جاسان فكانت نورًا. وتكون أوباء وآفات في كل الأرض ولكن خير وسلام في أرض جاسان.

هكذا يقول النبي أن فلسطين ستقاسي من مجاعة مهلكة تقتل بالجوع البقية في أرض فلسطين، وأنها ستتعرض لهجوم وحشي من ملك أشور الجديد يأتي عليها كالدخان بحرق كل ما هو أمامه فيصعد دخان البلاد التي أحرقها فترتعب منه أبواب مدن فلسطين وتولول وتصرخ المدن صراخًا. بينما أبواب صهيون وأسوارها يقال عنها "الرب أحب أبواب صهيون" (مز ٨٧: ٢). "الرب اختار صهيون. ورضيها مسكنًا له" (مز ١٣٢: ١٣) على أسوارك أقمت حراسًا لا يسكتون كل النهار ولا كل الليل.

ففي داخل هذا الأمان والحفظ الإلهي ترعى أبكار المساكين ويربض البائسون بالأمان هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عنده.

٣٢. "فبمـاذا يُجَـابُ رُسُـل الأمـم؟ إن الـرب أسَّـس صِـهيون، وبهـا يحتَمـي بائِسو شَعبه".

بهذا السؤال وإجابته التي تشيع الفرح في نفوس أولاد الله اختتم إشعياء نبوات هذا الأصحاح.

فقد ورد إلى أورشليم رسل كثيرون من كل الأمم، فبعضهم جاء يعرض مساعدته ويقدم معونته لأورشليم، وآخرون جاءوا يهددون ويتوعدون والبعض الآخر جاء يعرض صلحًا مع أورشليم.

بماذا يجاب كل هؤلاء؟؟

إنها إجابة واحدة للجميع "أن الرب أسس صهيون وبها يحتمي بائسو شعبه".

+ أما الذين يفتكرون في أنفسهم أنهم بذراعهم وقوتهم يسندون صهيون ويصدون هجمات العدو عنها، فهذا الأمر مرفوض تمامًا لأن الرب الإله قائم في وسطها وهو الذي أسسها وهو الذي يدافع عنها، وهو قوتها. والخطر كل الخطر أن تتكل صهيون على ذراع البشر أو تلتجئ إلى معونتهم.

+ وأما الذين يهددونها ويتوعدونها فالإجابة على هؤلاء الرسل الأمميين أيضًا هى ذات الكلمات "أن الرب أسس صهيون وبها يحتمي بائسو شعبه" فليعبر العدو صهيون ما شاء وليسنن لسانه ما شاء وليتجبر ويهجم عليها ما شاء ولكن الذي أسسها قائم في وسطها ويقول: "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون"، "فقط قفوا وانظروا خلاص الرب"، ويقول أيضًا: "أحامي عن هذه المدينة من أجل اسمي ومن أجل داود عبدي"، "وأبواب الجحيم لن تقوى عليها"، "وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه".

+ أما الرسل الذين جاءوا إلى أورشليم يعرضون صلحًا فماذا يجاب هؤلاء أيضًا إلا بذات الكلمات "الرب أسس أورشليم وبها يحتمي بائسو شعبه".

لأنه أي خلطة للبر مع الإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وللمسيح مع بليعال؟ ما أحوجنا إلى هذه الإجابة على رسل الأمم نضعها في أفواهنا كل يوم، عندما نتعرض لرسل العالم الذين يرسلهم بكل خديعة إلى الكنيسة يهدد مرة ويعرض معونته

مـــرة أخـــرى ويعـــرض صـــلحًا مـــرة ثالثـــة وهـــذه العبـــارة المـــوجزة تعلن صميم إيماننا بإلهنا أنه هو الذي أسسها إلى الأبد وهو الذي أحاطها بسياج نعمته وبها يجب أن يحتمي المساكين بالروح في عمق الحفظ الإلهي بين ذراعي الحبيب.

الأصحاح الخامس عشر

نبذة عن موآب:

موآب أصلاً هو بكر ابنة لوط من أبيها بعد خراب سدوم وقد تسمت بلاد موآب نسبة إليه.

سكن الموآبيون شرق البحر الميت وكانت بلادهم تنقسم إلى بلاد موآب، وعربات موآب وهذه كانت في وادي الأردن مقابل أريحا.

عند رجوع بني إسرائيل من أرض مصر كان موآب قد صار أمة قوية إلاَّ أن الأموريين كانوا قد طردوهم إلى جنوبي أرنون (عد ٢١: ١٣؛ قض ١١: ١٨).

دعا موآب ومديان بلعام بن بعور ليلعن شعب الله (عد ٢٢)، غير أنه باركه حسب الأمر الإلهي.

وقد سمح بنو رأوبين للموآبيين أن يسكنوا في المدن حولهم وقد ضل الرأوبينيون وراء عبادة الموآبيين ولا سيما عبادة كموش رجس الموآبيين.

وقد اتسمت العلاقة بين العبرانيين وموآب بالعداوة وقامت بينهم حروب كثيرة.

في أيام القضاة قتل أهود محلون ملك موآب.

على أنه في بعض الأوقات كانت العلاقات ودية وكان بعض الشعب يتغرب ليسكن في موآب كما حدث في أيام نعمى حماة راعوث الموآبية.

ولكن من المعروف أن عبادات الموآبيين كانت كلها وثنية مصحوبة بالنجاسات وعادات ردية كثيرة وكانت تحذيرات كثيرة من الله لشعبه حتى لا يختلط بالشعوب المجاورة ولا يصاهرهم "لا تعطي بنتك لابنه ولا تأخذ ابنته لابنك لئلا يزيغ الأولاد وراء نجاستهم".

وكانت موآب تدخل في أحلاف مع الشعوب المجاورة ضد يهوذا وإسرائيل.

كما حدث في أيام يهوياقيم ملك يهوذا (٢ مل ٢٤: ٢)، وكانت موآب تشمت وتسر بكسر إسرائيل ومذلتها ولكن الله أنذرها بالقصاص (حز ٢٥: ٨-١١؛

صف ٢: ٨-١٠) وقد ذكر إرميا أسماء المدن التي ستخرب في موآب بأسمائها وإشارة إلى خراب الكرم والتين وإلى اختباء الأهالي في الصخور.

وحي من جهة موآب:

الأصحاحان ١٥، ١٦ عبارة عن نبوات نطق بها إشعياء النبي نحو بلاد موآب - عن مستقبلها القريب والبعيد وفيها وصف تفصيلي لما سوف يحل ببلاد موآب من دينونة وغضب وخراب كأجرة للخطية وحصاد للشر - وفي الواقع عندما يتأمل الإنسان مليًا في نهاية طريق الشر وعاقبة الأشرار فإن هذا يكون أكبر درس للتوبة ورجوع الإنسان عن طريقه الردية لأن الكتاب يقول أن سدوم وعمورة حينما كابدتا حريق النار صارتا عبرة للعتيدين أن يفجروا والذين يذهبون وراء الجسد والنجاسات لذلك لا تخلو هذه الأصحاحات من تعاليم نافعة حينما يقرأها الإنسان لا كقصة قديمة وأحداث لأزمنة عابرة بل بالعكس كواقع متجدد كل يوم.

لأنه إن كانت الخطية مازالت تعمل وروح الظلمة مازال مستمرًا في غوايته للكثيرين... وما نراه كل يوم من زيغان وجحود وابتعاد عن الله... إن كان كل هذا مستمرًا وموجودًا تحت بصرنا وسمعنا فالدينونة إذًا محققة وواقعة لا محالة وإن كان العهد القديم بأكمله قد تحقق في الجديد إذ كل ما حدث في الجديد كان لكي يتم ما هو مكتوب... أو لكي يتم ما قيل بالأنبياء فإنه في العهد الجديد أيضًا قيل للرائي "هلم فأريك ما لابد أن يكون".

فلنا إذًا أن نعتبر بدينونة الخطاة ونغار غيرة مقدسة من أجل توبتنا ومنفعتنا.

ثمة أمر آخر يجب ألا يخفى علينا إن زمن الخطاة قصير مهما طال مجدهم كزهر الشعب مهما أزهر فلابد أن يذبل، كل فخر وزينة الدنس، النجاسة تتحول إلى عفونة وكراهة نفس... ولكن قد يحسب قوم أن الرب يتباطأ في الدينونة عندما يرون الأشرار في ازدهار... ولكن القديس بطرس الرسول يعلمنا أنه ليس كما يظن أصحاب هذا الفكر ولكن الرب لا يبطئ في قدومه. والقديس بولس الرسول يعزي طول أناة الله وعدم سرعة قضائه إلى أن الله بهذه الطريقة يقتاد النفوس إلى التوبة بطول أناته وإمهاله.

وحي من جهة موآب:

لكن هل توجد في موآب أُذن صاغية لكلمة الرب؟ هل يوجد بين الموآبيين من يسمع هذا الوحي؟ إن الله الحنون يلقي بذار كلمته لكل أحد، ولكل أرض... وهو يعلم سابقًا نوعيات الأرض التي يلقي فيها بذار كلمته إن كانت طريقًا أو أرضًا محجرة أو بها أشواك أو أرضًا جيدة ولكن رغم كل هذا فهو يلقي بذاره... ولا يحرمها من كلمته لعلها تعطي ثمرًا... عجيب هو الرب إلهنا الذي لا ييأس من خلاص أحد... حقًا فتيلة مدخنة لا يطفي وقصبة مرضوضة لا يقصف وإن لم يكن من يسمع أو يصغي لكلمة الرب في موآب فإن الرب يتكلم إلى شعبه ومختاريه لكي يكون لهم عبرة بدينونة الخطية لكي يطمئنهم من جهة أخرى من نحو نهاية زمن الأشرار ولكي يثبّت إيمانهم من نحو مواعيده الصادقة والأمينة.

ومن ناحية أخرى فإن الرب لا يخفي أمرًا يصنعه إلاَّ ويرى عبيده الأنبياء (عاموس).

وكما قيل في التكوين عندما قُلبت سدوم: "هل أخفي عن عبدي إبراهيم ما أنا صانع" فالرب يعلن أسراره لخائفيه ويعلن مشيئته لأولاده من أجل المحبة التي أحبهم بها.

١. "وحيٌ من جهة موآب: إنه في ليلةٍ خَرِبَت عارُ مُوآبَ وهلَكَتْ. إنه في ليلةٍ خربت قِيرُ موآب وهَلَكَتْ".

عار وقير هما أفخر مدن موآب، وكلمة "عار" اسم سامي معناه (مدينة) وهى على مسافة ١٤ ميلاً جنوبي نهر أرنون...

"قير": اسم معناه (سور) (أو مدينة ذات سور).

هنا الذهن المتفتح يقف أمام كلمة في ليلة. فمن جهة فإن هذه المدن التي بنيت في سنين وبذل فيها الموآبيون كل مجهوداتهم ووضعوا فيها كل مهارتهم وجعلوها مدنًا لمسراتهم وتعييدهم... وضيعوا فيها سنين هذا مقدارها يُقال عنها إنها ليلة تخرب وتهلك.

نعم إن سراج الأشرار ينطفئ والشرير يعبر فلا يُعرف مكانه بعد وكأنه لم يكن.

أين هذه المدن؟ في ليله تخرب وتهلك فلا توجد، إن البيوت التي لم تؤسس على صخرة الدهور لا تستطيع أن تقف أمام الرياح ولكنها تسقط وسقوطها عظيم... هكذا سريعًا في ليلة.

ومن جهة أخرى فإن الليل يشير دائمًا إلى سلطان الظلمة وسواد الخطية وظلمة الموت. هكذا يكون هلاك الأشرار في ليلة إذ ليس لهم فجر وليس لهم شمس البر من نصيبهم، لذلك يفاجئهم ذلك اليوم كالمخاض للحبلى فلا ينجون. لهذا قيل عن أولاد الله إنهم ليسوا من ليل ولا من ظلمة بل جميعهم أبناء نور وأبناء نهار.

وقيل أيضًا لستم من ليل حتى يفاجئكم ذلك اليوم بغتة لذلك لنحرص أن نسلك في النور مادام لنا النور لئلا يدركنا الظلام.

٢. "إلى البيت وديبُون يصْعَدون إلى المُرتفَعَات للبُكاء. تُوَلول موآب على نَبو وعلى ميدَبَا . في كل رأس منها قَرعَةٌ كل لحيةٍ مجْزُوزَةٌ".

٣. "في أزقَّتها يأتَزرُونَ بمسح. على سطوحِها وفي ساحَاتها يُوَلول كل واحدٍ منها سيَّالاً بالبُكاء".

إن المرتفعات كانت هى مكان العبادة الوثنية وكانوا يبنون مذابح الآلهة على المرتفعات ويذبحون هناك على المرتفعات ويمارسون أعمال النجاسة التي كانت تعتبر من ضمن طقوس العبادات الوثنية...

وهنا في يوم العقاب عندما يفاجئهم الهلاك بغته يهربون إلى البيت (أي بيت الإله كموش) ويصعدون إلى المرتفعات حيث السارية المرتفعة وحيث تمثال الآلهة. وهناك يبكون لعلهم يجدون نجاة وخلاصًا، حينئذ يلجأون إلى كهنة الأوثان ذوي الرأس المقصوص الشعر مستديرًا بحسب طقس كهنة الوثن وذوي اللحى الطويلة ولكن أين الخلاص من كل هذه الأمور؟

بعيد هو الخلاص عن الخطاة الذين جعلوا رجاءهم في الكذب فلا البكاء أمام الصنم يجدي، كما حدث في أيام إيليا النبي حينما جمع أنبياء البعل بكامل عددهم ٨٥٠ وأمرهم أن يقدموا ذبيحة وكانوا يصرخون أمام البعل من الصباح إلى المساء

ويقطعون أنفسهم أمامه قائلين: يا بعل أجبنا فلم يكن مصغ لأن سامع الصلاة هو واحد وصانع الخلاص هو واحد الذي قيل عنه: "التفتوا إليه واخلصوا"، على هذا المنوال يكون جميع الذين جعلوا رجاءهم في غير المخلص يسوع المسيح لأنه ليس بأحد غيره الخلاص.

ماذا ينفع الصنم عندما تأتي الضيقة عقابًا للدينونة؟

إن الوثن صنعه الإنسان لأوقات سرور وملذات الجسد وسائر الانحرافات ولكن لصفة رسمية ليس فيها ملامة وتبكيت.

مثلما طلب بنو إسرائيل من هارون أن يصنع لهم عجلاً ذهبيًا لكي يأكلوا أمامه ويذبحوا ويزنوا ويعزلوا من آمالهم إله إسرائيل ووصاياه التي تقف حائلاً منيعًا ضد شهوات الجسد وضد الفساد والدنس.

ألا يوجد مثل هذا الصنم اليوم في قلوب كثيرة، الذي يدفع الإنسان إلى شهوات الجسد مع مبررات مرضية للضمير... صنم الطمع في العالم والمال والسعي وراء الشهوة والصيت والذهاب وراء الجسد في النجاسة والطمع... إنها أصنام كثيرًا ما يتعبد لها الناس ويوهمون أنفسهم أن إلههم الجديد هذا هو مصدر السعادة... ولكن يا للحزن الذي يصيب هذه النفوس في وقت الدينونة ويا لخيبة الأمل عندما يرون كل هذه المسرات تتحطم في لحظة من الزمان...

أما كهنة الأوثان الذين اختبأوا وراء المظهر الكاذب من شعر الرأس وشعر اللحية والثياب فياللعار الذي يلحقهم حينما تصير على كل رأس قرعة وكل لحية مجزوزة سيصيرون في خزي عظيم لهم ولجميع الناظرين إليهم الذين وضعوا رجاءهم عليهم...

في أزقَّتها يأتَزِرُونَ بمسح. على سطوحها وفي ساحَاتها يُوَلول كل واحد منها سيَّالاً بالبُكاء.

لا فرق بين من في الأرض أي الفقراء والضعفاء والمطمورين ولا من هم في الساحة الظاهرين والمعتبرين. ولكن الغضب سيشمل الجميع بلا استثناء...

كل واحدٍ منها سيالاً بالبكاء.. أي بكاؤهم كالسيل شديد وجارف... ولكن أي بكاء إنه بكاء بعد فوات الأوان... مثل بكاء عيسو الذي طلب التوبة ولم يجدها رغم أنه طلبها بدموع. إن دموع التوبة هى وحدها تستطيع أن تنجي من دموع الدينونة.

٤. "وتَصرُخُ حَشْبُون وألعَالةُ. يُسمَع صوتهما إلى ياهَصَ. لذلك يَصْرُخ متَسَلِّحُو موآب. نفسُها ترتَعِدُ فيها.

٥. يصرُخ قلبي من أجل موآب. الهاربينَ منها إلى صُوغَر كعِجلَةٍ ثُلاثية، لأنهم يصعَدون في عَقَبَةِ اللُّوحِيث بالبكاء، لأنهم في طريق حُورُونايم يرفعون صُراخ الانكسار".

يتميز هرب الموآبيين هذا بالصراخ الشديد حتى إنه يسمع صوتهم من مدينة في مدينة أخرى... ولك أن تتخيل مدى شدة الصراخ... ولكنه صراخ آلام.. صراخ انكسار مملوء مرارة وقسوة.

هناك وقت يصرخ فيه الإنسان بالتوبة فيستجاب له. الصديقون صرخوا والرب استجاب لهم ومن جميع مخاوفهم نجاهم.. هناك صراخ الصديقين وتنهد البائسين الذي من أجله يقوم الله ويصنع الخلاص علانية هناك صراخ يسمعه الله لأنه من قلوب محبة لله ولها دالة عنده.

أما صراخ الأشرار في يوم دينونتهم فلا يلتفت إليه حينئذ تنوح كل قبائل الأرض.

هذا وقت دينونة ومكان الصراخ والعويل إلى أبد الدهر لأن هناك البكاء ورعدة الأسنان.

وهم يهربون من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى أخرى لعلهم يجدون نجاة لأنفسهم ولكن إلى أين الهرب؟ وكيف يفلتون من الدينونة؟

قيل عن اليوم الأخير: "يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا" ولكن لا يحدث هكذا، لا هروب من الدينونة بل يد الله ستلحق بالأشرار أينما كانوا.

هل استطاع أحد أن يهرب من الطوفان حينما حدثت دينونة الفجار في أيام نوح؟

هل استطاع أحد أن يهرب من النار التي باغتت سدوم وعمورة حينما حكم الرب عليها بالحرق في أيام لوط؟

وهكذا لا يستطيع أن يهرب أحد من الدينونة حينما يأتي زمان دينونة الخطاة وهلاك الناس الأشرار.

٦. "لأن مياه نِمْريمَ تَصير خربَةً، لأن العُشب يَبس. الكَلأُ فَنِيَ. الخُضرة لا توجَدُ.

٧. لذلك الثروة التي اكتسَبوها وذخائرهم يحمِلُونها إلى عبر وادي الصَّفصافِ.

٨. لأن الصُّراخ قد أحَاطَ بتُخُوم موآب. إلى أجلايمَ ولولَتُها. وإلى بئر إيلِيمَ ولولَتُها.

٩. لأن مياه ديمُون تمتلئ دمًا، لأني أجعَل على ديمُون زوائِدَ. على النَّاجينَ من مُوآبَ أسدًا وعلى بقيّة الأرض".

المياه تصير خربة والعشب يبس، الكلأ يفنى – الخضرة لا توجد. هذه مظاهر الخراب التي تصيب بلاد موآب فإن كانت الدينونة تنصب على البشر الخطاة الذين استجلبوا الغضب بسوء أفعالهم فليكن معلومًا إن ظل الخطية وخرابها يقع على كل شيء حتى الأمور المادية التي لا تعقل فإنها تقاسي هى أيضًا من جراء خطية الإنسان.

تأمل كيف دخل الموت قديمًا إلى العالم وكيف صار العالم كله تحت سلطان الظلمة وكيف أن الخليقة كلها صارت تئن وتتمخض معًا.

آه لو علم الإنسان أن خطيئته سوف تضرم بالنار الدائرة التي حوله بمن فيها ومما فيها.

إن هذه الأمور يهبها الله صانع الخيرات على الإنسان في أرض غربته. فهو يعطيه الماء والعشب والكلأ والخضرة لخدمة البشر، ولكن كثيرًا ما تمنع خطايا الإنسان الخيرات الزمنية أيضًا مثلما حدث مرات كثيرة في التاريخ القديم فقد أغلقت السماء ثلاث سنين وستة أشهر في أيام إيليا النبي بسبب خطايا أخاب الملك وإيزابيل

امرأته وانتشار عبادة البعل في ذلك الزمان... كما حدثت مجاعات مرات كثيرة بسبب كثرة الخطايا والزيغان عن الرب الإله.

ويكفي أن نتأمل البركات الواردة في (تث ٢٨)، إذا سمع الشعب لصوت الرب وحرص على العمل بوصاياه.

ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه تأتي عليك جميع اللعنات... ملعونًا تكون في المدينة وملعونًا تكون في الحقل.. ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك.. وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاسًا والأرض التي تحتك حديدًا ويجعل الرب مطر أرضك نادرًا وهكذا يكمل الحديث عن الضربات التي تصيب الأرض لا تزرع ولا تنبت ولا تطلع فيها عشب ما كانقلاب سدوم وعمورة (تث ٢٩).

على أننا نلفت الذهن إلى إنه إن كانت هذه هى نتائج الخطايا وعقوبتها في العهد القديم حيث كانت تصيب الإنسان في صميم جسده الأمراض والأوبئة والسيف والجوع والسبي والرعب والموت إلى آخر هذه الأمور وهكذا الأرض يقع عليها ظل الخطية أيضًا من بوار وجفاف وقفر وخراب... فإن هذه الأمور هى ظل الحقيقة التي تكون عليها النفس حينما تترك الله وتبعد عن إله خلاصها فيصيبها موت الخطية وغضب الدينونة ولكن في صميم الكيان الروحي الداخلي حيث تصير النفس خربة وخاوية وتصبح في جفاف وقفر من كل سلام وقداسة وفرح ومحبة ونعمة...

فإن كانت الأمور الأولى مخيفة للجسديين إذ تنهي على رجائهم فكم تكون الأخيرة مفزعة للروحيين الذين يجب أن يكونوا في كل تقوى وعفاف ويعيشون كما يحق للدعوة التي دعوا إليها ليفوزوا بالميراث السعيد والملكوت المعد لهم قبل إنشاء العالم.

الأصحاح السادس عشر

١. "أرسِلوا خِرفانَ حاكِمِ الأرض من سَالِعَ نحو البرية إلى جبل ابنَةِ صهيون.
٢. ويحدُث أنه كطائر تائِهٍ، كفرَاخ مُنفَّرَةٍ تكون بنات موآب في مَعَابر أرنونَ".

بعد أن تنبأ إشعياء النبي من نحو بلاد موآب من جهة الخراب الذي يحل بها والعقاب الذي ستكابده يعود فيقول لأهل موآب الباقين والناجين من السيف... أرسلوا الجزية لحاكم الأرض هناك في جبل ابنة صهيون.. ويصف بنات موآب كطائر تائه وكفراخ منفَّرة.

كطائر تائه... كفراخ منفَّرة...

أين هذا المنظر المفزع من أولاد الله الذين يتمتعون بالرب ويستظلون بظل جناحية... إن احتماء أولاد الله تحت صليب ربنا يسوع المسيح هو وحده الذي يحميهم من هذا الفزع وهذا الصياح... لقد عرض الرب نفسه على أورشليم قائلاً: "كم مرة أردت أن أجمع أولادكِ كما يجمع الطائر فراخه تحت جناحية ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا".

إذًا الخراب والبوار هو نصيب أولئك الذين لم يتمتعوا بالرب ليحتموا تحت ظل جناحيه.

٣. "هاتي مشُورةً، اصنعي إنصافًا، اجعلي ظلَّكِ كالليل في وسَط الظهيرة، استُري المَطرُودينَ، لا تُظهري الهاربينَ.
٤. ليتغرَّب عندَكِ مطرُودو مُوآب. كُوني سترًا لهم من وجه المُخرِّب، لأن الظالم يَبيدُ، وينتهي الخرَاب، ويفنَى عن الأرض الدَّائِسُونَ.
٥. فيُثبَّت الكرسي بالرَّحمَةِ، ويجلِسُ عليه بالأمانة في خيمَةِ داود قاض، ويطلُبُ الحقّ ويُبادِرُ بالعَدل.

هنا يرسم الوحي الإلهي أيقونة النجاة لكل شعوب الأرض ويفتح أمامهم باب الرجاء للَّهروب من مظالم الأرض وللالتجاء للرحمة الإلهية.

خيمة داود:

لكن الوحي هنا يشير بالأصبع إلى خيمة داود ويظهرها مكانًا للنجاة والحياة بحسب النبوات وهى أن الله سيرجع ويبني خيمة داود الساقطة ويقيم ردمها. ويوجه الوحي النظر إلى كرسي مملكة داود لكي يطلب الذين يريدون النجاة المخلص ابن داود الذي يجلس على كرسي داود أبيه ولا يكون لملكه نهاية كبشارة جبرائيل الملاك وحينما يركز الوحي الإلهي النظر حول خيمة داود الجديدة (الكنيسة) والجالس على كرسي ملكه "يسوع المسيح ابن داود حسب الجسد" يؤكد الوحي زوال الظالم المتغطرس ونهاية سلطان الظلم وزمن الخطية ونهاية المخرب وفناء دائسي الأرض. وليس أمام بني موآب وبنات موآب والذين مثلهم سوى الهروب إلى خيمة داود لكي ينعموا بالحق والعدل والرحمة التي هو قوام كرسيه كقول داود في المزمور: "العدل والحق قوام كرسيه" على هذا تكون هذه بشارة للغنم المطروحة في كل زمان ومكان ولا راعي لها.

وللفراخ المنفَّرة التي تفتقر إلى ظل الجناحين والدفء والحماية والرعاية الإلهية وللنفوس المشتتة والتائهة والمطروحة من قسوة الظالم ومهلك النفوس روح الظلمة... لقد أقام الرب خيمة داود في جبل ابنة صهيون أورشليم الجديدة وفتح أحضانه للموآبيين لكي يطلب الباقون من الناس الرب وليحتموا في ظل جناحيه ويخلصوا.

٦. "قد سَمِعنا بكبرياءِ موآبَ المُتَكبِّرة جدًا عظمتِها وكبريائِها وصَلَفِها بُطل افتخارها.

٧. لذلك تُوَلْول موآبُ. على مُوآبَ كلها يوَلْولُ. تئِنُّون على أُسُس قِيرَ حَارسة، إنما هى مضرُوبَةٌ.

٨. لأن حُقول حَشْبون ذَبُلَت. كرْمَةُ سِبْمَةَ كسَّر أُمراء الأمم أفضَلَها.

وصَلَت إلى يَعْزيرَ. تاهَت في البرية، امتدَّت أغصَانُها، عَبَرَت البَحر".

الكبرياء أصل الداء:

أصل الداء الكبرياء إن كان في الشعوب أم في الفرد الواحد لقد تكبرت موآب ولقد ازهرت عصا كبريائها حتى سُمعت أخبار كبريائها فيما حولها وحتى قال الوحي إنها متكبرة جدًا ولا يوجد شفاء من الكبرياء إلاَّ الانكسار والسحق لذلك فإن المسيح المبارك عندما أراد أن يشفي كبرياء الإنسان اتضع حتى المذود والصليب والقبر وهكذا يرسم طريق الخلاص أمام أمراض موآب الكبرياء والعظمة والصلف والافتخار الباطل هذه كلها ستتحطم حتى لا تعود تذكر ويكون بدل الكبرياء المذلة وبدل صوت الافتخار نحيب وأنين وبدل عظمة القلب انكسار النفس.

فالأفعال المضادة للكبرياء التي تقرأها في هذه الآيات هى في الواقع أسلحة شفاء لمن يريد شفاء وهى دينونة للذين يسلكون طريق موآب إلى النهاية.

تولول... تئن – يكسر أفضلها – أنزع الفرح... هذه الأفعال هى حكم ودينونة للكبرياء والصلف أليس مكتوب "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح".

أما الذين يمارسون أفعال الاتضاع والمسكنة والانكسار ومذلة النفس هنا فلا يقعون تحت الدينونة ولا يكابدون مثل هذه لأن الذين يزرعون بالدموع هنا يحصدون بالابتهاج هناك... إن الذين يقبلون أن يكونوا مطرودين مكروبين مُذلين... الذين هربوا من الكرامة والافتخار الباطل والكبرياء القاتل. هؤلاء ستكون نهايتهم حياة أبدية وفرح وسيبدل الرب أحزانهم في هذا العالم إلى مجد... ويعطيهم بدل ثياب المسكنة روح الفرح يلبسونه إلى أبد الدهر... ويمسح الله كل دمعة من عيونهم.

ولكن ما معنى تكرار هذه الأوجاع وتردد ذكرها بعد أن فتح الرب باب الرجاء وطريق النجاة في مظلة داود وفي جبل ابنة صهيون لتكون سترًا من وجه المخرب وملجأ ومخبأ من الهلاك... الواقع إن الكبرياء هى التي ترفض الصليب ولا تقبل المذود ولا ترضى بالمسيح طريقًا لأنه طريق الاتضاع الكامل... لذلك فإن الكبرياء تسد أمام الإنسان طريق الخلاص...

وموآب ماضية في كبريائها وعظمتها الكاذبة فلا سبيل لها سوى الانكسار والويل.

٩. "لـذلك أبكـي بُكـاء يَعزيـرَ علـى كَرمَـة سِـبْمَةَ. أُرويكُمـا بـدُمُوعي يـا حَشْـبُون وألعَالـَةُ، لأنـه علـى قِطَافِـكِ وعلـى حصـادكِ قـد وقَعَـتْ جَلَبَةٌ.

١٠. وانتُـزع الفَـرحُ والابتهَـاجُ مـن البُسـتان، ولا يُغَنـَّى في الكُـروم ولا يُتَرنـَّم، ولا يَدُوسُ دائِسٌ خَمرًا في المَعاصِر. أبطَلْـتُ الهُتاف.

١١. "لـذلك تـرنُّ أحشـائي كعـودٍ مـن أجـل مُـوآب وبطـني مـن أجـل قِيرَ حَارسَ".

إن الحصاد وجني الثمار كانا دائمًا مصدر الفرح والبهجة في حياة الشعوب القديمة، فكل أيام السنة كانت تحسب لا شيء أمام أيام الحصاد وجمع المحاصيل إلى المخازن من قمح وشعير، ثم جني الثمر زيتون وعنب وتين... وكانت تتبع الحصاد دائمًا أعمال العصير للحصول على الزيت والخمر للبهجة وفرح القلب... وكانت ترتبط أيام الحصاد بالأفراح والزيجات والاحتفالات وتقديم القرابين والعبادات... ولكن موآب كرّس حصاد سنين كثيرة للكبرياء فكثرة المحاصيل زادته غرورًا ووفرة الغلات تحولت إلى افتخار باطل مثل الغني الغبي... وتحولت أفراح الحصاد كلها لتخدم شهوات القلب المنحرفة والرغبات المريضة وعبادة كموش الوثن البغيض...

فماذا كان ينتظر موآب بعد ذلك؟

تتحول أفراح الحصاد إلى بكاء ونوح... بل يقول أرويكما بدموعي أي دموع غزيرة هذه؟!

يا ليت الكرمة والزيتون كذبت ولم تعط ثمرًا إذًا لكان الأمر محتملاً... ولكنهما ثمرًا وجاء وقت الحصاد والشجر محمل بثمر كثير وهنا امتدت يد العقاب والدينونة لتزيد موآب حزنًا على حزن وتحول الأيام المتوقعة الفرح إلى مناحة عظيمة تمامًا كما قال الرب عن الإنسان الذي هو غنى لنفسه وليس غنيًا لله... فعندما أثمرت كورة هذا الغني بكبرياء القلب قال: "يا نفسي استريحي وكلي واشبعي لأن لكِ خيرات كثيرة لسنين عديدة"... فجاء الصوت: "يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك والذي أعددته

لمن يكون".

أما أولاد الله فيقولون: "ليس أحد ما يعيش لذاته لأننا إن عشنا فللرب نعيش..." فيأتي الصوت: "ادخل إلى فرح سيدك".

١٢. "ويكون إذا ظَهَرت، إذا تَعِبَت موآب على المُرتَفَعة ودَخَلَتْ إلى مَقدسِها تُصلِّي، أنها لا تَفُوز".

ترى أمام من ظهرت موآب وأمام من تسكب شكواها من تعبها؟ وعلى أي جبل مرتفع صعدت؟ وأي مقدس هذا الذي تصلي فيه؟

من أجل إنها في ضيقها التجأت إلى الصنم ولم تلتفت إلى الرب إله إسرائيل المخلص فإنها لا تفوز... لتعلم موآب أنه ليس بأحد غيره الخلاص. وأنه قد كثرت أمراضهم الذين أسرعوا وراء إله آخر وأنه ليس إله أخر ينجي هكذا (دا ٣) وأنه ليس اسم آخر تحت السماء أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص إلاَّ اسم يسوع المسيح.

مرتفعات الشر:

ومن أجل أنها ارتفعت على مرتفعات الشر والدنس فإنها تنخفض ولا تفوز برحمة ولا غفران... والأجدر بها أنها كانت تصعد إلى جبل ابنة صهيون وتدخل إلى مقدس الله الحقيقي ولا تخدع نفسها إنها دخلت إلى مقدسها وموضع صلاتها وتقدمتها... فلتعلم موآب أنه ليس بمقدس ولا هي صلاة هذه التي ترفعها... ولا تصل أنّاتها إلى أذني رب الجنود.

يا لعز الأبرار الذين صرخوا إلى الرب والرب استجابهم... ويا لنعيمهم حينما استغاثوا به في ضيقهم فوجدوه "إن طلبتموه يوجد لكم تدعو فيستجيب الرب تستغيث فيقول هأنذا...".

حقًا يخزي جميع المتكلين على صنعة الأيادي أما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخيرات بل في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته يخلصهم.

١٣. "هذا هو الكلام الذي كلَّم به الرب مُوآب منذ زمَان.

١٤. والآن تكلَّم الرب قائلاً: في ثلاث سنين كَسِنِي الأجِير يُهانُ مجد موآب بكل الجمهور العظيم، وتكون البقيَّة قليلةً صغيرةً لا كبيرةً".

يبدو أن إشعياء النبي نطق بهذه النبوات نحو بلاد موآب منذ زمن كثير ويبدو أيضًا أن إنذارات الرب قد تكررت كثيرًا منذ وقت ليس بقريب... ولكن لم يحدث شيء ولم يتغير أمر من الأمور وقد كان أهل موآب من الذين كتب عنهم القديس بطرس الرسول في رسالته الثانية إنهم مستهزئون وسالكون بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باق هكذا من بدء الخليقة... ولكن القديس بطرس يقول إن هذا يخفي عليهم بإرادتهم وحدهم إذ هم مظلمو الفكر متجنبون عن معرفة الحق.... ثم يكمل قائلاً: لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء إن يهلك أناس بل يقبل الجميع إلى التوبة... وهى إذًا أناة الله التي كانت تنتظر قديمًا في أيام نوح حين كان الفلك يبنى وهى التي انتظرت على سدوم... وهو إمهال الله الذي كتب عنه القديس بولس الرسول ألا يستهن أحد بإمهال الله ولطفه وطول أناته غير عالم أن لطف الله يقتادك إلى التوبة.

الدينونة:

لكن موآب مضى في قساوة قلبه غير التائب غير مكترث بإنذارات الله فعاد إشعياء النبي ينطق بنبواته على موآب ولكنه هذه المرة حدد زمانًا لقساة القلوب والرقاب قائلاً: إنه في **ثلاث سنين كسني الأجير** وهنا يقصد الوحي الإلهي ألا يزيد يومًا واحدًا عن الميعاد المحدد للدينونة والقضاء...

لن يتباطأ الرب وكما أن الأجير يُسر بانتهاء يومه لكي يستريح ولا يتعدى ميعاده ولو بساعة واحدة هكذا يكون قضاء موآب في وقته المحدد من قبل الرب.

ويكن مما يدعو للعجب من تدابير الله إنه في هذا الكلام أيضًا يعطي مهلة ثلاث سنوات لعلهم يتوبون ويندمون ويرجعون عن خطاياهم...

مثلما قال الرب بفم يونان: "بعد أربعين يومًا تنقلب نينوى" ولم يكرز يونان في المدينة سوى مسيرة يوم واحد حتى تاب الجميع ورجع كل واحد عن طريقه الردية وعن الشر الذي في أيديهم فندم الرب عن الشر ورجع عن حمو غضبه.

لطف الله وإمهاله:

يا لغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته، ليكن لنا في أناة الله سبب خلاص ونجاة من الغضب والدينونة "احسبوا أناة ربنا خلاصًا".

أخيرًا يندهش الإنسان من معاملات الله حيث يقول الرب إنه سيبقي بقية قليلة لا كثيرة... حتى وإن سكب حمو غضبه لكنه يبقي بقية شهادة لنفسه... ألم تثبت راعوث الموآبية قديمًا إنها جاءت من أرض موآب لتحتمي تحت ظل جناحي إله إسرائيل... لذلك ينظر الله إلى أمثال راعوث في موآب ليخلصهم ويضمهم إلى شعبه ومختاريه في كل زمان وفي كل مكان.

الأصحاح السابع عشر

١. "وحيٌ من جهَة دمَشقُ: هوذا دمَشقُ تُزال من بين المُدن وتكون رُجمة رَدم".

ليس من بين مدن الشرق مدينة يتحدث عنها التاريخ القديم أنها هدمت وأعيد بناؤها عدة مرات مثل دمشق.

وهذا ما يذكره مؤرخون كثيرون... لقد هدمت دمشق في سنوات متقاربة مرتين ما بين ٨٤٣ قبل الميلاد عندما هاجمها شلمناصر وهزم حزائيل ملكها.

ومرة أخرى عندما تحالف رصين ملك آرام (دمشق) وفتح بن رمليا ملك إسرائيل ضد يهوذا فاستنجد آخاب ملك يهوذا بتغلث فلاسر ملك أشور (٧٣٢ ق.م) فجاء وهدم دمشق للمرة الثانية بقسوة وقَتل رصين ملكها وقاد أهلها إلى السبي (٢ مل ١٦: ٥-٩؛ إش ٧: ٨؛ عا ١: ٥).

وهكذا أيضًا بعد الأشوريين هاجمها الكلدانيون ثم الفرس واليونانيون والمقدونيون.

هكذا تحقق هذا الوحي من جهة دمشق في هدمها وتحوِّلها إلى رجمة ردم.

٢. "مدن عَرُوعِير متروكَةٌ. تكون للقُطعان، فتربضُ وليس من يُخِيفُ.

٣. ويزول الحِصْن من أفرَايم والمُلك من دمَشق وبقيَّة أرام. فتصير كمَجْد بني إسرائيل، يقول رب الجنود".

اقتران اسم دمشق وأرام:

إننا هنا نجد اسم دمشق وأرام مقترنًا بإسرائيل وأفرايم في الهوان ووقوعهما تحت الدينونة ووصولهم إلى المذلة والخراب ولو تتبعنا التاريخ المقدس لوجدنا من القديم أن لعازر الدمشقي كان خادمًا لإبراهيم أبي الآباء وهو الموكّل على كل بيته... وهو الذي أرسله ليخطب امرأة لابنه إسحق...

لوجدنا أن نعمان السرياني في أيام أليشع جاء إلى إسرائيل وحصل على نعمة لم يحصل عليها أحد سواه... حتى أن رب المجد يسوع قال: إن برصًا كثيرين كانوا في أيام أليشع ولم يبرأ أحد سوى نعمان السرياني وقد تحالف ملك أرام مع ملك إسرائيل

آخاب في الشر وفي الخطايا والمؤامرة.

وفي الإنجيل المقدس ذُكرت المرأة الكنعانية وهى سورية كما حصل كثيرون من نواحي دمشق على الخلاص.

وبالقرب من دمشق ظهر الرب لشاول الطرسوسي.

ودعي التلاميذ مسيحيين أولاً في دمشق.

وهكذا كما أهان الزمان الأول هذه المناطق والبلاد... وكما عمَّها الخراب والدمار كأثر لسلطان الخطية وملكوت إبليس... فإن إشراق الإنجيل جعل اسم دمشق يقترن بإسرائيل الجديد وصار مختارو الله من كل أمة تحت السماء. وكما هُدمت دمشق وصارت رجمة وردمة بسبب الخطية لأنها كانت مبنية على الرمل "السطحيات وبُطل وزيف هذا العالم وتراب الجسد بلا أساس".. هكذا صار من دمشق حجارة حية مبنية على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية... بناء روحي لا يهدم ولا يقلع إلى أبد الدهور.

٤. "ويكون في ذلك اليوم أن مَجْد يعقوب يُذَلُّ، وسَمَانة لحْمِهِ تَهزُل".

٥. "ويكون كجَمْع الحصَّادين الزَّرعَ، وذرَاعُهُ تحصِدُ السَّنابلَ، ويكون كَمَن يلقُطُ سنابل في وادي رفايم".

٦. "وتبقى فيه خُصَاصَةٌ كَنَفْض زيتونَةٍ، حبَّتان أو ثلاثٌ في رأس الفَرع، وأربَعٌ أو خمسٌ في أفنان المُثمِرَةِ، يقول الرب إله إسرائيل".

هل تبقى لإسرائيل بقية.

عندما يأتي وقت الحصاد... وقد عاش إسرائيل يزرع للجسد ويجاري أهل العالم ويتحالف مع الوثنيين ويبني مرتفعات للأوثان ويذبح لها... إلى آخر هذه الأمور... عندما يأتي وقت الحصاد فهل تبقى لإسرائيل بقية؟ من مراحم الرب فقط ومن عمل نعمته أنه أبقى بقية ليعقوب يقول: "**أن مجده يُذل وسمانة لحمه تهزل ولكنه لا يفنى ولا يهلك إلى الأبد**" بل سيوجد فيه قلة وبقية لله شاهدة لعمل نعمته.

وإن كانت القلة قليلة جدًا ولكن وجودها بركة للأرض كلها... ويمثلها الرب في

النبوات كحبات الزيتون وكثمرات قليلة من الزرع وهى من القلة بحيث يمكن حصرها بأقل من أصابع اليد الواحدة.

وقد كان كذلك عند مجيء الرب يسوع إلى العالم.. قليلون هم الذين انتظروه وأدركوا مراحمه... سمعان الشيخ - حنة النبية – زكريا الكاهن – أليصابات – نيقوديموس – يوسف الرامي... كانوا نفوسًا قليلة كحبات في الزيتونة الأصلية وهى تكاد تكون قد جفت وأغصانها على وشك أن تقطع وقد وُضعت الفأس على أصل الشجرة في ساعة الحصاد... وقد جاء الرب ينقي بيدره ورفشه في يده في مجيئه...

٧. "في ذلك اليوم يلتَفِتُ الإنسان إلى صانِعِهِ وتنظُر عيناه إلى قدُّوس إسرائيل.

٨. ولا يلتَفِتُ إلى المذَابح صنعَةِ يَديهِ، ولا ينظُر إلى ما صَنعَتهُ أصابعُهُ: السَّواري والشَّمسَات.

٩. في ذلك اليوم تَصير مُدُنهُ الحصِينَةُ كالرَّدم في الغاب، والشوامِخُ التي تركُوها من وجهِ بني إسرائيل فصارت خَرابًا".

وفي اليوم الذي يمد الرب يده ليقتني ميراثه... في يوم الافتقاد حينما افتقدنا مشرقًا من العلاء... يُقال إن في هذا اليوم يلتفت الإنسان إلى صانعه فيجده مخلصًا وفاديًا نفوس عبيده. وفي ذلك اليوم يُقال: "التفتوا إليه واخلصوا يا جميع الأمم" – الرب المتجسد وحده هو الذي يجذب النظر – أما مذابح صنعة اليد والسواري والشمسات والمدن الحصينة والشوامخ فتسقط في نظر الإنسان لأن الرب سيحول قلوبهم رجوعًا إلى شخصه وفي بهاء مجده تذوب هذه الأمور البالية، وفي بهاء مجد تواضعه تنخفس الشوامخ، وأمام مذوده تندك عروش الملوك. وأمام صليبه تنهار حصون الخطية وكل عبادة الأوثان المرذولة السواري والشمسات حقًا ما لم يشرق الرب على قلب الإنسان فإن الظلمة تظل تملك بسلطانها بأساليب مختلفة وطرق متنوعة.

١٠. "لأنكِ نَسيتِ إلهَ خلاصِكِ ولم تذكري صخرةَ حِصنك، لذلك تَغرسين أغراسًا نزهَةً وتنصبينَ نصبَةً غريبَةً.

١١. يــوم غَرسِــك تُسَــيِّجينها، وفي الصــباح تجعَلــين زرعَــك يُزهِــرُ. ولكــن يَهرُب الحَصِيدُ في يوم الضّربَة المُهلِكَة والكآبة العديمة الرجاء".

هنا يعود الوحي يبكت مملكة إسرائيل ويذكرها بخطاياها ويركز على أنها نسيت الرب ولم تذكر صخرة حصنها.

يـا للخسـارة الجسـيمة والضـرر البـالغ الـذي يلحـق بهـا عنـدما تنسـى الـرب ولا تذكره إنه صخرها وحصنها الحصين الذي تركض إليه وتتمنع فيه.

إن الرب القدوس أكد لها مرارًا أنه لا ينساها... حتى إن نسيت الأم الرضيع هو لا ينساها... وقد قال لها على كفي نقشتك، أسوارك أمامي دائمًا (إش ٤٩) وقد أقام على أسوار أورشليم حراسًا لا يسكتون كل النهار وكل الليل.

فما بالها تنسى إلهها؟!

إن طبع الإنسان هو النسيان... نسيت بعل صباها... نسيت عزها الأبدي الذي صـنع معهـا إحسـانات لا تُحصـى... نسـيت أنـه أحبهـا فضـلاً وقـد كانـت عريانـة وعارية... نسيت إنه أخرجها من كور الحديد وبذراع رفيعة ويد شديدة...

ولكن كيف يكون هذا؟

لقد انشغلت عنه بذاتها واتكلت على جمالها... وانشغلت بقوتها وقالت ذراعي خلصت لـي وانشـغلت بآلهـة أخرى وقالـت هذه آلهتك يـا إسرائيل التـي أخرجتك مـن أرض مصر.

فماذا تكون النتيجة؟

إنها تزرع للريح وتجمع للعواصف...

إن زرعها يكون كالمزروع في الأماكن المحجرة الذي ينمو سريعًا ولكن ليس لـه عمق أرض بل قساوة حجر فحينما تطلع عليه الشمس تيبس أو إن زرعها يكون مثل عشب السطوح الذي ييبس قبل أن يقطع الذي لم يملأ الحاصد منه يده ولا الذي يجمع الغمور حضنه.

هـذه هـى أجـرة الـذين نسـوا الـرب وجعلـوه وراء ظهـورهم وحولـوا لـه القفـا لا الوجه وأعطوه كتفا معاندة وعزلوا من وسطهم قدوس إسرائيل.

١٢. "آه! ضَـجيج شـعوب كـثيرة تَضِـجُّ كضَـجيج البحـر، وهـدير قبائـلَ تَهدِرُ كهَدير مياهٍ غزيرةٍ.
١٣. قبائـل تهـدِرُ كهَـدِير ميـاهٍ كـثيرةٍ. ولكنـه ينتَهرُهـا فتَهـرُب بعيـدًا، وتُطرَدُ كعُصَافَةِ الجبَال أمـام الـرِّيح، وكالجُـلِّ أمـام الزَّوبَعَـةِ.
١٤. في وقـت المسـاء إذا رُعـبٌ. قبـل الصـبح ليسُـوا هـم. هـذا نصـيب ناهبينا وحظُّ سالبينا".

هذا الفصل الأخير من الأصحاح يعيد إلى ذهننا ثانيًا ما ذكر في (ص ٨: ٥-١٠). من أن عصا التأديب بعد أن تكون قد أكملت القصد من وجودها في العقاب فإنها هى نفسها تنكسر إذ تكون قد انتخرت على الضارب بها.

هذه القبائل رغم كثرتها وقوة صوتها قدومها كهدير المياه وتأتي بضجيج هائل إلاَّ أن الرب ينتهرها كما بنفخة فمه فتهرب وتصير كالعصافة في مهب الريح ألم يقل المزمور عن الأشرار هذا التعبير بعينه: "كالعصافة التي تذريها الرياح عن وجه الأرض"...

لأن الشرير يهرب ولا طارد... وينزلقون وملاك الرب يزعجهم... مثلما فعل الرب بجيش سنحاريب حينما قتل ملاك الرب ١٨٥ ألف جندي في ليلة واحدة وكما حدث في القديم في يوم الخلاص الذي صنعه الرب بيد جدعون من يد المديانيين.

والملاحظ أن هلاك الأشرار يأتي سريعًا جدًا ما بين المساء والصباح ففي مسائهم رعبة الموت ومخاوف الحياة الحافلة بالشر تأتي كلها في ليلة واحدة. وفي الصباح أي في النور أمام وجه الله لا يوجدوا... لأن طبيعة روح الظلمة لا يقوى على الوجود في النور... في النور تهرب قوات الظلمة حقًا إن النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه...

هذا هو الخلاص... ليس من قوات جيش مادي ولكن من أجناد الشر الروحية في السماويات... وكسر سلطان الظلمة بالمسيح يسوع حينما أشرق جسديًا من

العذراء... لذلك فالأرواح النجسة حين رأته هربت وهى تصرخ من الخوف وصارت كالعصافة أمام الريح وكالجل أمام الزوبعة.

على إننا لابد أن ننبه الذهن أن هذا الخلاص وما يصيب السالبين والناهبين من هلاك وانكسار، كل هذا لا يحدث بقوة بشرية ولا عتاد مادي لأن الرب لا يُسرّ بقوة الفرس ولا بساقي الرجل، بل يُسرّ الرب بخائفيه والراجين رحمته.

هذا الخلاص يصنعه الله بذاته، بذراعه القوية ويمينه المعتزة هو يدافع عن ميراثه وشعبه المقتنى، وكما يقول للشعب بفم موسى عبده: "قفوا وانظروا خلاص الرب، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".

الأصحاح الثامن عشر

١. "يا أرض حَفِيف الأجْنحة التي في عبر أنهار كوشَ.
٢. المُرسُلة رُسلاً في البحر وفي قَوارب من البرديِّ على وجه المياه. اذهبوا أيها الرسل السَّريعُون إلى أُمَّةٍ طويلةٍ وجرداءَ، إلى شعب مخوفٍ منذ كان فصاعدًا، أُمَّة قوة وشِدَّةٍ ودَوس، قد خَرَقَتِ الأنهار أرْضَها".

أرض حفيف الأجنحة:

هذه النبوات تخص بلاد الحبشة (كوش)، هنا يسميها الوحي أرض حفيف الأجنحة مشيرًا بهذا إلى السلطان الإمبراطوري الذي كان يبسط جناحيه على الحبشة والمناطق المحيطة بها. وقد ذكر هذا التشبيه مرات كثيرة مثل ما قيل عن ملك آشور: "يكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل" (إش ٨ : ٨) وكذلك في نبوة حزقيال حيث شبه ملك آشور بنسر عظيم ذي منكبين عريضين.

علاقة الحبشة بإسرائيل في ذلك الزمان:

كان البعض في يهوذا يتطلع إلي أرض كوش كما إلى أرض مصر لطلب المعونة والالتجاء إلي قوتهم العسكرية عندما تحيط بهم جيوش الغرباء ويبدو أنه كانت هناك معاهدة بين يهوذا والحبشة، فعندما حاصر سنحاريب أورشليم بلغه أن "ترهاقة" ملك الحبشة تقدم بالهجوم عليه ليجذب انتباهه عن أورشليم.

الهدف من النبوة:

يكشف الوحي أمام عيون يهوذا ما هو عتيد أن يكون في أرض كوش الإمبراطورية العظيمة التي لها الأنهار تخترق أرضها، ورجالها معتزون بقوتهم وقد برعوا في عمليات التجسس في قوارب البردي واستطلاع مواقع الأعداء وتحركاتهم.

والنبوات تعلن زوال هذا المجد وانكسار هذا الذراع البشري الذي التجأ إليه بنو إسرائيل.

فالروح إذًا يسوق هذه النبوات لخزي الذين اتكلوا على ذراع البشر ولتحذيرهم من التمادي في الاتكال على قوة بشرية بقلة إيمانهم وفي نفس الوقت لتعزية التلاميذ الأمناء والمتكلين على الله (ص ٨) الذين رفضوا الالتجاء إلى غير مخلص إسرائيل القادر وحده على أن ينقذ ويفدي شعبه.

قوة كوش:

الذين تطلعوا إلى طلب المعونة من الحبشة كانوا مبهورين بإمكانيات كوش التي كانت تفتخر بها على الشعوب المحيطة وهى كما تظهر في الآيات:

١. أرض خرقت الأنهار أرضها:

فهى تفتخر على البلاد التي ليس فيها أنهار والتي تعيش على الأمطار وتخاف من الجفاف والقحط.

فلقلة الإيمان نسى البعض من شعب الله ما قاله الرب عن أرضهم "أرض يعتني بها الرب إلهك" وهو الذي يرسل المطر المبكر والمتأخر في حينه.

هذا نوع من الارتداد أصاب أصحاب البصيرة الضعيفة قليلي الإيمان الذين لا يرون سوى الماديات والملموسات.

٢. شبان كوش وفرسانها الموصوفون بأنهم أمة قوية طويلة وقدرتهم على التجسس وخوض المخاطر.

وهذا ما دعا البعض من بني إسرائيل إلى الارتكان إليهم وطلب معونتهم. وهنا النبوات تؤكد على زوال أسباب القوة البشرية وانكسارها فإن كانت أرضهم قد خرقت الأنهار أرضها فسيدفعهم الله إلى يد ملك آشور، الذي هو أقوى منهم وهو أيضًا معتز بأن دجلة والفرات - أعظم الأنهار - تخترق أرضه.

وإن كان شبان كوش وفرسانها لهم شهرة وصيت في الحروب، فإنهم سيدفعون أسرى لمن هم أقوى منهم "شعب طويل وأجرد... أمة شدة ودوس".

وهكذا فليكن معلومًا للذين ينظرون إلى القوة البشرية ويعتدّون بها أنه فوق العالي عالي والأعلى فوقهما يلاحظ.

٣. "يا جميع سُكان المَسكُونةِ وقاطني الأرض، عندما ترتَفع الرَّاية على الجبال تنظرُونَ، وعندما يُضْرَب بالبوق تسمَعُون".

إن الإعلانات الإلهية المعلنة في الأصحاح السابق ولا سيما في الأعداد الأخيرة (١٢-١٤) والمختصة بانكسار الناهبين والسالبين لإسرائيل وهروبهم بنفخة الرب. وأنهم يكونون كالعصافة أمام الريح وكالجل أمام الزوبعة... أخبار الخلاص هذه وإعلانات عمل الله لابد أن يسمعها **سكان المسكونة وقاطني الأرض.**

وهذا ما حدث قديمًا في كل قصص الخلاص، فعندما انكسرت بكرات فرعون وغرقت فرسانه في البحر الأحمر، سبقت الأخبار وبلغت الشعوب كلها أن الرب يحارب عن شعبه فانحلت قوة ملوك الشر وأخذتهم الرعدة.

فمن المؤكد أن كلمة الرب وإنذاراته ومواعيده لابد أن تصل إلى أقصاء المسكونة، وبشارة الخلاص (الإنجيل) يجب أن تطرق أسماع الساكنين في أطراف الأرض.

لذلك يتكلم الوحي هنا ليس للبلاد المجاورة والملاصقة لإسرائيل مثل موآب ودمشق... بل إلى كل قاطني الأرض.

فلابد أن يسمع الجميع – وبهدوء عظيم – كيف أن هذا الجالس على كرسي مملكته في خيمة داود (انظر الأصحاح السابق) في جبل صهيون يلاحظ طرق الناس ويراقب خطواتهم، وأنه لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين.

عندما ترفع الراية، عندما يضرب بالبوق:

بالراية والبوق تُستعلَن الدينونة، فالرب يرفع الراية لشعب الانتقام ليأتي إلى أرض كوش، لأنه كمل زمان كبريائها. ويبوّق بالبوق كعلامة للبداية للجيش الذي سينفذ إرادته ويكمل قصده.

إن كان هكذا بالنسبة لدينونة شعب أو أمة واحدة، فكم يكون اليوم الأخير الذي رسمه الله للدينونة لجميع الشعوب، يوم أن تظهر راية الصليب (علامة ابن الإنسان) ويبوق ببوق الله وصوت رئيس الملائكة.

البوق:

توجد أبواق كثيرة تسبق البوق الأخير... أبواق رحمة وإعلانات الله الكثيرة – وأبواق إنذارات الله المتكررة ليوقظ الذين في غفلة متثقلين بالنوم. فأصوات الأنبياء وكرازة الرسل كلها كما قال الرب لإشعياء، ارفع صوتك كبوق... وأخبر شعبي بتعديهم ...

وقال الرب لحزقيال جعلتك رقيبًا لبني إسرائيل وجعل له بوقًا لكي يبوق فيه وهم إن سمعوا وإن امتنعوا.

الراية:

أما الراية التي يرفعها الرب في اليوم الأخير للدينونة فإنها هى راية الخلاص لأبناء الله ... **وعلامة الصليب.**

الذين احتموا تحت راية الصليب وقالوا: "علمه فوقي محبة" واحتموا تحت ظل جناحيه لا يخجلون في مجيئه ... والذين رفضوا رايته يقولون للجبال: "اسقطي علينا وللآكام غطينا".

٤. "لأنه هكذا قال لي الرب: إني أهدَأ وأنظر في مَسْكني كالحَرّ الصافي على البَقْل، كغَيم النَّدَى في حرّ الحَصَاد.

٥. فإنه قَبل الحَصَاد، عند تمام الزَّهر، وعندما يصير الزَّهر حِصْرمًا نضيجًا، يَقْطع القضْبان بالمَناجل، ويَنزعُ الأفنَان ويطْرَحُها.

٦. تترك معًا لجوَارح الجبال ولوحُوش الأرض، فتُصَيِّفُ عليها الجوارحُ، وتُشتِّي عليها جميع وحُوش الأرض".

إن الله في كثير من الأحيان يبدو وكأنه هادئ ساكن وكأنه لا يعبأ بأمورنا يترك الأمور والأحداث تسير في مجراها.... وقد يترك ملك أشور المتجبر يدمر ويهلك ويقترب من المدن... حتى إلى أبواب المدينة المقدسة أورشليم... ولا شيء يقف في وجهه... يترك الأشرار يتمادون في شرهم وكأنه لا يرى ولا يسمع ظلمهم وفجورهم...

في ذلك الوقت يصرخ الأبرار وكأنه لا منقذ... ولا مخلص... وكأن الله لا يبالي أننا نهلك...

ولكن هنا تعزية كبيرة للذين يدركون قصد الله ويعرفونه عن قرب... إنه يهدأ ولكنه ناظر من مسكنه ومطلع على كل الأمور وهو مدبر الخلاص في حينه... إنه لا يتباطأ ولكنه طويل الروح... إنه في وقته المناسب الذي حدده هو تجده يتدخل بيده الشديدة وذراعه الممدودة ليخلص عبيده الذين اتكلوا عليه. هذا هو رجاء منتظري الرب...

وهناك وقت حصاد للأبرار حينما ينقي بيدره ويجمع الحنطة المقدسة إلى المخازن العلوية ويجمع مختاريه... وأما التبن فيحرق بنار لا تطفأ هنا يقول إنه يطرح الأشرار عندما يأتي وقت دينونتهم جسديًا بطرح جثثهم للجوارح وطيور السماء ووحوش الأرض... هذه هى الدينونة التي لا يستطيع أن يفلت منها الأشرار الذين استهانوا بقدوس إسرائيل وظنوا أنه لا يراهم ولا يعاقبهم على سوء أفعالهم...

٧. "في ذلك اليوم تُقدَّم هديَّةٌ لرب الجنود من شعب طويل وأجرد، ومن شعب مخوف منذ كان فصاعدًا، من أُمَّةٍ ذات قوة وشدة ودوسٍ، قد خرقت الأنهار أرضها، إلى موضع اسم رب الجنود، جبل صهيون ".

إن ختام نبوات إشعياء مليئة بالرجاء والرجوع إلى الله وكأن لسان حال إشعياء هو ما نطق به ملاك سفر الرؤيا "قد صارت ممالك الأرض للرب ولمسيحه"...

فالمعارك تدور ولكن النصرة دائمًا لرب الجنود وكل الأمور تؤول في النهاية للخير للذين يحبون الله وكل القوى تتحرك في الاتجاه الذي يكمل القصد الإلهي.

لقد تنبأ إشعياء عن انكسار أمم ودينونة ممالك ونهاية طغاة الأرض، ولكن هذا كله يلقي ضوءًا على النتيجة الختامية، وهو يوم الخلاص ورجوع الأمم إلى معرفة الله ...

في ذلك اليوم تُقدم هدية من أعتى الأمم وأشرهم فسقًا وجبروتًا.

وهذا ما ردده داود النبي في مزمور ٤٤ "فاض قلبي" الذي يرسم صورة المخلص في بهاء ملكه المسياني وقد قامت الملكة عن يمينه وبنات الملوك وأغنياء شعوب الأرض يتلقون وجهك بالهدايا.

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن، أية هدايا تقدم لرب الجنود في يوم الخلاص العظيم، لقد قدموا له في طفولته ذهبًا ولبانًا ومرًا، وهو جالس على عرشه الجديد في حجر العذراء القديسة.

فماذا عسى أن تقدم الأمم أفخر من هذه الهدايا النبوية؟ إن إشعياء النبي العظيم في ختام نبواته (ص٦٦) يقول إن الهدية ستكون نفوس الأمم التي افتداها المسيح بدمه، فالهدية لرب الجنود ليست ماديات بل نفوس بني البشر التي كانت محسوبة للهلاك. اسمعه يقول: "ويحضرون كل إخوتكم من كل الأمم تقدمة للرب إلى جبل قدسي أورشليم... كما يحضر بنو إسرائيل تقدمة في إناء طاهر"...

هذا هو سر الخلاص الذي جاهد من أجله الرسل لكي يحضروا كل إنسان كتقدمة وقربان لله بالمسيح يسوع ربنا... وفي موضع اسم رب الجنود.

الأصحاح التاسع عشر

١. "وحيٌ من جهة مصر: هوذا الرب راكبٌ على سَحَابَة سريعَةٍ وقادمٌ إلى مصر، فتَرتَجِف أوثان مصر من وجْهه، ويذُوب قَلبُ مصر داخِلها".

لقد رمز لمصر في مواضع كثيرة للعالم، ولفرعون مصر برئيس هذا العالم، كما في أيام الخروج من أرض مصر. وتاريخ مصر في الكتاب المقدس تاريخ طويل ومملوء أسرارًا روحية هذا فضلاً عن النبوات الزمنية التي تمت وتتم على مدى العصور. فمنذ أيام إبراهيم أب الآباء وهناك حركة نحو مصر للتغرب وأيضًا نزل يعقوب إلى مصر هو وكل بنيه بعد أن أرسل الرب يوسف أمامهم لاستبقاء حياة حتى أنه دُعي بلقب نبوي "مخلص العالم" كرمز للعتيد أن يأتي على مثاله ليخلص لا من جوع إلى خبز بل يخلص إلى التمام وهكذا عاد الرب وافتقد شعبه المستعبد في أرض مصر. وكانت عين الرب على شعبه في مصر "رأيت عيانًا مذلة شعبي الذين في مصر. وكانت أُذن الرب نحو أنينهم وقال الرب لموسى: "سمعت أنينهم... نزلت لأخلصهم" وهكذا على مدى الأسفار المقدسة ذكر اسم مصر... حتى سفر الرؤيا اتخذت مصر رمزًا روحيًا فيه حين قيل عن الشاهدين الأمينين: "تكون جثتاهما... على شارع المدينة العظيمة التي تدعى روحيًا سدوم ومصر حيث صُلب ربنا أيضًا".

ويعتبر هذا الفصل من نبوات إشعياء النبي من أعمق ما كتبه الروح عن مصر إذ يتكلم برجاء عن عمل النعمة وبشارة الخلاص في مصر وعن مختاري الله الذين ينطقون بتسبيحة ويصفون مجد ملكوته...".

هوذا الرب راكب على سحابة خفيفة:

مجيء الرب على السحاب هو تعبير عن حالة المجد الإلهي الذي يأتي به... وقد قيل عن مجيئه الثاني للدينونة إنه يأتي على سحاب السماء وجميع الملائكة القديسين معه...

وقد يعبر السحاب عن حضور الله المخفى عن إدراك البشر كما ظهر الرب في

أيام موسى في السحاب والضباب عندما طلب موسى قائلاً: "أرني مجدك فقال لا يراني الإنسان ويعيش"... وكما تراءى الرب لإيليا في سحابة وصوت خفيف...

وعندما صعد الرب على جبل طابور وتجلى قدام تلاميذه وأضاء وجهه كالشمس... جاءت سحابة نيرة وظللتهم.. هكذا يشير النبي إلى مجيء ربنا إلى مصر راكبًا على سحابة حفيفه. إلى مجيئه محمولاً على يدي العذراء القديسة مريم السحابة المملوءة نعمة...

هو راكب على الشاروبيم ومحمول على أيدي العذراء هو جالس على عرش مجده ومتربع على قلب التي أحبته أعظم من كل أحد. والعذراء القديسة مريم هى السحابة التي أخذ الرب جسده منها وأخلى ذاته وحجب مجده بالحجاب أي بجسده.

ومجيء الرب في هروبه إلى أرض مصر كان إذن بتدبير عجيب سبق إشعياء فأعلنه قبل سنين هذا عددها...

فترتجف أوثان مصر...

هذا هو القصد الإلهي... لقد جاء الرب إلى مصر ليحطم أوثانها... يقيم له شعبًا خاصًا... ويقتني له أبناء من مصر.

ويذكر التقليد المقدس أنه عند دخول السيد المسيح محمولاً على يدي العذراء القديسة إلى مصر أن الأوثان ارتجفت في أرض مصر كلها...

قال الرب لموسى في ليلة ذبح الفصح وقتل الأبكار في أرض مصر: "إني أجتاز في أرض مصر في هذه الليلة، وأضرب كل بِكر في أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنع أحكامًا بكل آلهة المصريين. أنا الرب" (خر ١٢: ١٢).

هكذا كانت النتيجة الحتمية لحلول الله واجتيازه في أرض مصر لا أن يضرب أبكار المصريين المعتبرين قوة الخطية وكمالها فقط بل ومعاقل الشيطان ومسكنه المتحصن فيه بالغواية وفساد العبادة. يصنع به الرب أحكامًا وتهتز أساسات معاقله وترتجف أوثان مصر.

حينما دخل تابوت عهد الرب إلى أشدود ووضعوه في هيكل داحون الوثن

الفلسطيني في ذلك الزمان (١ صم ٥: ١، ٢). سقط تمثال داجون وأصيب الأشدوديون بداء البواسير من صغيرهم إلى كبيرهم، هكذا قال النبي عن أوثان مصر عند قدوم الرب إلى مصر ودخوله أرضها راكبًا على سحابة خفيفة محمولاً على يدي العذراء القديسة مريم.

ومن يدرس التاريخ يتعجب كيف أن العبادة الوثنية في مصر كانت ترتجف وترتعد من تلاميذ الرب وتعليمهم وبشارتهم بالخلاص، وقد كانت مصر في العصر الرسولي الأول معتبرة من أكبر معاقل العبادات الوثنية ولكنها لم تلبث أن أصبحت منار المسيحية للعالم أجمع. في فترة وجيزة جدًا.

٢. "وأُهَيِّجُ مصريِّينَ على مصريِّين، فيُحاربون كل واحِدٍ أخاهُ وكل واحدٍ صَاحِبَهُ: مدينة مدينة، ومَمْلَكَةٌ مَمْلَكَةٌ".

ماذا يحدث بعدما ترتجف أوثان مصر؟

هل يصمت الشيطان على انكساره؟ هل ييأس عندما يأتي الرب إلى مصر ويحطمه في عُقْر داره؟

هذا مستحيل فالشيطان لا ييأس ولكنه يحارب ويهجم متأثرًا بجراح الموت...

كذلك نستطيع أن نلمح واضحًا أنه في كل مرة ينغلب فيها الشيطان يقوم محاولاً أن يضمد جراحه ويستعيد قوته ولكن هيهات...

فبعد أن انهزم الشيطان من معمودية الأردن يحارب الرب في البرية...

وبعد أن انهزم في البرية يهيج الكتبة والفريسيين.

وبعد أن يشعر بالفشل يملأ قلب رؤساء الكهنة ليدافعوا عن ريائهم وسلطانهم الزائف...

حتى بعدما انكسر وانسحق بالصليب لا يزال يجول كأسدٍ يلتمس أن يبتلع واحدًا..

هكذا يكون أثر مجيء الرب إلى مصر وانحطام الأوثان وارتجافها قدامه...

قال الرب ما جئت لألقي سلامًا على الأرض بل سيفًا جئت لأفرق الابن ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته...

هذا ما فعله الرب في مصر.. اقتنى له شهودًا وتلاميذ فانقسمت مصر إلى

عذارى حكيمات وجاهلات... وتلاميذ للمسيح وضد المسيح... وأحباء للصليب، وأعداء... وابتدأت بمجيء المسيح إلى مصر الحروب الروحية بين أولاد الله وأولاد العالم...

٣. "وتُهرَاق روح مصر داخلها، وأُفني مشورتها، فيسألون الأوثانَ والعازفين وأصحاب التوابع والعرّافين.

٤. وأغلق على المصريين في يَدِ مولى قاس، فيتَسلّط عليهم مَلِكٌ عزيز، يقول السيد رب الجنود".

هنا يصف النبي تحرك الشيطان في الحركة المضادة في الذين يهلكون... كيف أنهم يلجأون إلى عمل الشيطان من عرافة وأصحاب توابع وكلما نشط روح المسيح في مختاريه كلما نشط الضد للمسيح في عمل الضلال.

ولكي يحكم الشيطان قبضته على الذين هم له يتربع في عرش السلطة الزمنية حتى يغلق على فريسته بقسوة وسطوة.

٥. "وتُنشَّفُ المياه من البحر، ويَجفُّ النهر ويَيْبَس.

٦. وتُنتِنُ الأنهارُ، وتَضْعُفُ وتَجفُّ سواقي مصر، ويتلَفُ القَصَب والأسَلُ.

٧. والرِّياضُ على النيل على حافَةِ النيل، وكل مَزْرَعَةٍ على النيل تيْبَسُ وتَتَبَدَّد ولا تكون.

٨. والصيَّادون يَئنون، وكل الذين يُلقُون شصًا في النيل ينُوحون. والذين يَبسُطُونَ شبَكَةً على وجْه المياه يحزَنون.

٩. ويخزَى الذين يعمَلون الكتَّان المُمَشَّط، والذين يَحيكُون الأنسجة البيضاء.

١٠. وتكون عُمُدُها مسحُوقَةً، وكل العامِلين بالأجرة مكتئبي النَّفس".

إن تطلعنا إلى هذه الأمور كعقاب مادي وزمني لأرض مصر وهى واقعة تحت ظل عبادة الأوثان ومستعبدة للشيطان، فإنه يكون أشد عقاب ممكن أن يلحق بها. فالنيل هو معتمدها، هو فخرها وغناها... فإن جفت مياهه ذبلت أرض

مصر كلها وعمها الدمار والبوار لأن النيل هو شريان الحياة لمصر في كل أجيالها...

وما يتبع جفاف النيل من جدب ومجاعات كتلف الزراعة وبوار الأرض. ثم ثروة الأسماك وعمل الصيد... وأيضًا للذين يعملون في كل أنواع الأعمال مثل نسيج الكتان وحياكة الملابس البيضاء...

إن كل شيء في مصر مرتبط بالنيل ومن ثم فكل الحياة مضروبة بضربة الخراب وحزن الجوع والعطش...

ما أشده عقابًا وما أقساها حياة في ظل تأديبات السماء وكم قاست مصر زمنيًا من هذه الأمور كلها.

والذي له النظرة الروحية يلمح أمورًا أعمق تختص بالمصير الأبدي والروحي... فالمياه في النهر هى مياه الروح... فإن جفت الروح وفارق أرض الإنسان فإنه يصير نهبًا للجوع والعطش وقريبًا من اللعنة... والمغروسون على مجاري المياه هم الصديقون الذين تحدث عنهم المزمور، والصيادون هم الكارزون وما أكثر حزنهم حينما يلقون شباكهم بلا صيد، أما الكتان والثياب البيض فهى ثياب البر والقداسة وفي تلك الأيام يحزن الذين يطلبون القداسة ويجاهدون من أجلها...

إن أرضًا يصير حالها الروحي هكذا تستحق الرثاء... وأي رثاء.

١١. "إن رؤساء صُوعَنَ أغبياءُ! حُكَمَاء مُشيري فرعون مشورَتُهُم بهيميَّة! كيف تقولون لفرعون: أنا ابن حُكماء، ابن مُلوك قُدماء؟

١٢. فأين هُم حُكَماؤك؟ فليُخبرُوكَ. ليعرفُوا ماذا قَضى به رب الجنود على مصر.

١٣. رؤساء صوعَن صاروا أغبياء. رؤساء نوف انخَدَعُوا. وأضَلَّ مصر وجوه أسبَاطِها.

١٤. مَزَجَ الرب في وسطها روح غيٍّ، فأضلُّوا مصر في كل عَمَلِها، كترنُّح السَّكران في قَيئهِ.

١٥. فلا يكون لمصر عَمَلٌ يَعمَلُهُ رأس أو ذَنَبٌ، نَخلَةٌ أو أسَلَةٌ.

١٦. في ذلك اليوم تكون مصر كالنِّساء، فترتَعِدُ وترجُف من هزَّة يَدِ رب الجنود التي يهُزُّها عليها".

في الأعداد السابقة أعلن الوحي الإلهي ما يصيب الأرض وعامة الناس عندما يهز رب الجنود يده على مصر مؤدبًا ومحطمًا أوثانها.

وهنا يتعرض لحالة الملوك والرؤساء والمشيرين وما يصلون إليه وهم خاضعون لروح الظلمة...

رؤساء صوعن أغبياء، صوعن هى عاصمة مصر القديمة. وكانت تعتبر أقدام وأكبر عواصم العالم وقد اشتهر المصريون القدامى بالحكمة حتى أنه قيل عن موسى كليم الله إنه تأدب بكل حكمة المصريين واشتهروا أيضًا بكثرة المعرفة في نواحي علوم الدنيا وأسرار الكون أيضًا. وقد استطاع حكماء فرعون وعرّافوها أن يفعلوا بسحرهم أعمالاً مبهرة عندما أظهر موسى الآيات التي جعلها الله في يده أمام فرعون.

ولكن معلوم أن حكمة هذا العالم جهالة لأن حكماء فرعون – كما يقول الرسول بولس – بينما هم يزعمون إنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى... لذلك أسلمهم الله في شهوات قلوبهم إلى النجاسة...

من أجل ذلك جاءت مشورتهم "بهيمية" أي وليدة أُناس محصورين في الجسد ومستعبدين للشهوات لأن الحكمة التي ليست من الله شيطانية تغرق الناس في الهلاك...

وقد قال الرسول أيضًا عن الحكمة الإلهية إنها ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون (١ كو٢) وإنه لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر.

من أجل ذلك قال الوحي أين حكماؤك؟ كما قال الرسول أيضًا: "أين الحكيم؟ أين مباحث هذا الدهر؟ ألم يصير الرب حكمة العالم جهالة؟ الآخذ الحكماء بمكرهم وأيضًا الرب يعلم أفكار الحكماء إنها باطلة!!" فإن كان حكماء فرعون ومشيروه فيهم روح حكمة حقيقية فليخبروا ويعرفوا بماذا قضى رب الجنود... ولكنهم حمقوا في أذهانهم وأظلم قلبهم كما يقول الرسول...

ما أقسى الإنسان المتكل على حكمة هذا العالم والمستند على منطق حكمائه... إن حكماء التراب تخرج روحهم فيعودون إلى ترابهم، في ذلك اليوم تهلك كافة أفكارهم.

١٧. "وتكـون أرض يهـوذا رعْبًـا لمصـر. كـل مَـن تـذكَّرها يرتَعـب مـن أمـام قضَاءِ رب الجنـود الـذي يَقضي به عليها".

مـا أعجـب أحكـام الله، ومـا أبعدها عـن الفحص، حـين تنقلـب المـوازين وتـدور الدوائر على الشيطان وكل قوته بعد أن كان مخيفًا ومرعبًا وبعد أن أخضعت له ممالك ودانت له شعوب خاضعة للعبودية... سيصير هو في رعب وخوف وفزع وشدة... هذا ما صار إليه العدو الشيطان بعد أن انكسر سلطانه وسحقت قوته بالصليب.

قياسًـا علـى هـذا الحـق نسـتطيع أن نفهـم قـول الـوحي إن أرض يهـوذا تصـير رعبًا لمصر.

كيف يتأتى هذا ويهوذا مملكة صغيرة لا يعتد بها أمام جبروت فرعون وحكمائه ومركباته وفرسانه؟

إن درس البحـر الأحمـر هـو الإجابـة علـى هـذا حـين امتـدت يـد الـرب وذراعـه القدوسـة وحـين صـرخ المصـريون قـائلين: "نهـرب مـن إسـرائيل، لأن الـرب يُقاتـل المصريين عنهم" (خر ١٤: ٢٥).

هكذا ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروحي قال رب الجنود - هكذا عندما يأتي الرب على سحابته الخفيفة – خارجًا من سبط يهوذا ويشرق جسديًا من العذراء القديسة تهرب قوات الظلمة وتصير أرض يهوذا رعبًا لمصر ولأوثان مصر ولكل النفوس المتعبدة لأصنام مصر.

أذكر ما قاله الكتاب عن الأرواح النجسة عندما نظرته لقد فزعت وتولاها الرعب وولـت هاربـة وخرجـت مـن الإنسـان وهـى تصـرخ وتقـول آه مالنـا ولـك يا يسوع الناصري.

١٨."في ذلـك اليـوم يكـون في أرض مصـر خَمْـسُ مُـدُن تـتكلَّم بلُغَـةِ كنعـان وتَحْلِفُ لرب الجُنود يقال لإحدَاهَا "مدينة الشمس".

١٩. في ذلـك اليـوم يكـون مَـذبح للـرب في وسَـط أرض مصـر، وعَمـود للرب عند تُخْمِها.

٢٠. فيكـون علامـةً وشـهادةً لـرب الجُنـود في أرض مصـر. لأنهـم يصـرُخون

إلى الرب بسبب المُضايقِين، فيُرسِل لهم مُخلِّصًا ومُحَاميًا ويُنقِذُهُم.

٢١. فيُعـرَف الـرب في مصـر، ويَعـرف المصـريون الـرب في ذلـك اليَـوم، ويُقدِّمون ذبيحةً وتَقدِمة، وينذرون للرب نذرًا ويوفُون به.

٢٢. ويَضْـرب الـرب مصـر ضـاربًا فشـافيًا، فيَرجعُـون إلى الـرب فيسـتَجيب لهم ويشفِيهم".

هنا يبادر الروح ويخبرنا عن يوم أن يلج نور الخلاص بالمسيح أرض مصر ويشرق شمس البر عليها.

علامات الخلاص:

أولاً: تغيير اللغة يتكلم خمس مدن بلغة كنعان، إن قبول كمال العمل الإلهي في الخليقة أعلن بوضوح في يوم الخمسين يوم حلول الروح القدس مثل ألسنة نار. يومها استعلنت الخليقة الجديدة وصار كل واحد يسمع كلام الله وعجائب الله بلغته التي وُلد فيها. ولكن بكل تأكيد لم تكن هذه الألسنة من الأرض بل: "كما أعطاهم الروح أن ينطقوا" هى إذًا لسان من فوق كما قيل "أعطاني الرب لسان المتعلمين"... هو لسان الروح القدس الناري الذي يتكلم أفضل من لغة الناس والملائكة، لذلك قيل في النبوة إنها لغة كنعان، أي لغة أرض الميعاد ولما كان المسيح قد وعد مختاريه لا بميراث أرضي ولا مملكة من هذا العالم بل بالمدينة التي لها أساسات، أورشليم السمائية النازلة من عند الله... فلذلك قيل عن لسان الخلاص ولغة أولاد الله إنها لغة كنعان الجديدة لغة السمائيين ورثة الملكوت الذين يسبحون تسبحة موسى عبد الرب - أنشودة الخلاص - ولكنها في السماء كأنها ترنيمة جديدة... هذه هى لغة كنعان.

وتعتبر هذه اللغة – لغة أولاد الله – مميزة لهم في وسط العالم الذي يتكلم بكلام العالم.

الذي من الأرض أرضي ومن الأرض يتكلم. الذي من فوق هو فوق الجميع وكل ما سمعه يتكلم به.

كما قيل أيضًا لبطرس لغتك تظهرك.

ثانيًا: نحلف لرب الجنود:

فولاء المخلصين لم يعد لفرعون مصر كما كانوا يحلفون في القديم بحياة فرعون "وحياة فرعون لا تخرجون من هنا إلاَّ بمجيء أخيكم" (تك ٤٢: ١٥).

وقد أمر الرب شعبه في القديم أن يحلفوا باسمه "الرب إلهك إله واحد.. وباسمه تحلف" تمييزًا لهم عن بقية الشعوب التي كانت تحلف باسم آلهتها.

وقد كان اسم رب الجنود للشعب القديم حصنًا وملجأ وقوة ضد كل هجمات الشعوب المجاورة وطغيانهم...

تأمل كيف غلب داود جليات بِاسم رب الجنود وكيف تنبأ الأنبياء بمواعيد الخلاص بِاسم رب الجنود.

أما في العهد الجديد فقد صار اسم الخلاص اسم ربنا يسوع المسيح. ليس اسم آخر أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص إلاَّ اسم يسوع المسيح.

وهو الذي به صار لنا دخول إلى النعمة التي نحن فيها مقيمون وهو الذي به صنع الرسل الآيات "بِاسم يسوع لك أقول قم" وبه أخرجوا الشياطين... وبه صنعوا قوات ومن أجله تألموا "من أجل اسمي" وهو الذي سيكون للذين يدعون به سبب خلاص إلى أبد الآبدين، "لأن كل من يدعو بِاسم الرب يخلص" أما المدن التي تتكلم بلغة كنعان فيُقال لإحداها مدينة الشمس أي مدينة المسيح...

وتدل الكلمة العبرانية التي ترجمت الشمس على معنى الهلاك أيضًا غير أن التراجم السريانية واللاتينية تترجمها بالشمس والترجمة الكلدانية تجمع المعنيَيْن والسبعينية تترجمها مدينة البر ويعتقد غالبية المفسرين أن المدينة المشار إليها هى هيليوبوليس أي أون في مصر ولا يخفى أن معنى هيليوبوليس إنما هو مدينة الشمس.

ثالثًا: يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر:

وقد أدرك الرب مصر وأشرق عليها وبدد أوثانها وأعطى المصريين لسانًا جديدًا روحيًا منعمًا عليهم بالموهبة، بالمساواة مع الذين حل عليهم الروح في يوم الخمسين وأسس الرب كنيسة في مصر، فكان مذبح للرب في وسط أرض مصر..

منذ القرن الأول للكرازة والمذبح المقدس قائم في وسط أرض مصر والصعيدة الطاهرة ذبيحة جسد المسيح ودمه الأقدسين تُقدم. وبخور الصلاة يُرفع مقبولاً لدى عرش النعمة.

وعلى الصعيد الآخر فإن مذبح الشهادة الذي جعله الرب في وسط أرض مصر صار واضحًا أمام العالم كله حتى أن الذين قدموا على مذبح الشهادة في مصر يفوق عددهم الذين شهدوا للرب في أنحاء المسكونة.

رابعًا: عمود للرب عند تخمها:

تخوم مصر هى حدودها، عمود الرب هو كاروز الديار المصرية القديس مرقس الرسولي الإنجيلي الطاهر والشهيد...

كان العمود في القديم يُقام شاهدًا لحادثة أو لعهد ثم صار الرسل وهم شهود العيان "أعمدة الكنيسة" بطرس ويعقوب ويوحنا المعتبرين أعمدة (غل ٢: ٩)، "من يغلب فسأجعله عمودًا في هيكل إلهي" (رؤ ٣: ١٢).

لذلك كانت الكنائس في القرون الأولى تقام على اثنى عشر عمودًا لأنها تبنى على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.

هكذا صار كاروزنا العظيم علامة شهادة وعمود للرب يسوع عند تخوم مصر أي عند حدودها... في مدينة كرازته الأولى الإسكندرية وهى أيضًا مدينة شهادته فهو صار عمودًا شاهدًا في كرازته وعمودًا شاهدًا في استشهاده وموته في شوارعها...

وتم فيه القول إنه يكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر (ع ٢٠).

فمصر تدعى كرازة مارمرقس إلى يوم مجيء المسيح.

"لأنهم يصرُخون إلى الرب بسبب المُضايقين، فيُرسل لهم مُخلِّصًا ومُحَاميًا ويُنقذُهُم. فيُعرَف الرب في مصر، ويَعرف المصريون الرب في ذلك اليَوم".

هذا هو يوم قبول المصريين - الأمم - في بركات العهد الجديد عهد معرفة الرب - حين يقال الجميع متعلمين من الله ولا يعلم كل واحد قريبه قائلاً: اعرف الرب لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم... هذه المعرفة هى في وجه يسوع

المسيح حين أشرق الله في قلوبنا لإنارة معرفة مجده...

وهى معرفة ولكن في سر الحكمة التي في أجيال أخر لم يعرف بها بنو البشر ولكن استعلن لنا بواسطة الكرازة باسم يسوع التي حملها إلى مصر مرقس الرسول.

لكن الملاحظ هنا أن المعرفة مقترنة بالذبيحة ونذر الحياة. يقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذرًا ويوفون به.

فالمعرفة – معرفة المسيح في مصر ليست بالكلام ولا باللسان بل هى مقترنة بتقديم ذبائح مقبولة ونذور لدى الله. فمن مصر تقدمت ذبائح الشهادة، وعطر دم الشهداء أرجاء الكنيسة الجامعة، وروى دمهم بذرة الإيمان الذي سُلم إلينا مرة من القديسين.

وفي مصر رفعت ذبائح التسبيح كما لم ترفع في كل العالم وصار مذبح الصلاة والسهر وخدمة التسبيح من ملامح الكنيسة.

وناهيك عن ذبائح النسك فكنيسة مصر – أم النساك ومعلمة المسكونة – ومنها بدأت أول حركة للتكريس وتقديم الشباب والحياة بجملتها نذرًا للرب.

فكنيسة مصر هى أم الشهداء وأم النساك ونذور أبناء مصر بالحياة تقدم على مذابح التضحية والشهادة محبة في الملك المسيح هى تحقيق مستمر لهذه النبوات التي اختص بها الروح كنيسة الرب في مصر.

٢٣. "في ذلك اليوم تكون سِكَّةٌ من مصر إلى أشورَ، فيَجيء الأشوريُّون إلى مِصر والمصريُّون إلى أشور، ويَعبُد المصريون مع الأشوريِّين.

٢٤. في ذلك اليوم يكُون إسرائيل ثلثًا لمصر ولأشور، بركةً في الأرض، بها يُبارك رب الجنود قائلاً: مُبارك شعبي مِصر، وعمل يدَيَّ أشور، وميراثي إسرائيل".

سكة من مصر:

إن الرب يسوع قال عن نفسه أنا هو الطريق وكان المسيحيون الأوائل يدعون أتباع الطريق، وكان يُقال عن المضطهدين إنهم كانوا يشتمون الطريق، فالمسيحية

باختصار هى الطريق إلى الله، وهى طريق الخلاص والحياة الأبدية والطريق الوحيد إلى الملكوت.

وقد سبق الأنبياء جميعهم وتنبأوا عن هذا الطريق ويكفي أن نصغي لنبوة إشعياء (ص ٣٥: ٨) "وتكون هناك سكة وطريق يُقال لها: الطريق المقدسة. لا يعبر فيها نجس... من سلك في الطريق حتى الجُهَّال، لا يضلّوُ" (إش ٣٥: ٨).

إن بين مصر وأشور أوجه كثيرة للشبه، فالمصريون والأشوريون تفوقوا على بني إسرائيل من حيث القوة والجبروت... وقد تمجد الرب بالمصريين في البحر الأحمر وبالأشوريين على أسوار أورشليم حيث قتل ملاك الرب ١٨٥ ألفًا من جيش أشور في ليلة واحدة.

ثم في زمن لاحق نظر بنو إسرائيل إلى مصر للمعونة كما استأجروا الأشوريين لذات السبب عندما ضايقتهم الشعوب المحيطة.

والنبوات هنا تعلن أنه كما افتقدت النعمة أرض مصر واختارت أن يكون للرب فيها مذبحًا وعمود شهادة هكذا ستصير الطريق من مصر إلى أشور وترتبط مصر بأشور بالطريق المقدسة.

وكما ارتبطت مصر وأشور بإسرائيل في الزمان الأول بالعداوة والعدوان سيربطهم الزمن الأخير بوحدانية العبادة والولاء للطريق الواحد المؤدي إلى الملكوت.

وتصير هذه الوحدانية بركة للأرض كلها في وحدة الإيمان بها يبارك رب الجنود شعوب وقبائل العالم في يوم أن يرد الرب سبي الجميع وتصير الأرض للرب ولمسيحها.

في ذلك اليوم ستكون الكنيسة بإيمانها المستقيم في مصر وأشور وإسرائيل مثل خميرة صغيرة حين تخمر العالم كله.

مبارك شعبي مصر وعمل يدي أشور وميراثي إسرائيل ما أحلاها أنشودة تشع بالرجاء في نفوس منتظري الرب إلى كل الأجيال.

الأصحاح العشرون

١. "في سنة مَجيء تَرتان إلى أشدُود، حين أرسله سرجُون مَلِك أشور فحارب أشدُود وأخذَها.

٢. في ذلك الوقت تكلَّم الرب عن يَدِ إشعياء بن آمُوص قائلاً: اذهب وحُلَّ المِسْحَ عن حَقْوَيْك واخْلَع حِذَاءك عن رجْلَيْكَ. ففعل هكذا ومشَى مُعرًّى وحافيًا".

ترتان اسم أشوري وهو لقب يطلق على رئيس جيش الأشوريين (٢ مل ١٨: ١٧).

ميزة الكتاب المقدس تسجيل أوقات النبوات ومع أن الكتاب المقدس ليس كتاب للتاريخ ولكنه حين تعرض لتسجيل الحوادث سجلها بدقة مذهلة فأسماء الأشخاص والعصور والأماكن التي وردت فيه جاءت دون أن يكون ذلك هدفًا.. جاءت وثائق دامغة لصحة ما نطق به الروح في كل جيل وفي كل زمان.

وهذه النبوة يسجلها النبي في أيام ملك سرجون ملك أشور حين أرسل قائده إلى أشدود إحدى مدن الفلسطينيين الخمس الرئيسية وهزمها. لكن النبوة أصلاً لا تختص بأشدود وإنما هى نبوة بخصوص مصر والحبشة (كوش). وفي هذه المرة استخدم الرب إشعياء كوسيلة إيضاح أمام الشعب وجعله آية لهم وحدث هذا مرات قليلة في حياة إشعياء.

جعل الرب أيضًا حزقيال وهوشع آية ومثلاً أمام الشعب... وكل الأنبياء في طاعتهم احتملوا مشقات وآلام من أجل الرب لكي يكلم الرب الشعب ليس فقط بلسانهم وفكرهم ومشاعرهم بل وأيضًا بآلامهم وأوجاعهم.

أمر الله حزقيال النبي أن يتكئ على جنبه اليسار ٣٩ يومًا ويأكل خبزًا نجسًا وتتمرر نفسه بمرارة المر. ويعبر الوحي عن هذا قائلاً: لكي تحمل إثم إسرائيل، ثم أمره الله أيضًا أن يرقد على جنبه الآخر ٤٠ يومًا يحمل فيها إثم يهوذا.

ولقد احتمل حزقيال كل هذا بصبر وصار آية لكل من يراه ويسمع عنه، وهكذا أيضًا آجازه الرب في أحزان كثيرة، وأخذ زوجته وقال له: "لا تنح ولا تبكِ ولا تنزل

دموعك. تنهَّد ساكتًا... فكلَّمتُ الشعب صباحًا وماتت زوجتي مساءً. وفَعَلت في الغد كما أُمِرت" (حز ٢٤: ١٥-١٨).

كما أمر الله هوشع أن يتزوج بامرأة زانية لكي يصير آية أمام الشعب ولكي يعلموا كيف قبل الرب أن يلتصق بشعب يجري وراء العالم.

٣. "فقال الرب: كما مَشى عبدي إشعياءُ مُعرًّى وحافيًا ثلاث سنين، آيةً وأُعجُوبَةً على مِصر وعلى كُوشَ.

٤. هكذا يَسُوقُ مَلِكُ أشُّور سبي مِصر وجلاءَ كوش، الفتيان والشيوخ عُراةً وحُفاةً ومكشوفي الأستاهِ خزيًا لمِصر".

يا للعجب من هذا السلوك الرائع الذي سلك به خدام الرب وأنبيائه القديسين، ما هذه الطاعة والخضوع ووضع النفس تحت سلطان الكلمة. ما أحوج خدام اليوم أن يجلسوا عن قدمي عبيد الرب الذين خدموه بالروح والحق ليتعلموا الطاعة والخضوع واحتمال نفقات خدمة الكلمة.

فحزقيال في خضوعه العجيب المذهل يقول فعلت كما أمرت، وإشعياء في تفريط كامل في الذات والكرامة يسير ثلاث سنوات حافيًا وعريانًا ليصير آية وأعجوبة.

إن كل ما تحمله الأنبياء وخدام الكلمة من مهانة وهزء وازدراء كان يحسب كلا شيء حتى يكملوا سعيهم والخدمة التي إئتمنهم الرب عليها كان كل واحد منهم يفرح وهو ينفق، وينقص ويتهلل ولسان حاله يقول للرب: "من أجلك نمات كل النهار".

ثم أليست آلام الخدام في العهد القديم كلها كانت تعتبر ظلاً لآلام مخلصنا الصالح الذي خدم خلاص العالم كله واحتمل العار مستهينًا بالخزي... الذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا... غير المحدود وغير الزمني صار تحت الزمان، سيد الخليقة كلها أخذ شكل العبد وإذ وجُد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. فلنجعل الصليب مرسومًا في ضمائرنا ولنركز النظر في رئيس إيماننا ومكمله ولنطلب أن يجعل الرب لنا نصيبًا في التألم من أجل خدمة الكلمة...

بل أن ميخا النبي العظيم شريك إشعياء في خدمة الكلمة والكرازة والمؤتمن نبيًا

للرب في ذات الحقبة الزمنية عندما اقترب من جراحات شعبه وإذ هى عديمة الشفاء اسمعه يقول: "من أجل ذلك أنوح وأولول أمشي حافيًا وعريانًا"...

ولكن لماذا يكلم الرب هذا الشعب بإشعياء النبي بهذه الطريقة، أن يجعل عبده وخادمه هكذا في خزي وعار؟ الجواب: "ليكون آية وأعجوبة" لم يعد الشعب ليسمع كلام الله بالطريقة المعتادة، ثقلت آذانهم عن السمع وكلت عيونهم عن البصر... إله هذا الدهر أعمى عيونهم وسد آذانهم.

لعل منظر إشعياء النبي وهو على هذه الصورة يحرك مشاعرهم أو يغير قلوبهم قبل فوات الأوان.

٥. "فيرتاعُون ويخجَلون من أجل كوشَ رجائِهم، ومن أجل مِصر فَخْرهم.

٦. ويقول ساكن هذا السَّاحل في ذلك اليوم: هوذا هكذا مَلجأنا الذي هرَبنا إليه للمَعُونة لننجو من مَلِك أشور، فكيف نَسْلَم نحن؟".

١. لا تتكلوا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص هم اليوم في قوة وغدًا في ضعف، الآن يبدو منظرهم مهوبًا مرعبًا وغدًا خربًا ومفسدًا.

٢. إن ملك أشور سيسبي شرفاء مصر والحكماء والمعتبرين ويعريهم من حكمتهم ويصيرهم في خزي هكذا فأين حكمة الحكماء وأصحاب الرأي والمشورة؟ هل تنفعهم حكمتهم العالمية في يوم بليتهم؟

٣. إن كان الذين تنظرون إليهم وتضعون رجاءكم عليهم سيفعل الرب بهم هكذا؟ فكيف يكون حالكم!!

ارجعوا يا شعبي، إن لكم ملجأ وحصنًا جبارًا يركض إليه الصديق ويتمنع.

إن لكم رجاء لا يخزى، وجميع الذين نظروه استناروا ووجوههم ولم تخجل.

يا ليت هذا الدرس يكون نافعًا ومفيدًا للكنسية في كل أجيالها إذ تجعل رجاءها ثابتًا في الله وحده فلا تستند إلاَّ على ذراع حبيبها.

لأنه سيأتي وقت فيه يخزي جميع المتكلين على ذراع البشر.

الأصحاح الحادي والعشرون

انتهى الأصحاح السابق بهذا السؤال "كيف ننجو نحن" وقد تردد هذا السؤال على لسان المؤمنين الذين أعلن لهم بالنبوة كيف أن سبى مصر وسبى كوش سيسوقهم ملك أشور عراه وحفاة كما مشى إشعياء النبي معرى وحافيًا. وقد كانت آمال كثير من الشعب في إسرائيل معلقة على ذراع مصر وقوة كوش فماذا إذا أظهر الرب انكسارهما؟ في ذلك الوقت يخزى المتكلون على ذراع البشر.

وقد تساءل أولاد الله الذين جعلوا رجاءهم في شخصه وحده كيف ننجو نحن؟

كيف ننجو وقد وضعنا رجاءنا في قوة البشر؟

كيف ننجو وقد أدينت الأمم التي حولنا وشعوب كثيرة وقعت تحت العقاب.

كيف ننجو وملك أشور -كما أعلنت النبوة - سيأتي على الأخضر واليابس ولم يترك أمامه بلادًا إلاَّ وأذلها ولم ينج شعب من بطشه وسطوته وردًا على سؤال البقية الأمينة ولتعزية هذه النفوس المخلصة أظهر الرب في هذا الأصحاح طريق الخلاص وباب النجاة.

١. "وحيٌ من جِهة بريّة البَحر: كزوَابع في الجنوبِ عاصِفَةٍ، يأتي من البرية من أرض مَخُوفَةٍ.

٢. قد أُعلِنَت لي رؤيا قاسيةٌ: النَّاهب ناهبًا والمُخْرب مُخربًا. اصعدي يا عِيلامُ. حاصري يا مَادي. قد أبطَلت كل أنينها.

٣. لذلك امتلأت حقوايَ وجعًا، وأخذني مَخَاضٌ كمَخَاض الوالدة. تلوَّيت حتى لا أسمَع. اندَهَشتُ حتى لا أنظُر.

٤. تاهَ قلبي. بغَتني رُعبٌ. ليلة لذَّتي جعَلها لي رعدَةً.

٥. يرتِّبون المائدة، يحرُسُون الحِرَاسَة، يأكُلون. يشرَبون. قوموا أيها الرُّؤساء امسَحُوا المِجَنَّ".

طريق الخلاص من أشور.

هنا يعلن الرب طريق الخلاص من أشور ويعلن قبل الوقت بكثير انكسار بابل التي كانت قد حاصرت أورشليم وكانت تهددها وتعير صفوفها وتسخر من اتكالها على إلهها.

وقد دعا الوحي بابل في نبوات هذا الأصحاح باسم رمزي: "برية البحر".

وكثيرًا ما دعا الرب بابل بهذا الاسم ففي سفر حزقيال يقول الروح وهو ينبئ بسبي بني إسرائيل إلى بابل: "آتي بكم إلى برية الشعوب... وأحاكمكم هناك". ويقول إرميا النبي: "عندما يجلب الرب سيف على بابل وعلى أبطالها أنه يكون حر على مياهها فتنشف". وهكذا في سفر الرؤيا يقول الروح: "هلم فأريك دينونة الزانية... فأخذني الروح إلى برية... ثم قال لي المياه التي رأيت حيث الزانية... هى شعوب وجموع وأمم وألسنة".

فإن كانت شعوب أشور هكذا في الكثرة كمياه كثيرة فهل يعسر على الرب أمر انكسارها... ها الرب يهيج عليها زوابع عاصفة وريح الجنوب العاتية مملكتي مادي وفارس فينقضا عليها ويقضيا فيها على كل أعمال الظلم والكبرياء.

وفي تشبيه مملكة مادي بالزوابع يجدر بنا أن نعلم أن الزوابع سريعًا ما تثور ولكن بعد ما ينتهي عملها تختفي تمامًا هى الأخرى.

ولنا أيضًا أن نعرف أن هذه الزوابع تتحرك مُخضعة للرب الإله كما قيل في ناحوم النبي: "الرب في الزوبعة في العاصف طريقه والسحاب تحت رجليه".

إذًا يد الرب القدير متدخلة في كل الأمور. فهو عندما يريد أن يجري حكمًا فإن كل الأشياء وكل الخليقة تكون في صفه. وعندما يقضي بقضاء الأمم فإن كل القوات تعمل إرادته عند سماع صوت كلامه.

٢. "قد أُعلِنَت لي رؤيا قاسِيَةٌ: النَّاهب نهبًا والمُخربُ مُخربًا. اصعَدي يا عِيلامُ. حاصري يا مادِي، قد أبطَلْتُ كل أنينها".

إن الرب لا يصنع أمرًا إلاَّ ويرى عبيده الأنبياء ... ما لابد أن يكون ... والرؤيا هنا كما يقول إشعياء رؤيا قاسية، عندما تهجم جيوش مادي وفارس على بابل تنهبها نهبًا وتخربها تخريبًا. وقد ذكر النبي بالاسم عيلام ومادي ليحقق للنفوس المتلهفة

للخلاص والمتوقعة خراب بابل أن الأمر ليس خيالاً ولا بعيدًا عن الحدوث بل هو متوقع وسيحدث ولكن في ملء الزمان.

٣. "لذلك امتلأت حَقوايَ وجعًا، وأخذني مَخَاضٌ كمَخَاض الوالدَة. تلوَّيت حتى لا أسمع. اندهَشتُ حتى لا أنظُر.

٤. تاه قلبي. بغتني رُعبٌ ليلةُ لذَّتي جَعَلها لي رعدةً.

٥. يُرتِّبون المائِدَة، يحرُسُونَ الحِرَاسة، يأكُلونَ. يشرَبُونَ. قومُوا أيها الرؤساء امسَحوا المِجَنَّ".

الناظر هنا لا ينظر من بعيد بل كأنه أحد المسبيين في بابل والموجودين في قصر ملك بابل ليلة انكسارها... هنا جلال النبوة وقدرة الروح على سبق الأحداث وتجاوز الزمن.

فقد حدث هذا بالفعل أنه بينما كان بيلشاصر ملك بابل ابن نبوخذ نصر، يصنع وليمة عظيمة لعظمائه وقد أمر بإحضار أنية الذهب التي استولى عليها نبوخذ نصر من هيكل الرب في أورشليم – وبينما هو في نشوة الخمر وحوله عظماؤه ونساؤه وسواريه. ظهرت أصابع يد إنسان وكتبت على الحائط: "منا منا تقيل وفرسين"... وعندما أحضر دانيال فسر هذا الكلام هكذا: "منا، أحصى الله ملكك وأنهاه. تقيل، وُزنت بالموازين فوجدت ناقصًا. فرس، قُسِمَتْ مملكتك وأُعطيت لمادي وفارس. وفي تلك الليلة قُتل بيلشاصر ملك الكلدانيين، فأخذ المملكة داريوس المادي" (دا ٥).

هكذا سجل إشعياء هذه الأحداث قبل سنين كثيرة ولكنه سجلها كشاهد عيان بالرؤيا النبوية.

تأمل كيف صارت ليلة اللذة والتنعم ليلة للذبح واستحقاق الدينونة... إن الذين يحسبون تنعم يوم لذة، ويربون قلوبهم كما ليوم الذبح ويفتخرون في تعظيمهم. سيفاجئهم الهلاك بغتة فلا ينجون.

بينما هم يأكلون ويشربون جاءت ساعة الدينونة كما قال الرب... هكذا كما كان في أيام نوح كان الناس يلهون يأكلون ويشربون. إلى أن جاء الطوفان وأهلك الجميع.

وكما في أيام لوط... وهكذا سيكون في مجيء ربنا يسوع المسيح الثاني...

أما أولاد الله فهم بنو النور وبنو النهار... لا يأتي عليهم هذا اليوم هكذا كلص في الليل. لأن طاعة وصية رب المجد يسوع: "اسهروا" سوف تنجيهم من هذا الهلاك المروع.

٦. "لأنه هكذا قال لي السيد: اذهب أقِم الحارس. ليُخْبر بما يَرى.
٧. فرأى ركَّابًا أزواجَ فُرسَان. رُكَّاب حَمير. رُكَّاب جمَال. فأصغي إصغاءً شديدًا.
٨. ثم صَرخ كأسدٍ أيها السيد، أنا قائِمٌ على المَرصَدِ دائمًا في النهار، وأنا واقِفٌ على المَحرَس كل الليالي.
٩. وهوذا ركَّابٌ من الرِّجَال. أزواجٌ من الفُرسَان. فأجَاب وقال: سقَطَتْ، سَقَطَتْ بابل، وجميع تمَاثيل آلهتها المَنحُوتَةِ كسَّرَها إلى الأرض.
١٠. يا ديَاسَتي وبني بيدَري. ما سَمِعتُهُ من رب الجُنود إله إسرائيل أخبَرتُكُم به".

هذه البشارة بانكسار بابل (مملكة الشيطان) استودعها إشعياء النبي آذان خاصته، بعدما سمعها هو شخصيًا من رب الجنود. فالاستعلان والاكتشاف الشخصي والخبرة الخاصة لابد أن تسبق الكرازة، فالقديس يوحنا الحبيب يقول: "الذي رأيناه بعيوننا، الذي لمسناه بأيدينا... نخبركم به...".

إشعياء النبي يبشر "دياستي وبني بيدري" الدياسة هم الذي يدوسون في معاصر العنب وبني البيدر هم الذين يعملون في حصاد الحنطة. الكرازة إذًا تخص هؤلاء وأولئك بصفة خاصة. لأن المهتمين بالخبز والخمر هنا يشيران بأصبع سري إلى الذين صاروا فيما بعد خدامًا للأسرار ويعملون لحساب التقديس وملكوت الله.

والعجيب إن كلمة البشارة التي سمعها إشعياء النبي لسقوط بابل بصوت عظيم من الحارس الذي أقامه لينظر. وصرخ كأسد، هى ذات الكلمات التي سمعها يوحنا الرائي من فم الملاك في (رؤ ١٤: ٨). "ثم تبعه ملاك آخر قائلاً: سقطت سقطت بابل المدينة العظيمة، لأنها سَقَت جَميع الأمَم من خَمر

غضب زناها".

وقد كرر الحارس والملاك كلمة سقطت سقطت... من فرط الفرح... فالحارس متهلل لأنه كسرت تماثيل الآلهة المنحوتة وسقطت عبادة الأوثان وانهزم روح الضلال والزيغان بعيدًا عن الله. والملاك يصرخ أيضًا يبشر أولاده الذين مازالوا في الجسد بأن خمر الزنى وسكر النجاسات الذي سقته بابل للأمم وإزاغتهم ليزنوا وراءها بعيدًا عن الله، فقد انفضح وسقطت بابل سقوطًا عظيمًا.

فرؤيا إشعياء والقديس يوحنا هما وجهان لحقيقة واحدة، فسقوط بابل زمنيًا حسب نبوة إشعياء، وسقوطها روحيًا بحسب رؤيا اللاهوتي يحملان نفس المعنى عند أولاد الله.

١١. "وحيٌ من جهَة دُومَةَ: صَرَخ إليَّ صارخٌ من سَعِير: يا حارسُ، ما مِنَ الليل؟ يا حارسُ، ما مِنَ الليل؟

١٢. قال الحَارسُ: أتى صباحٌ وأيضًا ليلٌ. إن كُنتم تطلبُونَ فاطلُبوا. ارجِعُوا، تعَالوا".

دومة اسم سري نبوي لأدوم (أي عيسو) لأن كلمة سعير، أي ذو شعر هى إشارة لبني عيسو ولكن كلمة دومة تعني الصمت والسكوت المطبق أي سكوت الموت. وقد كانت هذه الكلمة هى التعبير الصادق عن حالة هذه البلاد المتاخمة لإسرائيل بحسب الجوار المادي ولكنها محسوبة في عداد من يجلسون في ظلال الموت وهى السكون والوحشة بعيدًا عن الله... إنها كورة الموت حيث لا يسمع صوت الله من أحد لا نبوة ولا رؤية ولا صلاة... لقد أسقط الله من حساب شعب هكذا وهم مرفوضون من جهة الإيمان وليس لهم نصيب ولا قسم في مواعيد الله. إلى هذه الناحية يشير الوحي...

ولكن الأذن المختونة التي لإشعياء النبي التي تطهرت دائمًا بسماع صوت الله وأرهفت الحس لتتجاوب مع الإلهام الإلهي صارت تسمع الذين يصرخون حتى في وادي ظل الموت.

لقد رأى بولس الرسول في رؤياه من يصرخ من مكدونية قائلاً: "اعبر إلينا

وأعنا..." هنا قلب الكارز الحنون محب الخطاة كسيده الذي يعمل فيه الروح القدس بلا مانع... يسمع صراخ المساكين وتنهد البائسين.

وقد صرخ الصوت من سعير في قلب إشعياء قبل أذنه قائلاً: "يا حارس ما من الليل؟" إي هل مازال جزء كبير من الليل؟ ألم يقترب الفجر؟ ألا توجد نهاية لليل طويل؟

يا لها من صرخات مؤثرة كثيرًا ما نتغاضى عنها بل كثيرًا ما نسد آذاننا دونها.

إنها صرخات الذين تمرروا بظلام الخطية وسقطوا تحت سلطان روح الظلمة بنيره الثقيل والمخيف.

يا ليت الذين تمتعوا بشمس البر وأشرق عليهم نور ربنا بتجسده وعاشوا وتذوقوا مواهب النور في وجه يسوع يرعون نحو هذه النفوس التعسة بفضل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب قال الحارس أتى صباح... المجد للذي افتقدنا مشرقًا من العلاء وأشرق جسديًا من العذراء القديسة مريم.

أتى صباح وأيضًا ليل:

لقد جاء المسيح نور العالم، وأشرق على الجالسين في الظلمة وأنار لنا الحياة والخلود، ولكن يوجد أيضًا ليل فالخطية موجودة وروح الظلمة لا يكف في أن يذبح ويهلك ويخضع نفوسًا تحت عبوديته.

لكن المسيح نور العالم قد فتح باب الرجاء على مصراعيه أمام الخطاة والآثمة. **إن كنتم تطلبون فاطلبوا. ارجعوا تعالوا...**

هذا صوت المخلص لهؤلاء الأمم المحسوبين أمواتًا بالذنوب والخطايا وغلف الجسد، الذين قضوا حياتهم في اللعنة وقيود الشهوات.

هذا صوت المخلص ارجعوا إليَّ أرجع إليكم يقول الرب، بالدموع والبكاء بالتوبة، باب التوبة مفتوح لكل من يدعو باسمه، وكل من يقبل إليه لا يخرجه خارجًا.

ولكن الأمر مشروط بإرادة الإنسان وخلاص الإنسان لا يتم دون أن يريد هو.

إن كنتم تطلبون حقيقة خلاصًا من الموت وإنقاذًا من هوة الهلاك فها

رب المجد فاتحًا أحضانه على الصليب وقدماه مسمرتين كأنه على موعد مع الخطاة هناك يصنع الخلاص ويفدي المسبيين ويقيم موتى القبور ويخرج من الجحيم.

١٣. "وحيٌ من جهَةِ بلاد العَرَب: في الوَعْر في بلاد العَرب تَبِيتِينَ، يا قوافل الدَّدَانيِّينَ.

١٤. هاتوا ماءً لمُلاقاةِ العَطْشَان، يا سُكَّان أرض تَيماءَ. وافوا الهارب بخُبْزه.

١٥. فإنهم من أمَام السُّيوف قد هَرَبوا. من أمام السَّيف المَسْلُول، ومن أمام القَوس المشدُودَةِ، ومن أمام شدَّة الحَرب.

١٦. فإنه هكذا قال لي السيّد: في مُدَّة سنةٍ كَسَنةِ الأجير يفنى كل مَجد قيدَارَ.

١٧. وبقيَّة عدد قِسيِّ أبطال بني قِيدار تَقِلُّ، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلَّم".

هنا يعلن الوحي أن ألسنة نار الهجوم البابلي ستلحق حتى بالقبائل المجاورة الساكنة جنوب شرقي أدوم وهى قبائل ديدان وقيدار.

وقبائل الدَّدَانيِّينَ هم تجار بين بلاد العرب وترشيش (حز ٢٧)، هنا يصور إشعياء حالهم وقد هربوا عن طريق تجارتهم ولجأوا للصحراء ينشدون الأمان في القفر!!

ثم ينادي أهل تيماء أن يقدموا يد المعونة للهاربين من وجه سيف أشور وقوسه المشدودة، وهم في قمة الإعياء والتعب يكادون يهلكون عطشًا وجوعًا وينبئ الوحي أن مجد قيدار (ابن إسماعيل) كان يسكن في خيام سوداء مضروبة بالشمس سيفنى في سنة سُكنى العبد الأجير.

تأمل:

الذين استهوتهم بضاعة العالم ومجده وراحوا يتاجرون في الأرضيات ويستغنون بغنى العالم ومباهجه الكاذبة – سيكون نصيبهم مع العالم في انهياره وزوال مجده.

ينادي الوحي أولئك الساكنين في القفر أن يحضروا خبزًا وماء في يوم البلية

ليرووا النفوس الذليلة ويسندوا المنكسرين ولكن من أين لهم الماء والخبز وهم سكان القفر؟

إن الذي هو عطشان يُقبل إلى المسيح وحده فيأخذ ماء حياة مجانًا.

ومن يجوع يأتي إليه وحده فهو خبز الحياة الأبدية.

ولكن أهل قيدار لا يمكنهم المعونة ولا يستطيعون عمل الخلاص وهم تمامًا كما قال الرب: "أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة" هذه هى معونات البشر وقت الشدة وخلاصهم كذب لأنهم يعينون باطلاً ولكن طوبى لمن إله يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه. في يوم السوء ينجيه الرب.

الأصحاح الثاني والعشرون

مقدمة:

يعود الروح فينطق بفم إشعياء النبي كلمات نبوية على أورشليم... وفي يوم افتقاد ذنوبها... منذرًا بخرابها والويلات التي ستحل بشعبها وبجليس الملك المتمتع بالسلطان والأمان...، وتكشف النبوات عن العمى الروحي الذي يصيب شعب أورشليم في ذلك الوقت فلا يميزون صوت الرب ولا يعرفون إرادته، فهو في أيام تأديبهم يدعوهم إلى البكاء والنوح والتنطق بالمسوح (ع ١٢) فإذا بهم في تلك الأيام عينها يعيشون في بهجة وفرح وذبح وأكل لحم وشرب خمر، ولسان حالهم يقول: "لنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت".

فإذا عبر زمان التوبة والبكاء ولم يعرف الشعب زمان افتقاده، فبالتأكيد سوف يجني مُر الثمر ويكابد عقاب دينونة مخيف.

على أننا تعودنا في نبوات إشعياء أن نسمع رنات الرجاء المفرح تولد بعد أقسى الكلمات والتهديدات، وشعاع النور ينبثق من داخل قبر الظلام... فنمجد ونشكر صانع الخلاص الذي أعطانا رجاءً صالحًا بالنعمة، وأقام لنا في كل قرن خلاص.

على هذا تنتهي نبوات هذا الأصحاح بظهور المخلص بصورة جلية، لابسًا ثوبه الملوكي في بيت داود، ومتمنطقًا بالحق، وسلطانه في يده كأب لسكان أورشليم ومفتاح بيت داود على كتفه (أي الصليب) فيفتح ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح.

١. "وحيٌ من جِهَة وادي الرؤيا: فما لكِ أنكِ صَعدتِ جميعًا على السُّطوح.

٢. يا ملآنَةُ من الجَلَبَةِ، المدينة العَجَّاجَةُ، القرية المُفتَخِرَة؟ قتلاكِ ليس هم قتلى السيف ولا مَوتى الحرب.

٣. جميع رؤسائِكِ هربوا معًا. أُسِروا بالقسيِّ. كل الموجُودين بكِ أُسِروا معًا. من بعيد فرُّوا.

٤. لـــذلك قُلـــتْ: اقتَصِـــروا عنـــِّي، فـــأبكي بمـــرارة. لا تُلِـــحُّوا بتعـــزيتي عن خَرَاب بنت شعبي".

+ ترى ماذا يقصد الروح عندما يدعو أورشليم بوادي الرؤيا؟ أليست هى مدينة الآباء، الذين تمتعوا برؤية الله، مثل إبراهيم وموسى وصموئيل وإيليا و... وفيها الهيكل داخله قدس أقداس الله حيث يتراءى مجد الله في الشكيناه، حيث الناموس والشريعة والعبادات التي تتجلى فيها علاقة الله بشعبه!!

لذلك يدعوها الوحي بوادي الرؤيا لعله يوقظ فيها البصيرة التي انطمست. إن أورشليم ذاهبة في مسالك العالم، ولو أن النبوات هنا تخبر بخرابها ولكنه كما قال لها الرب يسوع: "أخفيَ عن عينيكِ" (لو ١٩: ٤٢).

لم تعد بعد وادي للرؤيا، ولكن لفها الظلام... إذ لم تعرف زمان افتقادها (لو ١٩: ٤٤) ولكنها في محاولة للرؤيا البشرية "صعدت على السطوح" لعلها تستطلع شيئًا من أمرها ولكن ليس هكذا تأتي الرؤيا بحسب الله، فإعلانات الله لا تأتي إلاَّ للمتضعين، "إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنكسر الروح والمرتعد من كلامي".

+ قد يعني أنها صعدت على السطوح، أي انجرفت في تيار المظهرية الكاذبة وصار ليس لها عمق أصل، وأصبحت كما يقول المزمور عن الأشرار أنهم مثل عشب السطوح الذي ييبس قبل أن يُقطع.

وهكذا يناديها الوحي، يا ملآنة من الجَلَبَة المدينة العجاجة القرية المفتخرة وكل هذه سطحيات غاشة ومظاهر عالمية وافتخار باطل، إن أورشليم هى مدينة الملك العظيم، فيجب أن يكون الرب هو متكلها وافتخارها، ويجب أن تظهر أمام الرب في زينة مقدسة، أما أن تجاري أهل العالم وتفتخر بأموره فهذا يحسب لها عارًا وخزيًا.

قتلاكِ ليس هم قتلى السيف ولا موتى الحرب:

قبل أن يأتي السيف على أورشليم ويقتل رجالها وفخر شبانها بحسب الجسد، كانوا قد طعنوا أنفسهم بأوجاع محبة العالم وفصلوا أنفسهم عن مصدر حياتهم فصاروا أمواتًا بالذنوب والخطايا.

فإشعياء النبي نظر إلى أورشليم قبل السبي، فوجد جميع رؤسائها أسرى الخطية، وفي حالة خوف ورعب "يهربون ولا طارد لهم" فروا من بعيد. لقد وقعوا وانكسروا مغلوبين من الشهوات والنجاسات والدنس، والظلم وعدم المحبة. لقد سقطوا صرعى الخطية التي طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء.

دموع الأنبياء:

ما من أحد من عبيد الله الأنبياء تمر أمامه صورة هذا الشعب إلاَّ وتصير له دموعه خبزًا نهارًا وليلاً.

اسمع إرميا النبي يقول: "يا ليت رأسي ماء، وعينيّ ينبوع دموع فأبكي نهارًا وليلاً قتلى بنت شعبي" (إر ٩: ١).

وها إشعياء النبي يقتبس كلمات أيوب المُجرّب فيقول: "اقتصروا عني فأبكي بمرارة، لا تُلحوا بتعزيتي عن خراب بنت شعبي".

أليست هذه هى دموع رب المجد يسوع وهو منحدر من جبل الزيتون... حينما رأى أورشليم غارقة في لجج الخطية... "نظر إلى المدينة وبكى عليها" (لو ١٩: ٤١).

إن كل مَنْ صار خادمًا ليسوع المسيح، لا يستطيع أن يضبط قوة أمام منظر النفوس الخاطئة عندما تتمادى في الشر ويرى الخادم فيها بعين النبوة الشيطان وقد أحدق بهذه النفوس بمترسة ليهدمها حتى لا يبقى حجر على حجر.

٥. "إن للسيد رب الجُنود في وادي الرُّؤيا يوم شَغبٍ وَدَوسٍ وارتباكٍ. نَقْبُ سُور وصُراخ إلى الجَبل.

٦. فَعِيلام قد حَمَلَتِ الجَعْبَةَ بمركَبَاتِ رجَال فُرسَان، وقِيرُ قد كَشَفَتِ المِجَنَّ.

٧. فتكون أفضَلُ أوديَتِكِ ملآنة مَرْكَبَاتٍ، والفُرسانُ تَصطَفُّ اصطِفافًا نحو الباب.

٨. ويكشِـفُ سِتْـرَ يهُـوذا، فتنظُـر في ذلـك اليـوم إلى أسلحَـة بيـت الوَعْر".

ترى ما هو سبب كل هذه البلايا من شغب ودوس وصراخ وارتباك وحيرة؟ وما هو سبب انكسار يهوذا أمام أعدائه ومعاناته المذلة والعار؟

هل هو في قوة الأعداء وشدة رجال الحرب؟

هل هو في عدد فرسان العدو وكثرة مركباته؟

كلا بالحقيقة ...إن السبب الرئيسي والوحيد لانكسار يهوذا كما تكشفه هذه النبوات هو في "كشف ستر يهوذا".

فيهوذا أصلاً يعيش في ستر العلي "الساكن في ستر العلي في ظل الإله القدير يبيت". هذا هو سبب الحفظ في يهوذا والنجاة في أورشليم. كأن الرب يحوطها كما تحوط الجبال "الجبال حولها والرب حول شعبه".

وكانت أورشليم تقول: "شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني". وحبيب الرب يسكن لديه آمنًا... يستره طول النهار بين منكبيه يبيت؛ وداود النبي هو ملك أورشليم اختبر هذا جيدًا وقال في المزامير: "فأسكن في مسكنك ... واستظل بستر جناحيك" (مز ٦٠)، "في يوم شدتي سترني بستر مظلته" (مز ٢٦).

وهنا يصير كشف الستر تعبيرًا عن تخلي النعمة ومفارقة روح الرب وهذا هو النزول إلى حضيض الانكسار والهوان.

ولكن هل يؤول هذا إلى خلاص؟ عندما تجد أورشليم نفسها عارية من ثوب النعمة، ومن ستر القدير وظل جناحيه؟ هل تعود فتطلب أن تحتمي فيه وتدخل تحت ظل جناحي صليبه؟

يا للأسف فإنها بدلاً من أن تفعل ذلك وتلتفت إلى إلهها بدأت تلجأ إلى تأمين نفسها ولم شمل قواتها ومصادر الماء وتحصين الأسوار المادية البحتة...

٩. "ورأيـتم شُـقُوقَ مدينـة داود أنهـا صَـارت كـثيرَة، وجَمَعـتُم ميـاه البـِركَةِ السُّفلَى.

١٠. وعَـددْتُم بيـوت أورشَـليم وهَدَمـتُم البيـوت لتَحصِين السُّور.

١١. وصـنَعتُم خنـدَقًا بـين السُّـورَين لميـاه البـِركَةِ العتقَيـةِ. لكـن لم تنظُـروا إلى صانِعِه، ولم تروا مُصوِّرهُ من قديم".

عندما كشف ستر يهوذا، نظروا إلى أسلحة بيت الوعر (جزء من بيت سليمان) وبدأوا يراجعون ثغرات سور أورشليم ووجدوا أن فتحاته وشقوقه كثيرة. ويا ليتهم أدركوا روحيًا ما قاله سليمان الحكيم في النشيد: "خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار المفسدة الكروم" (نش ٢: ١٥)... التي تدخل في هذه الشقوق الكثيرة... لقد انحصروا في السطحيات في فكرهم وبصيرتهم فلم يروا غير هذه المظاهر المادية... وكان أجدى بهم أن يذكروا كلام الرب "على أسواركِ يا أورشليم أقمت حراسًا لا يسكتون كل النهار"، "على كفي نقشتكِ... أسواركِ أمامي دائمًا".

إن الناظر إلى الأسوار المنهدمة تعوزه دائمًا روح نحميا الغيور روح الصوم والصلاة والبكاء والمناداة "هلم نبني أسوار أورشليم ولا نكون بعد عارًا".

وإشعياء النبي يكشف كل هذا. إن رجال يهوذا اهتموا أن ينظروا ويلاحظوا كل شيء لتأمين أورشليم ونسوا أن يعملوا شيئًا واحدًا "لم ينظروا إلى صانعه، ولم يروا مُصوره". ويا ليتهم نسوا كل شيء ونظروا إليه وحده، لأن جميع الذين نظروه استناروا ووجوههم لم تخجل.

١٢. "ودعـا السَّيد رب الجنـود في ذلـك اليـوم إلى البُكـاء والنـُّوح والقَرَعَـةِ والتنطق بالمسح.

١٣. فهـوذا بهجَـةٌ وفـرَحٌ، ذَبْـحُ بَقـر ونَحـرُ غنـَم، أكـل لَحـم وشُـرب خَمـر! لنأكل ونشرَب، لأننا غدًا نَمُوت.

١٤. فـأعلَن في أُذنـيَّ رب الجُنـود: لا يُغفَـرنَّ لكـم هـذا الإثـمُ حتـى تمُوتـوا، يقـول السيد رب الجنـود".

+ هذه مناداة أخيرة للتوبة والرجوع إلى الله. لعل الله يرجع عن حمو غضبه ويندم على الشر ويتراءف على شعبه ويشفق ولا يسلم ميراثه للعار. يا للمراحم الإلهية الصادقة، الله لا يشاء موت الخاطئ. إنه محب البشر، ولكن هل تسمع أورشليم

لصوت عريسها فترجع عن طريقها الردية وتطلب الرب فيوجد لها. هل تلتجئ إليه فيخلصها، أم تظل في زيغانها عنه؟

دعا السيد الرب الشعب إلى البكاء والنوح، هذا هو طريق النجاة، إن الدموع والصراخ إلى المراحم الإلهية هى ملجأ القديسين، الدموع والتوبة خلصت أهل نينوى الوثنيين ورفع الرب غضبه عنهم، دموع داود وصراخه أمام الرب خلصت الشعب من المهلك، دموع نحميا وصراخ الشعب معه وبكاؤهم رفعت أورشليم من الخراب والمذلة، فطفقوا يقولون بروح عالية "هَلُمَّ فنبني سور أورشليم ولا نكون بعد عارًا" (نح ٢: ١٧)، "إلـــه الســـماء يعطينـــا النجـــاح، ونحـــن عبيـــده نقـــوم ونبنـــي" (نح ٢: ٢٠).

إن السيد الرب يدعوهم إلى "الحزن الذي بحسب مشيئة الله" ولكنهم فضلوا أن يتنعموا بالخطية ساعة، ويفرحوا فرحًا مؤقتًا، وحسبوا تنعم اليوم لذة...

إن نفوس كثيرة تسلك هذا المسلك العجيب في أمر خلاصها... فهم يلجأون إلى طرق وحيل للتغطية ومغالطة الضمير، ويدعون إلى محاولة للنسيان وعدم مواجهة النفس، وفي محاولاتهم يتفننون في أسباب الفرح والتهريج والأكل وشرب الخمر لعلهم ينسون همومهم أو يفرجون عن أنفسهم، أو لعلهم يهربون ولو بعض الوقت من الوقوف على حقيقة أمرهم...

ولكن أين يهرب الإنسان من روح الله؟ وكيف ينجو من الدينونة؟ جيد للإنسان أن يبكي هنا... ويتوب ويقرع صدره، يحزن ويكتئب، يتحول ضحكه إلى غم وفرحه العالمي إلى حزن مقدس، فيحوز رضا الله، ويفرح قلب الملائكة السمائيين.

أما أن يرفض الإنسان مشورة الله، وتبكيت الروح القدس، ويمضي في طريق مسراته العالمية وعناد قلبه... فسوف يسمع في النهاية كلمات الدينونة الرهيبة: "فأعلن في أذني رب الجنود لا يغفرن لكم هذا الإثم حتى تموتوا يقول رب الجنود". فإن كانت التوبة هى الباب المؤدي للحياة، فمَنْ يغلقه بيده يحرم نفسه من الدخول. وإن كان الروح القدس يبكت على خطية وعلى بر وعلى دينونة فمَنْ يجدف على هذا الروح فلن يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي.

وإن كان الرب فتح ذراعيه ليجذب إليه كل واحد وهو لا يشاء موت الخاطئ، فمَنْ يرفض أن يأتي إليه فنصيبه يكون في الظلمة الخارجية.

وإن كان الرب يريد أن يملك على أورشليم بالحق والبر والحب والصليب، فإن هى رفضته فلابد أن تسمع هذه الكلمة: "هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا". وهذا هو معنى عدم الغفران حتى النهاية "حتى تموتوا" ليس لأن الله لا يريد أن يغفر حاشا بل لقساوة القلب غير التائب فإنه يذخر لنفسه غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.

فأعلن في أذني...

الرب لا يفعل أمرًا إلاَّ ويُري عبيده الأنبياء ما لابد أن يكون، لا يخفي عن قديسيه شيئًا، لذلك أعلن الرب كلمات الدينونة هذه كمنْ يهمس في أذن حبيبه، هو إعلان ولكن في سر، لأن سر الرب لخائفيه ولهم يعلن عهده.

حقًا ما أكرم مركز القديسين عنده، لقد صاروا قريبين إلى قلبه لذلك يعلن لهم مشيئته، بل قيل أيضًا في المزمور "يصنع إرادة خائفيه".

١٥. "هكذا قال السيد رب الجنود: اذهب ادخُل إلى هذا جَليس المَلِك، إلى شبنا الذي على البَيت.

١٦. ما لك ههُنا؟ ومَنْ لك ههُنا حتى نقَرتَ لنفسِكَ ههنا قَبرًا أيها النَّاقِر في العُلوِّ قَبْرَه، النَّاحت لنفسِهِ في الصَّخر مسكنًا.

١٧. هوذا الرب يطرَحُكَ طرحًا يا رَجُل، ويُغَطِّيك تَغْطِيَةً.

١٨. يلُفُّكَ لَفَّ لفِيفَةٍ كالكُرَةِ إلى أرض واسعة الطَّرَفَين. هناك تمُوت، وهناك تكون مركبَاتُ مَجدِكَ، يا خزيَ بيت سَيِّدكَ.

١٩. وأطرُدُك من مَنصِبك، ومن مقامِكَ يَحُطُّكَ.

٢٠. ويكون في ذلك اليوم أني أدعُو عبدي أليَاقيم بن حلقيَّا".

مَنْ هو شبنا؟

+ كان شبنا "جليس الملك" رجلاً غريب الجنس، كان ناظرًا على بيت الملك حزقيا ملك يهوذا. وربما كان أيضًا ناظرًا على الهيكل أي متوليًا الأمور الإدارية

والمالية في المملكة والهيكل على السواء. وقد تراءى له إذ حصل على هذا المركز، أنه صار ملكًا غير متوج، فتفكر في أن يجاري ملوك زمانه لتخليد ذكراه، ففكر في أن يبني لنفسه قبرًا منحوتًا في الجبل، مثلما كان يفعل ملوك قدماء المصريين مثلاً.

فحوى النبوة:

وقد أرسل الرب إشعياء النبي لكي يدخل إلى بيت حزقيا الملك ويوجه رسالة توبيخ لشبنا، وكلمات نبوية قوية تنبئ بنهاية هذا الوضع الغريب في بيت الملك وبيت الله ونهاية سلطانه الزائف.

وهذه الكلمات عينها تحمل معنى نبويًا لنهاية سلطان روح الظلمة الغريب الجنس، المتسلط على المملكة والهيكل.

وتكون نهاية سلطان شبنا بأن يولي أحد غيره مكانه وسلطانه أما هو فيطرد ويطرح خارجًا.

وهذه إشارة لما قاله الرب يسوع "متى تسلح القوي يحفظ داره في أمان ولكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه فأنه ينزع سلاحه المتكل عليه ويوزع غنائمه".

+ وقد سأل الرب شبنا بفم إشعياء قائلاً: مالك ههنا ومَنْ لك ههنا، فهو كإنسان غريب الجنس، مثل ذاك الذي وجده السيد داخل حفل العرس ولكن ليس عليه ثياب العرس، فقال له يا صاحب كيف دخلت إلى هنا؟ كيف جرؤت على دخول المقادس، بل وجدت ناظرًا على البيت؟ وقد تربعت كما على العرش وخُيّل إليك أنك صرت ملكًا وأن مجدك ما كان ليزول أبدًا، فنقرت لنفسك قبرًا في صخر الجبل مثل الملوك العظماء.

ولكن الروح يناديه قائلاً: "يا خزي بيت سيدك" لقد صار خزيًا لنفسه إذ يطرحه الرب من علوه ويطرده من مقامه ويلقيه كما تلقى الكرة بدفع شديد فينحطم ويكون رذالة وهوانًا، وليس لنفسه فقط بل يصير خزيًا لبيت سيده الملك الذي أقامه واستأمنه وهو ليس أهلاً لذلك.

تحقيق النبوة زمنيًا:

وقد تمت كلمات هذه النبوة حرفيًا، فإن حزقيا ملك يهوذا عزل شبنا وأقام بدلاً

منه ألياقيم بن حلقيا، وألبسه ثوبه وشده بمنطقته وجعل سلطانه في يده، وأعطاه مقاليد الأمور ومفاتيح البيت... (راجع ٢ مل ١٨: ١٨، ٢٦، ٣٧؛ ١٩: ٢).

لنتأمل جيدًا كلمات النبوة أنه ليس مجرد عزل من المنصب ولكن لأن شبنا هذا يمثل رجسة الخراب متربعة في الموضع المقدس حيث لا ينبغي أن يكون، فإن الكلمات بشأن الخلاص منه كلمات مملؤة قوة وأفعال رهيبة ومخيفة: "يطرحك طرحًا، يغطيك تغطية يلفك لف لفيفة (أي يقذفك بدفع قوي) أطردك من منصبك وأحطك من مقامك".

ولم يقل إشعياء لشبنا هوذا ستأتي عليه هذه، ولم يقل له إن حزقيا الملك سيصنع بك هكذا.

ولكن هوذا الرب يطرحك طرحًا... إلخ.

لأن الرب نفسه هو صانع الخلاص وهو الذي يغار على مجده وعلى بيته وهيكله.

وعندما نتأمل كيف طرد الرب الشيطان من مسكنه، كيف سحقه، وجرد الرئاسات. حينئذ تفهم قوة كلمات النبوة على شبنا الغريب الجنس.

+ ويكون في ذلك اليوم أني أدعو عبد ألياقيم بن حلقيا.

"ألياقيم معناه مَنْ يثبته الله" فإن كان شبنا الغريب يشير إلى المتسلط الذي سيطرحه الرب ويبيده فإن ألياقيم يشير إلى مَنْ يثبته الله، صخر الدهور، رجاء الأمم، الذي كرسيه إلى دهر الدهور.

+ ويكون يوم أن يرد الرب الملك ويطرد الدخيل غريب الجنس من بيت الملك ويسلم مقاليد الأمور إلى مختار الله وصفيه الذي يضع روحه عليه، يكون في ذلك اليوم يقول الرب..

٢١. "أُلبسُه ثوبَك، وأشُدُّه بمنطَقَتِك، وأجعَلُ سلطانكَ في يَدِه، فيكون أبًا لسُكّان أورشليم ولبَيت يهوذا.

٢٢. وأجعَل مفتاح بيت داود على كَتَفِيهِ، فيفتَح وليس مَنْ يُغلِق، ويُغلِق وليس مَنْ يفتَح.

٢٣. وأثَبِّته وتدًا في مَوضِع أمين، ويكون كُرسيَّ مجدٍ لبيت أبيه".

وقد أجمل الروح الصفات التي يضطلع بها المخلص وثياب الخلاص التي لبسها الرب لأجلنا. تأمل أيضًا في تفاصيل تدابير الخلاص.

١. ألبسه ثوبك:

لقد لبس الرب القوة وتنطق بها، وقد ناداه إشعياء كمَنْ يستعجل زمان الخلاص قائلاً: "استيقظي استيقظي البسي عزك يا ذراع الرب"، أما عن هذا الثوب فرآه ثيابًا محمرة كدائس المعصرة. وقد تنبأ داود أيضًا قائلاً: المُر والميعة والسليخة من ثيابك. فهى ثياب الملك والسلطان، أرجوان وبرفير، لبسه المسيح في يوم الخلاص أمام هيرودس وبيلاطس، وهى أيضًا مُر وميعة الآلام من جراحات وإكليل شوك في ثوب الجسد.

٢. وأشده بمنطقتك:

لقد تمنطق الرب يسوع بمنطقة الخدام في يوم الخلاص حين اشتد بمئزرة وغسل أرجل تلاميذه في علية صهيون وقال لهم: أنا بينكم كالذي يخدم فهى منطقة مملكة ولكن ليست من هذا العالم. فالمسيح ملك على خاصته بالبذل والاتضاع لا بالتجبر والكبرياء.

٣. وأجعل سلطانك في يده فيكون أبًا لسكان أورشليم:

قال إشعياء في نبواته السابقة أن الرب يدعى اسمه عجيبًا مشيرًا... أبًا أبديًا رئيس السلام.

فسلطان المسيح وسيادته هى سيادة الأب للبنين، إذ صار هو بكرًا بين إخوة كثيرين.

أليس هو القائل "لا أعود أسميكم عبيدًا بل سميتكم أحبائي"، "لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني سميتكم أحبائي لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي".

فهو قد ساد وملك بروح الحب وروح النبوة للآب ونقل الذين اختارهم إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون.

٤. وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه فيفتح ولا أحد يغلق...

من قال أن المفتاح يحمل على الكتف؟

إنه صليب المسيح الذي تنبأ عنه إشعياء قائلاً: "وتكون الرئاسة على كتفه" لقد حمله المسيح - كعلامة تقاوم - وحمله إلى الجلجثة، وبه فتح المسيح باب الفردوس البيت الأبدي. وأغلق باب الجحيم.

وأعطاه للرسل الأطهار "أعطيك مفاتيح ملكوت السموات".

وقد قال الرب يسوع لملاك الكنيسة في سفر الرؤيا "أنا أفتح ولا أحد يغلق".

٥. وأثبته وتدًا في موضع أمين ويكون كرسي مجد لبيت أبيه:

لقد قال الملاك جبرائيل في بشارته للعذراء "إنه يملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية".

وقال أيضًا "يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه".

كما تنبأ زكريا الكاهن يوم ولادة يوحنا السابق قائلاً: "أقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه".

هذا هو قرن الخلاص في الموضع الأمين، كرسي بيت داود الأبدي ومجده الذي لا يوصف وملكوته الذي لا يزول.

٢٤. "ويُعلِّقُون عليه كل مَجدِ بيت أبيه، الفُروع والقضبَان، كل آنيةٍ صغيرةٍ من آنية الطُّسوس إلى آنية القنَّاني جميعًا.

٢٤. في ذلك اليوم، يقول رب الجنود، يزول الوَتَد المُثبَت في موضع أمين ويُقطَع ويسقُطُ. ويبادُ الثِّقل الذي عليه، لأن الرب قد تكلَّم".

+ يعلقون عليه كل مجد بيت أبيه الفروع والقضبان (ع٢٤). هنا إبداع الروح في التصوير، إن المخلص يصير هو محور المجد في كنيسته، وأولاد الخلاص المختارون يصيرون كالفروع والقضبان في كرمته الحقيقية. "أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام. كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه وكل ما يأتي بثمر ينقيه".

"أنا الكرمة وأنتم الأغصان... كما أن الغصن لا يقدر أن يصنع ثمرًا من ذاته كذلك أنتم أيضًا إن لم تثبتوا فيَّ".

وقد قيل عن شبنا الدخيل وغريب الجنس أنه صار خزيًا لبيت سيده أما ألياقيم (رمز الخلاص) فيقال عنه أنه يعلق عليه كل مجد بيت أبيه. وقد أعلن الإنجيل هذا الأمر بوضوح بخصوص مخلصنا، فعندما كان ابن اثنتي عشر سنة قال: "ينبغي أن أكون في ما لأبي".

وفي كل أيام تجسده وخدمة الخلاص، كان محور عمله أن يمجد الآب الذي أرسله ويظهره للعالم... حتى إذا ما بلغ وقت كمال عمله الإلهي قبل الصليب مباشرة، قال للآب: "أنا مجدت اسمك على الأرض... أنا أظهرت اسمك للناس".

+ لاحظ أيضًا أن الذين تعلقوا به ونالوا نعمة الخلاص صاروا آنية صغيرة، وآنية طسوس، وآنية قناني.

أنواع صغيرة وكبيرة، وكلها صارت آنية للكرامة بعد أن كانت آنية هوان... وهى إذ تعلقت بالمسيح، يصح أن يُقال عنها "لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا".

+ أما النفوس التي تعلقت بالدخيل غريب الجنس واتكلت على الباطل واعتبرته وتدًا مثبتًا فإنه يزول رجاؤها فيقطع الوتد ويسقط ويباد كل متكل ومرتكز عليه لأن فم الرب تكلم (ع ٢٥).

الأصحاح الثالث والعشرون

١. "وحيٌ من جهة صور: ولولي يا سُفُن تَرشيش، لأنها خَرِبَت حتى ليس بيتٌ حتى ليس مدخَلٌ. من أرض كتِّيمَ أُعلن لهم.

٢. اندهشوا يا سكَّان السَّاحل. تُجَّار صِيدُون العابرونَ البحر ملأوكِ.

٣. وغلَّتها، زرعُ شيحُور، حصادُ النيل، على مياهٍ كثيرة فصارت مَتجَرة لأُمم.

٤. اخجلي يا صيدُون لأن البحرَ، حِصْن البَحر، نَطَقَ قائلاً: لم أتمخَّض ولا ولَدتُ ولا ربَّيتُ شبابًا ولا نشَّأت عذارى.

٥. عند وصول الخبر إلى مصر، يتوجَّعون، عند وصول خَبَر صُور.

٦. اُعبُروا إلي تَرشِيشَ. ولولوا يا سُكّان السَّاحل.

٧. أهذه لكم المُفتَخِرَةُ التي منذ الأيام القديمة قِدَمُها؟ تنقُلُهَا رجلاها بعيدًا للتغرُّب.

٨. مَنْ قضى بهذا على صُور المُتَوِّجَة التي تُجَّارها رؤساء؟ متسبِّبُوها موقَّرو الأرض.

٩. رب الجنود قضى به ليُدنِّس كبرياء كل مَجدٍ، ويَهين كل موَقَّري الأرض".

هذا الوحي من جهة صور وصيدا، كإعلان إلهي وحكم للدينونة من جرَّى الخطايا الكثيرة التي غرقت فيها...

أرض كتيم: يظن أنها جزيرة قبرص، وهذا معناه أن أخبار عقاب صور وصيدا وخرابها سيسمع من على بعد. أي يسمعه التجار وهم بعد في عرض البحر. فقبل أن يصلوا ميناء صور أو صيدون يعلن لهم خرابها وما قضى به رب الجنود عليها.

ولا شك أن لكلمات الدينونة والقضاء وقع مخيف ومرعب لا سيما إذا كانت لبلاد كهذه سكرى من فرط ما شربت من خمر الزنى والشهوات.

+ والروح يشير بوضوح شديد إلى المظاهر العالمية التي عاشت فيها صور وصيدون والمباهج الكاذبة التي جذبت أنظار الناس من بعيد.

لقد عاشت تتغذى على الافتخار الباطل... وكانت تجارتها الظاهرة من بضائع

هذه الدنيا الكاذبة وتجارتها الباطلة في الشهوات والملاهي والزيغان عن الله.

وهكذا جمعت لنفسها غنى من الربح القبيح واكتسبت اسمًا وشهرة وصيتًا عالميًا، سريعًا ما يزول ويتغير.

+ الروح هنا يسميها المفتخرة، التي منذ الأيام القديمة تجارها رؤساء ومتسببوها موقورو الأرض. وكل افتخار كاذب مثل هذا رديء كما يقول الرسول إنه افتخار بالأباطيل واتكال على الغنى غير اليقيني، في لحظة من الزمان يفنى جمال منظره إذا ما هبت عليه نفخة القدير. أما تجارها فرؤساء ومتسببوها موقرو الأرض ولكن ليس لهم مدح أمام الله.. وليس مَنْ يمدحه الناس هو المزكى بل الذي مدحه من الله.

لقد أخذوا مجد الناس، وكان هو كل رصيدهم... أما رضى الله عنهم فلم يدخل في حسابهم.

صور وصيدون:

قال ربنا يسوع المسيح للمدن التي صنع فيها أكثر قواته ولم تتب، لو صنعت في صور وصيدا القوات التي صنعت فيكم لتابتا قديمًا جالستين في المسموح والرماد. ولكن صور وصيدا سيكون لهما في يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لكما (لو ١٠: ١٤).

يا ليت كلمات ربنا يكون لها في قلوبنا قبولاً وفهمًا كلما قرأنا في القديم قصص دينونة شعوب وقبائل وكلما رأينا مجد العالم يتبدل إلى هوان وعظمة العالم وافتخاره وغناه وشهواته تكابد عقابًا هذا مقداره.

لقد التمس الرب لصور وصيدا عذرًا أنه لم تصنع فيهما قوات وآيات الرب، فأمم كثيرة من الشعوب الأممية والوثنية كانت تسارع إلى التوبة إذا أرسل الرب لها كارزًا مثل مدينة نينوى.

ولكن ماذا يقال عن الذين ولدوا في النعمة واستنيروا مرة وقبلوا مواهب الروح وذاقوا عطاياه الصالحة. ورأوا أعمال الله وآياته تصنع أمام عيونهم ورغم كل الإحسانات لم يصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة ولكنهم زاغوا وراء الجسد ونسوا إحسانات الله.

ماذا يكون بعد إحسانات الله الكثيرة هذه إلاَّ قبول دينونة مخيفة ونار عتيدة تحرق المخالفين. لذلك فإن درس دينونة صور وصيدا، يصير دافعًا للتوبة والرجوع إلى الله والتمتع ببركات الحياة في حضرته.

"مَنْ قضى بهذا على صُور المُتَوِّجَة التي تُجَّارها رؤساء؟ متسبِّبُوها موقَّرو الأرض".

رُبَّ سائل يسأل هذا السؤال، فيجاب أن رب الجنود هو الذي قضى به، وهذا ما عناه عاموس النبي حين قال: "هل تحدث بليَّة في مدينة والرب لم يصنعها؟" (عا ٣: ٦).

ولكن ما سبب كل هذا؟

الجواب هو أن الخطية وراء كل خراب...

وما هو أساس الخطية؟ هو الكبرياء والمجد الباطل.

هذه هى أفكار الله في معاملته ورحمته ودينونته العادلة. وطالما غاب عن الإنسان أصل الداء، ونسب الكوارث والعقاب والدينونة لأسباب كثيرة وعلل وقوعها بتعليلات كثيرة ابتعدت كثيرًا عن الصواب، ونسى أن الخطية الكامنة هى الفساد بعينه وأن البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية.

لذلك أعلن النبي عن فكر الله قائلاً: إنه قضى بهذا "ليُدنِّس كبرياء كل مَجدٍ، ويهين موقَّري الأرض" (ع ٩).

إن طبيعة الله "وديع ومتواضع القلب". بينما قيل عن عدو الخير إنه ملك على كل بني الكبرياء وهذه هى علة السقوط...

لذلك قيل أيضًا إن الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة. وقيل أيضًا في دانيال "إن مَنْ يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله".

وهذا هو معنى أنه يدنس كبرياء كل مجد...

أن يخفض الرؤوس المتشامخة إلى التراب.. ويحط تعالي الإنسان إلى الأرض.

١٠. "اجتازي أرضكِ كالنيل يا بنت ترشيش. ليس حصرٌ في ما بعد.

١١. مدَّ يده على البحر. أرعد ممالك. أمر الرب من جهة كنعان أن

تُخرب حُصونها.

١٢. وقال: لا تعودين تفتخرين أيضًا أيتها المنهتكة، العذراء بنت صيدون. قومي إلى كتيم. اعبري. هناك أيضًا لا راحة لكِ".

+ كمثل تدفق النيل إلى مياه البحر هكذا سيطرد الرب شعب صور وصيدون ويقذف بهم إلى خارج... لا يدوم وجودهم فيها بل يصيرون بلا قوة وبلا قدرة يجرفهم الخوف والارتياع كتيار النيل الجارف.

والرب يضع أمام صور وصيدا خبرات الشعوب السابقة أليست ذراع دينونة الله هى التي أنشفت البحر الأحمر حينما تمجد الله بفرعون مصر وكل جنوده... حينما رتل موسى وكل بني إسرائيل لذراع الرب القوية "يمينك يارب معتزَّة بالقدرة. يمينك يا رب تحطِّم العدو" (خر ١٥: ٦).

يمد الرب يمينه أولاً داعيًا للتوبة والرجوع "بسطت يدي طول النهار" ولكن العيون تقفل دون رؤيتها والقلوب تتقسى بالرفض والآذان تثقل عن السماع وعن تصديق صوته المنادي كل أحد حتى أن إشعياء صرخ في موضع آخر "يارب مَنْ صدق خبرنا ولمَنْ استعلنت ذراع الرب".

بعد ذلك يمد الرب يمينه للدينونة والعتاب، يرعد بها وبروح فيه فتعج المياه وتجيش وترتعب الجبال من عزته وتذوب الجبال من وجه الرب كالشمع.

لقد صنع الرب هكذا بممالك كثيرة وشعوب امتلأ كأس غضب الرب من نحوها... ولكن هل صار هذا سبب توبة ورجوع لمَنْ حولها من الأمم؟ هل أفاقت من خمر زناها؟ هل غيرت طريقها ورجعت عن شرها؟ لا بل تمادت صور وصيدون إلى النهاية وإذا لم تصر لها دينونة الآخرين عبرة استحقت هى الأخرى أن تدان بدينونة وعقاب أشر.

إن أقرب البلاد إلى صور هى قبرص (كتيم) فإن فكر الشعب في الهروب من الغضب الآتي والدينونة. إلى أرض كتيم فإنه لا راحة لهم هناك قال الرب. إلى أين أهرب من روحك وإلى أين أذهب من وجهك؟ إن صعدت إلى السماء فأنت هناك وإن هبطت إلى الجحيم فأنت هناك أيضًا هكذا قال المرتل.

إن الراحة لا توجد في تغيير المكان!! هذا أمر مستحيل لأن الراحة الحقيقية كائنة في تغيير القلب بالتوبة والرجوع إلى الله مريح المتعبين "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" هكذا قال مخلصنا.

١٣. "هوذا أرض الكلدانيين. هذا الشعب لم يَكُن. أسَّسَها أشور لأهل البَرِيّة. قد أقاموا أبراجَهُم. دمَّروا قصُورها. جعلها ردمًا.
١٤. ولولي يا سُفُن ترشِيش لأن حِصْنَكِ قدِ أُخربَ".

الآن يحول الرب أعين صور وصيدون نحو أرض الكلدانيين وكيف تحولت قصورها إلى ردم ودمرت أبراجها بواسطة ملك أشور. كأن الرب يضع درس الدينونة للأرض المجاورة كمثال للعتيدين أن يُدانوا... ما أكثر جودك يا رب.

إن سدوم وعمورة كما يقول الرسول حكم عليهما بالخسف وجعلهما عبرة للعتيدين أن يفجروا... وقيل أيضًا انظروا امرأة لوط.

لذلك يناديها قائلاً: ولولي يا سفن ترشيش الحاملة البضائع المروجة التجارة النجسة ... لأن أيام الحكم قد أتت وكأس غضب الله قد إمتلأ ويده ارتفعت ليطلب ويحاسب.

١٥. "ويكون في ذلك اليوم أن صُور تُنسى سبعين سنة كأيام مَلِك واحد. من بعد سبعين سنة يكون لصُور كأغنيَّة الزَّانية.
١٦. خُذي عودًا. طُوفي في المدينة أيتها الزَّانية المَنسيّةُ. أحسِني العَزْف، أكثِري الغناء لكي تُذكَري.
١٧. ويكون من بعد سبعين سنةً أن الرب يتعهّد صُور فتعود إلى أُجرَتها، وتزني مع كل ممَالكِ البلاد على وجه الأرض.
١٨. وتكون تجارتُها وأُجرَتُها قدسًا للرب. لا تُحزَنُ ولا تُكنَزُ، بل تكون تجارتها للمُقِيمِينَ أمام الرب، لأكل إلى الشبع وللبَاس فاخر".

+ تنبأ إرميا النبي عن هذه السبعين سنة بخصوص إسرائيل أنها ستكون في سبي بابل مدة سبعين سنة (إرميا ٢٩: ١٠) وتنبأ أيضًا بخصوص البلاد المجاورة

أنها ستخدم ملك بابل مدة سبعين سنة.

ويقصد بالملك في هذه النبوة نبوخذنصر الملك... هذا الذي طرد من بين الناس ونسى مجده وابتل بندى السماء مدة سبع سنين كما فسر له دانيال.

ولكن ما أبدع ربط الأمم بإسرائيل في العقاب ومكابدة نفس المصاعب والشرب من ذات الكأس... حقًا لقد أغلق على الكل تحت الخطية...

لقد خاطب الرب أورشليم في بداية نبوات إشعياء قائلاً: "كيف صارت القرية الأمينة زانية"... واليوم يخاطب صور أيضًا قائلاً: "طوفي في المدينة أيتها الزانية المنسية".

قال الرسول بولس: "شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودي أولاً ثم اليوناني" وقال أيضًا: "لأننا شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية". فمن جهة الزيغان عن الله والجري وراء آخر حسبت جميع الأمم والممالك كزانية في تعديها. على الله وعدم الالتصاق به أو حفظ وصاياه.

وقد مثل الرب ذلك مرارًا كثيرة. ولكن عندما افتقد الرب العالم وطلب الخروف الضال بتجسده وسعيه وراء الإنسان ليخلصه... شبه ذلك في النبوات كمثل مَنْ يحب امرأة زانية صاحبة صاحب (انظر هوشع النبي أصحاح ٣ في أوضح صورة لهذا المعنى).

والرب ينادي صور كأقرب الأمم – يدعوها أن تأخذ عودًا ومزمارًا وتدخل إلى مدينة الملك العظيم وتكثر الغناء وتحسن العزف في زمان افتقادها حين يذكرها الرب ويضمها إلى ميراثه.

لقد شاركت صور قديمًا في بناء الهيكل... وكان حيرام ملك صور محبًا لداود ملك إسرائيل الحلو وطلب عمال صور وصيدون خشبًا ومدوا أيديهم واشتركوا مع إسرائيل. هذا كله حدث في شبه السماويات وظلها.

أما في زمان الافتقاد... حيث الهيكل غير المصنوع بيد... هيكل جسد المسيح الذي هو الكنيسة.

وعندما ملك ابن داود الذي أقام خيمة داود الساقطة رأينا ممثلة صور المرأة الكنعانية تغتصب الملكوت وتأخذ من خبز البنين ويقول لها الرب يسوع "عظيم هو

إيمانكِ ويشهد أنه ولا في إسرائيل إيمان مثل هذا".

إذًا كما قضى على إسرائيل سنين سبي ومذلة قضى أيضًا على صور وكما افتقد الرب إسرائيل ليصنع خلاصًا هكذا أشرق على كل الجالسين في الظلمة وظلال الموت. وكما أهان الزمان الأول أهل زبولون وأهل نفتالي يكرم الزمان الأخير جليل الأمم والشعب السالك في الظلمة.

وفي زمان الافتقاد تسمع صوت المزمار والعزف والتسبيح والفرح في المدينة أي في الكنيسة في الأرض وفي السماء كما رآها يوحنا الحبيب في سفر الرؤيا "لهم كل واحد قيثارات الله وهم يترنمون كترنيمة جديدة".

ويكون أيضًا في زمان الافتقاد والخلاص (أي زمان المسيا) أن تتحول تجارتها وأجرتها إلى قدس للرب فبعد أن كانت للزنى والنجاسة والجسد والتراب والعالم والشيطان... تتكرس كل الطاقات لخدمة المسيح وبعد أن كانت تزن فضتها لغير شبع وبعد أن كانت تشرب من ماء العالم وتعطش أيضًا... يقول الرب إنه يكون "لأكل إلى الشبع وللباس الفاخر" للقائمين أمام الرب في قدسه".

وهذا هو ميراث الرجوع وعربون الخلاص.

الأكل من المن المخفي... خبز الحياة... جسد المسيح... مَنْ يأكل منه لا يجوع.. بل بحسب كلام المسيح مَنْ يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.

أما اللباس الفاخر فهو لباس المعمودية،... ثياب العرس... الثياب البيض المبيضة في دم المسيح.

وباختصار فإن الأكل للشبع هو جسد المسيح واللباس الفاخر هو الرب يسوع "البسوا الرب يسوع"، "أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح".

هذا هو التمتع بالخلاص لأن المسيح يسوع هو غاية النبوات وشهادة يسوع المسيح هى روح النبوة.

الأصحاح الرابع والعشرون

١. "هوذا الرب يُخلي الأرض ويفرغُها ويقلِب وجهها ويبَدِّد سُكَّانها.
٢. وكما يكون الشعب هكذا الكاهن. كما العَبد هكذا سيدُهُ. كما الأمَةُ هكذا سيدتُها. كما الشَّاري هكذا البائع. كما المُقرض هكذا المُقْتَرض. وكما الدَّائن هكذا المَديُون".

مقدمة:

ينتقل إشعياء النبي بداية من الأصحاح الرابع والعشرون وحتى السابع والعشرين من النبوات الخاصة بإسرائيل ويهوذا... ثم ما يخص الشعوب والأمم المحيطة بهم... ينتقل إلى نبوات عمومية تخص الأرض كلها عند كمال الأزمنة... أي أنه يخرج من الجزيئات إلى الكليات ومن التخصص في الحديث عن عينات من شعوب الأرض إلى الحديث عن شعوب الأرض كلها... وفي ثنايا الحديث تظهر بشرى الخلاص يوجهها وينادي بها إلى الأرض كلها... وعن المفديين المختارين المعينين يظهر بجلاء عظيم خلال الكلمات النبوية ما ادخره الرب للذين كتبوا للحياة من فرح وترنم وسرور وميراث أبدي لا يضمحل.

تبدأ النبوات عن دينونة الأرض بإظهار أن الخطية ضربت جذورها في الأرض كلها. وأمام الدينونة العامة الجميع تحت الحكم سواء... الكاهن والنبي والشيخ والحكيم والعبد والسيد والشاري والبائع... أغلق على الكل تحت الخطية.. واستحق الجميع حكم الموت.

ولكن النبوات تأخذ معنى غاية في الإبداع... إن الرب يخلي الأرض ويفرغها... وكأن الرب يعيد صياغتها من جديد... يعيد خلقتها خليقة جديدة.

في بداية الخليقة الأولى كانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الأرض ظلمة ثم أكمل الله الخلقة بالكلمة من هذا الخراب الموحش. وعندما دخلت الخطية إلى العالم صارت الخليقة كلها تئن وتتوجع وهى واقعة فريسة للهلاك... وعندما كمل زمان الخطية وجاء وقت دينونتها والحكم عليها... قيل إن الرب يفرغ الأرض ويقلب وجهها ليعيد خلقتها كما من البداءة.

وكما كان في أيام نوح حين غرق العالم كله في الشهوات استحق أن يكابد دينونة الطوفان وغرق جميع الناس الذين كانوا على وجه الأرض. وأفرغ الرب الأرض من سكانها... ومن نوح البار جدد الرب الخليقة بعد أن استبقاه بالفلك الذي هو مثال المعمودية كقول بطرس الرسول.

٣. "تُفرغُ الأرض إفراغًا وتُنهَبُ نهبًا، لأن الرب قد تكلَّم بهذا القَول.
٤. ناحَت ذَبُلت الأرضُ. حَزنَت ذبُلَت المَسكُونةُ. حَزن مرتفِعو شعب الأرض.
٥. والأرض تدنَّست تحت سُكَّانها لأنهم تعدُّوا الشرائع، غيَّروا الفَريضة، نكَثوا العهد الأبديَّ".

هنا تشير النبوة إلى أن الأرض نفسها قد تدنست تحت سكانها أي أن ظل الخطية وقع حتى على الأرض. كما يشهد القديس بولس الرسول أن الخليقة كلها تئن وتتمخض معًا. وقد ظهر هذا واضحًا منذ أن دخلت الخطية فقد صارت الأرض تنبت حسكًا وشوكًا... وقد لعنت الأرض حتى فتحت فاها وقبلت دم هابيل الصديق... ومنذ ذلك الحين والأرض تتدنس بخطايا الإنسان وتشهد بانحرافاته... حتى أشهدها الرب على الإنسان قائلاً: "أصغي أيتها الأرض..." (إش ١).

وقد أوضح الرب السبب بقوله لأنهم تعدوا الشرائع، وغيروا الفريضة. نكثوا العهد الأبدي.

فالناموس يشهد بجلاء أنه لم يحفظ كلماته ولا واحد. والفرائض والأحكام أظهرت عجز الإنسان المطلق عن تحقيق الكمال والعهد الأول في الذبائح الدموية والكهنوت اللاوي نكثوه ولم يحفظوه.

وهنا يجدر بنا أن نسمع قول الوحي الإلهي بفم بولس الرسول "هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا. لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر. لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم يقول الرب. لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد

تلك الأيام يقول الرب أجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم... لأني أكون صفوحًا عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم... فإذ قال جديدًا عتق الأول وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال" (عب ٨).

وهذا يشرح بجلاء تدبير الله من جهة الإنسان بعد أن دنس الأرض ونقض العهد وكسر الناموس. قد حول الرب العقوبة خلاصًا. وبدل الموت والدينونة بالغفران والحياة إلى الأبد... بالعهد الجديد لا من جهة الإنسان بل بدم المسيح الذي بروح أزلي يطهر الضمائر ويجدد الخليقة كلها.

تدنست الأرض تحت سكانها:

بإنسان دخل الموت إلى العالم وتدنست من بعده الأرض تحت سكانها... ترى مَنْ يرفع اللعنة. وكيف تتقدس الأرض؟ عندما وطئت قدما القدوس الذي بلا خطية... أرض الشقاء... تقدست وغسلت لعنتها.

عندما نزل الله كنار مشتعلة في عليقة رمزًا لتجسده الطاهر. وقال لموسى رأيت عيانًا مذلة شعبي... ونزلت لأخلصهم... في ذلك الوقت قيل لموسى اخلع نعليك لأن الأرض التي أنت واقف عليها أرض مقدسة... تقدست الأرض بنزول ابن الله إليها حتى إلى جوف القبر... وحول المسيح العقوبة خلاصًا وبدل الموت إلى قيامة واللعنة إلى بركة أبدية.

٦. "لذلك لعنَةٌ أكلَت الأرض وعُوقِبَ السَّاكنون فيها. لذلك احتَرَق سُكّان الأرض وبقيَ أُناسٌ قلائل.

٧. ناح المِسطَار، ذَبُلَت الكرمَةُ، أنَّ كل مسروري القُلوب.

٨. بطَل فَرَح الدُّفُوف، انقَطَع ضَجيج المُبتَهجينَ، بطل فَرَح العُود.

٩. لا يشرَبون خمرًا بالغناء. يكون المُسكِر مُرًا لشاربيه.

١٠. دُمِّرت قريَةُ الخرَاب. أُغْلِقَ كل بَيتٍ عن الدُّخول.

١١. صُرَاخٌ على الخَمر في الأزقَّةِ. غَرَب كل فرَح. انتفى سُرور الأرض.

١٢. الباقي في المدينة خَرابٌ، وضُربَ الباب ردمًا.

١٣. إنــه هكــذا يكــون في وسَــطِ الأرض بــين الشــعُوب كنُفاضَــةِ زيتُونَــةٍ، كالخُصَاصَةِ إذ انتهى القِطاف".

ونحن هنا أمام دينونة الأرض كلها... فالكلمات كلها عقاب وأنين ونوح وبكاء ودمار... وقد شملت الدينونة كل أحد أتت اللعنة على كل شيء.

ونستطيع أن نخلص إلى أمور مفيدة للتأمل نافعة للحياة:

١. انصبت الدينونة بالأكثر على المنغمسين في أفراح هذا العالم الزائل "أنَّ كل مسروري القلوب". وتحولت أفراحهم إلى حزن لأن فرح العالم إلى حين... وهنا يجدر بنا أن نحزن طالما هناك زمان للتوبة... طوبى للحزانى لأنهم يتعزون... وكما قال ربنا "ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم تحزنون وتبكون".

٢. اختص الروح بصفة خاصة الخمر، والمسكر، والكرمة التي تشير روحيًا إلى السكر بخمار هذا العالم والتلهي عن خلاص النفس والانزلاق في الاستهتار والخلاعة وغياب الإنسان عن وعيه الروحي وإدراك نهاية العالم وكونه باطل الأباطيل...

يصير المسكر مرًا لشاربيه... ناح المسطار... ذبلت الكرمة. فإن كان هذا هو قضاء الخمر والمسكر ونهاية حتمية للذين سقطوا في هذا الشرك.

فعندنا الوصايا الإلهية "لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا من الروح"... لقد صار الخمر مرًا لشاربيه. لم يعد بعد الخمر الذي يفرح قلب الإنسان... انقلبت النشوة إلى مرارة، انقطع ضجيج المبتهجين... بطل فرح العود.

وفي سفر التثنية إشارة عجيبة لكون الخمر يكون مرًا لشاربيه... "لأن من جفنه سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة... عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة". إن الخمر الذي يشربونها هى نتاج كرمهم... ثمر أفعالهم الأثيمة... أفعال سدوم وعمورة في الزنا والفجور... وأي مرارة رهيبة تكون في ثمر الخطية التي هى سم الحية القديمة. ألم ينقلب شرب الخمر مرًا لبيلشاصر بن نبوخذنصر وهو غارق في شهواته عندما ظهرت طرف اليد وكتبت على مكلس الحائط "منا منا تقيل وفرسين"، وقد فسّر له دانيال النبي من قبل الرب الكتابة "أحصى الله ملكك وأنهاه". وفي تلك الليلة قتل بيلشاصر، وتحول شرب الخمر إلى مرارة نفس حتى الموت

(دانيال ٥: ٥).

ثم أظهر الرب حبه للبشرية أطيب من الخمر... وقدّم الرب كأسه لأحبائه "كأسك روتني". وصار خمر العهد الجديد برًا وقداسة وفرح في الروح لا ينتهي إلى كل الدهور.

٣. من مراحم الرب أنه ما من مرة ينطق الروح بكلمات الدينونة والعقاب إلاَّ ويجعل بابًا للنجاة وشعاعًا للرجاء ومنفذًا للخلاص. "وبقى أناس قلائل".

فللرب بقية في كل زمان ومكان ومن أجلها يتحنن الرب ويتراءف وفي زمان الدينونة الأخير يقول ربنا "ولو لم يُقَصِّر الرب تلك الأيام لم يخلُص جسد. ولكن لأجل المُختارين ... قصَّر الأيام" (مر ١٣: ٢٠).

٤. يكونون بين الشعوب كنفاضة زيتونة كالخصاصة إذا انتهى القصاص... إنه زمن دينونة وحصاد وزمن طلب الثمار وفرز الجياد من الأردياء، والقمح من التبن وأولاد الله من أولاد العالم.

البعض عن اليمين لميراث الملكوت المُعد والآخر عن الشمال للعذاب الأبدي.

+ بشارة الخلاص ومجد الرب في دينونة الأرض:

متى جاء يوم الدينونة على الأرض وجميع السكان فيها، يتمجد الرب بمجد عظيم في سحق الخطية ودينونة الأشرار ويتعالى بره والذين أهانوا الرب ورفضوه يكون هذا اليوم لخزيهم. الذين قبلوه فقد جاء زمان نجاتهم حين يتحول حزنهم إلى فرح على هذا النحو كان مجيء ربنا في تجسده.... أدان الخطية في الجسد... وحكم على الموت بموته وتمجد بقيامته وخزى الذين رفضوه ملكًا عليهم وتمجد الذين قبلوه ربًا وفاديًا ومخلصًا.

وهكذا يكون أيضًا في مجيئه الثاني المخوف والمملوء مجدًا حين "يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا" (رؤ ٦). بينما يتهلل الأبرار بالفرح "يدخلون إلى العرس الأبدي".

وهذا ما تنبأ عنه إشعياء النبي في الأعداد من ١٤-٢٣.

١٤. "هُـم يرفَعُـون أصـواتَهُم ويترنـَّمون. لأجْـل عظَمَـةِ الـرب يُصَـوِّتُون من البحر.

١٥. لـذلك في المَشارق مجِّدوا الـرب. في جزائـر البَحـر مَجِّدوا اسـم الـرب إله إسرائيل.

١٦. مـن أطـراف الأرض سَمـعنا ترنيمَـةً: مجـدًا للبـَارِّ. فقُلـت: يـا تَلَفِـي، يا تَلَفِي! ويل لـي! النَّاهِبون نهبوا. النَّاهِبون نهبوا نهبًا".

فبينما (عدد ١٣) يصف الأرض كلها كزيتونة نفضت أوراقها وجُمعت ثمارها فوقفت هكذا عريانة من كل شيء... نجد إشراق الخلاص ينبع كما في وسط القفر. فينتقل إلى الحديث عن الذين يرفعون أصواتهم ويترنمون لأجل عظمة الرب... ترى مَنْ هؤلاء؟

الذين كانوا ينتظرون إشراق شمس البر كقول ملاخي (ملا ٤: ٢) عندما يبصرون الرب في عظمته ومجده. يترنمون ترنيمة الخلاص... ترنيمة موسى عبد الرب... وهى ذات الترنيمة التي سيترنم بها المفديون إلى أبد الآبدين في السماء (رؤ ١٥).

"**يصوتون من البحر**"... لم تسمع أصواتهم ولكن إلى أقصى الأرض بلغ منطقهم... كرازتهم بالمسيح كانت أنشودة جميلة... خبر مفرح.... بشارة سارة... إنجيل خلاص. لذلك قال النبي "من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة مجدًا للبار" أي أن الكرازة بالإنجيل تبلغ أطراف الأرض... ولا يوجد مكان مهما كان في أطراف الأرض إلاَّ وتشرق عليه أنوار البشارة ورجاء الخلاص... مجدًا للمسيح الذي خلص عبيده. كقول الرب أيضًا: "يكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم" (مت ٢٤: ١٤).

ويزيد إشعياء النبي إيضاحًا أن بزوغ النور الإلهي يكون من المشارق كمثل إشراق الشمس هكذا يكون "من المشارق مجدوا الرب" فالمجوس الذين من المشرق رأوا نجمة في المشرق ورأوا مجده وسعوا للسجود له. وعندما أكمل الرب تدبير الخلاص صعد إلى السموات نحو المشرق. وعندما نتطلع في صلواتنا نحو المشرق نمجد

وننتظر ظهوره الثاني من المشرق حين يأتي في مجده وجميع الملائكة القديسين معه ليدين العالم.

+ وعلى عكس ذلك تمامًا كما كان ظهور الرب لمجد محبيه يكون خزيًا لرافضيه.

١٧. "عليك رُعْبٌ وحُفْرَةٌ وفَخٌّ يا ساكِنَ الأرض".

لقد طرح إبليس كما رآه القديس يوحنا الحبيب في رؤيا إلى الأرض (رؤ ١٢: ٩). وقيل حينئذاك ويل للأرض وللساكنين فيها... لذلك يدعوه إشعياء ساكن الأرض. وقد كان مجيء ربنا متجسدًا إلى العالم ودينونة الخطية على الصليب رُعبًا وحفرة وفخًا للشيطان.

فأنت ترى من اللحظات الأولى التي وطئت فيها قدما ربنا أرض الشقاء... والشيطان وكل قواته وجنوده قد اعتراهم خوف ورعدة شديدة. فهيرودس اضطرب وجميع أورشليم معه... وقام وقتل الأطفال. والشياطين لما رأت المسيح فرت هاربة وكانت تصرخ وتقول لمِا أتيت قبل الوقت... ورؤساء الكهنة صاروا في خوف وفزع على مراكزهم إذ رأوا أن العالم كله ذهب وراءه... هكذا كان الشيطان حتى الصليب في خوف ورعب... ثم ماذا عندما قام المسيح ناقضًا أوجاع الموت... اندحرت قوات الظلمة واندكت حصون الشيطان ابتلع الموت إلى غلبة ودارت الدائرة على الشيطان.

وهنا يصف إشعياء ارتباك الشيطان كمدان أمام الله... وقد ضاع المهرب منه كمثل شارد في الحرب.

١٨. "ويكون أن الهارب من صَوت الرُّعب يَسقُطُ في الحُفرَةِ، والصَّاعِدَ من وسَطِ الحُفرَة يؤخَذُ بالفَخِّ. لأن ميازيبَ من العلاءِ انفَتَحَت، وأُسُس الأرض تزَلزَلتْ.

١٩. انسَحَقَتِ الأرض انسِحَاقًا. تشَقَّقت الأرض تشقُّقًا. تزعزَت الأرض تزعزُعًا.

٢٠. ترنَّحت الأرض ترنُّحًا كالسَّكران، وتدَلدَلتْ كالعِرزال، وثقُل عليها

ذنبُها، فسقَطَتْ ولا تعُود تقُوم".

+ هذه أركان مملكة الشيطان... كل ما هو أرضي وترابي... على هذا كانت تقوم مملكته في وسط العالم.... شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة.. وعلى هذا كانت ترتفع على الكبرياء وتمجيد الذات.. ترتفع بالكبرياء وتنحل بالشهوات وتتمجد بالكذب... وتفتخر بالأباطيل...

وكل هذه الأمور تزعزعت من أساساتها عندما خلص الرب شعبه بالصليب... قيل إن الصخور تشققت والقبور تفتحت... انكسر سلطان الموت الذي كان يمسك بقبضة عاتية كل النفوس وتزعزعت أساسات مملكة الشيطان... انحل الكبرياء... صارت الشهوات حقيرة... صارت الخطية مفضوحة أمام أعين أولاد الله صار العالم كله تافهًا... ما كان لي ربحًا حسبته خسارة وأني أحسب كل الأشياء نفاية.

ظهور ملكوت المسيح كنور في الظلام مبادئ عالية سامية ووصايا روحية اندكت أمامها كل مشورات الشيطان.

كل هذا صنعه الرب بالصليب من أجلنا وقد أكد إشعياء هذه المعاني بقوله: "في ذلك اليوم يخجل القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك على جبل صهيون في أورشليم" (ع ٢٣).

ففي ذلك اليوم. يوم الصليب. خجل القمر وخزيت الشمس من المعلق على الخشبة ما أجمل هذا التعبير النبوي وما أعمقه إنه يحتاج إلى هدوء وتأمل وصلاة وشكر للذي افتدانا بدمه وإشعياء يحدد أنه في ذلك اليوم ملك الرب على جبل صهيون في أورشليم ملك على خشبة كما يقول المزمور وكان عنوان علته مكتوب على الصليب بلغات مختلفة (يونانية – رومانية – عبرانية) "هذا هو ملك اليهود" (لو٢٣: ٣٨)، هو ملك الملوك ورب الأرباب ولد كملك. ابن داود. ودخل أورشليم كملك وصُلب على الصليب كملك. وملك على الكل وهو على الصليب... ولكن ينبغي لنا أن نؤكد أنه رفض أن يكون ملكًا بحسب مفهوم الناس وعُرف العالم لأن مملكته ليست من هذا العالم.

تقييد الشيطان:

يؤكد سفر الرؤيا هذا المعنى أن الشيطان يقيد ألف سنة. "فقبض على التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، قيَّده ألف سنة، وطرحَهُ في الهاوية وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يُضلّ الأمم في ما بعد، حتى تتم الألف السنة. وبعد ذلك لابد أن يحل زمانًا يسيرًا" (رؤ ٢٠: ٢، ٣).

وهذا ما يتنبأ به إشعياء النبي في سياق حديثه عن يوم الخلاص:

٢١. "ويكون في ذلك اليوم أن الرب يُطالِبُ جُند العَلاء في العَلاء، ومُلُوك الأرض على الأرض.

٢٢. ويجمَعون جمعًا كأسَارَى في سِجْن، ويُغْلَقُ عليهم في حَبْس، ثم بعد أيام كثيرةٍ يتعَهَّدُون".

فبالصليب ربط الشيطان وصار مقيدًا فاقدًا سلطانه وقوته أمام الصليب. منسحقًا ومهانًا مشهرًا جهارًا، وأسلحة محاربتنا الصليب ووسائط النعمة قادرة بالله على هدم حصونه.

أما ما كان الشيطان متفوقًا فيه كرئيس سلطان الهواء وكما يقول الرسول عنه: "أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦: ١٢) فهذا دعاه إشعياء جند العلاء ... أي سلطان الشيطان في عالم الروح... وكذا أيضًا سلطانه في عالم المادة "ملوك الأرض على الأرض" فكليهما قد حكم الرب عليهما بالصليب وقيدهما كما في حبس وسجن كأسرى في ذل الحبوس.

انظر وتأمل أيها العزيز... في بركات الخلاص وقوة الصليب وكم صنع الرب بنا من عظائم. فلنمجد اسمه القدوس على رحمته ونشكره لأنه صالح وأن إلى الأبد رحمته.

٢٣. "ويَخجَل القمر وتُخزى الشمس، لأن ربَّ الجنود قد مَلَكَ في جبل صهيون وفي أورشليم، وقُدَّام شيوخِهِ مَجدٌ".

عندما ظهر الرب بمجد في القديم أمر الرب موسى أن يصعد إلى الجبل هو

وهارون وسبعون شيخًا (خر ٢٤).

وتراءى الرب بمجده أمام شيوخ بني إسرائيل.

وهكذا عندما تمجد الرب بالصليب على جبل الجلجثة وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة... عاين كل بشر مجده وشهد قائد المئة والذين كانوا واقفين رجعوا وهم يقرعون صدورهم. وقد اختص الرب شيوخه. كهنته. رسله الذين اختارهم شهودًا... فرأوا وشهدوا وعاينوا ونحن نعلم أن شهادتهم حق.. كما يقول يوحنا الإنجيلي رفيق الصليب، وكما قال القديس بطرس الرسول كنا معاينين عظمته.

بل أن المجد الأبدي الذي رآه القديس يوحنا في رؤياه، يستعلن هذا المجد قدام الأربعة والعشرين شيخًا (قسيسًا) الجالسين حول العرش الإلهي على أربعة وعشرين عرشًا وفوق رؤوسهم تيجان من ذهب وفي أيديهم مجامر الشفاعة مملوءة بخورًا هو صلوات القديسين. إنه منظر واحد لمجد الله يزداد وضوحًا كلما اقتربنا إليه، حتى نبلغه في السماء حيث ندركه ولا نستطيع أن ندرك كماله ولا نهايته.

الأصحاح الخامس والعشرون

مقدمة:

+ في الأصحاح ٢٤: ١٦ سمع إشعياء النبي من أطراف الأرض ترنيمة مجدًا للبار، بينما إسرائيل غارق في الحزن، والآن يعلن إشعياء عن كمال الخلاص وقبول إسرائيل واستعلان أورشليم الجديدة بخلاص المسيح. إذ يختتم نبوات الأصحاح السابق قائلاً: "لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم، وقدام شيوخِه مَجْد".

أي كما قال القديس بولس الرسول أنه بعد أن يدخل ملئ الأمم، يجمع الرب متفرقي إسرائيل وتخلص البقية. وهكذا ترفع صهيون صوتها بذات التسبيح الذي سمع من أطراف الأرض "أي من الأمم البعيدة عن رعوية إسرائيل".

سبب التسبيح:

يظهر جليًا أن سبب الفرح هو سقوط وتدمير "قرية الخراب" (ص ٢٤: ١٠) التي بإلقائها إلى الأرض صنع الرب خلاصًا عظيمًا للمذلولين من شعبه، وهذا أرجع إلى الذهن صورة عجائب الخلاص في البحر الأحمر.

وإذا سألنا مَنْ تكون قرية الخراب هذه؟

فإن الجواب تعطيه المقارنة بين (ص ٢٦: ١) حيث يقول "لنا مدينة قوية. يجعل الخلاص أسوارًا ومترسةً".

(ص ٢٦: ٥ - ٦) "يضع القرية المرتفعة. يضعها إلى الأرض. يلصقها بالتراب. تدوسها الرِّجل رِجْلاَ البائس، أقدام المساكين" فقرية الخراب أي مملكة المخرب، حيث الشيطان إبليس هى الضد للمدينة التي لها الأساسات، التي أسوارها هى الخلاص الذي صنعه المسيح بدمه.

+ من جهة أخرى إذ عدنا إلى (ص ٢٤: ٢٣) نجد إشراق الصليب بجلاء أكثر من نور الشمس "يخجل القمر وتخزى الشمس، لأن رب الجنود قد ملك (على خشبة الصليب) في جبل صهيون وفي أورشليم".

وهذا ما حدث بالحرف حين صُلب ربنا وكانت ظلمة على الأرض كلها من وقت

الساعة السادسة إلى وقت الساعة التاسعة. على هذا يكون التسبيح هو التعبير التلقائي للمفديين بدم المسيح يمجدون الخلاص ويذكرون العجائب والآيات التي صنعها بيده القوية وذراعه المحدودة.

١. "يارب، أنتَ إلهي أُعظِّمُك. أحْمَدُ اسمَكَ لأنك صَنَعتْ عجبًا. مقاصِدك مُنذ القدِيم أمانةٌ وصِدقٌ".

تبدأ تسبحة الخلاص ذات البداية التي لتسبحة موسى عبد الرب يوم عبور البحر الأحمر حين قالوا: "أرنم للرب لأنه قد تعظّم" (خر١٥: ١)، وهذه هى الكلمات التي يسبحون بها إلى أبد الدهور في السماء، كما رآهم القديس يوحنا الحبيب في رؤياه "وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله" (رؤ ١٥: ٣).

فالتسبيح هو تمجيد الله من أجل أعماله العظيمة، وهو أساسًا لغة الملائكة المطلعين على جلائل أعمال الله وقدرته. ولكن الله أعطى الذين هم على الأرض تسبيح السيرافيم (إش ٦).

لأنه صانع العجائب وحده وليس بأحد غيره الخلاص.

صنعت عجبًا:

لقد تنبأ إشعياء النبي قائلاً: "يدعى اسمه عجيبًا" (إش ٩: ٦)، وهو كما يدعوه المزمور "متعجب منه بالمجد" وفي تسبحة موسى قالوا: "مَنْ مثلك بين الآلهة يارب. مَنْ مثلُك معتزًا في القداسة، مخوفًا بالتسابيح، صانع عجائب" (خر١٥: ١١). فأعمال الله الخلاصية هى بمثابة عجائب وآيات على الأرض... من المذود حتى الصليب والقيامة، والصعود إلى السماء. وكلها تستوجب الحمد والتسبيح لكونها أعمالاً فائقة للطبيعة. وخلاصًا غير متوقع بل مستحيل على ذراع بشر، لذلك لا يملك الإنسان إلاَّ أن يسبح ويمجد إله الآلهة ويشكره لأنه صالح ومحب للبشر.

مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق:

الذي يتتبع التاريخ المقدس يدرك منذ البداية أن مقاصد الله للخلاص هى منذ القديم بل منذ الأزل.

وهذا يجعل النفس مدينة للذي أحبها قبل كون العالم فإشعياء حينما أدرك عمل الخلاص بالصليب على جبل صهيون أدرك في الحال أعمال التدبير الإلهي والحب الأزلي والمقاصد القديمة المكونة نحونا، كأن الصليب ليس حدثًا جديدًا في الزمن ولكنه منذ القديم. تأمل قرابين هابيل الصديق، وذبيحة أبينا إبراهيم، في سفر التكوين، وخروف الفصح في سفر الخروج... وهكذا.

إنها حقًا مقاصد منذ القديم، لما جاء ملء الزمان إستعلنت للعيان تأمل قول بولس الرسول "اختارنا فيه قبل كون العالم لنكون قديسين". وقول الرب "رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم".

إنها مقاصد منذ القديم وحب أزلي للمختارين والمعينين لميراث ملكوته وقد تحقق بالصليب وتكميل الخلاص أن الله صادق في مواعيده، وعلى حد تعبير القديس بطرس الرسول "ما سبق وأنبأ به بأفواه أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا".

فما أروع أن يعيش إشعياء بروح النبوة تحقيق مواعيد الله وينطق بهذا التسبيح ويحمد الاسم القدوس لأنه صنع العجائب وتمم الخلاص وأكمل مواعيده الإلهية في ملء الزمان.

٢. "لأنك جَعَلت مدينة رُجمَةً. قريةً حصينةً رَدمًا. قَصْرَ أعاجم أن لا تكون مدينةً. لا يُبني إلى الأبد".

لقد حطم الرب بالصليب قوة الشيطان وشوكة الخطية كسرها وسحق الموت بموته، وصارت مملكة الشيطان منهدمة، بلا كيان ولا قوة، ودكت حصونه التي كان يتحصن بها داخل الإنسان لقد كانت الخطية متخذة فرصة على الإنسان، متحصنة وراء الغرائز في الجسد، ساكنة فيه حتى كان الإنسان يصرخ "ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت".

وكان ناموس الخطية كائن في الأعضاء، يسبي الإنسان رغمًا عنه إلى الانحدار حتى لو كان الإنسان يُسّرّ بناموس الله ووصاياه ولكنه كان مغلوبًا ومقهورًا من سلطان

روح الظلمة المالك في جسده. فلما جاء المسيح المخلص، والكلمة صار جسدًا، ودان الخطية في الجسد، عندما حمل خطايانا وأنهى على سلطان الشيطان بقيامته ناقضًا أوجاع الموت عن الجسد ومحررًا عبيده من سلطان الموت.

هنا هدمت مملكة الموت، صارت مثل رجمة حجارة، أو ردم تراب، ولن تبنى إلى الأبد، لأن قوة الحياة في المسيح وناموس روح الحياة فيه أعتقني من ناموس الخطية والموت إلى الأبد.

٣. "لذلك يُكرمُك شَعبٌ قويٌّ، وتخاف منك قرية أُمم عُتَاة.

٤. لأنك كُنت حِصنًا للمِسكين، حصنًا للبائس في ضيقهِ، ملجأ من السَّيل، ظِلاً من الحَرِّ، إذ كانت نفخَةُ العُتاة كسَيل على حائطٍ".

على مستوى الأحداث الزمنية، كان يتبع العجائب والآيات التي يعملها الرب لخلاص شعبه، مخافة ورعب في الشعوب المحيطة، تذكر كيف ذابت قلوب شعوب الأرض عند سماعهم أخبار انكسار فرعون وعزته في البحر الأحمر، انحلت أحقاء الملوك ودخل الرعب وخوف الرب عليهم (راجع سفر الخروج).

وكذا الملوك في الأزمنة اللاحقة، مثل نبوخذ نصر، عندما رأى أعجوبة الخلاص من النار للثلاثة فتية القديسين، كيف خاف الله واكرم اسمه وكتب كتابات تمجيد لله لجميع الشعوب.

وأيضًا أيام أحشويرش الملك بعد أن صنع الرب الخلاص العجيب من يد هامان، وكيف وقع خوف الرب والرعب على الشعوب التي كادت تفتك بشعب الله لولا تدخله العجيب.

+ أما المسكين والبائس فقد احتمى وتحصن في المدينة التي صار الخلاص سورًا لها، المدينة التي لها الأساسات.

فلما جاء السيل، وكانت نفخة العتاة، كالسيل على الحائط لم تستطع أن تنال شيئًا لأن البيت الذي احتمى فيه البائس كان مؤسسًا على الصخر كما قال الرب في الموعظة على الجبل (مت ٧).

+ وماذا يصنع العتاة بعد أن صارت مدينتهم ردمًا؟ بالصليب، وماذا يصنع الشيطان بإنسان ركض إلى حضن الرب وتمنع وسكن في ستر العلي وفي ظل الإله القدير الذي هو الصليب؟

٥. "كحَـرٍّ في يَـبَس تخفِـض ضَـجيجَ الأعَـاجم. كَحَـرٍّ بظـلٍّ غَـيم يُـذَلُّ غِناء العُتاة".

+ لقد أبطل الرب تجبر الشيطان، وأذل فرحه إلى حزن أبدي مثل ما يبطل الحر. حينما تظلل السحابة عليه.

لقد ظلل الرب بسحابة النعمة وأمطر بروحه على البشرية وأزال حريق الحر وأنهى على قوة النار "صوت الرب يطفئ لهيب النار".

+ وإن وعد الرب قائم "إنه يظلل على يدك اليمنى فلا تحرقك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل".

+ وقد اختبر الشعب هذا العمل العجيب أربعين سنة في البرية في الشمس المحرقة. كيف كانت السحابة تظللهم نهارًا كل الأيام. كوجود دائم لله. فلم تضرهم الشمس.

+ لا يفوتنا أن ندرك أن الشيطان يشعر بالنشوة والانتصار ويصنع ضجيجًا وغناء وشماتة عظيمة إذا تمكن من أبناء الله.

- تأمل مقدار الفرح. فرح الأعاجم – بسقوط شمشون وإذلاله؟!
- تأمل تجبر جليات الفلسطيني وتعييره صفوف الله العلي بلسان الشيطان وكبرياء العتاة حينما شعر أنه لا يستطيع أحد أن ينتصر عليه.
- تأمل كلام ربشاقي رئيس جيش سنحاريب حينما حاصر أورشليم وتكلم على مَن على السور للشعب المذلول المحاصر!؟!

إنها طبيعة الشيطان، روح الظلمة، المعاند والمقاوم لله. ولكن هل ينسى الرب تجبره أو يترك أولاده أو يتغاضى عن صراخ المسكين؟ حاشا.

إن المزمور يقول "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب

أصنع الخلاص علانية".

+ إنه يخفض ضجيجه... ويذل غناءه، فلا تسمع صوته ولا شماتة غناءه، بل تسمع صوت عويل ومذلة وعذاب أبدى يكابده إبليس.

+ فالفرح بإذلال شمشون لم يدم بل أنقلب على الفلسطينيين أوجاع موت وخراب أبدي.

+ وتجبر جليات وكلمات الهزء والثقة بالذات والارتفاع بالكبرياء تحول إلى العكس تمامًا أمام داود الصغير المؤيد بنعمة الله والمتسلح باسم رب الجنود.

+ وجيش سنحاريب تحول إلى جثث قتلى ١٨٥ ألف في ليلة واحدة وخفت صوت ضجيجهم حول أورشليم.

هذه هى أمثلة أعمال الخلاص التي تخفض ضجيج الشيطان المشتكى على أولاد الله وتذل غناءه وتخيب أمله في النصرة.

٦. "ويصنَع رب الجُنود لجميع الشعوب في هذا الجَبَل وليمَة سَمَائِن، وليمة خَمْر على دَرْديٍّ، سَمَائن مُمِخَّةٍ، دردي ٍّ مُصَفًّى.

٧. ويُفنى في هذا الجَبَل وجه النِّقاب. النِّقاب الذي على كل الشعوب، والغِطَاء المُغَطَّى به على كل الأمم".

+ لقد جاوز التعبير هنا حدود الإعجاز، إذ رسم الروح القدس أروع أيقونة لصليب **ربنا يسوع المسيح على جبل الجلجثة** وأوجه الصليب كثيرة متعددة على كل حال بمقدار ما تعددت نعم الصليب وحكمة الله في الصليب.

ولكن هذه الأيقونة تفردت بأن رسمت المسيح المصلوب كأنه وليمة عظيمة، أعدها الرب الإله لجميع الشعوب ولكل الأمم. وهنا يجدر بنا أن نشير إلى بعض ملامح هذه الأيقونة التي إذا تأملناها إلى أبد الدهور لن ندرك كمال بهائها ولا عظمة مجدها.

+ مع النظرة الأولى لوليمة الصليب ندرك مقدار حب الله للعالم كله إذ يدعو الرب إلى وليمته جميع الشعوب والأمم "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يو ٣: ١٦) أي أن الله ليس لشعب دون سواه... ليس لليهود فقط بل للعالم كله.

+ حول الصليب يجتمع العالم كله، في وليمة مصالحة، لأن الصليب صالح السمائيين مع الأرضيين، وجعل الاثنين واحدًا وقتل العداوة... وشق الحاجز المتوسط، وبالصليب ليس عبد ولا حر، يوناني وسيكثي، يهودي وأممي، ختان وغرلة.

لقد جمعت الوليمة أبناء الله المتفرقين إلى واحد.

+ إن المستحقين لآلام المسيح والذين جذبهم الصليب إليه، مدعوون للتمتع بهذه الوليمة إلى الأبد في عشاء عرس الخروف (رؤ).

+ ذبيحة الصليب هى ذبيحة سمائن، خمر مصفى. لكي تتلذذ بالدسم لابد أن تأتي إلى الصليب، إذ أن تعب الإنسان وسعيه يعتبر كقبض الريح وكمَنْ يزن فضة لغير خبز وتعبه لغير شبع (إش ٥٥: ٢)...

وكأن الرب ينادي على الصليب "استمعوا لي استماعًا وكلوا الطَّيب، ولتتلذَّذ بالدَّسم أنفسكم" (إش ٥٥: ٢).

فالدسم الإلهي مكتوب عنه في سفر التثنية عندما نطق موسى بكلام النشيد يعدد أعمال الله لإسرائيل "أركبه على مرتفعات الأرض ... وأرضَعه عسلاً من حجر... مع دسم لُبِّ الحِنطة" (تث ٣٢: ١٣ - ١٤)، فالوليمة الدسمة هى جسد الرب (دسم لب الحنطة)، والخمر النقي المصفى من الرواسب هو دمه الإلهي الذي سفكه عن حياة العالم (لجميع الشعوب).

+ ويفنى في هذا الجبل وجه النقاب...

وعندما يقدم المسيح ذاته على جبل الجلجثة، ينشق حجاب الهيكل الذي طالما عذب الإنسان، إذ كانت العداوة قائمة بينه وبين الله، وكان الحجاب يحجز الرؤيا، ويفصل بين قدس الأقداس حيث تابوت عهد الله، وبين الشعب الواقف خارجًا، لذلك عندما علق الرب على الصليب انشق حجاب الهيكل، وصار صلح وسلام، وأصبح لنا حق الدخول والترائي أمام الله.

والقديس بولس الرسول قال عن جماعة اليهود أنه إلى الآن البرقع موضوع على قلوبهم، وعتمة الرؤيا مازالت قائمة لعدم قبولهم وتمتعهم بالصليب، وقال أن البرقع زال بصليب المسيح وأننا ناظرين إلى الرب بوجه مكشوف لأنه حيث روح الرب هناك الحرية... حرية مجد أولاد الله.

+ من ناحية أخرى لم يكن يستعلن مجد الله في العهد القديم إلاَّ ويحيطه دخان وسحاب كثيف وضباب... كما حدث في أيام موسى وإيليا، وفي تدشين هيكل سليمان "لأنه على كل مجد غطاء".

لكن بالصليب، بطل النقاب ونزع الرب الغشاوة وأنار الحياة والخلود، وحتى السحابة التي ظللتهم على جبل التجلي كانت سحابة نيرة كما يشهد الإنجيل.

+ أيضًا كان النقاب المغطى به على كل الأمم من عمل الشيطان إذ "إله هذا الدهر أعمى عيون غير المؤمنين" وصار كأنه غشاوة على العين "لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون".

أو كما قال الشهيد الأول للمسيحية استفانوس لرؤساء اليهود "غير المختونين بالقلوب والآذان".

وقد نزع الرب هذا الغطاء وأبطل عمل الشيطان وفتح القلوب والآذان وجعل العمى يبصرون والصم يسمعون.

وجمع كل الشعوب حول ذبيحة الصليب من أجل حياة أبدية.

٨. "يبلَع الموت إلى الأبد، ويمْسَح السيد الرب الدُّمُوع عن كل الوُجُوه، وينزَع عَار شعبه عن كل الأرض، لأن الرب قد تكلَّم".

يا للروعة والجلال الذي يكلل هذه الكلمات الإلهية التي أفصحت عن عمل المسيح على الصليب بجلاء ووضوح ما بعده وضوح، وكأننا رغم عمق الزمن نقرأ في كلمات العهد الجديد في وصف الصليب.

أ. يبلع الموت إلى الأبد:

قد ابتلع الموت من الحياة، وابتلع الموت إلى غلبة ونصرة. انتصرت الحياة في المسيح كلمة الله على موت الخطية التي قتلت الإنسان ودخل الموت بإنسان واحد إلى جميع الناس وفي أدم مات الجميع ثم اقتحمت الحياة سائر البشر واتحدت الحياة الأبدية بجسد الإنسان في بطن العذراء وغلبت الحياة شوكة الموت وكسرتها، وقام المسيح من الأموات ناقضًا أوجاع الموت، حقًا لقد ابتلع الموت إلى الأبد.

ب. ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه:

وقد رآها القديس يوحنا الحبيب، في السماء تتم في المجد الأبدي في نفوس اللابسين الثياب البيض التي بيضوها وغسلوها في دم المسيح الحاملين لسعف النخل سائرين في موكب النصرة والقيامة... حين قال "وسيمسَح الله كل دمعة من عيونهم" (رؤ ٢١: ٤) وقال مؤكدًا على نهاية الموت "والموت لا يوجد فيما بعد" هذا هو كمال مجد القيامة حين يتمتع بها أولاد الله الذين سيحسبون أهلاً للقيامة، الذين لن تمح أسماؤهم من سفر حياة الخروف.

+ المسيح بصليبه مسح الدموع عن كل الوجوه، لأن أوجاعنا حملها وآثامنا وأتعابنا تحملها.

لقد بكى يسوع وفي المقابل كان يجفف دموع البشرية كلها ولما قام من الأموات قال للمجدلية لماذا تبكين؟ مَنْ تطلبين؟ فدموع يسوع صارت عوضًا عن دموع الخطاة والساقطين والمنسحقين أليس هذا ما صنعه مع أرملة نايين، حين مسح الدموع عن وجهها وبدل حزنها إلى فرح بالقيامة من الأموات.

+ هكذا أيضًا سيحول الرب حزن الذين يبكون وينوحون والعالم يفرح، الذين يبكون دموع التوبة والحنين إلى السماء والذي يبكون ويئنون من أجل الرجاسات والذين يتألمون بشكر والذين يتوقعون ملكوت الله بصبر وسهر، وعيونهم ملأى بدموع الرجاء، سيمسح الله الدموع عن كل الوجوه.

ج. وينزع عار شعبه:

"عار الشعوب الخطية" كما هو مكتوب في سفر الأمثال، وقد نزع الرب عار شعبه عندما حمل خطاياهم على الصليب ومن أجل السرور الموضوع أمامه احتمل العار مستهينًا بالخزي. والذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه. لقد عُلق على الصليب عريانًا فستر عراء البشرية التي عرتها الخطية منذ اللحظة الأولى حينما تعرى أبونا أدم وأراد أن يستر ذاته بورق التين.

ليس بأحد غيره الخلاص، وليس طريق آخر لنزع العار... عار الخطية سوى

ذبيحة الصليب الذي به حمل المسيح عارنا وأُسْلِمَ من أجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا.

٩. "ويُقال في ذلك اليوم: هوذا هذا إلهنا. انتظرناهُ فخلَّصَنا. هذا هو الرب انتظرنَاهُ. نبتَهج ونفْرَح بخلاصِهِ".

لقد تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة، وهو على عود الصليب والذين نظروا الصليب إستناروا ووجوههم لم تخجل بل صار يوم الصليب لهم يوم التسبيح ويوم إكتشاف قوة الله، هكذا صار الصليب للمنتظرين والمترجين الخلاص. ألم تتهلل حنة بنت فنوئيل مع المنتظرين الخلاص. وسمعان الشيخ أيضًا، حين أدركهم المخلص وهو بعد ابن أربعين يومًا؟ يومها رأو الصليب علامة الخلاص قائلين: "مبارك الرب الذي افتقد وصنع خلاصًا لشعبه" ومنذ ولج مخلصنا الصالح دائرة بشريتنا متحدًا بها بالجسد، دخل الفرح والابتهاج والسرور إلى العالم كمثل ما سمع من الملائكة في ليلة الميلاد "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة".

١٠. "لأن يد الرب تستَقِرُّ على هذا الجَبل، ويُدَاس مُوآبُ في مكانه كما يُداس التِّبن في ماء المزبَلَة".

يد الرب ويمينه تعني كلمته، ابنه الوحيد، كما قال إشعياء في (ص ٥٣)، "لمَنْ إستعلنت ذراع الرب". وكما قال أيضًا: "استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب، ألستِ أنت هى المنشفة البحر؟".

وإشعياء هنا يخبر أن يد الرب تستقر في جبل صهيون، أي كما تنبأ زكريا النبي أن الرب يأتي ويسكن في وسطها إلى الأبد (زك ٨: ٣).

فحلول الكلمة هنا ليس حلولاً مؤقتًا وظهورًا عابرًا كما حدث في العهد القديم في رموز الخلاص، ولكنه استقرار وسكنى. إذ بعد أن أخذ الرب طبيعتنا وتجسد متحدًا بها وجعلها واحدًا مع لاهوته، لا يعود يتخلى عنا أو يتركنا أو ينفصل عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين...

والأمر الموازي لحلول الله ونزوله وسكناه بيننا، هو انهيار الشيطان وانسحاقه

وكسر شوكة الخطية وسلطانها.

لذلك قال يداس موآب (رمز الشيطان) في مكانه، لأن الرب انتصر لنا عليه في مكانه "في القفر على جبل التجربة".

وفي مكان في النفوس التي كان متسلطًا عليها وساكنًا فيها.

وفي مكانه عندما نزل إلى الجحيم وسبى سبيًا وأعطى الناس كرامات، وخلص آدم وبنيه المنتظرين خلاصه من سجن الجحيم وذات التعبير النبوي "يداس موآب" هو الذي استعمله الإنجيل. إذ قد داس الرب الموت بموته، ووطئ العدو حتى إلى التراب، وأعطانا السلطان أن ندوس الحياة والعقارب وكل قوة العدو.

+ ويزيد إشعياء أيضًا ليؤكد أن الموضوع ليس مجرد نصرة عادية على الشيطان بل يصف تفاصيل سقوطه وضعفه قائلاً:

١١. "فيَبسط يَديه فيه كما يَبسِطُ السَّابح ليَسبَحُ، فيَضَعُ كبرياءه مع مكايد يَدَيه".

ولك أن تتصور هذا المنظر، إنه سقوط عظيم، قد وصفه الرب يسوع لتلاميذه قائلاً: "رأيت الشيطان ساقطًا من السماء مثل البرق".

لقد تحطم كبرياء الشيطان، وانكسرت فخاخه وحيله (مكايد يديه). فمَنْ يخاف منه بعد؟ إن الآباء القديسون ضربوا أروع الأمثلة في النصرة عليه. متمسكين بالصليب وسائرين في موكب النصرة الذي قادهم فيه يسوع الناصري المصلوب. لقد صار الشيطان ضعيفًا منطرحًا مغلوبًا وساقطًا عند أقدام القديسين. لقد انطرح شيطان محبة المال عند قدمي القديس أنطونيوس وسقط شيطان الدينونة صريعًا تحت قدمي القديس مقاريوس. وتبدد شيطان الزنى مخزيًا عند قدمي مارجرجس، ومريم المصرية التائبة، وموسى الأسود.

لقد غلبوه حقًا وداسوا بعز ورنموا ترانيم الخلاص إلى أبد الدهور.

١٢. "وصَرح ارتفاع أسْوَاركِ يخفِضهُ، يَضَعُهُ، يُلْصِقُهُ، بالأرض إلى التُّراب".

علة الشيطان الأولى هى الكبرياء، وعمل المسيح الأعظم هو الاتضاع، فالمسيح باتضاعه الإلهي دان كبرياء الشيطان، وأحدره إلى هوة الهلاك، وقد اندكت أسوار المدينة العاتية، قرية الهلاك، مملكة الكبرياء بتجسد الكلمة وموته على الصليب، وقيامته ونصرته على الموت. أما المدينة التي لها الأساسات فصارت أسوارها خلاصًا، وارتفعت راية الخلاص على جبل صهيون، بشرى للمتضعين أن الرب سيرفعهم في زمان الافتقاد.

حقًا أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين.

افرحوا يا أسرى الرجاء واهتفوا وترنموا أيها المستقيمي القلوب.

الأصحاح السادس والعشرون

١. "في ذلك اليوم يُغنَّى بهذه الأُغنيَّة في أرض يهوذا: لنا مدينةٌ قويَّةٌ. يجعَل الخلاص أسوارًا ومترَسَةً".

في اليوم الذي يعظم الرب الصنيع ويصنع الخلاص، يوم يفدي نفوس عبيده من سطوة الخطية وسلطان إبليس ويكسر الموت ويهرب الحزن ووجع القلب. في ذلك اليوم يغني ويبتهج كل قلب ويسبح كل لسان لأن التسبيح ينبع تلقائيًا عند استعلان الخلاص والنجاة فحينما خلص الرب شعبه في القديم من يد فرعون ومن العبودية المُرة وأخرجهم بذراع رفيعة، حينئذ سبح موسى وجميع إسرائيل تسبحة الخلاص (خر ١٥). وحينما خلَّص الرب شعبه من يد سيسرا في أيام دبورة النبية تغنت هى أيضًا ودعت الشعب للتسبيح (قضاة ٥).

وحينما بدد الرب المؤامرة التي كانت لإبادة شعبه في أيام أستير الملكة أرسلت إلى جميع شعبها أن يكون لهم فرح وسرور وأعياد وموسم تسبيح ولشكر الرب فإنه صالح (أس ٨).

وجميع قصص رموز الخلاص في العهد القديم وحقيقة التمتع بها في العهد الجديد كان التسبيح هو الثمرة الملازمة لعمل الله. إذ لابد أن يفيض القلب بكلام صالح للذي يقودنا في موكب نصرته.

وهنا أغنية الخلاص فيها افتخار ونغمات نصرة وقوة.

لنا مدينة:

المدينة القوية هى أورشليم السماوية، مدينة الله، ومسكن الله مع الناس.

كان القديس بولس الرسول يذكر أن أورشليم الأرضية مستعبدة مع جميع بنيها أما أمنا جميعًا نحن أبناء الموعد نظير إسحق فهى حرة كمثل سارة التي ولدت الابن بالوعد الإلهي.

والمدينة القوية هى الكنيسة، قوية بالمسيح وبصنيعه معها.

+ قوية لأنها مؤسسة على المسيح صخر الدهور.

+ قوية ومرهبة مثل جيش بألوية، مستندة على ذراع حبيبها.

+ قوية مخيفة للشياطين، لها سلطان المسيح فيها أعطاه لتلاميذه الأطهار أن يخرجوا الشياطين ويدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو.

+ قوية فأبواب الجحيم لن تقوى عليها ثابتة أقوى من الجبال.

+ قوية أقوى من الموت... بل أنها لا ترهب الموت... فيها الشهداء الذين احتقروا الموت وفيها النساك الأقوياء الذين قهروا العالم والشهوات، وفيها القديسون والأبكار ولباس الصليب الذين تقووا من ضعف وصارت إليهم كلمة المسيح "قوتي في الضعف تكمل".

+ هى كنيسة قوية من كل ناحية ومتشددة كونها عروس المسيح التي اشتراها بدمه. والساكنون في الكنيسة متمتعون ببركات الفداء وأسرار الملكوت يغنون دومًا وبلا انقطاع تسبحة الغلبة والإنتصار، تسبحة القيامة وهزيمة الموت والشيطان... تسبحة موسى عبد الرب ويقولون "لنا مدينة قوية".

يجعل الخلاص أسوارًا ومترسة:

هذه الكنيسة – مدينة الله – أسوارها ومتاريسها هى الخلاص الذي صنعه الرب يسوع بدمه على الصليب.

وأسوار الخلاص يركض إليها الصديق ويتمنع ولا يستطيع العدو بكل جبروته أن يجتاز أو يقتحمها. بل يسقط صريعًا ومنسحقًا عند صليب يسوع وأسوار الخلاص تحمي المفديين فلا يصيبهم سهم من سهام الشرير الملتهبة. وأسوار الخلاص عالية، لا يدرك العقل كمال ارتفاعها كما رآها القديس يوحنا في رؤياه.

وأسوار الخلاص مخدومة من الملائكة... على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسًا لا يسكتون كل النهار ولا كل الليل، ملاك الرب يحوط بكل خائفيه وينجيهم..

٢. "اِفتَحوا الأبواب لتَدخُل الأُمَّة البارَّة الحافِظَة الأمانة".

القديس يوحنا الرائي رأى مدينة لها إثنا عشر بابًا، من الشرق ثلاثة أبواب ومن الغرب ثلاثة أبواب ومن الشمال ثلاثة أبواب ومن الجنوب ثلاثة أبواب.

وقد سبق أن رآها في القديم حزقيال النبي ووصف مجدها بقياسات سماوية تحتاج إلى نعمة روحية للدخول إلى أسرارها.

فالأبواب الإثنى عشر هم على رسم رسل المسيح الأطهار "قد بنى سور المدينة على إثنى عشر لؤلؤة مكتوب عليها أسماء رسل الخروف الإثنى عشر" فالمؤمنون الذين يستحقون هذا النصيب الفاخر بأن تكتب أسمائهم في سفر الحياة يكونوا مبنين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. فإن كان الرب يسوع هو الباب والطريق الذي به صار لنا الدخول إلى النعمة التي نحن فيها مقيمون، فالرسل الأطهار الذين أرسلهم إلى أقصاء المسكونة صاروا أساسات سور أورشليم وأبوابها الاثنى عشر. إذ بدون الإيمان المُسلّم مرة للقديسين من الرسل الأطهار يستحيل على النفس العبور أو الوصول إلى مدينة الله.

لذلك فهو يعبّر عن الداخلين أنهم "الأمة البارة الحافظة الأمانة" والإنسان ذو الرأي الممكن. أي الحافظون الإيمان الثابتون فيه، الذين لم يتزعزعوا، لا بروح ولا برسالة، ولم ينقادوا إلى تعاليم متنوعة وغريبة بل تمسكوا بإقرار الرجاء ثابتًا إلى النهاية.

افتحوا الأبواب:

فالذين حفظوا الإيمان وأكملوا السعي سوف يسمعون هذا الصوت الإلهي القائل "ادخلوا إلى فرح سيدكم". وعوض الباب الضيق الذي اختاروه والطريق الكرب الذي ساروا فيه سينالوا عزاءً أبديًا عندما تفتح لهم أبواب مراحم وحب لا يعبر عنه ويكونون مع الرب كل حين.

٣. "ذو الرأي المُمكَّن تحفظُهُ سالمًا سالمًا، لأنه عليك مُتوكِّلٌ".

الرب حافظ نفوس عبيده المتوكلين عليه، هو يرسل ملائكة فيحفظونهم، ويحملونهم على أيديهم لئلا تعثر بحجر أرجلهم.

وفي تكرار كلمة سالمًا تأكيد يلذ للنفس أن تتأمله لتزداد ثقتها ويكمل يقينها، مهما بلغت الضيقات مثل جب الأسود في حياة دانيال، أو أتون النار في حياة

الثلاثة فتية القديسين، أو التجارب في حياة أيوب، أو شكوى الناس في حياة إرميا، أو الاضطهادات في حياة الرسل والقديسين أو حروب الشياطين في حياة الأبرار والنساك في كل جيل.

فوعد الرب قائم أنه يحفظه سالمًا سالمًا، لأن مواعيده بلا ندامة ورحمته إلى جيل الأجيال لخائفي اسمه وحافظي وصاياه. لذلك يقول:

٤. "توكَّلوا على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخر الدهور".

لأن الاتكال على الرب خير من الاتكال على بني البشر، الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء. ولأن المزمور يقول لأنه إتكل عليَّ فأنجيه أستره لأنه عرف اسمي.

والاسم العظيم ياه الرب (أي أهية أو يهوه أنا كائن). هو الذي استعلن في القديم لموسى ورأى الشعب قدرته في الخلاص ويمينه التي صنعت قوة، وذراعه التي شقت البحر وجبروت خلاص يمينه ليس للماضي بل وللمستقبل أيضًا لأنه هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.

٥. "لأنه يَخْفِض سُكَّان العَلاء، يضَع القريَة المُرتفِعَةَ. يضَعُها إلى الأرض. يُلصِقُها بالتراب.

٦. تَدوسُها الرِّجْلُ، رجْلا البائس، أقدَام المسَاكين".

لقد رفع الرب المتضعين، ونظر إلى المنسحقين وخائفي الرب والمرتعدين من كلامه. وطوَّب المساكين بالروح والقلب والمنكسر لم يرذله. وجعل أسوارًا ومترسة حول مختاريه الذين رفعهم مثل البائس من المزبلة، ومثل العاقر التي صارت ساكنة في بيت أم أولاد فرحة. أما مملكة الشيطان - مملكة الكبرياء فسحقها وأنزل الأعزاء عن الكراسي وداسهم بصليبه وكسر شوكة الموت وتجبُّر الشيطان سحقه.

ومن الأمور التي يحلو لنا أن نتأملها أن مسكن الأبرار سماها (مدينة قوية)، أما مملكة الشيطان فقد دعاها (القرية المرتفعة)، فهى إذًا ضعيفة وحقيرة إذا ما قورنت بالمدينة القوية... إذًا بعدما سحق الرب الشيطان بصليبه لم يعد له قوة مخيفة، ولا

سلطان بل صار يجول ملتمسًا أن يبتلع واحد، ولكنه ليس أسدًا حقيقيًا بل كأسد وقال أيضًا قاوموه راسخين في الإيمان، وقيل أيضًا قاوموا إبليس فيهرب منكم، ولا يهرب إلاَّ الضعيف الخائف فطالما تحصنت النفس في أسوار الخلاص بدم المسيح، صارت مملكة الشيطان وحيله وفخاخه وكل جنوده وقواته الشريرة صاروا (قرية صغيرة). حقيرة الشأن ولكن الفضل للمسيح فقط هو الذي خفض سكان العلاء أي مملكة الكبرياء. أشهرهم جهارًا وظفر بهم بصليبه، وداس الموت بموته وأعطى أولاده السلطان أن يدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو كما رجع الرسل قائلين: يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك... فقال لهم يسوع رأيت الشيطان ساقطًا من السماء مثل البرق.

٧. "طريقُ الصدِّيق استِقامةٌ. تُمَهِّد أيها المُستقيم سبيل الصدِّيق".

الرب مستقيم في جميع طرقه، ليس عنده تغيير ولا شبه ظل دوران وهو يفرح بالمستقيمين في قلوبهم ويُسر بالصديقين ويفرح قلوبهم، وهو يمهد طريق الصديق، يزيل العقبات ويهدم الكبرياء ويرفع المنخفظات وتصير العراقيب سهلاً بلا التواء وبلا كبرياء.

٨. "ففي طَريق أحكامِكَ يارب انتظَرناكَ. إلى اسمِكَ وإلى ذكْرك شهوَة النفس.

٩. بنفسي اشتهيتُك في الليل. أيضًا بروحي في داخِلي إليك أبتَكِر. لأنه حينما تكون أحكَامُكَ في الأرض يتعَلَّمُ سكان المسكونَةِ العَدْل".

أحكام الرب حق وعادلة، وطرق الرب مستقيمة، وكلام الرب كلام نقي، ومواعيد الرب صادقة وأمينة، وأعماله كلها بحكمة صنعت.

وأولاد الله في كل زمان ومكان يلذ لهم أن يتأملوا أحكام الله وأعماله وينتظروا خلاصه وتكميل مواعيده وصدق كلامه، ينتظرون الرب بلا قلق لا تضطرب قلوبهم ولا تجزع، وبلا خوف، وبلا شك في الإيمان. كما قال موسى للشعب في القديم "قفوا وانظروا خلاص الرب. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".

يكفي أن تقف النفس وتراقب إله خلاصها، فتمجده على أحكام عدله. الإنسان

كثير القلق متسرع دائمًا يتعجل الأمور... لكنه مكتوب "لأنكم تحتاجون إلى الصبر".

الإيمان ينتظر في طريق أحكام الله بصبر وثقة مثل إبراهيم أب الآباء يسير في الطريق بحسب أمر الرب "سر أمامي وكن كاملاً".

وفي الوقت المعين من الله تكمل أحكام الله.

انتظر الرب... تقو وليتشدد قلبك وانتظر الرب، من محرس الصبح إلى الليل، ولكن بيقين شديد وثقة كاملة في أن الذي وعد هو صادق وأنه سيأتي الآتي ولا يبطئ.

انتظر في طريق أحكامه وحفظ وصاياه وهو لابد آتٍ ولو في الهزيع الرابع. انتظر الرب في طريق أحكامه حتى الصليب وهو لابد آتٍ قائمًا من الأموات ليشرق على الجالسين في الظلمة وظلال الموت.

لأن جميع الذين ينتظرون الرب لا يخزون.

+ وإلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس.

منتظروا الخلاص نظروا المواعيد من بعيد وحيوها، ونظروها في رموز وظلال، وراقبوها في الرؤى والأحلام وتطلعوا إلى شبه السماويات وظلها ولكنهم صدقوها بكل القلب وآمنوا بها كل الإيمان.

وكم طال انتظارهم إلى آلاف السنين ولكن من جيل إلى جيل كان الإيمان ينمو والترقب يزداد والشوق إلى النجاة والرجوع إلى حضن الآب يبلغ ذروته. وهنا يعبر إشعياء النبي عن شوق النفس الساهرة لاستعلان اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح.

اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.

وإشعياء النبي نفسه قد تكلم عن الاسم المبارك قائلاً: "يدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا"، وقال أيضًا "يدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام". إلى هذا الاسم وإلى ذكره شهوة النفس لأن قوة الخلاص كائنة في اسم يسوع المسيح.

ألم يقل الرب للتلاميذ "تخرجون الشياطين باسمي". وقد أجرى الرب على أيدي الرسل آيات غير المعتادة بِاسم يسوع وهم قالوا "حتى الشياطين تخضع لنا باسمك".

وبطرس الرسول عند باب هيكل الجميل قال للأعرج: "بِاسم يسوع المسيح لك أقول قم وامشي" فوقف وصار يمشي ودخل الهيكل وهو يظفر ويسبح الله وقد شهد بطرس أمام مجمع اليهود أنه بِاسم يسوع الناصري وقف هذا أمامكم صحيحًا مكملاً حديثه "ليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء، قد أُعطي بين الناس، به ينبغي أن نخلُص".

هذا هو اسم الرب البرج الحصين الذي يركض إليه الصديق ويتمنع... مشتهى الأجيال كلها، ما أجمل كلمات هذه النبوة "إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس".

بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضًا بروحي في داخلي إليك أبتكر. لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل.

هذه هى ذات الكلمات التي صلى بها داود في المزمور "يا الله إلهي إليك أبكر لأن نفسي عطشت إليك".

إنه ذات الإحساس الواحد الذي ربط القديسين بالله، شوق وعطش، فبكروا كل يوم بمشاعر ملتهبة بالحب الإلهي. ففي ليل التجارب وظلام الأزمنة السحيقة وسلطان روح الظلمة رئيس هذا العالم. لم تخضع أرواح الأبرار للظلمة بل كانوا ينظرون إلى المواعيد من بعيد ويحيوها.

وصار هذا المسلك الروحي هو المنهج العام للآباء في كل جيل يبكرون إلى الرب كل يوم "سبقت عيناي وقت السحر". ويسمعون صوت الرب "الذين يبكرون إليَّ يجدونني". على أن التبكير والنهوض بهذا الدافع القوي، يكشف عن أمانة النفس لله وانحيازها بالكلية للذي أحبها وأسلم ذاته لأجلها، وفي نفس الوقت تظهر النفس كعروس نشيطة غير مستسلمة للنوم والغفلة بل حارة في الروح حتى ولو نام الجسد كحاجة الطبيعة... ولكن بنفسي اشتهيتك... وبروحي إليك أبتكر أو كما تقول عروس النشيد "أنا نائمة وقلبي مستيقظ".

١٠. "يُرحَم المُنافق ولا يتعَلَّم العَدل. في أرض الاستِقَامة يصنَعُ شرًا ولا يرى جلال الرب".

فإن كانت مراحم الله للخلاص تصير سبب تهليل وفرح الصديقين أولاد الله وتسبيحهم المدينة القوية وأسوار الخلاص وتصير نفوسهم في أشواق بالمحبة الإلهية تبكر للصلاة والشكر. فإن هذه الأمور كلها لا قيمة لها بالنسبة للمنافق الرافض للحق الإلهي وغير المتمتع ببركات الخلاص فتصير كثرة المراحم علة بالأكثر للوقوع تحت الدينونة... "لأن الإيمان ليس للجميع". لذلك قال "يرحم المنافق ولا يتعلم العدل". فبالرغم من أن الرب يسكب من مراحمه عليه إلاَّ أنه لا يتحرك قلبه نحو الله بل يزداد قساوة... كمثل يهوذا الخائن الذي لم ينتفع من مراحم المسيح وإحسانه ولطفه وطول أناته ولم يتعلم العدل ولا الحق.

ففي أرض الاستقامة يصنع شرًا ولا يرى جلال الرب...

وهذا ما قد يوجد في الكنيسة "أرض الاستقامة" متى عاش فيها المنافق فإنه يسلك بفساد يصنع الشر ولا توجد مخافة الرب قدام عينيه... بعكس الصديق الذي يقول "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله" فالصديق يقول "جعلت الرب أمامي في كل حين".

أما الشرير فليس خوف الله أمام عينيه... ومتى غاب حضور الله من عيني الإنسان فإنه في الظلمة يسلك والظلمة قد أعمت عينيه.

١١. "يارب، ارتفَعَت يَدُك ولا يرَون. يرَون ويخزَون من الغِيرة على الشَّعب وتأكُلهم نار أعدَائِك.

١٢. يارب، تجعَلُ لنا سلامًا لأنك كل أعمَالنا صَنَعتَها لنا.

١٣. أيها الرب إلهنا، قد استَولى علينا سادةٌ سِواك. بكَ وحدَك نذكُر اسمَك.

١٤. هم أمواتٌ لا يحيونَ. أخيلَةٌ لا تقوم. لذلك عاقَبت وأهلَكتهُم وأبَدت كل ذكرهم".

يرفع إشعياء صوته بالشكوى ضد الذين صاروا رؤساء الشعب ولكنهم ليسوا من الله، أقاموا أنفسهم أو أقامهم الناس، لذلك قال عنهم "استولى علينا سادة سواك" أو كما

قال الرب بفم هوشع النبي "أقاموا ملوكًا وليس منِّي" (هو ٨: ٤).

وإذ كان الرؤساء ليسوا من الله فإن أحكام الله وأعماله تصير غريبة عنهم لا يعرفونها ولا يدركونها.

فارتفعت يد الرب ولكن لا يرون، إنطمست البصيرة التي تميز يد الرب وأعماله، لهم عيون ولا يبصرون كما قال الرب يسوع. بل أن الوحي الإلهي يسجل أنهم رغم ما يبدو عليهم من مظاهر الحياة والسلطان والتسلط لكنهم "أموات لا يحيون أخيلة لا تقوم". إذًا ليكن مفهومًا أن الحياة الحقيقية هى الوجود في الله والوجود مع الله، وحفظ وصاياه ورؤية يده العاملة وسلطانه في كل شيء أما دون ذلك فهو الموت والعدم والفساد.

والسؤال ما هو مركز أولاد الله حينما تجري الأمور على هذا النحو، وينحرف الشعب بعيدًا عن الله ويتسلط الرؤساء الذين ليس لهم معرفة الله وليس خوف الله أمام عيونهم؟

يرد إشعياء النبي قائلاً: "يارب تجعل لنا سلامًا".

فأولاد الله يحصلون في وسط العالم على سلام الله الذي يفوق كل عقل "سلامي أترك لكم سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم".

وهذا السلام الإلهي يغلب الضيقات والتجارب وتحديات الزمن والاضطهادات و... الخ.

وهذا السلام نابع من وجود الله – عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. وهو سلام يستند على رؤية أكيدة، فالأشرار "ارتفعت يد الرب ولا يرون" (ع ١١). في حين أن أولاد الله يرون خلاص الرب ويده الرفيعة تعمل العجائب.

"قفوا وانظروا خلاص الرب... يمينك يارب معتزة بالقدرة" (خر ١٤، ١٥).

لذلك يؤكد إشعياء على أن الرب صنع كل الأعمال "كل أعمالنا صنعتها لنا" ونحن نقف وننظر أعمال الله... والمدينة القوية وأسوار الخلاص ونسبحه على كثرة رحمته فيصير فينا سلامه.

وهذا السلام مرتبط بذكر اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح "بك وحدك نذكر اسمك" (ع ١٣).

وهو ليس من ذواتنا فنحصل على السلام بل كما شهد الرسولان بطرس ويوحنا عندما شفيا الرجل الأعرج وشهدا أمام رؤساء الكهنة قائلين: إنه ليس بقوتنا أو تقوانا فعلنا هذا... بل بِاسم يسوع.

+ هذا السلام لا يضطرب لأنه لا ينحصر بل يرتكز على رؤية مستقبلية لنهاية الشر والأشرار "عاقبت وأهلكت وأبدت ذكرهم" (ع ١٤). وهذا يطمئن نفوس أولاد الله ويعزيهم إذ ينظرون إلى ما لا يرى فيبتهجون بفرح **لا ينطق به ومجيد.**

١٥. "زدتَ الأُمّة يارب، زدتَ الأُمّة. تمجّدت. وسّعت كل أطراف الأرض.
١٦. يارب في الضِّيق طَلَبوك. سَكبوا مُخَافَتةً عند تأديبكَ إيّاهم.
١٧. كما أن الحُبلى التي تُقارب الولادَة تتلوَّى وتصرُخ في مَخاضِها، هكذا كُنا قُدَّامك يارب.
١٨. حَبلنا تلوَّينا كأننا وَلدنا ريحًا. لم نصنع خلاصًا في الأرض، ولم يسقُط سُكّان المَسكونَةِ.
١٩. تحيَا أمواتُكَ، تقومُ الجُثث. استيقظوا، ترنَّموا يا سُكّان التراب. لأن طَلَّك طلٌّ أعشاب، والأرض تُسقِطُ الأخيلَةَ".

في هذه الآيات تتجلى قوة الخلاص الذي صنعه الرب يسوع صانع النعمة المحسن لنفوسنا، لأنه ليس بالقوة ولا بالقدرة ولا بذراع إنسان يصير الخلاص بل بروحي قال رب الجنود ونستطيع أن نلخص المبادئ الهامة التي تصير ركيزة لفكرنا ومنهجًا لسلوكنا:

١. إن قدرة الإنسان على الخلاص منعدمة تمامًا بلا قيمة لأن كل بر يحسب كخرقة دنسة.

وقد شبهها إشعياء النبي تشبيهًا رائعًا "حبلنا تلوينا كأننا ولدنا ريحًا. لم نصنع خلاصًا على الأرض".

هكذا كان الأنبياء والآباء في القديم إذا لم يكن الخلاص من الخطية في مقدور الناس...

فمهما تعب الإنسان وتلوى بكل الجهادات التي في طاقته لكي يلد الخلاص والغفران والسلام مع الله وكل بركات العهد الجديد فإنه يكون كمَن يلد ريحًا.. باطلاً يتعب كقبض الريح.

٢. الخلاص الذي صنعه المسيح الرب هو قيامة من الأموات تحيا أمواتك تقوم الجثث، وهذا ليس في مقدور الناس بل هو وحده الذي يحيي الأموات ويدعو لعازر من القبر، وفي ساعة موته تشققت القبور وقام كثير من أجساد القديسين، بل إنه لما قام من الأموات أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات وهذا هو الطريق الوحيد للخلاص إذ ليس اسم آخر أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص إلاَّ اسم يسوع، لأنه هو القيامة والحياة "ومَنْ آمن به ولو مات فسيحيا" وقد استودع الكنيسة روحه القدوس الذي حل على الرسل يوم الخمسين كروح الحياة الذي هب على العظام اليابسة كما رآه حزقيال النبي.

وقد أعطى الكنيسة أيضًا جسده الحي المحيي حاضرًا كل يوم على المذبح لكي كل مَنْ يتناول منه يحيا إلى الأبد (يو ٦).

٣. إشعياء النبي ببوق النبوة يبشر بشرى قيامة المسيح من الموت "استيقظوا. ترنموا يا سكان التراب".

لأن الموت كان الرب يدعوه نومًا "لعازر حبيبنا قد نام" قال هذا عن رقاد الموت... وقال أنا أذهب لأوقظه.

فالأموات يقومون في المسيح وسكان التراب يترنمون ويسبحون الذي أنهضهم بقيامته.

٤. أما الكنيسة التي ولدت بقيامة المسيح فإنها ازدادت وكان الرب يضم كل يوم الذين يخلصون، وكانت كلمة الرب تنمو وتزداد وكانت الكنائس تبنى وتسير في خوف الله وبقوة الروح القدس كانت تتكاثر.

ولم تزل كلمة الرب تنمو وتزداد وملكوت المسيح ينتشر إلى يوم ظهوره المخوف.

لذلك يراها إشعياء هكذا ويمجد الله من جهتها قائلاً: "زدت الأمة يارب زدت الأمة".

كما يراها كنيسة كائنة من أقصاء المسكونة إلى أقاصيها، ممتدة إلى أطراف الأرض "وسعت كل أطراف الأرض".

لأن الرسل الذين أرسلهم الرب للكرازة، إلى أقصاء المسكونة بلغت أصواتهم.

٢٠. "هَلُمّ يا شعبي ادخل مَخَادِعك، وأغلِق أبوابك خَلفَك. اختَبِئ نحو لُحَيظَةٍ حتى يَعبُر الغضب.

٢١. لأنه هوذا الرب يَخْرج من مكانه ليُعاقِب إثم سُكّان الأرض فيهم، فتَكْشِف الأرض دمَاءَها ولا تُغَطِّي قتلاها في ما بعد".

أخيرًا ينادي الله مختاريه الذين حسبوا أهلاً للنجاة والتمتع بالخلاص الذي صنعه الرب يسوع بدم صليبه.

هلم يا شعبي ادخل مخادعك، تحت ظل الصليب، في حماية ابن الله، مخادع الصلاة التي قال عنها الرب يسوع بعيدًا عن المظهرية الكاذبة وأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية لقد فضح الرب القبور المبيضة وفتح باب الحياة السرية والعمل في الخفية.

الدخول إلى المخادع معناه الدخول إلى العمق في الخفاء.

الدخول إلى المخادع في ستر العلي في ظل الإله القدير.

اختبره داود النبي وسبح الرب الذي أخفاه في خيمته في يوم شدته وستره بستر جناحيه.

وأغلق أبوابك خلفك، الأبواب التي تقدست بدم الخروف مع العتبة العليا صارت علامة للنجاة فقال الملاك: "أرى الدم وأعبر عنكم" فاختبأ الشعب المفدي في المخادع خلف الأبواب يحتمون في دم الذبيحة فخلصوا من الهلاك.

كان هذا مثالاً للذين يحتمون في ظل الصليب فينالوا خلاصًا أبديًا بدم المسيح.

"نحو لحيظة" هذا هو زمن الضيق بالنسبة لأولاد الله.

إنه يحسب أقل من لحظة (لحيظة) إذ قيس بالأبدية والمجد الذي لا يستقصى والتمتع الدائم في الأحضان الأبوية.

+ إن وقت الضيق والغضب، لا يقاس بالمجد العتيد أن يستعلن.

+ إن الرب قال عنه أنه ساعة... سريعًا ما تعبر، في ساعة القبض عليه في البستان قال لهم "هذه ساعتكم وسلطان الظلمة" فسلطان الظلمة إلى ساعة أما مجد المسيح ونور القيامة فإلى أبد الآبدين ودهر الداهرين.

+ وبالنسبة لآلام المختارين قال الرب المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت لكنها لا تعود تتذكر الشدة بسبب الفرح فآلام الولادة ساعة أما الفرح الذي يتبعها فدائم لا يزول.

"أنتم الآن تتكبدون حزنًا ولكني أراكم فتفرح قلوبكم ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحكم منكم".

+ لذلك قال النبي في موضع آخر "لحيظة تركتك، وبمراحم عظيمة سأجمَعُكِ. بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك، قال وليُّك الرب" (إش٥٤: ٧ - ٨).

فلا يمكن أن يقاس زمان الغضب بزمان المراحم والإحسان الإلهي الذي قدمه المسيح على الصليب حين فتح يديه وجمع كل واحد في جسده الذي هو الكنيسة على أن النبي لا يخفي أن الرب يخرج من مكانه.

يخرج من مكانه. (مشيرًا إلى التجسد) ليعاقب إثم سكان الأرض وهذا ما فعله الرب على الصليب إذ دان الخطية في الجسد فليس الهدف من التجسد والصليب إلاَّ خلاص الإنسان ودينونة الخطية لكي تصير الخطية خاطئة جدًا فهو سيعاقب (الإثم) ويفضح الخطية ويسمرها بالصليب.

الأصحاح السابع والعشرون

نادى الرب شعبه ومختاريه في الآيات الأخيرة من الأصحاح السابق أن يهرعوا ليختبئوا تحت ظل جناحيه في المسكن غير المصنوع بيد الذي ليس من هذه الخليقة أي جسده الذي أخذه من العذراء القديسة مريم وجعله واحدًا مع لاهوته... قائلاً لهم: هلم يا شعبي ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك واختبئ نحو لحيظة... حتى يعبر الغضب. لأنها ساعة دينونة الخطية وعقاب الشيطان ولا نجاة ولا خلاص إلاَّ في الإلتجاء إلى الرب والإحتماء في صليبه خلف الباب الملطخ بالدم أي الاحتمال في الفصح الذي ذُبِحَ من أجلنا.

ثم يعود الرب في بداية هذا الأصحاح ليعلن عقابه الشديد للحية القديمة الذي هو الشيطان في يوم الصليب حين سحق الرب الشيطان وكسر شوكة الموت الذي هو أجر الخطية.

١. "في ذلك اليوم يُعاقِبُ الرب بسَيْفِهِ القاسي العَظيم الشديد لويَاثان، الحيّة الهاربَةَ. لويَاثان الحيّة المُتَحوِّيَة، ويقتُل التنين الذي في البَحر".

لقد سحق الرب رأس التنين في مياه الأردن يوم أن اعتمد من القديس يوحنا السابق، يومها تقدم المسيح في صفوف الخطاة – كحمل الله حامل خطية العالم – وهو غير الخاطئ يومها قال الرب يليق بنا أن نكمل كل بر... فهو وحده البار القدوس، وحينما نزل إلى الأردن باتضاعه العجيب سحق رأس التنين على المياه، تمامًا كما في عبور البحر الأحمر يوم اعتمد الشعب لموسى في السحابة وفي البحر، سحق الرب بذراعه القوية ويمينه المعتزة. فرعون وكل قواته وغاصوا في المياه كالرصاص...

وفي يوم الأردن انكسر فرعون العقلي – التنين القاتل الحية المتحوية أي الحية الملتوية في طريقها المخادعة في حيلها، إبليس الخبيث الذي كان من البدء قتالاً للناس.

+ إن يوم الصليب كان يوم عقاب الشيطان، بسيف الرب القاسي العظيم والشديد.

القديس يوحنا الحبيب في رؤياه. نظر إلى الرب يسوع وكأن سيفًا ماض ذو حدين يخرج من فمه.

سيف الرب هو كلمته.

الكلمة صار جسدًا وفي الصليب... تألم كلمة الله بالجسد تألم مجانًا عوض الخطاة، لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه غش، وقد بغى الشيطان، الحية الهاربة... وأوغر صدر رؤساء الكهنة فأسلموه حسدًا وحرك شهود الزور، ودبر محاكمات الظلام وجند وحشد كل قواته... ضد الحق وبلا وجه حق.

وهكذا بلغ بالحية التي خدعت الكل بكل حيل الشيطان وقتلت بسمها كل جنس آدم، بلغ بها الأمر حتى تجرأت على الحق وتجبرت بوقاحة فصنعت الصليب لتصلب عليه ابن الله، فصعد على الصليب وقبل الآلام حتى الموت وعندما بلغ إلى الموت، حطم كل جبروت إبليس وسحق الشيطان إذ لم يكن في الرب علة للموت، ولم يكن ممكنًا أن يُمسك من الموت لأن بذرة الموت لم تكن فيه... لم يكن الرب من زرع البشر ولم يكن موت الخطية ساكنًا في جسده مثل باقي البشر.

فصلب من أجل خطايانا وقام ببره، بقوة وعظمة وجبروت انكسرت شوكة الموت "أين شوكتك يا موت" وانحطمت أسوار الجحيم "أين غلبتك يا هاوية".

انفضحت حيل الشيطان، قيد بالسلاسل الدهرية.

صار لنا بالمسيح سلطان أن ندوسها...

حقًا كان يوم الصليب يوم عاقب الرب فيه الحية القديمة بشدة وقوة وجبروت وسحق الشيطان حتى إلى الحضيض.

٢. "في ذلك اليوم غنُّوا للكرمَة المُشتهاة:

٣. أنا الرب حارسُها. أسقِيها كل لحظةٍ. لئلا يُوقَع بها. أحرُسُهَا ليلاً ونهارًا".

عندما ارتفعت شجرة الصليب فوق جبل الجلجثة، ضربت جذورها في الأرض ورواها الدم الزكي فأخرجت أغصانها وأينعت وأنضجت ثمارها هذه هى الصورة النبوية الرائعة التي ترسمها كلمات هذه النبوة.

ثبتت الكرمة حيث الصليب، كما قال الرب يسوع أنا إن ارتفعت أجذب إليَّ كل واحد، مثل حبة الخردل صارت بذرة الإيمان بالصليب يرويها دم المسيح فصارت أعظم جميع الأشجار حتى أن طيور السماء صارت تأوي إليها.

لقد قالها الرب قبل الصليب... إن حبة الحنطة إن لم تقع في الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتي بثمار كثيرة.

ومن الأمور التي يتعجب منها أن الرب نفسه صار يحرسها ويسقيها كل لحظة.

لأنها مشتهاة، قال الرب قبل الصليب، شهوة اشتهيت أن آكل معكم هذا الفصح... وقال أيضًا إنه لا يشرب من نتاج الكرم إلى أن يشربه جديدًا في ملكوت أبي "من الكرمة المشتهاة".

"من تعب نفسه يرى ويشبع" كما هو مكتوب.

+ هى شهوة الآباء، والأنبياء... نظروها من بعيد ورأوها وحيوها.

+ هى شهوة الأبرار والصديقين لأنها مسكن الله مع الناس.

+ هى شهوة القديسين لأنهم لا يعودون يخرجون إلى خارج وفوق الكل هى شهوة الرب نفسه إذ يرى عروسه مزينة ومتحدة به التي اقتناها بدمه واشتراها من العالم وهو يحرسها، بذاته، بوجوده فيها، ويحرسها بملائكته "ملاك الرب يحوط بكل خائفيه وينجيهم... على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسًا".

ويحرسها بأسوار الخلاص وسياج القديسين.

ويسقيها كل لحظة... لا يكف الروح القدس أن يرويها ويخصبها... سواقي الله ملآنة ماء، ويرويها بدمه الذي سال من جنبه على الصليب ويسقيها ماء الحياة، الذي مَنْ يشربه لا يعطش إلى الأبد.

هكذا تكون الكنيسة مغروسة على مجاري مياه الروح القدس فتعطي ثمرها في حينه وورقها لا ينتثر وكل ما تصنع تنجح فيه.

لئلا يُوقَع بها. أحرُسُهَا ليلاً ونهارًا.

الشيطان يترصد الكنيسة، يجول حولها كأسد زائر يلتمس أن يبتلع واحدًا، وطلب أن يُغربل التلاميذ كالحنطة...

وهو المشتكي على جنسنا، ويريد أن يوقع بنا.

وليس من سبيل إلى النصرة سوى الاحتماء بالرب فليس في قدرة الإنسان أن يغلب بذاته، لكن كفايتنا من الله والرب قد سبق وأخبرنا بكل حيل الشيطان وكل غواياته وشكواه لذلك تعهد الكرمة التي غرستها يمينه بالحراسة الدائمة نهارًا وليلاً، في نهار الفرح وليل الآلام... في الفرج كما في الضيق نحتاج دومًا إلى حراسة عنايته وعينه الساهرة علينا لئلا يوقع بنا فيقتنصنا العدو لإرادته.

٤. "ليس لي غَيظٌ. ليتَ عليَّ الشوك والحَسَكَ في القِتَال فأهجُم عليها وأحرقَهَا معًا.

٥. أو يتَمَسَّك بحِصني فيَصنَعُ صُلحًا معي. صُلحًا يَصنع معي".

+ الكرمة المشتهاة هى في مركز الرضى من الرب إذ هى جسده أو عروسه المحبوبة، لأنه قال "سأدعو غير المحبوبة محبوبة" وقد عبر الغضب إلى الأبد، للحظة غضبه وحياة في رضاه... عبر الليل عن الكنيسة وأشرق عليها صباح القيامة، في العشاء كان البكاء وفي الصباح السرور.

لذلك يقول الرب ليس لي غيظ لأنه قد نسى خطايانا كبعد المشرق عن المغرب، لأن الغيظ والغضب يكون حيث تكون الخطية "خطاياكم حجبت الخير عنكم".

أما وقد رفع المسيح خطايانا على الخشبة وقد محا الصك الذي كان علينا فمَنْ يشتكي على مختاري الله، لقد صرنا مقبولين ولنا جراءة في كل حين أن نقترب من الله وندعوه أبانا.

أما الشوك والحسك اللذان هما أجرة الخطية وعلامتها الأولى "شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض" فشهوة الرب أن يحرقها معًا يكسر شوكة الموت ويبيد سطوته، وهكذا فعل الرب يسوع بصليبه حينما حمل إكليل الشوك على رأسه في يوم القتال العظيم فكسر شوكة الموت بموته.

أو يتمسّك بحصني فيصنع صُلحًا معي. صُلحًا يصنع معي.

+ ما أعجب الرجاء في شخص ربنا... حتى للمحسوبين أنهم أشواك وحسك حتى للذين صاروا من زرع العالم..

للذين يريدون أن يقاوموا الحق، ويضادوا الله، يفتح الرب باب الرجاء.

إنه سيحرق الشوك والحسك بنار غيرته المقدسة، يجمع الحنطة إلى مخازنه.

فماذا لو رجع الإنسان عن طريقه الردية؟

إن كل شره الذي عمل لا يذكر كما قال الرب بفم حزقيال النبي تمسك بحصن الرب وصنع صلحًا مع الله...

إنه يكون قد نجى نفسه من الغضب واقتنى لنفسه سلامًا وحياة إن الله يأمر جميع الناس أن يتوبوا متغاضيًا عن أزمنة الجهل. فالآن إما أن يتمسك الإنسان بحصن الرب ويتمتع به ويصير في سلام مع الله أو يكون نصيبه مع الشوك والحسك تأكله نار لا تطفأ ودود لا يموت.

٦. "في المستقبل يتأصَّل يعقوبُ. يُزهِرُ ويُفرعُ إسرائيل، ويملأونَ وجه المَسكونة ثمَارًا.

٧. هل ضَرَبهُ كضَربَةِ ضاربيه، أو قُتِل كقَتل قَتلاَهُ؟

٨. بزَجْر إذ طلّقتَها خاصَمتَها. أزالهَا بريحِهِ العاصِفَةِ في يوم الشرقيَّة.

٩. لذلك بهذا يُكفَّر إثم يعقوب. وهذا كل الثمر نزع خطيَّته: في جَعلِه كل حِجارة المذبح كحجارة كِلْس مُكَسَّرة. لا تقوم السَّواري ولا الشَّمسات".

المسيح هو أصل وذرية داود.

وقد قالت النبوة أيضًا يخرج قضيب من جزع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب.

فالنبوة تتحدث عن ذرية داود الذي صار أصلاً ورأسًا للخليقة الجديدة، التي هى جسده ملئ الذي يملأ الكل في الكل.

في المستقبل، يتأصل يعقوب، يمد أصوله إلى أسفل، يبدأ بالاتضاع، من

المذود، ثم يزهر وتمتد الفروع من الصليب حتى تملأ وجه المسكونة من ثمار الروح القدس.

الذين لم تسمع أصواتهم إلى أقصاء المسكونة بلغ منطقهم هذا هو إسرائيل الجديد، الكرمة الحقيقية، كنيسة العهد الجديد الكائنة من أقصاء المسكونة إلى أقصاها.

برجز إذ طلقتها خاصمتها. أزالها بريحه العاصفة في يوم الشرقية لقد قال الرب للشعب القديم أين كتاب طلاق أمكم...

لأن كنيسة العهد القديم وقعت في الخيانة والتعدي التصقت بآخر وصارت له... باعت نفسها للعالم واتحدت بشهواته ففصلت نفسها عن الذي إقتناها ودعا نفسه وليها وبعلها ورجلها.

لذلك تكرر المرات التي خاطبها الرب قائلاً: "ارجعي عن زناكِ" وقد دعاها الرب بهذا الاسم البغيض مرات كثيرة على فم الأنبياء وكانت النتيجة للزيغان والذهاب وراء الآلهة الغريبة هو أن الرب يقول: "بزجر طلقتها" إذ هو قدوس ولا يتصالح مع الخطية لأنه بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الأشرار وصار أعلى من السماوات. وليس فقط طلقها بمعنى أنه تركها وتخلى عنها ولكنها نالت جزاء محقًا "أزالها بريحه الشرقية العاصفة" كشجرة مهجورة أوصى الغيم أن لا يمطر عليها وننزع سياجها فجاءت عليها رياح الغضب ولفحتها كما للهلاك.

ولكن هل رفض الرب شعبه إلى النهاية، هكذا يتساءل إشعياء النبي قائلاً: هل ضرب الرب إسرائيل كما ضرب غيره من الأمم الذين اعتدوا عليه؟ أو قتل كقتل قاتليه؟

هذا السؤال يجيب عليه القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية اسمعه يقول: "ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا".

وقد أكد القديس بولس الرسول أن العداوة حصلت جزئيًا لإسرائيل إلى أن يدخل ملئ الأمم وأن البقية ستخلص بحسب وعود الله "وإن كان عدد إسرائيل كرمل البحر، فالبقيَّة ستخلُص" (رو ٩: ٢٧) ثم يستطرد أيضًا "ألعلهم عثروا لكي يسقطوا؟ حاشا! بل بزلَّتهم صار الخلاص للأمم لأغارتهم... لأنهم إن كان رفضهم مصالحة العالم،

فماذا يكون اقتبالهم إلاَّ حياة من الأموات؟" (رو ١١).

هذا هو قلب الله من نحو خلاص الجميع... أنه يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان.

لقد فتش وطلب خلاص الأمم البعيدين قائلاً: "وجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهرًا للذين لم يسألوا عني".

أما من جهة إسرائيل فيقول بسطت يدي طول النهار إلى شعب معاند...

ولكن بعد أن يدخل ملئ الأمم يعود فيفتقد إسرائيل ويرد الفجور عن يعقوب.

وهذا هو المستقبل الذي أنبأ عنه إشعياء قائلاً: في المستقبل يتأصل يعقوب يزهر ويثمر كالزيتونة الأصيلة في يوم ينزع الرب خطيته التي هى احتقار المذبح وهدمه كما في أيام إيليا، وإقامة الشمسات والسواري التي كان إسرائيل ملقي تحتها يشارك في عبادة الأوثان وزنى ورجاسات الأمم.

١٠. "لأن المدينة الحَصِينةَ متوحِّدَةٌ. المَسكَن مهجورٌ ومتروكٌ كالقَفر. هناك يرعى العِجلُ، وهناك يربضُ ويتلِفُ أغصَانها.

١١. حينما تيبَس أغصانُها تتكسَّر، فتأتي نساءٌ وتوقِدُها. لأنه ليس شعبًا ذا فَهم، لذلك لا يرحَمُهُ صانعُهُ ولا يترأَّف عليه جابلُهُ".

من التشبيهات التي وردت كثيرًا في العهد القديم عن شعب الله وكنيسته والجماعة المختارة المعينة والمختصة بالله أنها مدينة الله، وجبل الله ومسكن الله.

كما شبهت أيضًا بالكرمة والزيتونة والتينة أي الزرع المقدس المختار.

لذلك كانت سكنى المدينة والفرح والرقص والزمر وإمتلاء ساحاتها بالشبان، والشيوخ وكرامة العذارى ولبسهن الثياب الفاخر... كانت كلها أمور تشير إلى الغنى الروحي والفرح ووجود الله في مدينته.

والعكس صحيح فإن تخلي الله عنها كان يشار إليه بخراب المدينة وقتل شبابها بالسيف وهلاك الشيوخ والحكماء وذوي المشورة وحزن النساء وانكسار العذارى.

وعلى هذا القياس أيضًا الثمار والأزهار في الكرمة والزيتونة يشير إلى إحسان الله ومساندته ووجوده.

بينما الجفاف والحريق وعدم المطر وعدم الثمار يعني الترك والتخلي والغضب الإلهي.

كما رأى إشعياء إسرائيل القديم، كزوجة مطلقة أي متروكة رآها أيضًا مدينة خربة إذ رفضت عريسها ولم تقبل الذي جاء يفتقدها مشرقًا من العلاء "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله".

الأصل أن تكون الكنيسة مسكنًا لله، والهيكل الجديد الذي هو الكنيسة مسكن مجد الله وحلوله إلى الأبد أما الذين لم يقبلوه فصار كما قال لهم "هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا".

لقد كانت مدينة حصينة ومسكنًا دعيَ اسم الله عليه "هيكل الرب" إذ كان لهم التبني والمجد والعهود والإشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء منهم المسيح الكائن على الكل إليها مباركًا.

ولكنهم أخرجوه خارج المحلة وصلبوه رافضين إياه وصرخوا إلى بيلاطس اصلبه اصلبه.

وصارت المدينة أورشليم الحاضرة مستعبدة مع جميع بيتها... وبعد أن كانت مدينة الملك العظيم، صارت متوحدة ... وصار المسكن فيها وهو هيكل سليمان. صار مهجورًا كالقفر.

لأنه بدون المسيح ماذا يكون الهيكل؟

وبعد أن كان مسكنًا لله يحل فيه بمجده إنشق حجاب الهيكل إلى اثنين.

"هناك يرعى العجل ويربض ويتلف أغصانها".

لما رفضوا المسيح صاروا مسكنًا للشيطان، المشبه بالعجل الذي عبدوه في البرية قديمًا في أيام موسى حين صنع لهم هارون عجلاً من الذهب وصاروا يرقصون حوله ويقولون هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر.

فهو يرعى ويربض ويتلف أغصان الكرمة والزيتونة.

التينة التي لعنها الرب يبست من أصولها وحينما تيبس أغصانها تنكسر.

لقد صارت الأغصان يابسة، لم تعد لها رطوبة النعمة ولا ليونة الحياة جفت تمامًا، لم يعد لها صلة بالعصارة الحية، صارت وكأنها منفصلة عن أصل الكرمة

ودسمها.

قال الرب كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه.

وقد ناداهم يوحنا المعمدان أن الفأس وضعت على أصل الشجر كل شجرة لا تصنع ثمرًا تقطع وتلقى في النار.

أما القديس بولس فإنه يقول قطعت بعض الأغصان ويرجع هذا إلى عدم الإيمان "بسبب عدم الإيمان قطعت".

وقد تعني اليبوسة، التصلف والكبرياء اليهودي الذي هو دائمًا قبل الكسر "قبل الكسر الكبرياء".

وقد ترجع اليبوسة إلى ريح الغضب اللافحة التي لا سبيل إلى الأغصان إلى إحتمالها عندما يوصي الرب الغيم ألا يظلل الأغصان عليها ولا يمطر عليها بأمطار رحمته وحنانه لسبب العصيان.

وعندما تنكسر الأغصان، لا تصلح بعد لشيء، فيكون نصيبها مع عديمي الإيمان في النار التي لا تطفأ قال الرب يسوع: إن كان أحد لا يثبت فيَّ يطرح خارجًا كالغصن ليجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق (يو١٥: ٦).

والقديس بولس الرسول يجعل من هذا الموضوع تحذيرًا شديدًا للمؤمنين أنه "قطعت بعض الأغصان لعدم الإيمان وأنت بالإيمان تثبت في اللطف". لذلك مَنْ هو قائم فلينظر لئلا يسقط لئلا فيما نحن ندين الأغصان التي جفت ويبست نوجد نحن أنفسنا في علة العصيان أو قلة الإيمان أو الكبرياء أو عدم الثبات في الله.

+ أما السبب الجوهري الذي يورده إشعياء النبي لهذا النصيب التعس لإسرائيل فهو عدم الفهم... اسمعه يقول: لأنه ليس شعبًا ذا فهم لذلك لا يرحمه صانعه ولا يتراءف عليه جابله.

قال الرب لأورشليم: لو عَلِمت أنت أيضًا، حتى في يومكِ هذا، ما هو لسلامكِ! ولكن الآن قد أخفيَ عن عينيكِ (لو ١٩: ٤١)، ليس شعبًا ذا فهم لذلك لا ينال رحمة ولا يتمتع بالرأفة لم يفهموا مشيئة الله من جهة أنفسهم بل رفضوها... لم يفهموا ولم يميزوا زمان المسيح، الذي قال لهم تعرفون أن تميزوا وجه السماء أما

علامات الأزمنة فلا تستطيعون (مت ١٦: ٣).

ولم يفهموا آياته ومعجزاته وكانوا يعثرون به ويقولون إنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين.

ولم يفهموا اتضاعه ولا مشاركته لنا في اللحم والدم فقالوا عنه أنه أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة وأخيرًا لم يفهموا خلاصه لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد رغم ما هو مكتوب عنه في الناموس والأنبياء والمزامير...

١٢. "ويكون في ذلكَ اليوم أن الرب يَجْني من مَجرى النّهر إلى وادي مِصر، وأنتم تُلْقَطون واحدًا واحدًا يا بني إسرائيل.

١٣. ويكون في ذلك اليوم أنه يُضرَب ببوق عَظيم، فيأتي التائِهُون في أرض أشور، والمنفيُّون في أرض مصر، ويَسجُدُون للرب في الجَبَل المُقدَّس في أورشليم".

أخيرًا كما هى العادة في نبوات إشعياء نبي الرجاء، يختتم كلمات الروح بإشراق الرجاء وبشارة الخلاص للبقية المختارة وكأنه الفجر يشرق دائمًا بعد حلكة الظلام وكأنه نور القيامة يأتي في أعقاب مأساة الصليب وأختام القبر.

الرب يجني: أن عمل الخلاص بالصليب يكون في ذلك اليوم كجني القطاف، وكمثل الحصاد كما قال الرب يسوع: "ارفعوا أعيُنكم... الحقول إنها قد ابيضت للحصاد... أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم" (يو ٤).

فالنفوس المعينة للخلاص والتي تستحق هذا النصيب المقدس تكون شهية في نظر الله كثمر حلو للصليب.

سيجني الرب حبات الزيتون الباقية في أغصان الزيتونة العتيقة حين يفتقدها مرة أخرى بعد أن يدخل ملئ الأمم سيجني الحنطة إلى مخازنه الأبدية أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ.

+ "من مجرى النهر إلى وادي مصر".

في المناطق التي قال الرب لموسى أنها تكون تخوم الأرض التي يعطيهم إياها،

أرض الميعاد، أتى فشلوا أن يسكنوا فيها ويحققوا قصد الله من جهتهم.

سيجني الرب في ذلك اليوم، في زمن الحصاد المعروف عند الرب وحده ويضم إليه الذين يخلصون ويجمعهم في حزمة الحياة الأبدية.

+ وأنتم يا بني إسرائيل تلقطون واحدًا واحدًا.

أي بالاسم، كما قيل في سفر الأعمال "وآمن الذين كانوا معينين للحياة الأبدية" هو إذًا إختيار، وتعيين بالاسم لميراث الحياة، لأنه إختارنا فيه قبل تأسيس العالم، والذين سبق فعرفهم سبق فاختارهم وعينهم فالبقية المختارة من الشعب القديم سيلقطون واحدًا واحدًا ليدخلوا إلى هيكله الجديد ويصيروا شركاء الطبيعة الإلهية كأعضاء في جسده الذي هو الكنيسة.

+ ويكون في ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون...

البوق هو بوق الكلمة هو إنجيل الخلاص وبشارة الحياة الأبدية الذي أعطاه الرب للرسل الأطهار لكي يبوقوا في المسكونة كلها ويحذروا من الهلاك ويبشروا بالحياة (راجع حزقيال ٣٣).

+ التائهون في أرض أشور والمنفيون في أرض مصر.

إن المسيح يسوع قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك وقد قال بفم حزقيال "أنا أرعى غنمي وأربضها يقول السيد الرب أطلب الضال وأستر المطرود".

هذا هو الراعي الصالح الذي جاء ينادي للمأسورين بالإطلاق ويرسل المسحوقين أحرارًا.

الذين تاهوا متغربين في أرض أشور، أرض سبي الخطية وسلطان إبليس.

الذين تغربوا تائهين بعيدًا عن أورشليم بلا هيكل وبلا ذبيحة بلا صلاة بخور وبلا تقدمة طاهرة، أي تغربوا بعيدًا عن الله تائهين في العالم في مسالك الشر تجري أقدامهم إلى سفك الدم، فإن الرب يهدي خطواتهم باستعداد إنجيل السلام ويقودهم في موكب نصرته.

والمنفيون في أرض مصر نفى شهوات اللحم والدم، شهوات قدور اللحم والكرات وقد وقعوا في عبودية فرعون العقلي يرزحون في عمل الطين مذلولين كل يوم إلى

هؤلاء وأولئك نادى الرب ببوق الكرازة ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد ويجمع منفيي إسرائيل ويجبر جميع كسر منكسري القلوب.

+ كل هؤلاء "يأتون ويسجدون للرب في الجبل المقدس في أورشليم".

قال الرب للسامرية تأتي ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له (يو ٤: ٢٣- ٢٤).

سيجمع الرب أبناء الله المتفرقين إلى واحد، فيأتون ويسجدون بالروح الواحد على جبل الله المقدس في أورشليم الجديدة، لا كالسجود الذي كان يقدم بالجسد، بل السجود القلبي الذي يسر الآب وليس مرتبطًا بمكان مادي ولكن صارت الكنيسة - جبل الله - ومدينة الله - كائنة من أقصاء المسكونة إلى أقصاها.

الأصحاح الثامن والعشرون

١. "ويـلٌ لإكليـل فخـر سُـكَارى أفـرايم، وللزَّهـر الـذَّابل، جمـال بهائِـهِ الذي على رأس وادي سمَائِن، المضروبين بالخَمر.
٢. هـوذا شـديدٌ وقـويٌّ للسيد كانهيَـال الـبرد، كنـوءٍ مُهْلِـكٍ، كسيل ميـاهٍ غزيرةٍ جارفةٍ، قد ألقاهُ إلى الأرض بشدةٍ.
٣. بالأرْجُل يُداس إكليل فَخر سُكَارى أفرايم.
٤. ويكـون الـزَّهر الـذَّابل، جمـال بهائِـهِ الـذي علـى رأس وادي السَّـمائِن كبـاكورَةِ الـتين قبـل الصَّـيف، الـتي يراهـا النَّـاظر فيبلَعُهـا وهـي في يَدِه".

كان إشعياء النبي قد أكمل ما يقرب من عشرين سنة من بدء نبوته، وكانت محاصرة سنحاريب ملك أشور لأورشليم في أيام حزقيا ملك يهوذا وشيكة الحدوث وقد صارت الصور وهى تقترب من بعيد أكثر وضوحًا أمام ناظري إشعياء فنطق بهذه النبوات كبوق أخير لعله يثير إنتباه الغافلين الذين شبههم في نبواته بالسكارى المترنحين من الخمر الذين لا ينفعهم الإنذار ولا يسترعى إنتباهه شيء حتى يداهمهم الخطر كالمخاض للحبلى فلا ينجون كما قال الرب.

ويل لإكليل فخر سكارى أفرايم.

عنده بداية دينونة الخطية يبتدئها إشعياء النبي بالكلمة القاسية "ويل" إذ قد مضى زمان التراءف والمراحم وكأن الباب قد أغلق... ما أشبه هذا بما قاله الرب عن مجيئه الثاني المخوف في يوم الدينونة – على المستوى الحسي والمادي – كما كابده إسرائيل يوم إفتقاد خطاياه... "يوم شديد وقوي كانهيار البرد، كنوء مهلك، كسيل مياه غزيرة جارفة" لا سبيل للإنسان مهما كانت قوته أن يواجه مثل هذه الأهوال والمخاوف.

+ تبدأ الكرامة بتتويج الهامة بإكليل المجد، ويبدأ الهوان بنزع الأكاليل هكذا تبدأ الويلات على إكليل الفخر الذي على رأس أفرايم (أي مملكة إسرائيل) فالملك والكاهن

والنبي، هم رأس الشعب في إسرائيل والذي يقلب صفحات التاريخ المقدس يجد عجبًا فمتى تألفت أرواح الملك والكاهن والنبي في الخضوع لوصايا الرب وأحكامه إنحدرت الخيرات والرضى على الشعب كله وتم قول الرب إن أرضت الرب طرق إنسان جعل حتى أعداءه يسالمونه وعلى العكس متى إغتر الملك بالسلطان وتاه الكاهن وراء المكاسب الزمنية وخضع النبي لروح العالم، تنهال المصائب تباعًا عن الشعب كله وتسري روح الزيغان عن الرب إلى القطيع المسكين.

لذلك بدء الدينونة يكون من المقدس والذين أودعوا كثيرًا يطالبون بالأكثر.

+ **سكارى...**

أحرى بنا أن نسمع قول الرب: "احترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسُكر وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بغتَةً" (لو ٢١: ٣٤).

لقد فقدوا الحس، والوعي الروحي، غرتهم الأباطيل الكاذبة فظنوها أمورًا دائمة، ولفتهم الهموم الوهمية كأنها حق واقع والحال ليس كذلك، لأنها باطل الأباطيل وقبض الريح لذلك انفصل الذهن الواعي عن النظر فصاروا يحيون بالحس الخارجي. أما الإدراك القلبي فقد غابوا عنه... لذلك أسماهم سكارى... ولكن يا للحسرة إن لحظة الإفاقة يعتصر القلب بالألم ولكن وقتها لا ينفع الندم ويطول البكاء وصرير الأسنان.

+ ألم يلهو بيلشاصر الملك حينما صنع وليمة عظيمة لعظمائه وشرب خمرًا، حين أخرج آنية بيت الرب، وقتها كتبت اليد الخفية على مكلس الحائط إن الرب أحصى ملكه وأنهاه وأنه وزن بالموازين الإلهية فوجد ناقصًا، وانتهى بيلشاصر في تلك الليلة.

+ ما أبعد الذين ينتمون إلى العالم ويتحيزون له، ويعتبرون أن تنعم يوم لذة، ما أبعدهم عن الواقع المُر الذي ينتظرهم إنهم حقًا سكارى في كل أفراحهم وأيامهم التي يعيشونها ستنتهي لا محالة كما يفيق السكران فيتبدد فرحه وتذهب نشوته ويصطدم بالواقع الأليم.

+ الزهر الذابل جمال بهائه...

كل إنسان كعشب، وكل مجد الإنسان كزهر العشب، العشب يبس وزهره سقط.

يا لخيبة الأمل فهى تأتي على الذين يعتبرون مجد العالم أنه شيء الغنى، البهاء، المراكز، والمقتنيات والجسد وشهواته... إنه كزهر العشب... إن نظرة إلى الوراء عشرات السنين تثبت ذلك تمامًا، وكمثلها إذ نظرنا عشرات السنوات إلى الأمام ماذا سيكون حالنا... "جيل مضى وجيل يجيء... كما كان وهكذا يكون...".

ولو كان مجد العالم قد دام للذين من قبلنا، لصار نافعًا لنا ولكن هيهات... إنه زوال... إنه قبض الريح كما قال الحكيم.

على رأس وادي سمائن المضروبين بالخمر.

لقد سمن الوادي وكثر ثمره وخيره مثل الرجل الذي أخصبت كورته فانتفخت نفوسهم بالخير الزمني... أفرايم تَسمّنَ، وسَكِرَ ولم يدركوا الكلمة التي قالها الرب لذلك الغني الغبي "إن الليلة تطلب نفسك منك، الذي أعددته لمَنْ يكون".

كان الرجل سكرانًا بالنجاح، نشوانًا بكثرة الخيرات وفي سكره نظر إلى ذاته وكأن له خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة.

إنه غارق في أحلام... مضروب بالخمر، فكانت نظرته التفاؤلية في غير موضعها، إنه فاقد التوازن هوذا مجدهم كزهر ذابل ولكنهم متكلون على كلام الكذب وخيالات اللاوعي، يفتخرون في تعظمهم، لذلك لم يسمعوا صوت الرب ولم يميزوا إنذار القدير لذلك جاءت دينونتهم هكذا أنه يداس إكليل الإفتخار هذا ويسقط الزهر الذابل إلى التراب.

بالأرجل يداس إكليل فخر السكارى أفرايم.

ماذا تكون دينونة إكليل الفخر الكاذب المرتفع بغش الكبرياء إلاّ أن يُداس بالأرجل مثل دينونة كبرياء فرعون في البحر الأحمر، ومثل دينونة شيحون ملك الأموريين وعوج ملك مدينة باشان، ومثل دينونة جليات المجدف والمعير لصفوف الله الحي، حين انطرحت هامته إلى التراب وفنى مجده في لحظة خاطفة.

+ ويكون الزهر الذابل... كباكورة التين قبل الصيف... لا تشبع ولا تغني، مجرد منظر يشتهيه الناظر من بعيد، وهو في حقيقته لا يثبت ولا يدوم... إنه مجد دنيوي زائل، وافتخار عالمي باطل... ينفضح في يوم الدينونة وافتقاد الأعمال.

٥. "في ذلك اليوم يكون رب الجُنود إكليل جمَال وتاج بهاءٍ لبقيَّة شعبه.

٦. وروح القضاء للجَالس للقضاء، وبأسًا للذين يرُدُّون الحَرب إلي الباب".

١. إكليل جمال:

إن يوم دينونة الخطية، هو يوم الخلاص.

ويوم أن يداس إكليل فخر السكارى، ويذبل المجد الباطل يستعلن في الحال المجد الأبدي ويظهر الجمال والبهاء الحقيقي.

هذا هو مضمون كلمات هذه النبوة.

إن داود النبي عندما قال في المزمور أن الرب قد ملك على خشبة (الصليب) قال أن الطهر والجمال العظيم في قدسه وأن الجلال والبهاء قدامه (مز ٩٥).

لقد حمل الرب يوم الصليب إكليل الشوك وحمل هو في جسده عقاب خطايانا لنصير نحن بر الله فيه وعوض إكليل الشوك فإنه يكلل محبيه بالكرامة.

وقد صار الرب نفسه هو الإكليل، وهو رأس الكنيسة ومجدها وهو باكورة الراقدين، والبكر من الأموات. الذين قبلوه، المختارون صار لهم نعمة وخلاصًا وغفرانًا للخطايا، وإكليل جمال وتاج بهاء، لأنه هو أبرع جمالاً من بني البشر، وهو بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.

٢. روح قضاء:

+ ليس فقط تاج جمال وإكليل بهاء، بل أرسل روحه القدوس في يوم الخمسين لقضاة المسكونة – الرسل الأطهار – فحل عليهم مثل ألسنة نار، روح الاحراق، روح الحكمة والمشورة، روح المعرفة والافراز، روح القداسة والعدالة والسلطان وقد قال الرب لرسله القديسين "تجلسون على إثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر".

وقد أعطاهم السلطان "كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات وما حللتموه على الأرض يكون محلولاً في السموات".

٣. بأسًا للذين يردون الحرب:

+ وأيضًا يكون الرب في يوم الخلاص عزًا وقوة وبأسًا وجبروتًا للذين يحاربون حروب الرب ويردون الحرب إلى الباب كما يقول المزمور "حينئذ لا يخزون إذ ما كلموا أعدائهم في الأبواب" لقد صار الرب قوتهم "قوتي وتسبحتي هو الرب قد صار لي خلاصًا" لأن الصليب هو قوة الله، وبه سحق الرب قوة المعاند وأمام الصليب يهرب الشيطان، وبإشارة الصليب ترتد حروب الشياطين وفخاخهم وينكسر سلاحهم ويرجعون بخزي.

٧. "ولكن هؤلاء أيضًا ضَلُّوا بالخَمر وتاهوا بالمُسكر. الكاهن والنبيُّ ترنَّحا بالمُسْكِر. ابتلعتهُما الخَمر. تاها من المُسْكِر، ضلاَّ في الرُّؤيا، قَلِقا في القضاءِ".

الكاهن، المؤتمن على الشريعة، من فمه تطلب لأنه رسول رب الجنود والكاهن شفيع يقرب قرابين وذبائح عن الشعب.

والكاهن خادم الأقداس أي كارز بالقداسة ومتمسك بها.

والكاهن مفرز ومكرس لم يأخذ نصيبه من الميراث الأرضي حين قسموا الأرض لأن الرب هو نصيبه، يأكل من الأقداس، والعشور، يلازم المذبح ومن المذبح يأكل وهكذا النبي، إنسان ملهم، يسلك بالروح، ويقتاد بالروح ويحمله الروح، ويخبره بأمور آتية.

النبي في وسط الشعب كمثل السراج المنير في موضع مظلم فلو أن إنسانًا أخطأ فإن الكاهن يصلي من أجله، فإن أخطأ الكاهن فمَنْ يُصلي عنه...

وإن زاغ الشعب فإن النبي ينذره ويوبخه فإن زاغ النبي فماذا يكون بعد؟

حتى هؤلاء، الكاهن والنبي؟ اللذين ائتمنهما الرب على قطيعه؟

دخل العالم بالغواية إلى الجميع... ابتلعهما فتاها في طريق غير مستقيم، أظلمت العين عن الرؤيا الإلهية، لأن العين شبعت من الأباطيل أما القضاء والأحكام والشريعة فلا مكان لها مع إنسان مترنح بخمر العالم وسكره.

٨. "فإن جميع الموائد امتلأت قيئًا وقذرًا. ليس مكان".

موائد القضاء، امتلأت رشوة، ومحاباة، وصار عليهم ظلم الفقير واليتيم والأرملة، وابتلع حق الضعيف.

موائد الكهنة في الهيكل صارت للتجارة والإهتمامات المادية كأنها موائد الصيارفة.

إنها أشياء قبيحة ومكروهة جدًا.

+ ليس مكان للحق، وليس مكان للروح والحياة، والقداسة وإن صح التعبير ليس مكان لله "ابن الإنسان ليس له أن يسند رأسه".

لذلك عندما دخل الرب يسوع الهيكل ورآه على هذه الحالة الأسيفة، قلب موائد الصيارفة وطرد باعة الحمام وقال كلمته الإلهية المكتوبة لهم قديمًا "بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص".

إن كان أفرايم قد وصل إلى هذه الحالة المهينة من التسفل إلى التراب والإنحياز إلى العالم والسكر بخمار الدنيا وإهتمامات الجسد، وإن كان حتى الكاهن والنبي قد ترنحا بالخمر وتاها عن القضاء ومعرفة الشريعة وامتلأت موائدهما قذرًا وقيئًا.

إذ صار الحال كذلك يتساءل النبي قائلاً:

٩. "لمَنْ يُعَلِّم مَعرفَةً، ولمَنْ يُفهمُ تعليمًا؟ أللمفطومين عن اللبن، للمفصولين عن الثدي؟".

وهذه هى نفس الصيغة التي بدأ بها إشعياء الأصحاح الشهير لآلام المسيح (إش٥٣) قائلاً: "يارب مَنْ صدق خبرنا، ولمَنْ استُعلنت ذراع الرب؟".

فهو هنا يقول متعجبًا، إذًا مَنْ يعلم ويعرف مَنْ يفهم ويستوعب كلمات الرب وإنذاراته؟

ليس من فاهم ولا سامع ولا عارف إرادة الرب... ليس بار ليس ولا واحد...

ثم يعود إشعياء النبي فيضيف قائلاً: أللمفطومين عن اللبن، للمفصولين

عن الثدي؟

هل توجد هذه العينة بين الشعب؟!!

الذين تشبهوا بقول داود "فإن كنت رفعت صوتي مثل الفطيم من اللبن على أمه كذلك المجازاة على نفسي" لأنه لا يسمع صوت الرب إلاَّ المفطومين من العالم الذين قطعوا صلتهم بالملذات العالمية والشهوات الردية.

الذين فصلوا أنفسهم عن ثدي العالم لكي يشبعوا من ثدي تعزيات الروح القدس.

إذ يستحيل على الذين مازالوا ملتصقين بالعالم، وغير المفطومين أن يذوقوا تعزيات الروح ولا يفطنوا لكلمة الخلاص.

١٠. "لأنه أمرٌ على أمر. أمرٌ على أمر. فَرضٌ على فَرض. فَرضٌ على فَرض. هنا قليلٌ هُناك قليلٌ".

لقد صارت تكرارًا مملاً، وأوامر وفروض تليها أوامر وفروض، لقد استعفوا من المتكلم ورفضوا أن تزاد لهم كلمة...

كما ملّ الشعب في القديم التقاط المن النازل من السماء وأكله وقالوا قد كرهت نفوسنا هذا الطعام السخيف!! ولم يعلموا أن الرب بهذا التكرار وطول الأناة واللطف إنما يجدد فرص التوبة والرجوع، وهو ينادي لا مرة ولا مرتين بل مرات ومرات، لكي يفيق الذين سكروا من الخمر وترنحوا من المسكر، هؤلاء يبكتهم كلام الرسول بولس: "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة" (رو ٢: ٤ - ٥).

١١. "إنه بشَفَةٍ لكناءَ وبلسان آخَر يُكلِّم هذا الشعب".

لقد تكلم الرب مع شعبه بشفتي إشعياء وحب ولطف وصار لسانه قلم كاتب ماهر يصف لهم مَنْ هو أبرع جمالاً من بني البشر ويكرز بعمانوئيل رئيس السلام وأزمنة المسيا إله الخلاص. ولكن لمَنْ؟ أللغارقين في خطايا وشرور؟ أم للسكارى

بخمر العالم؟

لذلك يعود الرب فيقول إنه سيكلمهم بشفة لكناء، وبلسان آخر بلسان سنحاريب ملك أشور ولسان ربشاقي رئيس الجند في الحصار، بعد أن رفضوا كلام الرحمة والحب والتوبة والرجوع لم يبق سوى لسان الدينونة وكلمات العقاب.

+ الذين قسوا قلوبهم وهو ينادي ارجعوا إليَّ أرجع إليكم يقول الرب، سيسمعون في النهاية الصوت "اذهبوا عني يا ملاعين...".

+ الذين لم يسمعوا صوته الحنون يقول "افتحي لي يا حبيبتي لأن شعري امتلأ من الطل وقصصي من ندى الصبح" ولم يحننوا قلوبهم نحو جراحاته وإكليل شوكه... سيغلق من دونهم الباب ويقولون يا ربنا يا ربنا افتح لنا فيجيب ويقول الحق أقول لكنَّ إني ما أعرفكن.

ليتنا نعتبر فنسمع صوته ولا نقسي قلوبنا فنفوز برحمته ولا يكلمنا بلسان آخر.

١٢. "الذين قال لهم: هذه هي الرَّاحة. أريحوا الرَّازحَ، وهذا هو السُّكون. ولكن لم يشاءوا أن يسْمَعوا.

١٣. فكان لهم قول الرب: أمرًا على أمر. أمرًا على أمر. فرضًا على فرض. فرضًا على فرض. هنا قليلاً هناك قليلاً، لكي يذهبوا ويَسقُطوا إلى الوراء وينكسروا ويُصادوا فيؤخَذوا".

لقد قال لهم الرب عن الراحة والسكون، والقديس بولس الرسول يؤكد لنا أن الوعد بالراحة مازال قائمًا لنا ولكن ليس مكان راحة أرضي وميراث ترابي.

"فلنخف، أنه مع بقاء وعدٍ بالدخول إلى راحته، يُرى أحدٌ منكم أنه قد خاب منه!" (عب ٤: ١).

ويؤكد أيضًا أن كلمة الخبر والكرازة لم تنفع هؤلاء لعدم الإيمان...

ويقول إذًا بقيت راحة لشعب الله!... فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة (عب ٤).

أم أمن ناحية السكون - الذي يشير إلى الهدوء والوداعة... فقد رذل الشعب مياه شيلوه الجارية بسكوت وسروا برصين وابن رمليا كما هو مكتوب (راجع تفسير الأصحاح ٨).

ولكنهم لم يشأوا أن يسمعوا... هذا هو أصل الداء، إن الإرادة منحرفة والأهداف صارت غير سماوية فكيف يسمعون الصوت الإلهي؟ والنتيجة المؤسفة لعدم طاعة الصوت الإلهي أنهم يسقطوا إلى الوراء وينكسروا ويصادوا، فيؤخذوا وكلها أفعال مخيفة – حتى على مستوى الواقع المادي – فلم يكن الحال في قبول دينونة مخيفة وهلاك الناس الأشرار؟!!

١٤. "لذلك اسمعُوا كلاَم الرب يا رجَال الهُزْء، ولاةَ هذا الشعب الذي في أورشَليم.

١٥. لأنكم قُلتُم: قد عقَدنا عهدًا مع الموت، وصَنعنا ميثاقًا مع الهاويَةِ. السَّوط الجارفُ إذا عَبَر لا يأتينا، لأننا جَعلنا الكذب ملجَأنا، وبالغِشِّ استترنا.

١٦. لذلك هكذا يقول السيّد الرب: هأنذا أؤسِّس في صهيَون حجرًا، حجر امتحان، حجر زاوية كريمًا، أساسًا مؤسسًا: مَنْ آمن لا يهرب".

قال الحكيم "الخمر مستهزئة"... فالذي يشرب الخمر يصير مستئهزئًا لأنه يفقد وعيه ويأتي أعمالاً غير كريمة ويصغر في نظر الناس.

أما ولاة أورشليم فصاروا في عرف الروح رجال هزء لأنهم إتخموا من غرور العالم وغناه وصاروا سكارى بغير خمر لذلك يخاطبهم الروح "كرجال الهزء" وقد قيل في المزمور طوبى للرجل... الذي في مجلس المستهزئين لم يجلس فلا موضع لرجل كامل حافظ لوصايا الله في وسط ولاة أورشليم!

لقد صنعوا عهدًا مع الموت وميثاقًا مع الهاوية!! والأصل أنهم مدعوون أن يصنعوا عهدًا مع الحياة... لقد كتب قديمًا "ها قد جعلت أمامك طريق الحياة وطريق الموت اختر الحياة فتحيا" ولكنهم فضلوا الموت على الحياة، والهاوية على الملكوت، وانحازوا للشيطان...

قال الرسول يعقوب "مَنْ أراد أن يكون محبًا للعالم فقد صار عدوًا لك".

وقد أوهمهم الشيطان أنهم بانحيازهم للعالم يصيرون في أمان من النكبات وفي مأمن من السقوط الجارف... ولكن هذا كذب.

فالذين ينحازون للعالم يحرقهم العالم يحرق أجسادهم يبدد قوتهم، فكيف يستطيع الشيطان أن يخلص تابعيه... أو يعدهم بالحرية وهو ذاته مقيد بسلاسل أبدية.

إنها خدع الشيطان في كل جيل، ولكن ليكن معلومًا أنه لا خلاص ولا حياة ولا حرية ولا أبدية سوى بالمسيح يسوع لذلك نطق إشعياء في الحال معلنًا عن صخر الدهور، حجر العثرة وصخرة الشك للذين يهلكون، كل مَنْ سقط عليه يترضض ومَنْ يسقط عليه هو يسحقه.

ولكن للمبنين على أساسه وللمختارين فيه، فهو لهم صخر الدهور الذي لا يخزي المتكلين عليه "ومَنْ آمن به لا يهرب".

هذا هو الحجر الذي رذله البناؤون... وقالوا اصلبه، ومن البدء لم يسمعوا كلمته بل قالوا عقدنا عهدًا مع الموت.

لأننا جَعلنا الكذب ملجَأنا، وبالغِشِّ استترنا.

إن الشيطان هو الكذاب وأبو الكذاب كما قال ربنا. أولاد الله يقولون بفم داود "جعلت العلى مسكنك فلا تصيبك الشرور ولا تدنو ضربة من مسكنك".

فهم يسكنون في ستر العلي وفي ظل الإله القدير يبيتون (مز ٩١).

فالرب هو الصخر والملجأ، الحصن المنيع الذي يلجأ إليه الصديق ويتمنع ولكن رجال الهزء في غمرة الاستهتار اتكلوا على الكذب واستتروا بالغش، وهو في الواقع ليس سترًا بل فضيحة وعار.

١٧. "وأجَعل الحقَّ خَيطًا والعَدل مِطمارًا، فيَخطَفُ البرد ملجأ الكَذِب، ويجرُف المَاء السِّتارة.

١٨. ويُمحى عَهدُكُم مع المَوت، ولا يَثبُت ميثاقكم مع الهاوية. السَّوط الجَارف إذا عَبَر تكونون له للدوس.

١٩. كلما عَبَر يأخُذكُم، فإنه كل صباح يَعبُر، في النهار وفي الليل، ويكون فَهم الخَبر فقط انزعاجًا".

الرب يسوع بظهوره – كحجر الزاوية للمفديين – أبطل عمل الشيطان، وبروح

الحق - الروح القدس – أباد روح الكذب والغش والخداع وكل نجاسة، فحجر الأساس في البناء الجديد هو الرب يسوع وروح الحق هو الخيط المطمار الذي يحفظ الحجارة الحية المبنية في استقامة ووحدانية.

+ هنا انفضح الشيطان وستارة الكذب والغش تبددت، قال ربنا يسوع الآن دينونة رئيس هذا العالم، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا.

ومرة أخرى قال رأيت الشيطان ساقطًا من السماء مثل البرق أما الذين احتموا به وربطوا نفوسهم في عهد عم الشيطان فإنهم سيكابدون عقابًا أبديًا.

يكون فهم الخبر انزعاجًا:

عندما تكلم رب المجد يسوع عن ظهوره الثاني المخوف ودينونة الخطية قال إن الناس يغشى عليهم من هول ما يكون، والخطاة يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا ولكن هيهات فستر الكذب وملجأ الغش لا يستطيعان أن يستراهم في يوم الرب العظيم والمخوف.

٢٠. "لأن الفِراش قد قَصَرَ عن التَّمَدُّد، والغِطاء ضاقَ عن الالتحَافِ.
٢١. لأنه كما في جَبل فرَاصِيمَ يقُوم الرب، وكما في الوطاءِ عند جبعُونَ يسخَطُ ليفعَل فعلَهُ، فعلَهُ الغريب، وليعمَل عَمَلَهُ، عَمَلَهُ الغريب.
٢٢. فالآن لا تكونوا متهكِّمين لئلا تُشدَّد رُبُطُكُم، لأني سَمِعتُ فناءً قُضيَ به من قِبَل السيد رب الجُنود على كل الأرض".

لقد سمع إشعياء من فم الرب حكم القضاء وفناء الأشرار وهو يعلم علم اليقين أن الرب لا يخلف وعده وأنه لا يتباطأ وأن السماء والأرض تزولان ولكن كلامه لا يزول. ولكن رجال الهزء لم يكتفوا بالسكر بخمار العالم بل صاروا يتهكمون باستهتار ووقاحة على كلمة الرب. وقد كمل فيهم قول القديس بطرس الرسول "سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون، سالكين بحسب شهوات أنفسهم، وقائلين: أين هو موعد مجيئه؟" (٢ بط ٣: ٣ - ٤).

+ لهؤلاء يقول إشعياء النبي لا تكونوا متهكمين لئلا تشدد ربطكم لأن التهكم

والاستهتار سيزيد عليهم الضربات ويشدد عليهم الرباطات والسلاسل التي سيوثقوا بها عندما يحل عليهم الغضب.

الفراش قصر عند التمدد:

وعندما وصف إشعياء حال الواقعين تحت الدينونة أورد هذا التشبيه العجيب كمثل إنسان على سرير قصير فلا يستطيع أن يمدد ذاته وحتى الغطاء ضاق عن الالتحاف، فلا هو ينعم براحة ولا بدفء ويصير في تعب وحيرة وقلق ولكن لا سبيل إلى الخروج منها، إنها ورطة ومرارة نفس وويل.

+ أما عمل الله "عمله الغريب، وفعله الغريب".

فهو مستغرب في أعين غير المستعدين، وغير المتوقعين وغير السهارى ؟إذ يكونون في حيرة وربكة لا مثيل لها.

على عكس المستعدين والمتوقعين الخلاص الذين يفرحون ويرفعون رؤوسهم لأن نجاتهم تقترب.

أما هؤلاء فإنه يفاجئهم الهلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون.

٢٣. "اصغوا واسمعُوا صوتي. انصُتُوا واسمَعوا قولي:
٢٤. هل يَحرُث الحَارث كل يوم ليَزرع، ويَشقُّ أرضَهُ ويُمَهِّدها؟
٢٥. أليس أنه إذا سوَّى وجهَها يبذُر الشونيزَ [1] ويذرِّي الكَمُّون، ويضَعُ الحنطة في أتلام، والشَّعير في مكان مُعيّن، والقطاني في حدودها؟
٢٦. فيرشده. بالحق يُعلِّمه إلهه.
٢٧. إن الشونيز لا يُدرَس بالنَّورج، ولا تُدَار بكرَةُ العَجَلَةِ على الكَمُّون، بل بالقَضِيب يخبَطُ الشونيزُ، والكَمُّون بالعَصَا.
٢٨. يُدَقُّ القَمحُ لأنه لا يدرُسُهُ إلي الأبد، فيَسُوق بَكَرَةَ عَجَلَتِهِ وخيلَهُ. لا يسحَقُه. هذا أيضًا خَرَجَ من قِبَل رب الجنُود عَجيبُ الرأي عظيم

---

[1] الشونيز: نبات بذره يُسمى حبة البركة.

الفَهم.

إذ صار الشعب في بلادة الذهن بسبب الخطايا كان لابد للرب الإله أن يتوسط بمثل، لأنهم صاروا "لهم آذان ولا يسمعون" وقد كلمهم الرب بما هو مألوف في حياتهم اليومية في الزرع والحصاد وما يعتبر عندهم قواعد ثابتة ونظم لا تخالف.

فهم يعلمون جيدًا أنه للزرع وقت ولقلع الزرع وقت ولبذر البذور وقت وللحصاد وقت.

فإن كان هكذا مع نبات الأرض، فهو لأبد أنه يحدث أيضًا مع الإنسان حينما يفتقده صانعه، وفي حديث ربنا يسوع عن نهاية العالم شبه ذلك الوقت بالحصاد، "مثل زوان الحقل" وقال: "الحصاد هو انقضاء العالم. والحصَّادون هم الملائكة" (مت ١٣: ٣٩).

فكما يميز الزارع بين نبات وآخر في طريقة الزراعة وفي ميعاد الحصاد وطريقته، هكذا يكون في وقت الدينونة.

فيجمع الحنطة المكرمة إلى المخازن الأبدية، وأما التبن فيحرقه بالنار فإن كان هذا التميز عند الزارع هو من الله "يرشده الحق يعلمه إلهه" فالذي يعلم الزارع ألا يميز أولاده ومختاريه في يوم الحصاد "فلا يسحقهم"؟!!

إنه عجيب الرأي عظيم الفهم، لأنه مَنْ عرف فكر الرب، ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء.

الفهرس

تقديم: ٥
مقدمة: ٦
الأصحاح الأول: ١١
الأصحاح الثاني: ٣٥
الأصحاح الثالث: ٤٨
الأصحاح الرابع: ٦٥
الأصحاح الخامس: ٧٣
الأصحاح السادس: ٩٧
الأصحاح السابع: ١١٢
الأصحاح الثامن: ١٣٣
الأصحاح التاسع: ١٥٢
الأصحاح العاشر: ١٧٦
الأصحاح الحادي عشر: ١٩١
الأصحاح الثاني عشر: ٢١١
الأصحاح الثالث عشر: ٢٢٠
الأصحاح الرابع عشر: ٢٢٩
الأصحاح الخامس عشر: ٢٤٤
الأصحاح السادس عشر: ٢٥٢
الأصحاح السابع عشر: ٢٥٩
الأصحاح الثامن عشر: ٢٦٥
الأصحاح التاسع عشر: ٢٧١
الأصحاح العشرون: ٢٨٤
الأصحاح الحادي والعشرون: ٢٨٧

الأصحاح الثاني والعشرون: ٢٩٥
الأصحاح الثالث والعشرون: ٣٠٧
الأصحاح الرابع والعشرون: ٣١٤
الأصحاح الخامس والعشرون: ٣٢٤
الأصحاح السادس والعشرون: ٣٣٦
الأصحاح السابع والعشرون: ٣٤٩
الأصحاح الثامن والعشرون: ٣٦١